تاريخ الأندلس الاقتصادى

فى عصر دولتى المرابطين والموحدين



دكتور

كمال السيد أبو مصطفى

أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية

كلية التربية - جامعة الإسكندرية

مركز الإسكندرية للكتاب

٤٦ شارع الدكتور مصطفى مشرفة

ت ٤٨٢٦٥٠٨١ - إسكنرية


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

تاريخ الأندلس الاقتصادى

فى عصر دولتى المرابطين والموحدين

دكتور

كمال السيد أبو مصطفى

أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية

كلية التربية - جامعة الإسكندرية



مركز الإسكندرية للكتاب

٤٦ شارع الدكتور مصطفى مشرفة

ت ٤٨٣٦٥٠٨١ - إسكندرية


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

بسم الله الرحمن الرحيم

« وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب »

« صدق الله العظيم »

المقدمـــــة

(أ) عرض عام لموضوع البحث ومنهج الدراسة

(ب) تحليل لأهم المصادر

(أ) عرض عام لموضوع البحث ومنهج الدراسة :

يتناول موضوع البحث تاريخ الأندلس الاقتصادى من خلال دراسة لمصادر الثروة الاقتصادية فى الأندلس فى عصر دولتى المرابطين والموحدين .

وتعتبر فترة حكم المرابطين والموحدين من أزهى الفترات التى شهدتها الأندلس ، فقد نعمت خلالها وعلى الأخص فى عهد حكامهم العظام أمثال يوسف ابن تاشفين وعبد المؤمن بن على ويوسف بن عبد المؤمن ويعقوب المنصور – بنوع من الأمن والاستقرار كان لهما أعظم الأثر فى الازدهار الاقتصادى الذى أصابته بلاد الأندلس فى ظل هاتين الأسرتين .

وقد اهتم الدارسون الحديثون بالتاريخ السياسى لدولتى المرابطين والموحدين وألفوا فيه العديد من المؤلفات ، غير أن التاريخ الاقتصادى للأندلس لم يحظ بنصيبة من اهتمام الباحثين إلا فى الستينات من هذا القرن عندما صدر أو مصنف فى تاريخ الأندلس الاقتصادى فى عصر الدولة الأموية للباحث الباكستانى أمام الدين وعنوانه :

" The economic history of spain under the umayades "

ثم تلى ذلك بعض البحوث التى تتعلق بالحياة الاقتصادية فى عصر الطوائف والمرابطين ، من أهمها البحث الذى أعده الدكتور السيد عبد العزيز سالم عن مظاهر الازدهار الاقتصادى لمدينة المرية الإسلامية فى عصرى الطوائف والمرابطين بعنوان :

" Algunos aspectos del flore cimiento economico de almeria islamica durante el periodo de los taifas de los almoravides "

وبحث المستعرب الاسبانى المعروف الدكتور خواكين بالبى برميخو J.Vallve Bermejo حول بعض المظاهر الاقتصادية فى أسبانيا الإسلامية فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) بعنوان

" Espana musulmana en el siglo xl : Aspectos economicos "

ومقالة أخرى للدكتور محمد كمال شبانه تتعلق بإقتصاد الأندلس فى عصر بنى

الأحمر أصحاب مملكة غرناطة وهو أخر عصور الإسلام فى الأندلس .

وتلا ذلك - وبالتحديد فى أواخر السبعينات وبداية الثمانينات - ظهور بعض الأبحاث المتعلقة بالحياة الاقتصادية فى المغرب والأندلس ، ومن أهمها دراسة تقدم بها السيد / محمد التهامى لنيل درجة الماجستير من جامعة الاسكندرية حول الحياة الاقتصادية فى الأندلس فى عصر الدولة الأموية ، ودراسة أخرى لباحث سودانى هو عز الدين موسى لنيل درجة الدكتوراه من الجامعة الأمريكية ببيروت بالنشاط الاقتصادى فى المغرب الإسلامى خلال القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) .

ويتضح لنا مما سبق أن هناك فجوة فى دراسة التاريخ الاقتصادى للأندلس وهى الفترة الخاصة بدولتى المرابطين والموحدين ، التى لم تنل اهتماما جديا من قبل الباحثين على نحو يتسق والفترات السابقة أو اللاحقة . وعلى هذا النحو عزمت على دراسة موضوع الثروة الاقتصادية فى الأندلس فى عصر دولتى المرابطين والموحدين ، لما لتلك الفترة من أهمية فى دراسة تاريخ الأندلس الحضارى عامة والإقتصادى على وجه الخصوص ، ولسد الثغرة المتبقية فى دراسة التاريخ الاقتصادى للأندلس .

وعلى أية حال فقد أدركت منذ أن قررت دراسة هذا الموضوع مدى الجهد الواجب علىّ بذله ، والصعوبات التى سوف أواجهها ، ومرجع ذلك أن هذا الموضوع يتعلق بجوانب اقتصادية قلما يتعرض لها الباحثون فى التاريخ ، ومن المسلم به أن الكتابه فى التاريخ السياسى تعتبر أيسر بكثير من الكتابة فى الجوانب المختلفة من التاريخ الحضارى ، لأن المصادر التارخية تتحدث بإسهاب عن الحوادث التاريخية سواء السياسى منها أو العسكرى ، كما أنها مليئة بأخبار الأمراء والحكام ، فى حين تكاد هذه المصادر تصمت عن ذكر الجوانب الحضارية ، كما أن المؤرخين القدامى فى العصور الوسطى عامة كانوا يركزون كل عنايتهم على التاريخ السياسى ، وقلما جذبت انتباههم بعض الظواهر الاقتصادية أو الاجتماعية ، مما يترتب عليه ندرة المادة العلمية المدونة فى هذا المجال فضلا عن الصعوبة والمشقة التى يعانيها الباحث عند قيامه بجمع المادة العلمية لمثل تلك الموضوعات ، ذلك أن البحث فى التاريخ الاقتصادى يجد لزاما عليه التنقيب

فى مختلف المصادر ، لأن الإشارات المتعلقة بالمظاهر الاقتصادية موجزة ومبعثرة فى بطون كتب التراجم وكتب الحسبة والفقه وكتب الفلاحة والمصادر التاريخية والجغرافية والوثائق الرسمية .

وعلى هذا تذرعت بالأناة والصبر عند جمعى للمادة العلمية المتعلقة بموضوع البحث فى المصادر المطبوعة أو المخطوطة سواء كانت تاريخية أو جغرافية ، كما قمت فى نفس الوقت بزيارتين لأسبانيا إحداهما لمدة شهر فى صيف ١٩٨٢ م، والثانية بعثة إشراف مشترك بين جامعتى الاسكندرية ومدريد لمدة ستة أشهر ، ما كان له أعظم الأثر فى تكوينى العلمى من جهة وفى إستكمال المادة العلمية ومشاهدة جميع المواقع الأثرية المتعلقة بموضوع البحث والجمع بذلك بين الجانب النظرى والعلمى أو التطبيقى الذى يهدف اليه الاتجاه الجديد فى الدراسات التاريخية والحضارية من جهة أخرى .

وقد توخيت فى دراستى أن أصطنع النقد فى سياق عرضى لعناصر البحث ، كما حاولت أن التزم بالمنهج العلمى القائم على مقارنة النصوص واستخلاص النتائج مع استبعاد الروايات المبالغ فيها والتى كثيرا ما أوردها المؤرخون والجغرافيون المسلمون فى العصور الوسطى .

وقد قسمت الرسالة إلى ثلاثة أبواب رئيسية قدمت لها بمقدمة ثم بدراسة تمهيدية . وتشمل المقدمة على عرض عام لموضوع البحث ومنهج الدراسة ثم تحليل لأهم المصادر . أما الدراسة التهميدية فتتضمن عرضا موجزا للأحوال السياسية فى الأندلس فى عصر المرابطين والموحدين وذلك لارتباط هذه الأوضاع السياسية بالنشاط الاقتصادى .

وخصصت الباب الأول لدراسة الثروة الزراعية والغابية والحيوانية ، فتناولت فى الفصل الأول الثروة الزراعية ، وأشرت فى البداية إلى المظاهر الجغرافية المؤثرة على الزراعية ، ثم ألمحت إلى أهم العوامل التى أثرت على الثروة الزراعية فى عصر دولتى المرابطين والموحدين مثل الجفاف والفيضانات والسيول والعواصف والزلازل والأوبئة

والآفات الزراعية والفتن والغارات النصرانية على أراضى المسلمين ، ثم ألمحت بإيجاز شديد إلى أنواع التربة والأسمدة ، كما تحدثت عن حرث التربة وإعدادها للزراعة ، وطرق الغراسة والتركيب وتشذيب الأشجار أو ما يعرف بالتشمير ، وأوضحت بعد ذلك نظم الرى فى الأندلس ووسائله مشيرا إلى مدى التقدم الذى أحرزه المسلمون فى هذا المجال ، ثم المحت إلى الطرق التى اتبعها الأندلسيون لحماية المزروعات من الآفات والحشائش الضارة ، موضحا أهم المحاصيل الزراعية ومنتجات البساتين فى الأندلس ، واختتمت الحديث عن الثروة الزراعية بالإشارة الى بعض النظم المتعلقة بالزراعة خاصة نظام البساتين والضياع والاقطاعات الزراعية والعلاقة بين ملاك الأرض والمستأجرين ، ونظام تخزين المحاصيل .

أما الفصل الثانى ويتعلق بالثروة الغابية والحيوانية ، فقد أوضحت فى بدايته مدى شهرة الأندلس بالغابات والأخشاب الجيدة المتعددة الأنواع التى إستخدمت فى كثير من الأغراض ، كما تحدثت عن أهم المناطق الغابية فى الأوندلس . ثم تعرضت لدراسة الثروة الحيوانية ، فألمحت أولا إلى مناطق الرعى فى الأندلس وأهم حيوانات الرعى كالأغنام والماعز والبقر والجاموس والخيل والبغال والحمير والابل ، كما تحدثت عن تربية الحمام والدجاج والأوز والبط خاصة فى القرى الأندلسية التى اشتهرت بذلك ، وأوضحت مدى اهتمام الأندلسيين بتربية النحل ، ومعرفتهم بكيفية علاجه من الأمراض ، وطرق الاكثار من إنتاج العسل ، ثم انتقلت إلى الحديث عن تربية دود الحرير واشتهار الأندلس بزراعة التوت وإنتاج الحرير لملائمة مناخها لزراعة أشجار التوت مما ساعد على زيادة إنتاج الحرير ، ثم ألمحت بإيجاز إلى صيد الطيور والحيوانات المتوحشة واستفادة الأندلسيين بلحومها ووبرها ، أو من أجل التسلية والمتعة . واختتمت الحديث عن الثروة الحيوانية بالإشارة إلى الثروة السمكية التى ساعد على توفرها بالأندلس امتداد سواحلها على البحر المتوسط والمحيط الأطلسى وكثرة أنهارها .

وتنبغى الاشارة إلى أننى قد اعتمدت فى هذا الباب الخاص بالثروة الزراعية والغابية والحيوانية – أساسا – على كتب الفلاحة الأندلسية ، والتى زودتنى بمعلومات

قيمة ومفصلة عن الزراعة فى الأندلس ، كما أمدتنى كتب الجغرافية بإشارات غاية فى الأهمية تتعلق بالزراعة والرى والثروة الغابية والحيوانية .

وأفردت الباب الثانى لدراسة الثروة المعدنية وأهم الصناعات . فتحدثت فى الفصل الأول عن الثروة المعدنية ، وبدأت بذكر نظام المناجم الأندلسية وطرق استغلال المعادن فى العصر المرابطى والموحدى ، معتمدا فى ذلك على نص هام أورده الإدريسى فى كتابه نزهة المشتاق ، ورجحت أن المسلمين فى الأندلس طبقوا نفس الأسلوب الرومانى القديم لإستخراج المعادن دون أى تغيير كبير يذكر ، وهو ما أوضحته البقايا الأثرية للمناجم الأسبانية القديمة ، كما أوضحت أن العمل فى المناجم الأندلسية كان يتميز بالعناية الفائقة بسقف المنجم وجدرانه ، وبيناء الدهاليز التى تساعد العمال على الهبوط إلى جوف المناجم مستخدمين المصابيح الزيتية لإنارتها ، وهو ما أكده الباحثون الأسبان معتمدين على الاكتشافات الأثرية الحديثة . ثم تحدثت بعد ذلك عن أهم المعادن التى اشتهرت بها الأندلس ، وتوزيعها جغرافيا فى مختلف كور الأندلس ، مشيرا إلى الطرق التى اتبعها المسلمون لتنقية الذهب والفضة من الشوائب ، ثم تعرضت لذكر المعادن المهمة الأخرى كالحديد والنحاس والرصاص والقصدير والزئبق والزنجفر والكبريت والكحل والتوتيا والزاج والشب والمغرة والطفل والقار والملح والأحجار الكريمة والرخام والأحجار والعنبر والمياه الحارة أو المعدنية المعروفة بالحمات .

ثم تحدثت فى الفصل الثانى الخاص بأهم الصناعات عن صناعة المنسوجات وأهم مراكز تلك الصناعة ، وأنوع المنسوجات التى اشتهرت بها الأندلس فى العصر موضوع الدراسة ، ثم انتقلت إلى صناعة الزيوت والخمور ، وأوضحت أهم المدن التى امتازت بجودة زيوتها ، وأنواع الزيوت التى كانت تنتجها الأندلس واهتمام ولاة الحسبة بمراقبة تلك الصناعة منعا للغش والتدليس فيها ، أما فيما يتعلق بصناعة الخمور فقد أشرت إلى رواجها رغم تحريم الإسلام لها ، وإن كان الخليفة الموحدى يعقوب المنصور قد تشدد فى منع شربها وإراقة المسكرات ومعاقبة كل من يتعاطاها بأشد أنواع العقاب ،

مشيرا إلى أهم مراكز تلك الصناعة . وأعقبت ذلك بالحديث عن صناعة الورق ومدى ازدهار تلك الصناعة فى الأندلس خاصة فى مدينة شاطبة ، التى كان يصنع بها الكاغد الذى لا نظير له بمعمور الأرض وذاع صيته فى المشرق والمغرب ، كما أوضحت أنه عن طريق الأندلس انتقلت تلك الصناعة الى مناطق غرب أوربا خاصة الممالك الأسبانية المسيحية وفرنسا وإيطاليا - على الأقل - منذ القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) ولم يفتنى الإشارة إلى أثر هذه الصناعة فى ازدهار فن الوراقة فى الأندلس . ثم تحدثت عن طحن الغلال عن طريق الأرحاء التى كانت تقام على ضفاف الأنهار أو الأرحاء المتنقلة على المراكب والتى اشتهرت بها مرسية وطرطوشة وسرقسطة وذلك لإراحة العملاء ، وأوضحت أن هذه الأرحاء كانت تدار إما بقوة تيار المياه أو بالحيوانات أو بالريح ، مشيرا إلى أنه وجد أيضا أرحاء خاصة الى جانب الأرحاء العامة المملوكة للدولة ، وهذه الأرحاء الخاصة كان يمتلكها طحانون محترفون كانت حرفتهم الرئيسية طحن الغلال للناس نظير أجر معين وكانوا يخضعون لمراقبة شديدة من جانب المحتسب نظرا لأعمال الغش التى كانوا يلجأون اليها . وتعرضت بعد ذلك للصناعات الجلدية ، فأوضحت شهرة بعض المدن بدبغ الجلود مثل - باجة ولبلة - وازدهار الصناعات الجلدية فى الأندلس - خاصة فى قرطبة ومالقة وسرقسطة - وأهمها صناعة النعال والأقراق ومقابض السيوف والفراء والأغشية الجلدية وغيرها . ثم تحدثت عن الصناعات الخشبية خاصة صناعة السفن التى ازدهرت فى الأندلس ، مشيرا إلى أهم دور الصناعة فى عصرى المرابطين والموحدين ، وأنواع السفن التى كانت تقوم بصناعتها ، كما ألمحت إلى صناعة الأثاث الخشبى وأهم المدن التى أشتهرت بذلك ، وكذلك صناعة علب العاج التى برع فيها الأندلسيون لحفظ الدهون المعطرة والمسك والعنبر وأنواع الطيب الأخرى ، أو لصيانة الحلى الخاصة بزوجات الخلفاء والأمراء والطبقة المترفة الثرية . كما أشرت إلى براعة مسلمى الأندلس فى بعض الصناعات الأخرى مثل تجفيف الفاكهة وصناعة الحصر وصناعة الخل من العنب وصناعة الآلات الموسيقية وصناعة الطيب والشموع والحلوى والمجبنات . ثم

تحدثت عن أهم الصناعات القائمة على التعدين مثل الخزف التى اشتهرت بها العديد من المدن الأندلسية مثل أندرش بكورة غرناطة ومجريط ومرسية ومالقة والمرية وقلعة أيوب وبطرنة وأنيشه وانتقلت بعد ذلك إلى ذكر صناعة البناء والتشييد مثل بناء الأسوار والمساجد والقصور وغير ذلك . وازدهار هذا الفن المعمارى على أيدى الموحدين - بصفة خاصة - مشيرا إلى أهم العرفاء الذين برزوا فى هذا المجال مثل الحاج يعيش المالقى المهندس وأحمد بن باسه شيخ العرفاء . وأعقبت ذلك بالحديث عن أهم الصناعات المعدنية الأخرى مثل التحف والآلات المصنوعة من الحديد التى برعت فيها المرية . وصناعة الأمقاص والسكاكين التي اشتهر بها أهل مرسية ومالقة وصناعة الدروع والرماح والبيضات وغيرها من آلات الحرب ، وكذلك صناعة التحف النحاسية كالمقالى والقدور والاكيال ، والبرنزية مثل المباخر والجرات والقناديل . كذلك تحدثت عن التحف المصنوعة من الزجاج واهتمام ولاة الحسبة بمراقبة تلك الصناعة لمنع الغش والتدليس فيها . واختتمت هذا الفصل المتعلق بالصناعات بذكر أهم النظم المتعلقة بالصناعة ، فأشرت أولاً إلى عوامل ازدهار الصناعة فى معظم فترات عصرى المرابطين والموحدين ، ثم أوضحت أن كل صناعة كان لها سوق أو حى خاص بها ، مشيراً إلى نظام العرفاء أو الأمناء ، والاستعانة بالصبيان والعمال لمعاونة أصحاب العمل ونظام الشركات الصناعية .

أما الباب الثالث فقد خصصته للموارد التجارية ، فتحدثت فى الفصل الأول عن التجارة الداخلية ، وأوضحت فى البداية طرق التجارة الداخلية ووسائل النقل وأعقبت ذلك بدراسة لأهم النظم المتعلقة بالتجارة الداخلية فألمحت إلى عوامل ازدهار التجارة الداخلية فى معظم فترات حكم المرابطين والموحدين ، وؤشرة إلى نظام الشركات التجارية واكتراء الحوانيت من الدولة نظير مبلغ معين من المال وظاهرة البيع بالنقد والنسيئة أى لأجل محدد ، والاقراض ونظام الوكلاء التجاريين ، وبعض وسائل المعاملات مثل الصك أى سند الدين ونظام الحوالة والصيرفة وأهميته فى المعاملات

التجارية وتحديد المحتسب للأسعار فى الأسواق وهو ما يعرف بالتسعير . ثم تحدثت عن أهم الأسواق الأندلسية سواء كانت مدنية أو ريفية وأوضحت أن بعض هذه الأسواق كان يقام بصفة دائمة وبعضها كان يقام فى يوم معين من الأسبوع ، والنوع الأخير وهو ما يعرف بالأسواق المشهودة كان يقام دوريا وبانتظام ولكن على فترات متباعدة ، ثم ألمحت إلى القيساريات فى الأندلس وخاصة فى أشبيلية وغرناطة وبلنسية وقرطبة ومالقة كما تحدثت عن الفنادق وأهميتها بالنسبة للعمران الاقتصادى فى الأندلس باعتبارها نزلا يقضى فيه التجار الغرباء ليلتهم ومخازن للسلع التى كانت تباع بالجملة ، وتحدثت بعد ذلك عن نظام الاشراف على الأسواق أو ما يعرف بنظام الحسبة ، موضحا أهمية المحتسب فى الحياة الاقتصادية بالمدن الإسلامية والشروط الواجب توافرها فيمن يتولى تلك الخطة واختصاصات المحتسب الاقتصادية والعقوبات التى كان ينزلها بالغشاشين والمدلسين من الباعة ، ومساعدة الأمناء له فى أداء مهمته ، وألمحت إلى أن نظام الحسبة قد انتقل إلى أسبانيا المسيحية فظلت تلك الخطة قائمة فى أسبانيا بعد حركة الاسترداد وأصبح يطلق على صاحبها فى الأسبانية اسم" Almotacen " وهو الشخص المكلف بمراقبة المكاييل والموازين فى الأسواق ، ثم ذكرت بعد ذلك أهم من تولى خطة الحسبة فى عصر دولتى المرابطين والموحدين ، وأعقبت ذلك بالإشارة إلى النظام النقدى فى العصر موضوع الدراسة وأهم المكاييل والموازين والمقاييس .

وفى الفصل الثانى انتقلت إلى دراسة التجارة الخارجية مشيراً إلى أهم عوامل ازدهارها فى العصر موضوع الدراسة ، وموضحا أن العداء السياسى بين المسلمين والنصارى فى حوض البحر المتوسط لم يؤثر بدرجة كبيرة على التجارة الخارجية ، ثم ألمحت إلى العلاقات التجارجية بين الأندلس والبلدان الأخرى فعرضت للعلاقات الاقتصادية بين الأندلس والدويلات الايطالية ، وبين الأندلس وبلاد المشرق الإسلامى خاصة مصر والشام والعراق ، كما تحدثت عن الصادرات الأندلسية وأهم الواردات ،

موضحا طرق التجارة الخارجية وأهم المراكز والموانى التجارية فى الأندلس .

أما الفصل الثالث من هذا الباب فقد خصصته لأهم الموارد المالية وأوجه الانفاق فى عصر دولتى المرابطين والموحدين ، فتحدثت فى البداية عن الادارة المالية فى العصر موضوع الدراسة ، ثم تعرضت لمصادر بيت المال من زكاة وجزية وقبالات ومكوس وخراج وغنائم ومصادرات ، وأعقبت ذلك بالإشارة إلى أوجه الانفاق التى كان من أهمها الرواتب والنفقات العسكرية ونفقات البناء والتعمير وغيرها .

واختتمت الرسالة بخاتمة ضمنتها أهم النتائج التى أمكن التوصل إليها من خلال تلك الدراسة ، وبعض الملاحق والخرائط والأشكال وقائمة بالمصادر والمراجع .

ولا يسعنى بهذه المناسبة إلا أن أتقدم بعظيم شكرى وامتنانى وتقديرى لأستاذى العالم الجليل الدكتور السيد عبد العزيز سالم أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة ورئيس قسم التاريخ بكلية الاداب جامعة الإسكندرية الذى تولى الإشراف علىّ فى مرحلتى الماجستير والدكتوراه ، لما أولانى من رعاية وتوجيه وتشجيع طوال مدة اشتغالى بجمع المادة العلمية للبحث ولإشرافه العلمى الدقيق علىّ بالإسكندرية ومدريد أثناء كتابتى لفصول الرسالة ، ولتذليله كافة الصعوبات التى واجهتنى سواء بإمدادى بالمصادر والمراجع الأسبانية النادرة أو بتسهيل ظفرى ببعثة الإشراف المشترك بين جامعتى الإسكندرية ومدريد ، مما مكننى من إجادة اللغة الأسبانية والإطلاع على المصادر الرئيسية للبحث واستكمال مادته العلمية أثناء إقامتى الطويلة فى مدريد ، هذا بالإضافة إلى زيارة جميع المواقع الأثرية المتعلقة بموضوع الدراسة ، كما لا يفوتنى أن أتوجه بعميق شكرى وعرفانى لأستاذى الجليل المستشرق الأسبانى الدكتور خواكين بالبى برميخو رئيس قسم الدراسات العربية بجامعة مدريد المركزية ، الذى أمدنى بكثير من المخطوطات النادرة والأبحاث الأسبانية المتخصصة من مكتبته الخاصة و شارك فى الإشراف على الرسالة أثناء فترة بعثتى بأسبانيا .

(ب) عرض وتحليل لأهم مصادر البحث

أولا : كتب الفلاحـة والأنـواء :

١ – ابن بصـال الطليطلي : كتـاب الفلاحـة :

عاش ابن بصال [1] في القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) ، ويعتبر كتابه في الفلاحة من أهم الكتب التى ألفت فى الفلاحة الأندلسية ، ومن المصادر التى لا غنى عنها لمن يريد الوقوف على البحوث العلمية والزراعية عند المسلمين فى الأندلس .

والكتاب يمثل وحدة متناسقة ، اتبع فيه ابن بصال نظاما أصبح النظام التقليدى لجميع كتب الفلاحة الأندلسية فهو يبدأ بذكر أنواع مياه الرى ، والأنواع المختلفة للتربية وأنواع السماد (السرقين) ، ثم يشير إلى أجود الأراضى الصالحة للزراعة وطريقة حرثها وإعدادها للزراعة ، ثم إلى غراسة الأشجار المثمرة التى كانت شائعة فى الأندلس فى عصره ، وطرق التلقيح بين الأشجار ، ويتحدث بعد ذلك عن زراعة الخضر والحبوب عدا القمح والشعير فقد أغفلهما وأخير يشير إلى زراعة الأزهار والرياحين ، وبعض الطرق لحفظ واختزان الحبوب والفاكهة [2] .

---

(١) ابن بصال : هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن بصال الطليطلى ، ولا نعرف عن حياته الكثير ، وكل ما نعرفه عنه أنه من أهل القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) وأنه ألف كتابا فى الفلاحة أهداه للمأمون ابن ذى النون صاحب طليطلة فى عصر دويلات الطوائف ، ثم التحق بالخدمة فى بستان المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية عند سقوط طليطلة فى يد الفونسو السادس ملك قشتالة سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م ، وقام هناك بالعديد من التجارب الزراعية التى كان قد ابتدأها فى بستان المأمون بطليطلة ونوه بها بعض علماء الفلاحة الأندلسية ممن عاصروه أو جاء وبعد . انظر (خوسى مياس بيكيروسا josè M. Vallicrosa ، علم الفلاحة عند المؤلفين العرب بالأندلس ، تعريب عبد اللطيف الخطيب ، تطوان ، ١٩٥٨ م ، ص ٢٣ ، جواد على ، كتاب الفلاحة لابن بصال ، مجلة المجمع العلمى العراقى مجلد ٦ سنة ١٩٥٩ م ، ص ٥٦٥) .

(٢) انظر ابن بصال ، كتاب الفلاحة ، نشر خوسى بيكروسا ومحمد عزيمان ، معهد مولاى الحسن ، تطوان ، ١٩٥٥ م ، ص ٣٧ – ٣٨ .

ويتميز كتاب الفلاحة لابن بصال بصفة عامة بالإيجاز وبالناحية العلميةوالتجربة الشخصية للمؤلف ، فلا ينقل مطلقا عن غيره ، على العكس تماما مما يفعله معظم مؤرخي الأندلس وجغرافييهم وكتابهم من الإفراط في النقول ، فالكتاب مختصر عملي وثمرة تجربة زراعية شخصية ، وهذه التجربة الشخصية المباشرة للمؤلف – تتجلى بوضوح في الكتاب تصل في بعض الأحيان إلى عرض وجهات نظر فيها إرهاص للنظريات الزراعية ، ومن ذلك على سبيل المثال ما ذكره المؤلف عند تعرضه للخضر بأنها إذا دفنت في الأرض الخضراء كانت سمادا وغذاء نافعا ويستثنى من ذلك الحمص . ولا يزال العمل جاريا في يومنا هذا بتسميد التربة ببعض الخضر مثل الترمس والعدس ، أما الحمص فلا يستعمل لذلك مطلقا [(١)] .

وقد استفدت كثيرا من هذا الكتاب في الفصل الأول المتعلق بالثروة الزراعية في الأندلس ، خاصة عند تعرضي لذكر أنواع المياه والتربة والسماد وإعداد التربة للزراعة وطرق الغراسة والتلقيح وحفظ الحبوب والفاكهة وغير ذلك من النواحي المتعلقة بالزراعة التي يحفل بها كتاب ابن بصال .

وخلاصة القول أن ابن بصال كان عالما ومزارعا مجربا ، كما كان تأثيره واضحا على التقليد الزراعي سواء في بلاد المغرب أو في أسبانيا المسيحية لاسيما وأن كتابه ترجم إلى اللغة القشتالية (الأسبانية القديمة) في العصور الوسطى [(٢)] .

وقد اعتمد على كتاب الفلاحة لابن بصال الكثير من علماء الفلاحة الأندلسية ، منهم أبو الخير الإشبيلي وابن حجاج صاحب كتاب في الفلاحة يسمى المقنع وابن العوام الإشبيلي والمؤلف المجهول صاحب كتاب عمدة الطبيب في معرفة

---

(١) ابن بصال ، الفلاحة ، مقدمة المحقق ، ص ٢١ ، ٢٨–٣٠ J. Vallv`e, la agricultura en al Andalus, al Qantara, revista de estudios arabes,vol. III, Madrid, 1982, pp. 2 - 3 .

(٢) انظر . ابن بصال الفلاحة ، مقدمة المحقق ، ص ٣٤ ، جواد علي ، كتاب الفلاحة لابن بصال ، ص ٥٦٧ .

النبات ونقلوا عنه كثيرا من مادته [1] .

٢ - أبو الخير الإشبيلي [2] : كتاب الفلاحة :

أبو الخير من علماء الفلاحة الأندلسيين الذين نقلوا عن ابن بصال كما نقل عن بعض العلماء اليونانيين مثل انطوليوس وديمقراطيس .

ويتميز هذا الكتاب بالإيجاز والاختصار والوضوح والبعد عن الاستطراد . وقد افادني في دراسة أنواع الأراضي الجيدة والأسمدة وكيفية إعدادها ، وطرق حفظ الحبوب وتخزينها وحمايتها من الفساد ، وطرق الغرس والتطعيم أو التركيب ، والوسائل التي لجأ اليها الأندلسيون لطرد الهوام والحشرات الضارة عن أشجار الفاكهة ، كذلك أمدني الكتاب بمعلومات قيمة عن تربية النحل والحمام في الأندلس وطريقة صيد الطائر المسمى بالحجل ، كما أورد إشارة هامة عن صناعة الخل من العنب .

٣ - مؤلف مجهول : كتاب عمدة الطبيب في معرفة النبات لكل لبيب [3] :

وهو من الكتب الهامة في علم النبات والأعشاب الطبية التي تستخدم في العقاقير ، قد أشار مؤلفه إلى أنه قابل ابن بصال وجرت بينهما اتصالات كما تستدل

---

(١) ابن بصال ، نفسه ، مقدمة المحقق ، ص ١٥ - ١٨ ، جواد علي ، نفسه ، ص ٥٦٦ وانظر أيضا

Vallvé, la agricultura, pp. 3-4 & Bachir attié, l'ordre chirnologique probale des sources directes d'Ibn al-Awuam, al - qantara, vol, III, Madrid, 1982, pp. 300 - 301 .

(٢) أبو الخير الإشبيلي ، كتاب الفلاحة ، الطبعة الأولى ، فاس ،١٣٥٧ هـ . وتجدر الاشارة الى أننا لم نعثر على أية ترجمة له ، غير أنه يتضح من كتابه أنه من إشبيليه وكان رفيقا لابن حجاج صاحب كتاب المقنع ، وعلى هذا فالغالب أنه عاش من خلال القرن ٥ هـ / ١١ م .

(٣) هذا الكتاب نسب خطأ للطبيب البغدادي المختار بن عبدون المعروف بابن بطلان (ت ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م) ولا يزال مجهول المؤلف حتى الآن . وقد نشرة بمدريد الباحث الأسباني أسين بلاسيوس بعنوان :

Glosario de voces romances registradas por un botanico anonimo Hispano - musulman (siglo XI - XII) Madrid, 1943 .

من الكتاب أن مؤلفه من سكان جنوب الأندلس ، وأنه استفاد من ابن بصال وخبرته وتجارته الزراعية ، مما يجعلنا نرجع أنه عاش في القرن الخامس وأوائل السادس الهجري (الحادي عشر والثاني عشر الميلادي) .

ويتضح لنا من كتاب عمدة الطبيب مدى إزدهار علم الفلاحة في الأندلس وما ناله هذا العلم من عناية فائقة على أيدى علماء الأندلس ، وما بلغته الدراسات والتجارب الزراعية من تقدم وتفوق في هذا المجال . ويستدل من الكتاب أيضا أن مؤلفه كان على علم ودراية بالمؤلفات الطبية والفلاحية في المشرق والمغرب سواء السابقة عليه أو المعاصرة له ، كما أنه دعم هذه المعارف بتجاربه الشخصية في هذا الميدان (١) .

ويتميز الكتاب بغزارة مادته ، فهو عبارة عن معجم نباتي مرتب حسب الحروف الهجائية ، فيذكر مؤلفه اسم النبات سواء بالعربية الفصحى أو اللاتينية أو اللهجة الأندلسية أو الرومانسية (لاتينية أهل الأندلس) ثم يشير إلى طبيعة التربة التي يزرع أو ينمو بها ، والمناطق التي رآه المؤلف أو حصده بها ، وأخيرا يعرض لأهم استعمالات هذه النبات سواء في العقاقير أو في الأطعمة والتوابل أو في الصناعة أو في الوقود (٢) .

وقد استفدت من هذا الكتاب في تعريف بعض النباتات والأعشاب الطبيعية ومعرفة أهم المناطق التي تنمو بها الأعشاب في الأندلس ، كما أفادني في دراسة الثروة الحيوانية والغابية ، إذ يشير إلى بعض أنواع الأعشاب التي كانت ترعاها الدواب ومواقعها الجغرافية وأهم أشجار الغابات في الأندلس مع تحديد مناطق نموها .

٤ - ابن العوام (٣) : كتاب الفلاحة :

يعتبر ابن العوام من أبرز علماء الفلاحة في الأندلس ، فقد قدم إلينا في كتابه « الفلاحة » عرضا مستفيضا لفن الزراعة وتربية الحيوان في الأندلس .

---

(١) انظر . ابن بصال ، نفسه ، مقدمة المحقق ، ص ١٥ - ١٦ .

(٢) M.Asín palacios, Un botanico arabigo andaluz desconcido, Madrid, 1942, pp. 9 - 14 .

(٣) هو أبو زكريا يحيى بن أحمد بن العوام الإشبيلي ، ولا نعرف عنه سوى أنه إشبيلي الأصل ، عاش في أواخر القرن ٦ هـ وأوائل ٧ هـ (١٢ - ١٣ م) ، وألف كتابا في الفلاحة . وقد نشر =

وأمدني كتابه عامة بمعلومات وافرة عن اختيار الأراضي للزراعة وأنواع المياه المستعملة في الري ، وزراعة البساتين ، وطرق الغراسة والتركيب (التطعيم) ، وأنواع الأسمدة وطرق تجهيزها وأهميتها للتربة وكيفية علاج الأشجار المثمرة والخضر من الأمراض التي قد تصيبها ، وطرق اختزان الحبوب والفواكه الغضة واليابسة وكيفية عمل القليب (الحرث) وطرق زراعة الحبوب والخضر والفاكهة والرياحين [1] .

ومن ناحية أخرى أفرد ابن العوام في كتابه عدة أبواب لفلاحة الحيوان ، ساعدتني الى حد كبير في عرض للثروة الحيوانية ، فقد أوضح طرق تربية الماشية وعلاجها من الأمراض وما يناسبها من العلف ، وكذلك تربية الخيل والبغال والحمير والإبل وأهميتها سواء في النقل أو في أعمال الفلاحة كما أورد إشارات قيمة للغاية تتعلق بتربية الحمام والدواجن والنحل [2] .

ويغلب على كتاب ابن العوام كثرة النقول عن ابن البصال وأبي الخير الإشبيلي وابن الحجاج ومحمد بن مالك الطغنري المعروف بالحاج الغرناطي صاحب كتاب زهر البستان وعريب بن سعد صاحب كتاب الأنواء المعروف بتقويم قرطبة ، كما اقتبس من أقوال المؤلفين الفرس واليونانين أمثال قوثامي صاحب كتاب الفلاحة النبطية وأرسطو طاليس ويونيوس وفارون وغيرهم ، ولعل هذا يرجع إلى

= المستشرق الأسباني بانكيري Banqueri هذا الكتاب في جزئين بالعربية والأسبانية في مدريد سنة ١٨٠٢ م ، ثم ترجمه إلى الفرنسية كليمان موليه Clément Mullet وطبعه في جزئين بباريس بين عامي ١٨٦٤ – ١٨٦٧ م . انظر (جنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة د . حسين مؤنس القاهرة ، ١٩٥٥ م ، ص ٤٧٥) .

(١) انظر . ابن العوام ، الفلاحة ، نشر بانكيرى ، مدريد ، ١٨٠٢م ، جـ ١ ، مقدمة المؤلف ، ص ١٢ – ٣٥ .

(٢) ابن العوام ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٤٦٠ – ٧٢٩ .

تأثير نصارى المستعربين فى إشبيلية الذين قاموا بترجمة الكثير من الكتب اللاتينية الى العربيـة (١)

ومن الكتب المعروفة بالأنواء نذكر :

١ - كتاب تقويم قرطبة للكاتب القرطبي عريب بن سعد (٢) :

هذا الكتاب تقويم يشتمل على أخبار هامة تتعلق بأوجه النشاط الزراعي فى كل شهر ، أورد فيـه صاحب معلومات قيمة عن الزراعة فى قرطبة وما حولها من قرى ، والأعمال التى يقوم بها الزراع في كل شهر من حرث ورى وغرس وبذر وحصاد وغير ذلك من الأعمال الزراعية ، كما أمدنى بإشارات هامة وإن كانت موجزة عن الثروة الحيوانيية فيما يتصل بغذاء الماشية وأوقات النتاج أو التناسل بينها ، وصيد الأسماك والطيور ، وأنسب الأوقـات لقطع الأخشاب من الغابات (٣) .

(١) انظر ابن العوام ، الفلاحة ، ص ٨ بيكروسا ، علم الفلاحة عند المؤلفين العرب ، ص ٤٥ - ٤٧ ، أحمد عيسى ، تاريخ النبات عند العرب ، الطبعة الأولى القاهرة ، ١٩٤٤ ، ص ١٠٤ - ١٠٥ ؛ عز الدين فراج ، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ٦٥ - ٦٨ ، Vallicrosa, Un nuevo manuscrito de la obra agronomica de al-tignari, Tamuda, ane I, Tetuan, 1953, p.. 83 .

(٢) هو أبو الحسن عريب بن سعد (ت ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م) قرطبي ، ومن أصل نصرانى أسلم آباؤه واستعربوا ، كان طبيبا للخليفة الحكم المستنصر إلى جانب كونه كاتبا ومؤرخا ومن مؤلفاته كتاب الأنواء المعروف بتقويم قرطبة ، نشره دوزى Dozy فى ليدن سنة ١٨٧٣ م تحت عنوان " Le calendrier de cordoue de L'année 961 " .

وكتاب تقويم قرطبـة ترجمـه أيضا إلى اللاتينية فى عهد الخليفة الحكم الراهب المستعرب ربيع بن زيد . واستمر هذا التقويم الفلاحى فى كثير من مؤلفات علماء الفلاحة الأندلسيين خاصة فى التقويم الذى أورده ابن العوام ضمن كتابة انظر . (بالنثيا) تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ٢٠٦ ، بيكروسا ، علم الفلاحة ص ١٤ ، أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، نشر مؤسسة الثقافة الجامعية الاسكندرية . بدون تاريخ ، ص ٣٤٢) .

(٣) أنظر . عريب بن سعد ، تقويم قرطبـة ، نشـر دوزى : ليدن ١٨٧٣ م ، مقدمـة المؤلـف ، ص ١ - ٣ .

٢ - تقويم غرناطى مجهول المؤلف [١] :

يرجع تأليف هذا التقويم الغرناطى على ما يبدو إلى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) ويشبه إلى حد بعيد تقويم قرطبة لعريب بن سعد ، فهو ينقل عنه فى كثير من الأحيان دون أن يشير إلى ذلك :

وترجع أهمية هذا التقويم إلى ما يذكره من أنواع الغروس والمزروعات التى تزرع فى كل شهر وفلاحتها خلال شهور السنة ، إلى جانب إشارات قيمة تتعلق بتربية الحيوانات ، ومعلومات أخرى طبية وصحية ذات نفع لأهل الفلاحة ، والتنبؤات التى يمكن حسابها على أساس خسوف القمر [٢] .

ثانيا : كتب الجغرافية :

١ - العذرى : « ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك [٣] » لم يصلنا من كتاب ترصيع الأخبار للعذرى سوى

---

(١) تقويم غرناطى من القرن الخامس عشر الميلادى مجهول المؤلف نشر خوسيه باسكث رويث J. Vazquez ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، مجلد ٩ - ١٠ سنة ٦١ - ١٩٦٢ م . وهذا التقويم عبارة عن قطعة من مخطوط عربى بحوزة مدرسة الدراسات العربية فى غرناطة ، والمخطوط الأصلى كبير يقع فى ١٦٤ ورقة وهو يضم قطعا من مخطوطات شتى . والقطعة التى نشرها الباحث الأسبانى باسكث موضوعها تقويم مناخى زراعى من الطراز الذى يسميه العرب كتب الأنواء والقطعة مكتوبة فى لغة عربية متوسطة تخالطها ألفاظ ومصطلحات من عربية مملكة غرناطة فى القرن ٩ هـ / ١٥ م ، وعلى هذا استنتج باسكث أن هذا التقويم يرجع إلى هذا القرن . انظر (تقويم غرناطى ، نشر باسكث ، ص ٤٩٢) .

(٢) انظر ، تقويم غرناطى ، ص ٤٩٣ .

(٣) العذرى : هو أحمد بن عمر بن أنس العذرى المعروف بابن الدلائى ، توفى سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م . والكتاب المسمى ترصيع الأخبار نشر بعض نصوص وحققها د . عبد العزيز الأهوانى ، طبعه معهد الدراسات الإسلامية بمدريد سنة ١٩٦٥ م . ويذكر المحقق أن كتاب العذرى لو وصل إلينا كاملا لكان مرجعا وافيا وشاملا لأخبار المشرق والمغرب على السواء ، فهو كتاب ضخم ، ولكن الجزء الذى وصل إلينا لا يتجاوز عشر الكتاب غالبا . أنظر (العذرى) نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ، تحقيق عبد العزيز الأهوانى ، مقدمة المحقق ، ص أ) .

بعض النصوص المتعلقة بالأندلس والتى تعتبر من أقيم ما نشر عن الأصول الأندلسية ، وتكمل جزاء من التراث الأندلسى المفقود ، كما تسد ثغرات كثيرة فى جغرافية الأندلس وتاريخها حتى عصر المؤلف [1] .

والملاحظ أن العذرى خصص كتابه للمسالك والممالك ، غير أنه فى هذا الجزء المنشور لا يسير على طريقة المسالكيين ، ذلك أنه لم يقصر كتابه على الجغرافية بل ضمنه الكثير من المادة التاريخية ، وهو أمر لم يسبقه إليه أحد من المسالكيين [2] ، وإن كان قد سبقه فيه من الجغرافيين أحمد بن محمد الرازى (ت ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م) .

ويتميز العذرى بوصفه الجغرافى المسهب الذى نهج فيه منهجا سليما فهو يقسم كتابه إلى ما يشبه الفصول ، وكل فصل يدور حول كورة من كور الأندلس معتمدا فى ذلك على ما اقتبسه من أحمد الرازى ، علاوة على تفصيلات هامة أضافها بنفسه تدل على إطلاع ومعرفة ومشاهدة أيضا . ومن ناحية أخرى نقل عن العذرى العديد من الجغرافيين المشارقة والأندلس أمثال القزوينى والبكرى وغيرهم [3] .

ويضم كتاب العذرى معلومات قيمة أفادتنى فى دراسة مصادر الثروة الاقتصادية فى الأندلس ، خاصة إشارته إلى ما تشتهر به كل مدينة من محاصيل زراعية ومعادن وصناعات ، كما أن نصوصه عن مجارى المياه والعيون والأنهار وفروعها والترع وما

---

(١) أنظر . العذرى ، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ، مقدمة المحقق ص أ ؛ كراتشكوفسكى ، تاريخ الأدب الجغرافى العربى ، ق ١ ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .

(٢) انظر . حسن مؤنس ، نقد وعرض لكتاب ترصيع الأخبار للعذرى ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، مجلد ١٣ سنة ٦٥ - ١٩٦٦ م ، ص ٢١١ .

(٣) العذرى ، نفسه ، مقدمة المحقق ، ص ج ، السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب، دار الكاتب العربى ، الاسكندرية ، ١٩٦٧ م ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ؛ حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس ، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ، ١٩٦٧ م ، ص ٨٤ - ٨٥ ؛ كراتشكوفسكى ، تاريخ الأدب الجغرافى ، ص ٢٧٤ .

تسقيه أعانتى على عرض صورة لنظام الرى ووسائله فى الأندلس ، بالإضافة إلى أن تعرضه بإيجاز لطرق التجارة الداخلية وللعلاقات التجارية بين الأندلس والبلدان الأخرى قد أفادنى فى الباب الخاص بالتجارة الداخلية والخارجية .

٢ - الإدريسى [١] : نزهة المشتاق فى اختراق الافاق :

يمثل الإدريس القمة التى وصل إليها علم الجغرافية العربية فى المشرق والمغرب خلال العصور الوسطى ، فقد امتاز بالدقة فى وصف الطرق والبلاد وتقدير المسافات ، إلى جانب اهتمامه بسكان البلاد ووصف أحوالهم الاجتماعية بما فى ذلك الأخلاق والعادات والتقاليد والمعتقدات والاشارة الى الزروع والمنتجات والمعادت والصناعات والأسواق والمتاجر وطرقها وأصنافها [٢] .

واستعنت فى بحثى بالقسم الخاص بوصف المغرب والاندلس من كتاب نزهة المشتاق [٣] ، وهو يحوى معلومات غاية فى الأهمية تتعلق بجغرافية الأندلس وثروتها الاقتصادية فى عصر المرابطين الذى عاش فيه المؤلف .

وقد أمدنى الإدريسى بإشارات قيمة عن شهرة كل مدينة سواء فى الزراعة أو المعادن أو الصناعة ، كما أورد نصا هاما أوضح فيه نظام العمل فى المناجم من خلال وصفه لموقع أبال (بالأسبانى Ovejo) على مسيرة يوم شمال قرطبة ، هذا إلى جانب

---

(١) هو أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبد الملك بن إدريس المعروف بالشريف الادريسى (ت ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م) .

(٢) انظر بالنثيا تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ٣١٢ - ٣١٤ ، عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون ، ص ٢١٠ ، حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين ص ٢٥٢ - ٢٥٧ ؛ أحمد سوسة ، الشريف الادريسى فى الجغرافية العربية جـ ٢ ، طبعة بغداد ، ١٩٧٤ م ، ص ٤٠٠ ،

Pons Boigues, Ensayo bio-bibliografico sobre los histiadores Y geogrofos arabigo-espanoles, Madrid, 189, pp. 231-239.

(٣) الشريف الادريسى ، صفة المغرب وأرض السودان ومصر الأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الافاق ، نشر دوزى ودى غوية ليدن ١٨٩٤ م .

تعرضه لطرق التجارة الداخلية والخارجية وأهم مناطق الغابات والرعى وتربية الحيوان فى الأندلس .

وينقل الإدريسى عن بعض الجغرافيين المشارقة والأندلسيين الذين سبقوه أمثال المسعودى وابن حوقل وابن خرداذبة وأحمد الرازى والعذرى ، بالإضافة إلى المعلومات الكثيرة التى استقاها بنفسه من خلال المشاهدة المباشرة أو نقلا عن العارفين بالنواحى المختلفة [1] .

٣ - الزهرى : كتاب الجغرافية :

يعتبر كتاب الجغرافية للزهرى [2] من تراث السلف الإسلامى الأندلسى ، وهو كتاب يتناول فيه المؤلف وصف العديد من أقاليم المشرق والمغرب وإن كان قد أفرد لبلده الأندلس عناية أكبر .

واعتمد الزهرى فى كتابه على مشاهداته الشخصية خاصة فيما يتصل بالأندلس وعلى ما سمعه من مواطنيه المعاصرين الذين سجل لنا بعض أسمائهم دون التعريف بهم ، كذلك اعتمد على بعض المؤرخين والجغرافيين أمثال المسعودى وابن حيان والعذرى [3] .

ومما يعيب الزهرى الاختصار الشديد وعدم استقامة السياق أو سلامة الأسلوب ،

---

(١) بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ٣١٢ - ٣١٤ ، عبد العزيز سالم التاريخ والمؤرخون ، ص ٢٠٦ .

(٢) هو أحمد أبو عبد الله محمد بن أبى بكر الزهرى ، ولم نجد له ذكرا فى كتب التراجم والتاريخ التى بين أيدينا وكل ما نعلمه عنه أنه أندلسى ، ويرجح أنه من مدينة المرية ، وقد توفى حوالى منتصف القرن ٦ هـ / ١٢ م ، وهو من المعاصرين للإدريسى وأبى حامد الغرناطى (ت ٥٦٥ هـ) . انظر . (الزهرى كتاب الجغرافية ، تحقيق محمد حاج صادق ، نشر بمجلة الدراسات الشرقية بدمشق ١٩٦٨ ، مقدمة المحقق ، كراتشكوفسكى ، الأدب الجغرافى ص ٢٨٩ ، مؤنس ، تاريخ الجغرافية ، ص ٣٥٨) .

(٣) الزهرى ، نفسه ، مقدمة المحقق ، مؤنس ، نفسه ، ص ٣٩٢ .

وإكثاره من إيراد العجائب والغرائب التى لا يقبلها العقل [1] ، وإن كان قد أمدنا بمعلومات جغرافية واقتصادية غاية فى الأهمية والقيمة ، خاصة ما تشتهر به كل مدينة من حاصلات أو معادن أو صناعات ، وإشاراته العديدة عن العلاقات التجارية بين الأندلس وغيرها من البلدان ، إلى جانب ما أورده عن صيد الأسماك فى الأندلس ، وأهم المناطق التى تشتهر بالغابات وقطع الأخشاب .

٤ - ابن غالب : كتاب فرحة الأنفس :

ابن غالب الأندلسى [2] من أهل القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) ، كان معاصرا لأبى سعيد عثمان بن عبد المؤمن بن على صاحب غرناطة (ت ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م) ومن المتصلين به .

وتجدر الإشارة إلى أن كتاب فرحة الأنفس يضم قسمين أولهما فى خطط الأندلس ، والثانى فى أخبار الأندلسيين وذكر مآثرهم ، والظاهر أنه نحا فى نحو من سبقه من مؤرخى الأندلس وعلى رأسهم الرازى فى تاريخه ، فقد جعل جغرافية الأندلس كالمقدمة للتاريخ . فابن غالب يذكر أسماء البلاد وخواصها ووصف أصقاعها مما يختص بعلم الجغرافية ويخلطط ذلك بالتاريخ . ومن ناحية أخرى فإن الإشارات التى أوردها المقرى صاحب نفح الطيب نقلا عنه تصور إلى حد ما نزوع ابن غالب إلى الشمول والاستيعاب . ففيه ذكر لأنساب العرب من أهل الأندلس ومنازلهم وأخبار العلماء والمؤرخين والخلفاء والأمراء [3] .

والقطعة التى عثر عليها من كتاب فرحة الأنفس إنما هى منتقاه من القسم الجغرافى للكتاب ، وهى على إيجازها تصور خطط الأندلس بعد الأربعمائة ، وما

---

(١) مؤنس ، نفسه ، ص ٣٧٦ - ٣٧٧ .

(٢) هو محمد بن أيوب بن غالب الغرناطى ، وقد نشر د . لطفى عبد البديع قطعة من كتاب فرحة الأنفس بمجلة معهد المخطوطات العربية ، جـ ٢ ، نوفمبر ١٩٥٥ م .

(٣) انظر . ابن غالب ، قطعة من كتاب فرحة الأنفس ، نشر وتحقيق لطفى عبد البديع ، ص ٢٧٨ .

تبقى من مدائنه بأيدى المسلمين فى عصر دولتى المرابطين والموحدين ، لم يسقط منها شئ يقطع تسلسل الكور وانتظامها فى سلك واحد . فقيمة النص إذن تتضح فى أنه يمثل وحدة عضوية لأسبانيا الإسلامية تعين على تصور التوزيع الإدارى للأقاليم وعلاقة كل منها بالآخر من الناحية الإدارية ، وما يضمنه كل إقليم من مدن وقرى . كذلك يطفىء النص ظمأ المتعطشين إلى ما ورد فى تاريخ أحمد الرازى من وصف الأندلس ، فهو يحتفظ لنا بجزء كبير من وصف الرازى للأندلس الذى ضاع أصله العربى ولم يتبق إلا الترجمة الأسبانية له [1] .

وقد أورد ابن غالب فى كتابه إشارات هامة أفادتنى فى بحثى وذلك لإهتمامه بذكر الكور وما تضم من مدن وحصون وقرى وما تتميز به من خصائص والمسافات بينها ، وما أشتهرت به المدن من صناعات ومعادن ومحاصيل زراعية وثروة سمكية وحيوانية وغابية .

غير أنه يؤخذ على ابن غالب أنه لم يأت بجديد أو يضيف شيئا من عنده عن بلده الأندلس وإنما كان ناقلا جيدا ، يحسن الاختيار مما بين يديه من الأصول ثم يربط بعضه ببعض ويجعل منه كاملا متصلا [2] .

٥ - الحميرى : كتاب « الروض المعطار فى خبر الأقطار » [3] :

أوضح الحميرى فى مقدمة كتابه الخطة التى التزمها فى تأليفه ، فقد أراد أن يصنع معجما جغرافيا مرتبا على حروف المعجم ليسهل على الباحث كشف اسم الموضع الذى يريده . ولما كان استقصاء المواضع جميعا أمرا عسيرا فقد اهتم بأن يكون

---

(١) ابن غالب ، نفسه ، ص ٢٧٩ ، مؤنس ، تاريخ الجغرافية ، ص ٤٥٥ - ٤٥٦ .

(٢) مؤنس ، نفسه ، ص ٤٦٠ .

(٣) الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميرى ، المتوفى بعد ٨٦٦ هـ / ١٤٦١ م) ، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار ، نشر ليفى بروفنسال ، القاهرة ، ١٩٣٧ م).

المكان مشهورا أو أن يكون مما اتصل به قصة أو حكمة أو خبر طريف . فالحميرى يذكر فى مقدمته أن الكتاب يحتوى على فنين مختلفين : أحدهما ذكر الأقطار والجهات وما اشتملت عليه من النعوت والصفات ، وثانيها الأخبار والوقائع والمعانى المختلفة بها مشيرا إلى خصائص الأقطار وآثار الأمم وأحداثها [1] .

ويعيب الحميرى أنه استقى مادة كتابه من مصادر عديدة أغفل الإشارة إليها مثل نزهة المشتاق للإدريسى والمسالك والممالك للبكرى وترصيع الأخبار للعذرى والاستبصار فى عجائب الأمصار لمؤلف مغربى مجهول من أهل القرن ٦ هـ / ١٢ م [2] .

ومع ذلك فإن كتابه يحفل بمعلومات وإشارات هامة تفيد فى دراسة الحياة الاقتصادية فى الأندلس ، فقد أشار مرارا إلى مصادر الثروة الطبيعية من معادن وعيون مياه معدنية ونباتات طبيعية ومحاصيل زراعية وتربية الماشية والنحل ودود الحرير ومصائد الأسماك ، كما ألمح إلى نظام الرى فى الأندلس والنشاط الصناعى فى بعض المدن وأهم الصادرات الأندلسية .

ثالثا : المصادر التاريخية :

١ – ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين [3] :

يعتبر كتاب « المن بالامامة » من أهم مصادر تاريخ الدولة الموحدية ، إذ أنه يضيف إلى مصادر التاريخ الموحدى القليلة مادة خصبة ثرية تزيل بعض الغموض الذى

---

(١) انظر الحميرى ، نفسه ، مقدمة المؤلف ، بالنثيا ، نفسه ، ص ٣١١ ، سالم التاريخ والمؤرخون ، ص ١٩٧ ؛ مؤنس ، تاريخ الجغرافية ، ص ٣٩ هـ ٥٤٠ .

(٢) مؤنس ، نفسه ، صص ٥٣٧ – ٥٣٨ .

(٣) ابن صاحب الصلاة (أبو مروان عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الباجى المعروف بابن صاحب الصلاة ، المتوفى سنة ٥٩٤ هـ / ١١٩٨ م : تاريخ المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين وظهور المهدى بالموحدين ، السفر الثانى ، نشر وتحقيق عبد الهادى التازى ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٤ م

أحاط بتاريخ تلك الدولة فى المغرب والأندلس (١) .

ورغم أنه لم يصلنا من الأجزاء الثلاثة التى يتألف منها الكتاب سوى الجزء الثانى الذى يبدأ بأحداث سنة ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م وينتهى بأحداث سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م ، إلا أن حديث المؤلف فى هذا الجزء يتميز بأنه حديث معاينة ومشاهدة .

ومن المعروف أن المعلومات التى يتضمنها الكتاب يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنواع : معلومات استقاها من الرواة الذين تحدثوا إليه والقسم الثانى وهو الأهم من تأليفه ومشاهدته الشخصية ، بإعتباره شاهد عيان لأحداثها ، أما القسم الثالث فهو ينقله عن بعض الوثائق الرسمية للدولة . أما الذين نقلوا عنه فأهمهم ابن القطان وابن الأبار وابن عبد الملك المراكشى وابن الخطيب (٢) .

ونلاحظ أن ابن صاحب الصلاة فى كتابه ينطلق وراء تسجيل الأحداث مقيدا تلك الأحداث بتواريخها ، مما يساعد على تمزق سياق الحادثة التاريخية الطويلة ، وإن كان يلجأ فى كثير من الأحيان إلى اتباع المنهج الحولى أى حسب السنين (٣) .

ومما يعيب هذا الكتاب أن مؤلفه لكونه من رجال البلاط الموحدى ينتقص من قدر المرابطين ولا ينصفهم ، كما يتحيز بوضوح للموحدين ، فهو من رجال دولتهم ومن المتعصبين لهم ، ولذا فالكتاب يتميز بأنه موحدى الطابع رغم أن مؤلفه التزم الحيدة والموضوعية فى بعض الحوادث التى أوردها وخاصة فى سياق عرضه للصراع بين الموحدين وبين خصومهم سواء النصارى الاسبان أو الثوار الأندلسيين .

والحقيقة أن كتاب المن بالإمامة أمدنى بمعلومات هامة وتفصيلية تتعلق بأحوال

---

(١) ابن صاحب الصلاة ، مقدمة المحقق ، ص ٦٨ ، بالنثيا ، نفسه ، ص ٢٤٢ ، وأنظر أيضا pons Boigues, Ensayo, pp. 245 - 246 .

(٢) انظر . ابن صاحب الصلاة ، نفسه ، مقدمة المحقق ، ص ٤٣ ، ٤٤ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٨٣ ، ٨٦ .

(٣)انظر . عبد الله علام ، الدولة الموحدية بالمغرب فى عهد عبد المؤمن ابن على ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧١ م ص ١٧ - ١٨ .

الأندلس السياسية فى عصر الموحدين وخاصة فى عهد عبد المؤمن بن على وابنه يوسف ، بالإضافة إلى ذكره لبعض العوامل التى أثرت على الثروة الزراعية فى الأندلس خلال تلك الفترة ، فضلا عن إشارات قيمة لأهم موارد الدولة المالية وأوجه الإنفاق ، وحركة البناء والتشييد فى عصر الموحدين ، وصناعة سفن الأسطول ، والأسواق التى أقاموها بإشبيلية .

٢ - عبد الواحد المراكشي : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب [١] :

ألف المراكشى كتابه المعجب فى بغداد أى بعيداً عن وطنه المغرب وذلك فى الربع الأول من القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) وانتهى من تأليفه سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م ليكون تعريفا لأهل المشرق الإسلامى بأحوال المغرب .

والكتاب يعتبر من المصادر الهامة فى تاريخ المرابطين والموحدين ، وإن كان موضوعه الأصيل هو تاريخ دولة الموحدين التى عاش فى كنفها ، فهو يذكر تاريخها ويصف وقائعه وصف معاصر شهدها وعاينها . أما ما كتبه المؤلف عن العصر المرابطى فتلخيص دقيق متقن لروايات فى تاريخ المغرب سبقه إلى تدوينها مؤرخون قدامى روى عنهم موجزا أو مسهبا على أسلوبهم فى الرواية أو على أسلوبه فى السرد والتسلسل والانسجام ، وإن كان يجنح كثيرا إلى التحامل على الأمير المرابطى على بن يوسف ويتهمه بالإذعان لمشيئة الفقهاء الذين أصبح لهم الحل والربط فى الدولة بالإضافة إلى النساء . وعلى أية حال كتاب المعجب - رغم إختصار مادته ورغم ما يشوب أخباره عن المرابطين من تحامل - من المصادر التى لا غنى عنها لأى باحث فى تاريخ الأندلس فى عصر دولتى المرابطين والموحدين ، فقد أورد العديد من الروايات عن تاريخ المغرب الإسلامى قبل الموحدين والتى ضاع الكثير من مصادرها . وهو يتميز بسرد

---

(١) عبد الواحد المراكشى (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م) ، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، طبعة لجنة إحياء التراث الإسلامى ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

الحوادث التاريخية دون التقيد بالسنين ، أما مصادره فيذكر فى مقدمته أنه لم يثبت فى كتابه إلا ما حققه بنفسه نقلا من كتاب أو سماعا من ثقة عدل أو مشاهدة [1] .

والكتاب من المصادر الهامة التى اعتمدت عليها فى بحثى خاصة عند تعرضى لأحوال الأندلس السياسية فى عصر دولتى المرابطين والموحدين . كما أفادنى الكتاب فى دراسة بعض النواحى الاقتصادية مثل رواتب الجند الموحدين ونظام الإقطاعات الزراعية لقواد الجند وأهم موارد الدولة وأوجه الإنفاق فيها ، فضلا عن تعريفه بخصائص المدن الأندلسية وشهرة كل منها سواء فى الزراعة أو المعادن أو الصناعات .

٣ - ابن القطان : نظم الجمان [2] :

يعتبر كتاب نظم الجمان تاريخا شاملا ومفصلا للمغرب والأندلس منذ الفتح العربى حتى أيام المؤلف أى حتى منتصف القرن السابع الهجرى غير أن ما وصلنا منه لا يعدو قطعة وحيدة صغيرة للغاية من تلك الموسوعة الضخمة فى تاريخ المغرب والأندلس - لا تتناول إلا أخبار ثلاث وثلاثين سنة (من سنة ٥٠٠ - ٥٣٣ هـ) أى معظم عهد أمير المسلمين على بن يوسف المرابطى [3] .

وقد استفاد ابن القطان بكتب من سبقوه من مؤرخى الدولة المرابطية والموحدية واطلع عليها وأشار إلى استخدامه لهذه المصادر ، مثل كتاب المغرب فى محاسن أهل المغرب لليسع بن عيسى الغافقى والمقباس فى أخبار المغرب والأندلس وفاس لعبد الملك بن موسى الوراق ، وهذه الكتب ضاعت ولم يبق منها إلا مقتطفات فى المصادر

---

(١) المراكشى ، المعجب ، مقدمة المحقق ، ص ١ - ٣ ، علام ، الدولة الموحدية ، ص ٢٠ - ٢٢ .

(٢) ابن القطان (أبو الحسن بن على بن محمد بن عبد الملك الكتامى) : نظم الجمان ، تحقيق د . محمود على مكى ، منشورات كلية الآداب ، الرباط بدون تاريخ .

(٣) انظر . ابن القطان ، نظم لجمان ، مقدمة المحقق ، ص غ ، أيضا
pons Boigues, Ensayo, pp. 275.

المتأخرة ، كذلك استفاد ابن القطان من كتاب أخبار المهدي للبيذق والمن بالإمامة لابن صاحب الصلاة ، وقد افاد ابن القطان فيما يبدو من اتصاله الوثيق بالخليفة الموحدى المرتضى (٦٤٦ - ٦٦٥ هـ / ١٢٤٨ - ١٢٦٦ م) وعمله فى ديوان رسائله إذ تمكن بفضل ذلك من الاطلاع على بعض الوثائق الرسمية للدولة (١) . ومن أبرز من نقل عنه من المؤرخين المعاصرين له والمتأخرين: ابن عذارى وابن الخطيب وصاحب الحلل الموشية (٢) .

ويتميز كتاب نظم الجمان بأنه موحدى الطابع ، كتبه رجل من رجالات الدولة الموحدية ، معتصب لها أشد التعصب ، فهو يشيد بخلفائها ويهاجم خصومها خاصة المرابطين ، فيعمل على الانتقاص من شأنهم ومما قدموه للإسلام فى المغرب والأندلس من مآثر وأعمال جليلة (٣) .

ورغم ذلك فالمؤلف أورد نصوصا على جانب كبير من الأهمية والقيمة تزيل بعض الغموض عن عهد على بن يوسف ومرحلة الصراع بين المرابطين والموحدين في المغرب ، متبعا منهج التاريخ حسب السنين . فقد أوضح لى بعض الجوانب السياسية فى الأندلس مثل وقعة أقليش سنة ٥٠١ هـ / ١١٠٨ م وغزوة طلبيرة سنة ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م وثورة قرطبة على الوالى المرابطى سنة ٥١٥ هـ / ١١٢١ م وظهور الدعوة الموحدية ، كما تعرض لوقعة إفراغة سنة ٥٢٨ هـ / ١١٣٤ م ، وفضلا عن ذلك أورد إشارات إقتصادية هامة تتعلق بالرى ومعرفة أهل الأندلس بنظام إقامة السدود ، وذكره فنادق قرطبة وبناء سور أشبيلية فى عهد على بن يوسف المرابطى ، كما أورد أخبارا مفصلة عن الآفات الزراعيية التى هاجمت محاصيل الأندلس في عهد علي بن يوسف وخاصة الجراد .

---

(١) انظر . ابن القطان ، نفسه ، مقدمة المحقق ، ص ش .

(٢) ابن القطان ، نفسه ، مقدمة المحقق ، ص ظ ، علام الدولة الموحدية ، ص ٢٥ .

(٣) نظم الجمان ، مقدمة المحقق ، ص ١ - ٤ .

٤ - ابن عذارى : البيان المغرب في أبخار الأندلس والمغرب [١] :

ابن عذارى مؤرخ مغربي عاش في أواخر عصر الموحدين ، ويعتبر كتابه من أهم مصادر تاريخ المغرب والأندلس في العصر الاسلامي إن لم يكن أهمها على الإطلاق ، إذ يتناول تاريخ المغرب الإسلامي منذ الفتح حتى أواخر القرن السابع الهجرى ، واعتمد فيه على مصادر متعددة أهمها فيما يتعلق بتاريخ المرابطين والموحدين كتاب الأنوار الجلية في الدولة المرابطية لابن الصيرفي وهو مفقود ، وكتاب نظم الجمان لابن القطان والمن بالامامة لابن صاحب الصلاة وأخبار المهدى للبيذق وغيرها [٢] .

وقد اتبع ابن عذارى في مؤلفه المنهج الحولي مع التزام الوحدة الموضوعية ومن محاسنه التزامه بالحيدة والموضوعية والتمحيص فيما يعرضه من حوادث ، مما يدل على تمكنه من مادته التاريخية التي يقدمها على نحو يؤكد قدرته على الكتابة التاريخية [٣] .

وقد أفدت كثيرا من القسم الخاص بالمرابطين والموحدين من كتاب البيان المغرب ، إذ امدني بمادة تفصيلية عن الأوضاع السياسية في الأندلس في عصردولتي المرابطين والموحدين ، وألمح من خلال ذلك للازدهار الاقتصادى الذى نعمت به الأندلس والمغرب خلال عهد يوسف بن تاشفين والنصف الأول من عهد ابنه على ، وكذلك في النصف الأول من عصر الموحدين وبالتحديد منذ عهد عبد المؤمن بن

---

(١) فيما يتعلق بكتاب البيان المغرب لابن عذارى المراكشي ، فقد اعتمدت فقط على الجزء الرابع الذى نشره د . إحسان عباس في بيروت سنة ١٩٧٥ م وهو خاص بعصر المرابطين ، كما أعتمدت على الجزء الخاص بتاريخ الموحدين الذين نشره اويثى ميرانلا وابن تاويت وابراهيم الكتاني في تطوان سنة ١٩٦٠ م .

(٢) انظر . السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، جـ ٢ ، (العصر الاسلامى) ، الدار القومية للطابعة والنشر ، الاسكندرية ، ١٩٦٦ ، ص ١٠٠ - ١٠١ ، محمود مكي ، عرض ونقد لكتاب البيان المغرب (القسم الموحدى) ، مجلة المعهد المصرى بمدريد ، م ٩ - ١٠ سنة ١٩٦١ - ١٩٦٢ ، ص ٣٧٨ - ٣٨٠ .

(٣) عبد القادر زمامة ، تاريخ ابن عذارى ، مجلة المناهل ، عدد ١٧ ، الرباط ١٩٨٠ ، ص ٢١٩ .

على وحتى هزيمة الموحدين في العقاب سنة ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م وفضلا عن ذلك أورد ابن عذارى اشارات هامة لبعض الجوانب الاقتصادية مثل الإدارة المالية في عصر الموحدين وأهم الموارد المالية وأوجه الانفاق ، والنشاط المعمارى في العصر الموحدى ، وتأثير الغارات النصرانية على موارد الثروة الاقتصادية في البلاد .

رابعا : كتب الحسبة والفقه :

(أ) كتب الحسبة الأندلسية :

تمثل كتب الحسبة مصدرا هاما أساسيا للتاريخ الاقتصادى الأندلسي إذ تمدنا بمعلومات وافرة عن المعاملات التجارية والنشاط الصناعي في المدن الأندلسية بوجه عام ، كما تسلط الضوء على الحياة اليومية في الشوارع والأسواق [١].

ومن بين كتب الحسية التى رجعت اليها في دراستى وأفدت منها :

ثلاثة رسائل أندلسية في اداب الحسبة والمحتسب لابن عبد الرؤوف وابن عبدون (اوائل القرن السادس الهجرى) والجرسيفي [٢] ، بالاضافة الى كتاب اداب الحسبة للسقطي المالقي (أواخر السادس وأوائل السابع الهجرى [٣] .

والحقيقة أنني أفدت كثيرا من كتب الحسبة الاندلسيه [٤] ، فقد أعانتني على

---

(١) Levi-provencal,España musulmana, traducciun por G,arrcia Gamez, en historia de España, t.V, Madrid, 1957, p. 136 .

(٢) ثلاث رسائل إندلسية في آداب الحسية والمحتسب ، نشر ليفي بروفنسال ، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .

(٣) السقطي المالقي (أبو عبد الله محمد) ، كتاب في آداب الحسبة نشر كولان وليفي بروفنسال ، باريس ، ١٩٣١ م .

(٤) عن كتاب الحسبة الأندلسية أنظر : ليفي بروفنسال ، سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها ، ترجمة عبد الهادى شعيرة ، الإسكندرية ١٩٥١ م ، ص ٨٧ – ٨٨ ؛ عبد الرحمن الفاسي ، خطة الحسبة ، مجلة المناهل ، عدد ٢٠ الرباط ، مارس ١٩٨١ ، ص ٤٧ – ٤٩ ، أيضا:
P. Chalmeta, El señor del zoco en España, Madrid, 1973 pp. 381- 385 .

رسم صورة للحياة التجارية النشطة فى الأسواق الأندلسية ، ونظام الطوائف الحرفية وأهم الصناعات فى المدن ، وكيفية مراقبة المحتسب وأعوانه من العرفاء (الامناء) لأعمال الغش والتدليس التى كان يلجأ إليها بعض الصناع والباعة ، هذا إلى جانب ما أستنطقه منها عن نظام جباية الضرائب فى العصر المرابطى والأهمية التجارية لإشبيلية ونهرها المعروف بالوادى الكبير ، فضلا عن إشارات تختص بالمكاييل والموازين ، واختصاصات المحتسب والشروط الواجب توافرها فيه .

(ب) كتب الفقه (المعروفة بكتب النوازل) :

من أهم الكتب التى أعتمدت عليها كتب الفقه أو كتب النوازل ، وهى التى تتناول القضايا التى رفعت إلى رجال القضاء والفتوى للنظر فيها . ومنها : **كتاب الوثائق والسجلات لابن العطار** [1] .

ويورد لنا ابن العطار فى هذا الكتاب الكثير من العقود والوثائق والمسائل الفقهية التى تفيدنا فى دراسة الأوضاع الاقتصادية والنظم المتعلقة بالحياة الاقتصادية فى الاندلس بوجه عام .

فقد أمدنى كتاب الوثائق والسجلات بمادة كافية عن النظم بالمتعلقة بالزراعة فى الاندلس ، ورغم كونها ترجع إلى العصر الأموى إلا أنه من المعروف أن تلك النظم ظلت سائدة فيها يلى دلك من عصور ، فهو يشير إلى ظاهرة السلم فى المحاصيل الزراعية والزيت والحرير وغير ذلك من السلع والمنتجات ، كما أوضح لنا نظام المغارسة والمزارعة والمساقاة ، والكوارث الطبيعية التى قد تجتاح المحاصيل فى بعض السنين ونظام الأحباس ، علاوة على بعض النظم المتعلقة بالتجارة الداخلية مثل نظام الأقراض والحوالة والوديعة وضمان سداد الدين والبراءة منه وغير ذلك من المعلومات الهامة التى

---

(١) ابن العطار (محمد بن أحمد الأموى) المتوفى سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٨ م) ، كتاب الوثائق والسجلات ، نشر بدرو شالميتا P. Chalmeta وكوزيتطى F. Corriente ، المعهد الاسبانى العربى للثقافة ، مدريد ، ١٩٨٣ م .

لا يستغنى عنها أى باحث فى التاريخ الاقتصادى للأندلس .

ومن كتب الفقه أيضا « السفر الثانى من الوثائق والمسائل المجموعة من كتب الفقهاء »

وهو مخطوط ، ومؤلفه ابن عبد الواحد الفهرى [1] ، ينسب إلى مدينة البونت بكورة بلنسية فى منطقة شرق الأندلس ، وتوفى سنة ٤٦٢ هـ / ١٠٦٩ م . ويتضمن هذا المخطوط عدة وثائق وعقود غاية فى القيمة تشير إلى بعض النظم الاقتصادية مثل وثيقة استئجار صانع ووثيقة فى اكتراء دابة وأخرى فى استئجار عامل للحرث ، ووثائق أخرى تتعلق بالشركات التجارية والصناعية التى تنشأ بين الأفراد .

وهناك أيضا مخطوط « المقصد المحمود فى تلخيص العقود » لابن القاسم » [2] ، المتوفى سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م ، والذى عاصر دولتى المرابطين والموحدين ونلحظ أنه ينقل عن ابن سهل الاندلسى (ت ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م) صاحب كتاب الأحكام الكبرى ، كما يورد فى وثائقه لقب « أمير المؤمنين » الذى اتخذه خلفاء الدولة الموحدية . ومهما يكن من أمر فإن كتابه يحوى الكثير من النظم الزراعية مثل عقود الاقطاع وبيع الأرض الموات (البور) لاستصلاحها وزراعتها واستئجار الآبار والعيون مدة معينة للرى واستئجار البساتين والحراث والعمال إلى جانب ذكره عقود للمغارسة والمزارعة والمساقاة ، وعقود كراء ملاحات ومعاصر للزيوت ودواب وسفن وصناع ، وإشاراته لعقود شركات صناعية وتجارية .

---

(١) أبو عبد الله بن عبد الواحد الفهرى البونتى ، السفر الثانى من الوثائق والمسائل المجموعة من كتب الفقهاء ، مخطوط محفوظ بمدرسة الدراسات العربية بمدريد (حاليا معهد ميجيل أسين بلاسيوس) تحت رقم ١١ . وانظر ترجمة المؤلف فى : (ابن بشكوال ، الصلة ، نشر الدار المصرية للتأليف ، القاهرة ١٩٦٦ ترجمة رقم ٦١٦ ص ٢٨٠ - ٢٨١) .

(٢) أبو الحسن على بن القاسم ، المقصد المحمود فى تلخيص العقود ، مخطوط بمدرسة الدراسات العربية بمدريد تحت رقم ٥ .

وأخيرا نذكر من كتب الفقه كتاب الونشريسي [1] المسمى نوازل المعيار أو « المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب » وهو يحوى معلومات هامة يمكن استنتاجها من خلال المسائل أو النوازل الفقهية التى يعرضها ، وينقلها غالبا عن بعض فقهاء الأندلس فى العصر المرابطى من أمثال الفقيه القرطبى ابن رشد (ت ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م) وابن سهل الأندلسى (ت ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م) . فقد أورد الونشريسى إشارات قيمة عن استئجار بعض العمال لتربية دود الحرير وعن الشركات التجارية والوكلاء التجاريين ونظام الأحباس ، وقيام أمير المسلمين على بن يوسف المرابطى ببيع أحباس أهل الذمة بغرناطة وبيع الأحباس الموقوفة على كنائسهم سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م عقب غدرهم بالمسلمين ونكثهم العهد وتحريضهم لالفونسو المحارب ملك أرغون على غزو الأندلس ، كما ألمح المؤلف إلى بعض النظم المتعلقة بالزراعة والصناعة والتجارة .

خامسا : الوثائق والرسائل الرسمية :

اهتم بعض الباحثين فى التاريخ الأندلسى من المصريين والغربيين بنشر عدد كبير من الوثائق والرسائل الرسمية المتعلقة بدولتى المرابطين والموحدين . فقد نشر د . حسين مؤنس عدة وثائق مربطية تلقى الضوء على الأحوال السياسية فى الأندلس خلال عهد على بن يوسف [2] ، كما نشر بعض النصوص السياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين [3] وواصل د . محمود مكى هذا العمل الهام فنشر وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ساعدتنا فى عرضنا للوضع السياسى فى

---

(١) الونشريسى أو الونشريشى (أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد ت ٩١٣ هـ ١٥٠٨ م) المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل أفريقية والاندلس والمغرب ، طبعه فاس ، بدون تاريخ .

(٢) نشرت تلك الوثائق فى مقالة د . حسين مؤنس : الثغر الأعلى الأندلس فى عصر المرابطين ، مجلة كلية الاداب جامعة فؤاد الأول ، مجلد ١١ ، جـ٢ ، ديسمبر ١٩٤٩ م . كما قام بنشر سبع وثائق جديدة عن عصر المرابطين فى مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد سنة ١٩٥٤ م .

(٣) مؤنس ، نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين مجلة المعهد المصرى بمدريد ، م٧ – ٨ سنة ٥٩ – ١٩٦٠ م .

الأندلس فى عصر المرابطين ، كما أن الرسائل الموحدية التى نشرها المستشرق الفرنسى ليفى بروفنسال [1] أمدتنا بإشارات قيمة عن الأسطول الموحدى ، وتأثير العوامل السياسية على الناحية الاقتصادية ، وحرص الدولة الموحدية على جباية الضرائب الشرعية وإلغاء المغارم والمكوس خاصة فى النصف الأول من عصرهم ، هذا فضلا عن المعلومات الهامة التى تتعلق بالوضع السياسى فى الأندلس خلال هذا العصر .

ومن ناحية أخرى هناك نوع آخر من الرسائل والوثائق المتعلقة بالتجارة الخارجية ومن بينها مجموعة الوثائق التى نشرها امارى Amari [2] ، وتتناول المعاهدات التجارية بين دولة الموحدين والمدن الايطالية ، وتلقى الضوء على العلاقات التجارية بين الموحدين وتلك المدن مثل جنوة أبيزة والإمتيازات التى حصل عليها تجار المدن الإيطالية والسلع التى كانوا يتعاملون فيها .

---

(١) مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية ، نشر ليفى بروفنسال ، معهد العلوم العليا المغربية ، الرباط ، ١٩٤١ م .

(٢) Amari, M; I Diplomi arabi del archvio Fiorentio , V.I, Firenze, le mon-nier, 1863 .

تمهيـد تاريخـي

الأوضاع السياسية في الأندلس في عصر دولتي المرابطين والموحدين .

أولا : الأوضاع السياسية في الأندلس في عصر دولة المرابطين

(١) الأندلس في عهد يوسف بن تاشفين .

(٢) الأندلس في عهد علي بن يوسف .

(٣) الأندلس في عهد تاشفين بن علي وانهيار دولة المرابطين .

ثانيا : الأوضاع السياسية في الأندلس في عصر دولة الموحدين

(١) في عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي .

(٢) في عهد الخليفة يوسف بن عبد عبد المؤمن .

(٣) في عهد الخليفة يعقوب المنصور بن يوسف .

(٤) عهد محمد الناصر ونهاية دولة الموحدين في الأندلس .

أولا : الأوضاع السياسية فى الأندلس فى عصر دولة المرابطين

١ - الأندلس فى عهد يوسف بن تاشفين :

كانت الأوضاع السياسية فى الأندلس قبيل عبور المرابطين إليها غاية فى السوء والتدهور ، بسبب ما كانت تعانيه من التفكك السياسى تحت حكم ملوك الطوائف الذين انغمسوا فى حياة اللهو والترف والملذات وأثقلوا كاهل رعاياهم بالمغارم والضرائب الفادحة كى يتمكنوا من دفع الجزية لألفونسو السادس ملك قشتالة ، كسبا لسلمه وموادعته ودرء الخطر وحفاظا على عروشهم [١] .

ولم يكتف الفونسو السادس باخضاع ملوك الطوائف لنفوذه وارغامهم على دفع الجزية ، بل صمم على استرداد الأندلس على نحو شامل وطرد المسلمين نهائيا من شبه الجزيرة الإيبيرية ، مستغلا حالة الضعف والانحلال التى يعانى منها المسلمون فى ظل حكم أمراء الطوائف ، الذين تناسوا الخطر النصرانى المحدق بهم من كل ناحية ، وانشغلوا فى حروب داخلية مع بعضهم البعض ، فانتشرت الفتن وعمت الفوضى واختل صمام فى البلاد مما كان له أثره العميق على الأوضاع الاقتصادية فى البلاد بصفة خاصة .

وكان سقوط طليطلة فى يد الفونسو السادس ملك قشتالة (فاتحة صفر سنة

(١) عن الحالة السياسية فى الأندلس قبيل عبور المرابطين راجع على سبيل المثال : ابن الأبار ، الحلة السيراء ، تحقيق د . حسين مؤنس ، جـ ٢ ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ٩٨ ، ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، المطبعة القاسية ١٣٠٥ هـ ، ص ٩٩ ، ابن سماك العاملى ، الحلل الموشية ، طبعة تونس ١٣٢٩ هـ ، ص ٢٠ - ٢١ ، عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ص ٧١٧ - ٧١٩ ، أحمد مختار العبادى ، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٩٦ مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والأندلس ، دار المستقبل الطبعة الأولى ، ١٩٨٠ م ، ص ٣٧٢ ، عبد الرحمن الحجى ، التاريخ الأندلسى ، بغداد ، ١٩٧٦ م ، ص ٤٢١ ، وأيضا :
Boschvila, Los Almor avides, Tetuan, 1956, pp. 127 - 131 .

٤٧٨ هـ / ٢٥ مايو ١٠٨٥ م) بداية مرحلة خطيرة فى تاريخ الإسلام ببلاد الأندلس كما كان له تأثير سيء على مسلمى الأندلس ، وبدأ أمراء الطوائف يدركون مدى فداحة الخطر المحيط بهم فى نفس الوقت الذى كانوا يحسون بضعفهم عن مواجهته ، مما دفع بعضهم أمثال المعتمد بن عباد صاحب إشبيلة والمتوكل ابن الأفطس صاحب بطليوس إلى طلب المعونة والمساعدة من المرابطين الذين كانوا يتبنون فكرة الجهاد ورفع راية الإسلام ، ولم يتردد هؤلاء بقيادة أميرهم يوسف بن تاشفين فى تلبية النداء للذود عن دولة الإسلام فى الأندلس بعد أن بدأ يخيم عليها شبح الانهيار والزوال (١) .

وعبر يوسف بن تاشفين إلى الأندلس عبوره الأول فى ربيع الأول سنة ٤٧٩ هـ/ يوليو ١٠٨٦ م ، ونزل بجيشه فى الجزيرة الخضراء ، ثم اتجه إلى إشبيليه حيث وافته جيوش الأندلس . وكان الفونسو السادس - آنذاك - يحاصر مدينة سرقسطة ، فلما علم بنزول المرابطين إلى الأندلس رفع الحصار عنها ، وطلب النجدة من الممالك النصارنية المجاورة فأمدته ببعض القوات وسارت الجيوش النصرانية على رأسها الفونسو السادس للقاء المرابطين والقوات الأندلسية قرب بطليوس بفحص يقع شمالها تسميه المصادر الإسلامية الزلاقة (يعرف فى الإسبانية باسم Sagrajas) . ولم يلبث أن اشتبك الجيشان فى معركة شديدة ، انتهت بهزيمة ساحقة للنصارى وذلك صباح

---

(١) حول سقوط طليطلة فى أيدى النصارى واستنجاد ملوك الطوائف بالمرابطين راجع : عبد الله الزيرى ، مذكرات الأمير عبد الله ، تحقيق ليفى بروفنسال دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٥ م ، ص ٧٦ - ٧٧ ؛ ابن بسام ، الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، قسم ٤ ، مجلد ١ ، طبعة القاهرة ، ١٩٤٥ م ص ١٢٧ ، ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، (قطعة من كتاب الاكتفاء فى أخبار الخلفاء) ، تحقيق د . مختار العبادى ، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، ١٩٧١ م ، ص ٨٥ ؛ ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٨ ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١٣٨ ، ابن خلدون ، العبر ، طبعة بولاق ، القاهرة ١٢٨٤ هـ ، ص ١٨٦ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ق ٣ ، تحقيق مختار العبادى والكتانى ص ٢٣٧ ، وأيضا :

Codera, Decadencia Y desaparicion de los Almoravides en España, zaragoza, 1899, p. I & G aspar Remiro, Historia de Murcia musulamana , zarogoza, 1905 , p. 130 .

الجمعة ١٢ رجب سنة ٤٧٩ هـ / ٢٣ أكتوبر ١٠٨٧ م ، ويرجع الفضل فى هذا الانتصار المؤرز الذى حققه المسلمون إلى ثبات القوات المرابطية واستبسالها فى المعركة التى قتل فيها الآلاف من النصارى ، ونجا ملكهم الفونسو من الموت بأعجوبة حيث فر فى بضع مئات من جنده ، عائدا إلى بلاده قشتالة [١] .

وكان لإنتصار الزلاقة نتائج هامة منها أنه وضع حدا لسياسة الاسترداد التى كان يتزعمها الفونسو السادس ، وقلب موازين القوى فى الأندلس لصالح المسلمين أو على الأقل أحدث نوعا من توازن القوى هناك ، ومن ناحية أخرى حرر امراء الطوائف من الخضوع لالفونسو ودفع الجزية له ، كما رفع من شأن المرابطين أمام الرأى العام الإسلامى عامة والأندلس بصفة خاصة ، وأظهرهم فى صورة المجاهدين من الإسلام المدافعين عن أراضيه وثغوره (٢) ، وفى ذلك يقول عبد الواحد المراكشى :

« ... فلما قهر الله العدو وهزمه على يد أمير المسلمين أظهر الناس أعظامه ونشأ له

---

(١) عن تفاصيل موقعة الزلاقة راجع : الأمير عبد الله الزيرى ، مذكرات ص ١٠٤ - ١٠٦ ؛ ابن الكرديوس ، نفسه ، ص ٩٢ - ٩٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٢ ، ص ١٤١ - ١٤٢ ؛ عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ١٩٣ - ١٩٥ ؛ ابن الآبار ، الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ١٠٠ - ١٠١ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ٤ ، ص ١٣٦ - ١٣٨ ؛ النويرى ، نهاية الارب ، جـ٢٢ (الخاص بالمغرب والأندلس) نشر جاسبار ريمير ، غرناطة ١٩١٦ ، ص ٢٥٢ - ٢٥٤ ، ابن خلدون ، العبر ، جـ٦ ، ص ١٨٦ ؛ ابن أبى زرع ، نفسه ، ص ١٠١ - ١٠٣ ؛ الحلل الموشية ، ص ٣٩ - ٤٠ ؛ سالم ، المغرب الكبير ص ٧٢٣ - ٧٢٦ ؛ العبادى ، دراسات ، ص ٩٦ - ٩٧ ، حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٢٧٦ - ٢٨٠ ؛ سحر السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ السياسى لمدينة بطليوس ، رسالة ماجستير غير منشورة بأداب الاسكندرية ، نوفمبر ١٩٨٤ ، ص ٤٢٣ - ٤٥٥ . وأيضا :

†Codera, op. cit, pp. 1-2 & Boschvila, los Almoraides, pp. 135-137 .

(٢) انظر . ابن الكرديوس ، نفسه ، ص ٩٥ ، ابن أبى زرع ، نفسه ، ص ١٠٣ سالم ، نفسه ، ص ٧٢٦ ؛ حسن محمود ، نفسه ، ص ٢٨٢ - ٢٨٦ ، محمد عبد الله عنان ، تراجم إسلامية مشرقية وأندلسية ، الطبعة الثانية القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٢٣٢ ، مؤنس ، معالم ، ص ٢٧٣ ، محمد بن عبود معركة الزلاقة ، مجلة البحث العلمى ، العدد ٣٢ ، الرباط ، نوفمبر ١٩٨٢ م ، ص ٥٠ - ٥٢ ، Boschvila, op. cit, pp. 137-138 & Huici miranda, las grandas batallas de la reconquista, Madrid, 1956, p. 67.

لود في الصدور ... »[1] ويضيف « ... وأظهروا (أى أهل الأندلس) التيمن بأمير المسلمين والتبرك به وكثر الدعاء له في المساجد وعلى المنابر وانتشر له من الثناء بجزيرة الأندلس ما زاده طمعا فيها ....[2] »

غير أن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين لم يلبث أن عاد إلى المغرب ليرث الملك عندما علم بوفاة الأمير أبي بكر بن عمر زعيم المرابطين سنة ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م ، وبذلك لم يتمكن من استغلال نصره في الزلاقة ومطاردة فلول الجيش النصرانى ومحاولة إستعادة طليطلة[3] . وقد ترتب على ذلك إستعادة القوى المسيحية فى أسبانيا لقواها المبعثرة وتمكنها من لم شتاتها ، وبدأوا يشنون الغارات على الأراضى الإسلامية المتاخمة لهم ، كما أخذ فرسان حصن لييط أو الييط (بالأسبانية ALEDO) – قرب لورقة – النصارى يعيشون فساد فى منطقة مرسية ، فى نفس الوقت يقوم فيه أحد المغامرين النصارى وهو السيد القنبيطور (أو القمبيطورEL Cid Campeador) بأعمال السلب والنهب فى جهات بلنسية وشاطبة ولاردة والسهلة[4] . وعجز ملوك الطوائف عن مواجهة هذا الخطر مما اضطر يوسف بن تاشفين إلى عبور البحر إلى الأندلس للمرة الثانية سنة ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م ، حيث اتجه بصحبة القوات الأندلسية الى

---

(١) انظر . المعجب ، ص ١٩٦ .

(٢) عبد الواحد المراكشى ، نفسه ، ص ١٩٥ .

(٣) يذكر ابن إن أبى زرع أن سبب عودة يوسف الى المغرب وفاة ابنه أبى بكر سير (روض القرطاس ، ص ١٠٥) غير أننى ارجح رأى د . حسن محمود وهو أن رحيل يوسف كان لوفاة أبى بكر بن عمر زعيم المرابطين وأميرهم سنة ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م ، خاصة وأن يوسف كان لا يزال عامل أبى بكر على المغرب ، فأحب أن يعجل بالعودة ليرث ملك أبى بكر ويأخذ البيعة لنفسه وإلا اغتصبها بعض الأمراء الآخرين متهزين فرصة تغيبه فى الأندلس وانشغاله بالجهاد ضد النصارى . انظر (حسن محمود قيام دولة المرابطين ، ص ٢٨٧) .

(٤) انظر . أبن أبى زرع ، نفسه ، ص ١٠٥ – ١٠٦ ، سالم ، المغرب الكبير ص ٧٢٩ ، حسن محمود ، نفسه ، ص ٢٨٩ ،

R. Menendez pidal , la España del cid, vol, I, Madrid, 1947, pp. 374-375.

حصن لييط ، وحاصره مدة أربعة أشهر ، اشتد خلالها التنازع والانشقاق بين أمراء الطوائف في الوقت الذى وصلت فيه النجدة من ألفونسو السادس للمحاصرين ، مما أدى إلى فشل المرابطين في الإستيلاء على الحصن وانسحابهم ، حيث قام يوسف بعبور البحر عائدا إلى مراكش ، وصمم منذ ذلك الوقت على خلع ملوك الطوائف بعد أن أخفقت محاولات توحيد صفوفهم وثبت عجزهم عن مواجهة النصارى في الأندلس ، بل وتعاون بعضهم مع العدو ، كما أن هناك عاملا آخر كان سببا رئيسيا في تغيير يوسف على أمراء الطوائف وعزمه على خلعهم وهو سوء معاملة رعاياهم وإثقال كاهلهم بالضرائب الجائرة غير الشرعية ، بينما كان المرابطون لا يأخذون إلا ما أمر به الكتاب والسنة ، ما دفع بالكثير من الرعايا الأندلسيين إلى الالتجاء إلى معسكر يوسف يشكون له مدى الظلم والعسف الذى يتعرضون له في ظل ملوك الطوائف ، ويطالبون بالعدل والإصلاح الذى ينعم به أهل العدوة المغربية [1] .

وعلى هذا عزم يوسف بن تاشفين على خلع الطوائف بعد أن استفتى الفقهاء فأجازوا عزلهم . وعبر إلى الأندلس للمرة الثالثة في رجب ٤٨٣ هـ / سبتمبر ١٠٩٠ م وشرع في خلع ملوك الطوائف في عروشهم الواحد بعد الآخر وذلك بين سنة ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م وسنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م ، ولم يستثن منهم سوى المستعين بالله بن هود صاحب سرقسطة ، كما واصل المرابطون جهادهم في شرق الأندلس واستردوا بلنسية من يد دونيا خيمنا (Daña jimena) زوجة السيد القنبيطور

---

(١) حول حصار لييط والحوادث التى تلت ذلك أنظر التفاصيل في : مذكرات عبد الله الزيرى ، ص ١٠٨٠ – ١٠٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٨ ، ص ١٤٢ ، ابن الابار الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٨٥ – ٨٦ ، ابن أبى زرع ، ص ١٠٦ ، ابن سماك العاملى الحلل الموشية ، ص ٥٠ – ٥١ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٤٩ ، النويرى ، نهاية الارب ، جـ٢٢ ، نشر ريميرو ، ص ١٨١ ، سالم ، المغرب الكبير ، ص ٧٣٠ – ٧٣١ ، حسن محمود ، نفسه ، ص ٢٩٢ ، مؤنس ، معالم ، ص ٣٧٣ ، الحجى التاريخ الاندلسى ، ص ٤٢٢ ، أيضا :

Codera, Decadencia, p. 3; G. Remiro, Hist ., de murcia, pp. 136-137; Huici miranda, las grandas batallas, pp. 85- 99 & Bosch vila, op. cit, pp. 138-142.

في سنة ٤٩٥هـ / ١١٠٢ م[1].

وهكذا تمكن يوسف بن تاشفين من توحيد المغرب والأندلس في دولة واحدة عاصمتها مدينة مراكش ، وبدأ الغرب الإسلامي ينعم في عهده بالازدهار والأمان اللذين حرم منهما منذ أيام الحكم المستنصر والمنصور بن أبي عامر .

وفي سنة ٤٩٧ هـ / ١١٠٣ م عبر أمير المسلمين يوسف البحر إلى الأندلس للمرة الرابعة والأخيرة بعد أن وحد العدوتين ، وذلك ليضع أسس الدولة المرابطية الموحدة ، ويتفقد أحوال الأندلس ، كما قام بمبايعة ولده علي بن يوسف بولاية العهد إحساسا منه بدنو أجله ، ولم يلبث أن أصيب بمرض شديد توفي على أثره بمراكش أول المحرم سنة ٥٠٠ هـ / سبتمبر ١١٠٦ م[2] .

وهكذا توفي يوسف تاركا لابنه علي بن يوسف بن تاشفين إمبراطورية ضخمة موحدة ثابتة الاركان ، ونعم أهل الأندلس في عهده بفترة من الأمن والهدوء والازدهار بعد أن رفع عنهم ظلم ملوك الطوائف ، ونشر العدل في ربوع البلاد ،

---

(١) راجع التفصيلات في : مذكرات الأمير عبد الله ، ص ١٥٤ - ١٥٥ ، ١٦٢ ، ابن الكرديوس ، نفسه ، ص ١٠٤ - ١١٠ ، ابن الاثير ، نفسه ، جـ٨ ، ص ١٤٤ ، ١٥٤ ، ١٥٥ - ١٥٧ ؛ المراكشي ، المعجب ، ص ٢٠٠ - ٢٠٢ ، ابن عذارى ، نفسه ، جـ٤ ، تحقيق د. احسان عباس ، ص ٢٤١ ، ابن أبي زرع ، ص ١٠٧ - ١٠٨ ؛ الحلل الموشية ، ص ٥١ - ٥٣ ، ابن خلدون، العبر . جـ٦ ، ص ١٨٧ - ١٨٨ ، السلاوي ، الاستقصاء لاخبار دول المغرب الأقصى ، جـ٢ ، تحقيق جعفر الناصري وأحمد الناصري ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ ، ص ٤٨ - ٤٩ ؛ سالم ، نفسه ، ص ٧٣١ - ٧٣٤ ، حسن محمود نفسه ، ص ٣٠٣ - ٣٠٥ ؛ مؤنس ، الثغر الاعلى الاندلسي في عصر المرابطين ، مجلة كلية الاداب ، جامعة فؤاد الأول ، م ١١ ، جـ٢ ١٩٤٩ ، ص ٩٥-٩٦ ، عنان ، تراجم إسلامية ، ص ٢٣٢ - ٢٣٣ ؛ كمال أبو مصطفى ، تاريخ مدينة بلنسية الاسلامية حتى سقوطها في أيدي المرابطين ، رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بآداب الاسكندرية ، ١٩٨١ ، ص ١٦٢ - ١٦٤ . وأيضا :

Codera, op. cit, pp. 3-4; pidal, la Espña delcid, vol, II, pp. 579-581.

(٢) انظر . ابن الكرديوس ، ص ١١٢ ، ابن أبي زرع ، ص ١٠٩ ، حسن محمود نفسه ، ص ٣٢١ ، سالم ، نفسة ، ص ٧٣٨ ، Codera, op. cit, p. 5

محتكما في جميع أموره للكتاب والسنة ، فيذكر صاحب الحلل الموشية أن بلاد الأندلس أقامت « في مدته سعيدة حميدة في رفاهية عيش وعلى أحسن حال لم تزل موفورة محفوظة إلى حين وفاته ..[1] »

٢ – الأندلس في عهد علي بن يوسف :

خلف علي بن يوسف أباه على دولة المرابطين في المحرم سنة ٥٠٠ هـ / سبتمبر ١١٠٦ م ، وعمره لا يتجاوز آنذاك ثلاثة وعشرين عاما . وسار على نفس نهج والده في مواصلة حركة الجهاد ضد النصارى والميل للفقهاء والعمل بمشورتهم[2] .

لم يكد أمير المسلمين علي بن يوسف يرتقي دست الإمارة حتى قرر العبور إلى الأندلس لتنظيم شئونها وتفقد أحوالها ، فعبر البحر من سبتة ونزل بالجزيرة الخضراء في منتصف سنة ٥٠٠ هـ / أوائل ١١٠٧ م ، ثم قام بعدة تغييرات إدارية منها إسناد ولاية غرناطة إلى أخيه أبي الطاهر تميم وتنصيبه قائدا عاما على القوات المرابطية في

---

(١) انظر . ابن سماك العاملي ، الحلل الموشية ، ص ٥٩ ، يذكر ابن عذاري أن امير المسلمين يوسف استعمل الحزم والعزم لنصر الدين وإظهار الكلمة وتعضيد الإسلام . ورثاه جماعة من الشعراء منهم أبو بكر بن سوار الأشبوني الذى أنشد على قبره :

أسمع أمير المسلمين وناصر الدين	الذى بقوسنا تقديمه
جوزيت خيرا عن رعيتك التي	لم ترض فيها غير ما يرضيه
أما مساعيك الكرام فإنها	خرجت عن التكييف والتشبيه
في كل عام غزوة مبرورة	تردى عديد الروم أو تفنيه

انظر (البيان ، المغرب ، جـ٤ ، ص ٤٧) .

(٢) ابن الكردبوس ، ص ١١٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢٣٦ ، ابن أبي زرع ، ص ١٠٩ ، الحلل الموشية ، ص ٦١ ، عبد الله عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، ق ١ ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٥٧ ، إويثي ميراندا ، علي بن يوسف وأعماله في الأندلس ، مجلة تطوان العدد ٣ – ٤ سنة ٥٨ – ١٩٥٩ ، ص ١٥٥ ،

Codera, op . cit, p. 5 & Henri Terrasse, Historie du Maroce, Casablance, 1947, p. 242.

الأندلس ، وقيامه بتعيين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر اللمتوني على ولاية قرطبة ، بينما ولي محمد بن الحاج على المغرب ثم نقله إلى حكم بلنسية [١] .

وبعد عودة علي بن يوسف إلى المغرب بعث إلى أخيه تميم والي غرناطة وقائد الجيوش المرابطية بأن يستأنف حركة الجهاد ضد النصارى . وبالفعل سار تميم على رأس الجيش المرابطي صوب مدينة أقليش (Ucles) الحصينة بكورة شنتبرية (Santaver) شرقي طليطلة ، فتمكن من فتحها في ١٥ شوال ٥٠١ هـ / ٢٨ مايو ١١٠٨ م ، ولجأ من بها من النصارى إلى قصبة أقليش الحصينة وامتنعوا بها انتصارا للنجدة ، وهنا أرسل إليهم الفونسو السادس جيشا بقيادة الأمير الصبي سانشو (Sancho) ولد الفونسو وولي عهده الوحيد ، وبصحبته القائد البرهانس (Alvar Hañez) والكونت غرسية أوردنييث (Harcia Ordoñez) وقادة آخرين ولذا عرفت في المصادر الاسبانية باسم معركة القوامس السبعة (بالأسبانية Batalla de los siete condes) وانتهت بهزيمة ساحقة للجيش القشتالي ، قتل فيها الآلاف وفي مقدمتهم الأمير سانشو والقوامس السبعة الذين كانوا معه وذلك في ١٦ شوال ٥٠١ هـ / ٢٩ مايو ١١٠٨ م ، كما استولى المسلمون على قلعة أقليش وبعض الحصون المجاورة مثل وبذة (Huete) وقونكة (Cuenca) وغيرها . وسقط الفونسو السادس مريضا إثر هذه الهزيمة النكراء التي لقي فيها ولده مصرعه ، ولم يلبث أن توفي حزنا عليه [٢] .

---

(١) انظر . ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٤٨ - ٤٩ ، ابن أبي زرع ، نفسه ص ١١١ ، ابن سماك العاملي ، الحلل الموشية ، ص ٦٢ ، عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، ق ١ ، ص ٥٩ - ٦٠ ، أويثي ميراندا ، علي بن يوسف ، ص ١٥٦ ، ليفي بروفنسال ، الإسلام ، في المغرب والأندلس ترجمة د . عبد العزيز سالم وصلاح الدين حلمي ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ٢٤٥ ،
Codera, op. cit, p. 8.

(٢) حول تفاصيل وقعة أقليش راجع : ابن الكردبوس ، ص ١١٤ ، ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ٥-٩ ، ابن أبي زرع ، ص ١١١ ، ابن عذارى ، نفسه ، جـ٤ ، ص ٤٩ - ٥٠ ، النويري ، نهاية الارب ، جـ٢٢ ، ص ١٨٥ ، ابن الخطيب وأعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٥٣ ، ابن خلدون ، العبر ، جـ٦ ، ص ١٨٨ ، سالم ، نفسه ، ص ٤٣٥ ، ابراهيم حركات ، النظام السياسي والحربي في عهد =

وبعد هذا النصر الساحق في أقليش تشجع المرابطون واتجهوا بقيادة أمير المسلمين علي بن يوسف (سنة ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م) صوب منطقة طليطلة حيث شنوا عليها غارات عنيفة وخربوا ما حولها ، واسترجعوا طلبيرة ومجريط ووادى الحجارة ، وحاصروا طليطلة نفسها شهرا دون نتيجة لمنعتها وحصانتها ثم عاد علي بن يوسف إلى قرطبة ظافرا بعد أن مكن للمسلمين في مناطق الثغور وأنزل الرعب في قلوب النصارى الأسبان [1] .

وفي نفس العام (٥٠٣ هـ / ١١٠٩ - ١١١٠ م) اتجه جيش مرابطي من بلنسية بقيادة محمد بن الحاج صوب سرقسطة ، وتمكن من انتزاعها من يد صاحبها عماد الدولة عبد الملك بن المستعين بن هود ، الذى لجأ إلى حصن روطة [2] في

= المرابطين ، الدار البيضاء ، بدون تاريخ ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ ، مؤنس ، الثغر الاعلى ، ص ١٠٧ - ١٠٨ ، عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، ث ١ ، ص ٦٤ - ٦٦ ، اويثى ميراندا ، علي بن يوسف ، ص ١٥٦ - ١٥٧ ، ليفي بروفنسال ، الإسلام في المغرب والاندلس ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ ، حمدى عبد المنعم محمد ، دولة علي بن يوسف المرابطي في المغرب والأندلس ، رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بآداب الاسكندرية ١٩٨٠ ، ص ٨٦ - ٩٤ ،

Codera, op. cit, pp. 8-9; Gaspar Remiro, op. cit, p. 148; Henri Terrasse, Hist., du Maroc, p. 243 & H. Miranda, Historía mussulmana de valencia, t. III, Valencia, 1970, pp. 21-28.

(١) انظر . ابن الكردبوس ، ص ١١٦ - ١١٧ ، ابن القطان ، ص ١٣ ، ابن عذاري جـ١ ، ص ٥٢ ، ابن أبي زرع ، ص ١١٢ ، الحلل الموشية ، ص ٦٢ ، أعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٥٣ - ٢٥٤ ، سالم ، نفسه ، ص ٢٣٥ ، عنان ، عصر المرابطين ، ق١ ، ص ٦٧ - ٦٩ ، مؤنس ، الثغر الاعلى ، ص ١٠٨ ، اويثى ميراندا ، علي بن يوسف ، ص ١٥٧ - ١٥٩ ،

Codera, op. cit, pp. 10-11; Boschvila, los Almoravides, pp. 184-185 & Terrasse, op. cit, pp. 243-244.

(٢) كانت روطة (Rueda) تقع بكورة سرقسطة على نهر شلون أحد روافد نهر أبره ، وهى اليوم تتبع محافظة وشقة Hyesca . والملاحظ أن هناك مدينة أخرى بنفس الاسم (روطة) كانت بالقرب من شريش بجنوب غرب الأندلس . انظر (الحلة السيراء ، تحقيق د . مؤنس ، هـ٢ ، ص ٢٤٦) .

حماية ألفونسو الأول (المحارب El Batallador) ملك أرغوان Aragón [1] .

وفى تلك الأثناء أيضا أسل أمير المسلمين قائده سير بن أبى بكر فى حملة إلى بلاد غرب الأندلس ، وتمكن من أسترداد بعض المدن الهامة من يد النصارى مثل شنترين وبابرة وبرتقال وأشبونة وذلك فى سنة ٥٠٤ هـ / ١١١١ م [2] .

ومن الأعمال الهامة لأمير المسلمين على بن يوسف استرداد ، الجزائر الشرقية (جزر البليار Las islas Baleares) فى سنة ٥٠٩ هـ / ١١١٦ م من أيدى الغزاة النصارى من بيزة وجنوة وقلطونية ، وكانوا قد استولوا عليها عنوة بعد حصار شديد وذلك فى سنة ٥٠٨ هـ / ١١١٥ م [3] .

وفى سنة ١١١ هـ / ١١١٧ م عبر أمير المسلمين البحر إلى الأندلس للمرة الثانية منذ تولية الامارة ، فنزل بإشبيلية وأقام بها بعض إلى أن انضمت إليه القوات المرابطية وسار بها نحو غرب الأندلس لغزو إمارة البرتغال الناشئة وتمكن من فتح مدينة قلمرية وأعمال السلب والقتل والتخريب فى تلك المنطقة ولم تستطع قوات الملكة تيريسا (Teresa) ملكة البرتغال أن تصمد أمامه ، ففر النصارى وقضوا بمعاقلهم .

---

(١) روض القرطاس ، ص ١١١ ، أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ، سالم نفسه ، ص ٧٣٥ .

(٢) المراكشى المعجب ، ص ٢٢٨ - ٢٣٢ ، ابن أبى زرع ، ص ١١٢ ، السلاوى الاستقصاء ، جـ٢ ، ص ٥٩ سالم ، نفسه ، ص ٧٣٥ ، عنان ، نفسه ، ق ١ ، ص ٧٠
Codera, op. cit, p.II & Bosch vila, op. cit , p. 188 .

(٣) عن غزو النصارى للجزائر الشرقية واسترداد المرابطين لهذا أنظر : ابن الكردبوس ، ص ١٢٢ ، ابن القطان ، نفسه ، ص ٢٠ ، روض القرطاس ، ص ١١٣ ، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، نشر محمود مكى صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، مجلد ٧ - ٨ سنة ٥٩ - ١٩٦٠ م ، ص ١٥٩ ، عنان ، عصر المرابطين ، ق ١ ، ص ٧٦ - ٧٧ ، الحجى ، التاريخ الأندلسى ص ٤٢٦ ، مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٣٧٥ ،
Bosch vila, los Almoravides, pp. 191 - 192 .

وتشير المصادر المسيحية إلى أن المرابطين دخلوا قلمرية فى ٢٢ يونية ١١١٧ م (يوافق ١٨ صفر ٥١١ هـ) ، ويؤكد ذلك قول صاحب الحلل الموشية وفى سنة احدى عشر وخمسمائة افتتح (أى على بن يوسف) فيها مدينة قلمرية ، ودفع بلاد الشرك بجيوش لا تحصى وكان أثره بها عظيما [١] .

وهكذا كان للجيش المرابطى اليد الطولى فى المعارك ضد النصارى على الجبهتين الشمالية والغربية حيث مملكة قشتالة وإمارة البرتغال . غير أن الموقف على الجبهة الشمالية الشرقية يختلف تمام الاختلاف ، حيث واجه المرابطون الكثير من المشتاق والأخطار التى هددتهم فى تلك الناحية ، وظلت الحرب مستعرة مدة بين المرابطين وبين النصارى الأرغونيين والقطلانية يقودهم ملكان مسيحيان على جانب كبير من الهمة والنشاط والعزم هما ألفونسو الأول (المحارب El Batallador) ملك أرغون ، ورامون بيرنجير الثالث (Ramón Berenguer III) صاحب قطلونية [٢] .

ففى سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م زحفت حشود هائلة من قوى المسيحية فى حملة صليبية واضحة المعالم (لأنها كانت تتألف من طوائف عديدة من

---

(١) ابن سماك العاملى ، الحلل الموشية ، ص ٦٢ – ٦٣ ، عنان ، نفسه ، ص ٨٠ ، ٨١ ، الحجى نفسه ، ص ٢٨ ،

Codera, Decadencia, pp. 234-236.

Bosch vila, op. cit, p. 193 .

وتجدر الاشارة إلى أن امير المسلمين لم يحتفظ بمدينة قلمرية لموقعها النائى عن الأراضى الإسلامية ، فيذكر ابن عذارى أنه لم يلبث أن أتصرف عنها إلى إشبيلية (البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٦٤) .

أما الملكة تيريسا (Teresa) فهى إبنة الفونسو السادس ملك قشتالة وقد تزوجت بالأمير إزيكى دى بورجونيا (Enrique de Borgona) وأمدها والدها بهذه المناسبة إمارة البرتغال بغرب الأندلس

Bosch vila, los Almoravides p. 180 .

(٢) انظر : سالم ، المغرب الكبير ، ص ٧٣٥ ، مؤنس ، الثغر الأعلى ص ١٠٦ – ١٠٧ ،

Codera, op. cit; p. 12 .

الفرنج) [1] بقيادة ألفونسو المحارب (تسمية الرواية العربية ابن ردمير) نحو سرقسطة ومحاصرتها حصارا شديدا نحو سبعة أشهر ، نفذت خلالها الأقوات وفنى أكثر الناس جوعا ، وفى نفس الوقت توفى والى سرقسطة المرابطى عبد الله مزدلى ، دون أن توافى المدينة التسعة أى نجدات مرابطية لإنقاذها فاضطر أهلها للتسليم ودخلت النصارى المدينة فى الثالث من رمضان ٥١٢ هـ (١٨ ديسمبر ١١١٨ م) ، وكان ألفونسو المحارب قد استولى من قبل على تطيلة (٥١١ هـ / ١١١٧ م) ، ولم يكتف بذلك بل واصل زحفه نحو الأراضى الإسلامية ، وتمكن من الإستيلاء على طرسونة (Tarazona) وقلعة أيوب ودروقة (Daroca) وغيرها من القلاع والحصون بمنطقة الثغر الأعلى [2].

ومنذ ذلك الحين بدأت أوضاع المرابطين تسوء تدريجيا سواء فى المغرب أو الاندلس . ففى سنة ٥١٥ هـ / ١١٢١ م اضطر على بن يوسف إلى العبور إلى الأندلس ، لتهدئة الأمور واصلاح شئون البلاد وتفقد أحوالها ، خاصة بعد أن بلغه نبأ الهزيمة القاسية التى منيت بها القوات المرابطية بقيادة أبى إسحاق إبراهيم بن يوسف

---

(١) اختلفت الاراء وتعددت بشأن تعريف الحروب الصليبية ، غير أنه يمكن تعريفها بأنها حروب قامت بها جامعة الأمم المسيحية الغربية بأكملها ضد أمم العالم الإسلامى تحت زعامة البابوية التى منحت امتيازات عديدة لمن يشترك فيها . أنظر (جوزيف نسيم يوسف ، العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الأولى ، دار المعارف الطبعة الثانية ١٩٦٧ ، هـ ٤ ، ص ٤٦ - ٤٧) .

(٢) عن تفاصيل استيلاء النصارى على سرقسطة أنظر : ابن خاقان ، قلائد العقيان ، طبعة بولاق ، ١٢٨٣ هـ ، ص ٢١٩ ، ابن الكرديوس ، ص ١١٨ ، ابن أبى زرع ، ص ١١٣ - ١١٤ ، السلاوى ، الاستقصاء ، جـ٢ ، ص ٦٠ - ٦١ ، سالم ، نفسه ، ص ٧٣٥ - ٧٣٦ ، مؤنس ، نفسه ، ص ١١٥ ، عنان ، عصر المرابطين ، ق ١ ، ص ٨٨ - ١٠٣ ، الحجى ، التاريخ الاندلسى ، ص ٤٢٨ ، وانظر أيضا :

Cronica de la corona de Aragon, la escribio Gaspar castellano, Aragón , 1919, pp. II . 14 - 15 ; Codera, op . cit , p. 12; Gaspar Remiro, Hist. de murcia, pp. 152 - 153; Bosch vila, op. cit, p. 195; Huici Moranda, Hist. musul. de valencia, t. III , pp. 45 - 46. & 4. Terrassc, Hist . du Maroc , p. 244 .

بن تاشفين أخى أمير المسلمين على فى معركة كتندة (أو قتندة Cutanda) قرب دروقة (Daroca) سنة ٥١٤ هـ / ١١٢٠ أمام القوات الأرغونية بقيادة ألفونسو الأول (المحارب) ، ونتج عن هزيمة المرابطين سقوط مدينة سالم وقلعة دروقة فى أيدى الأرغونيين [١] كما كان من أسباب عبورة تلك الثورة التى نشبت بقرطبة ضد الوالى المرابطى أبى بكر يحيى بن روادة ، عندما أمسك أحد عبيد ابن روادة امرأة قرطبية ، فاستغاث بالمسلمين من أهل قرطبة فأغاثوها وقامت الفتنة ، ونهب القرطبيون دور المرابطين بالمدينة وأحرقوها ، وحاصروا قصر الوالى نفسه ، مما دعا أمير المسلمين إلى الحضور بنفسه إلى قرطبة ، حسما لمادة الفتنة وتم الصلح على أن يؤدى القرطبيون ما لا عوضا عما نهب من أموال المرابطين [٢] .

ولم تلبث بلاد الأندلس أن اضطرت مرة أخرى على المرابطين ، عندما قام ألفونسو المحارب بحملة الكبرى فى سنة ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م ، بإيعاز من المعاهدين بغرناطة ، الذين استثاروا طمعه وحرضوه على غزو جنوب شرق الأندلس ، فشن غارة تخريبية اخترق فيها بلاد المسلمين مخرباً ومدمرا المدن والقرى والحصون الإسلامية التى كانت تصادفه أثناء سيره من سرقسطة حتى وصوله أمام غرناطة التى حاصرها بعض الوقت سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م دون جدوى ، فانسحب منها متجها إلى

---

(١) عن وقعة كتندة انظر : ابن بشكوال ، الصلة ، ق ١ ، ص ١٤٦ رقم ٣٣٠ ، ابن الاثير الكامل ، جـ ٨ ، ص ٣٠١ - ٣٠٢ ، ياقوت ، معجم البلدان م ٤ ، ص ٣١٠ ، ابن الابار ، المعجم فى أصحاب القاضى ابن على الصدفى نشر دار الكاتب العربى ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٤ ، رقم ٣ ، سالم ، المغرب الكبير ، ص ٧٣٦ ، عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، ق ١ ، ص ١٠٣ - ١٠٤ مؤنس ، الثغر الاعلى ، ص ١١٦ ،

Codera, op. cit, p. 13; Gaspar Remiro, op. cit, p. 152; terrasse , op. cit, p. 244 & Bosch vila, op. cit, pp. 195 - 196 .

(٢) راجع تفاصيل ثورة قرطبة فى : ابن القطان ، نفسه ، ص ٢٣ ، ابن عذارى ، نفسه ، جـ٤ ، ص ٦٦ ، النويرى ، نفسه ، نشر جاسبار ريميرو ، ص ١٨٥ - ١٨٦ ، الحلل الموشية ، نفسه ، ص ٨١-٨٤ ، حمدى عبد المنعم ، على بن يوسف المرابطى ، ص ٧٩ - ٨٢ ،

Codera, op. cit, p. 236.

وانتصر على القوات المرابطية عند حصن الرنيسول (Arinsol) قرب أليسانه على الطريق المتجه من غرناطة إلى قرطبة ثم رجع إلى بلاده أرغون بعد أن مضى ما يقرب من خمسة عشر شهرا فى تلك الغزوة [1] .

وعلى أثر تلك الغارة المخربة جاز أبو الوليد بن رشد [2] قاضى الجماعة بقرطبة إلى مراكش حيث قابل أمير المسلمين على بن يوسف وأوضح له غدر النصارى المعاهدين وما سببوه للمسلمين من مآسى واهوال نتيجة استدعائهم الفونسو المحارب (ابن ردمير) والاستنصار به ومعاونته ضد المسلمين ، وأفتاه بتغريبهم واجلائهم عن بلادهم ، وتم ذلك بالفعل سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م) حيث نفى النصارى المعاهدين إلى مدن المغرب الأقصى [3] .

ويشير ابن القطان إلى وقعة أخرى نشبت بين المرابطين والأرغونيين فى سنة

---

(١) عن تفاصيل حملة الفونسو المحارب راجع ابن الاثير ، نفسه ، جـ٨ ، ص ٣١٩ ، ابن عذارى ، نفسه ، جـ٤ ، ص ٦٩ - ٧٢ ، الحلل الموشية ، ص ٦٦ - ٧٠ ، وثائق تاريخية جديدة ، نشر محمود مكي ، ص ١٢٤ - ١٢٦ ، سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، جـ١ ، ص ١٤٤ ، عنان ، عصر المرابطين ، ق ١ ، ص ١٠٨ ، ١١٢ ، الحجى ، نفسه ، ص ٤٣٣ ،

Cronico de la corona de Aragon, p. 17; Codera, op. cit , pp. 13-16 ; G.Remiro, op. cit, p. 153; Bosch vila, op. cit, pp. 234 - 236; terrasse, op. cit, p. 245 & H. Miran op. cit, t. III., pp. 51 - 16.

(٢) ابن رشد : هو الفقيه أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد ، ولد بقرطبة فى سنة ٤٥٩ هـ ، توفى سنة ٥٢٠ هـ وشغل قضاء الجماعة بقرطبة سنة ٥١١ هـ وله عدة مؤلفات فى الفقه ، وكان له ولأمثاله من الفقهاء نفوذ كبير فى عهد أمير المسلمين بن تاشفين وابنه على ، وهم الذين أشاروا على الأخير بحرق كتاب إحياء علوم الدين للإمام أبى حامد الغزالى وفعلا تم حرقه برحبة المسجد الجامع بقرطبة فى أوائل عهد على بن يوسف . أنظر : (أبن بشكوال الصلة ، ق ٢ ، ص ٥٧٦ - ٥٧٧ رقم ١٢٧٠ ، ابن أبى أصيبعة ، طبقات الاطباء ، ص ٥٣٠ ، السلاوى ، الاستقصاء ، جـ٢ ، ص ٦٧ ، سالم ، قرطبة ، جـ١ ، ص ١٤٥ - ١٤٦ ، عنان عصر المرابطين والموحدين ، ق ١ ، ص ٧٨ - ٧٩).

(٣) ابن الأبار ، المعجم ، ص ١٦٠ ، رقم ١٣٦ ، ابن عذارى ، نفسه ، جـ٤ ، ص ٧٢ - ٧٣، الحلل الموشية ، ص ٦٥ - ٦٦ ، سالم ، قرطبة جـ١ ، ص ١٤٤ - ١٤٥ ، عنان نفسه ، ق ١ ، ص ١١٣ ، Cronica , op . cit, p. 16 .

٥٢٣ هـ / ١١٢٩ م ، عند القليعة أو القلاعة (Alcolea) الواقعة بالقرب من جزيرة شقر ، انتهت بهزيمة المسلمين وتبعهم العدو ، وذهب أكثر الرجالة قتلا وأسرا . وبلغ ذلك على بن يوسف فغاظة وأمر بالكتب إلى لمتونة بالخزى [١] .

وبينما كانت الهزائم تتوالى على المرابطين فى الاندلس على أيدى الأرغونيين إذ بالموقف يسوء بالمغرب ايضا ، وتضطرب أحوالهم هناك بسبب قيام الثورة الموحدية بزعامة محمد بن تومرت المعروف بالمهدى ، الذى تمت مبايعته فى تينملل بالمغرب الأقصى سنة ٥١٥ هـ / ١١٢١ م ، وازداد أتباعه ونفوذه هناك حتى أصبح يشكل خطرا كبيرا على الدولة المرابطية ، فنشبت بين المرابطين والموحدين عدة معارك تبادل فيها الجانبان النصر والهزيمة ، ولم تحسم المعارك لأى منهما ، إلى أن توفى المهدى بن تومرت وخلفه فى زعامة الموحدين عبد المؤمن بن على وذلك فى سنة ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م الذى اتخذ لقب الخلافة وإمارة المؤمنين وهو يعتبر المؤسس الحقيقى للدولة الموحدية [٢] .

---

(١) ابن القطان نفسه ، ص ١٠٩ - ١١١ ، وثائق مرابطية نشر ، د. حسين مؤنس فى مقالته : الثغر الاعلى فى الأندلس ، ص ١٣٩ - ١٤٠ ، عنان نفسه ، ص ١١٧ - ١١٨ ، وأيضا أنظر :
Cronica de la corona de Arogon, p. 17 .

(٢) عن ظهور المهدى بن تومرت وبداية الثورة الموحدية راجع التفاصيل فى : أبو بكر الصنهاجى المعروف بالبيدق ، أخبار المهدى بن تومرت ، تحقيق عبد الحميد ، حاجيات ، الجزائر ١٩٧٥ ، ص ٦٤ - ٨٠ ، ابن القطان ، نفسه ، ص ٧٣ - ٧٥ ، ١٢٦ ، ١٦٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ٨ ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٨ ، الحلل الموشية ، ص ٧٢ - ٧٧ ، ابن عذارى ، نفسه ، جـ٤ ، ص ٦٨ - ٧٥ - ٧٦ ، ابن خلدون ، العبر ، جـ٦ ، ص ١٨٨ - ١٨٩ ، ابن الخطيب أعمال الاعلام ، ق٣ ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ ، الزركشى ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق محمد ماضور ، الطبعة الثانية ، تونس ١٩٦٦ م ص ٣ - ٧ ، سالم ، المغرب الكبير ، ص ٧٦٩ - ٧٨١ ، سعد زغلول عبد الحميد ، محمد بن تومرت وحركة التجديد فى المغرب والأندلس ، منشورات جامعة بيروت العربية ، ١٩٧٣ ، ص ٧ - ١٣ ، العبادى ، دراسات ص ١٠٤ - ١٠٧ ، عبد الله علام ، الدولة الموحدية فى عهد عبد المؤمن بن على ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ٤٣ - ٥٢ ، عنان ، نفسه ، ق ١ ص ١٥٦ - ١٦٢ ،
Huici Niranda, Historía politico del imperio Almohade, tetuan, 1956, pp. 23-32, 87.

واستغل الفونسو الأول ملك أرغون انشغال المرابطين بالثورة الموحدية فى المغرب، لاستئناف نشاطه العسكرى ضد المسلمين فى المناطق المجاورة لحدوده ، وتمهيدا للاستيلاء على بقية قواعد الثغر الأعلى وطرد المسلمين منها خاصة مدن لاردة وإفراغة ومكناسة وطرطوشة . فأعد جيشا كبيرا اتجه به صوب مكناسة فاستولى عليها ، ثم عرج على مدينتى لاردة وإفراغه للاستيلاء عليهما ، فالتقى بالمرابطين هناك ، حيث دارت معركة شديدة بين الطرفين تحت أسوار مدينة إفراغة (Fraga) الواقعة جنوب غرب لاردة سنة ٥٢٨ هـ / ١١٣٤ م ، واستبسل فيها المسلمون بقيادة ابن غانية [١] ، وانتهت بهزيمة ساحقة للنصارى اعادت للأذهان انتصارات المرابطين فى الزلاقة وأقليش ، وغنم المسلمون الكثير وتذكر الرواية المسيحية أن الفونسو المحارب لقى حتفه فى تلك الموقعة ، وإن كانت هناك رواية أخرى نرجحها تشير إلى أنه توفى بعدها بأيام قلائل [٢] .

ولم يلبث القشتاليون فى أعقاب وقعة إفراغة أن قاموا فى نفس العام (٥٢٨ هـ/ ١١٣٤ م) بشن غارة عنيفة على أراضى بطليوس ، وعاثوا فى نواحيها نهبا وتخريبا فأسرع إليهم الأمير تاشفين بن على بن يوسف حيث التقى بهم عند فحص الزلاقة بأحواز بطليوس ، وأوقع بهم هزيمة نكراء ، ثم عاد إلى قرطبة ظافرا [٣] .

---

(١) هو أبو زكريا يحيى بن على بن غانيه الصحراوى غانيه اسم أمه ، وقد تزوج عامل قرطبة عبد الله محمد بن الحاج من أمه غانية هذه ، بعد موت أبيه وكفله وولاه مدينة استجه ثم تولى بعد ذلك مرسية وبلنسية . أنظر . (نظم الجمان تحقيق د . محمود مكى ، هـ٣ ، ص ٢٢٠ - ٢٢١) .

(٢) حول موقعة افراغة انظر : ابن الاثير ، جـ ٨ ، ص ٣٥١ ، ابن القطان ، ص ٢١٨ ، ٢٢٣، ابن عذارى ، نفسه ، جـ٤ ، ص ٩٣ ، سالم ، المغرب الكبير ، ص ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، مؤنس معالم المغرب والاندلس ، ص ٢٧٦ ، عنان ، نفسه ، ص ١٢١ - ١٢٥

Cronica de Aragon. n, p. 18, Codera, op. cit, pp. 17-19 & Bosch vila, op. cit, pp.. 240 - 241.

(٣) انظر . ابن عذارى ، نفسه ، جـ٤ ، ص ٨٩ ، الحلل الموشية ، ص ١٢٢ ، آعمال الاعلام ، ق٣ ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ ، عنان ، عصر المرابطين ق١ ، ص ١٣٨ - ١٣٩

وفي أواخر عهد علي بن يوسف أخذت دولة المرابطين تسير سريعا نحو الاضمحلال والتدهور بسبب الهزائم المتوالية التي تكبدها المرابطون على أيدي الموحدين في الوقت الذي تعرضت فيه البلاد لغارات الممالك المسيحية في الشمال والغرب ، مما ترتب عليه اختلال الأمن في الأندلس ، وأثر ذلك بالتالي على الأوضاع الاقتصادية بصفة عامة . وقد آثار ذلك سكان المدن على المرابطين فقامت الفتن والاضطرابات في كل مكان ، ويصور ابن عذاري تلك الحالة بقوله « اتصلت الحروب ببلاد اللثام (أي في بلاد المغرب بين المرابطين والموحدين) وغلت الاسعار . وقلت الجابي بهذه الفتن ، وكثرت اللوازم على الرعايا بالعدوتين ، وألح العدو النصراني بالضربات على جميع جهات الاندلس حين علموا عجز الامارة بالمغرب [١] » .

وفي سنة ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م أصدر أمير المسلمين علي بن يوسف مرسوما بولاية العهد لابنه تاشفين ، وأخذت له البيعة في المغرب والاندلس ، ونقش اسمه على الدنانير والدراهم ، ثم توفي علي بن يوسف بمراكش في ٥٣٧ هـ / ١١٤٢ م وخلفه ابنه تاشفين بن علي ، ودولة المرابطين في دور الاحتضار [٢] .

٣ - الأندلس في عهد تاشفين بن علي وانهيار دولة المرابطين :

تولى تاشفين الامارة في ظروف غير مواتية ، فقد كانت الهزائم تتلاحق على جيوشه بالمغرب على أيدي الموحدين ، الذين بسطوا سلطانهم على المغرب الأوسط ومناطق واسعة من المغرب الاقصى وحاول تاشفين بشتى الطرق وقف تقدمهم دون جدوى ، ثم دارت المعركة الحاسمة بين الطرفين قرب تلمسان (٥٣٩

---

(١) انظر . ابن عذاري . نفسه ، القسم الموحدي ، نشر ميراند ، ص ١٢ ، الحلل الموشية ، ص ٨٨ - ٨٩ .

(٢) المراكشي ، المعجب ، ص ٢٧٠ - ٢٧١ ، ابن القطان ، ص ٢٤٥ ، ابن عذاري ، جـ٤ ، ص ٩٧ - ٩٨ ، ابن أبي زرع ، ص ١١٥ ، أعمال الاعلام ق٣ ، ص ٢٥٦ ، سالم ، نفسه ، ص ٧٤٢ ، عنان ، نفسه ، ص ١٤٦ .

هـ / ١١٤٤ م) وانتهت بهزيمة المرابطين وفرار تاشفين إلى وهران ومقتل قائده الربرتير [١] .

وتعقب الموحدون الأمير تاشفين إلى وهران ، وأحاطوا به من كل ناحية ، وحاول تاشفين اختراق الحصار أثناء الليل ، ولكنه سقط صريعا من جبل عالٍ عند وهران وذلك فى ٢٧ رمضان ٥٣٩ هـ (١١٤٥ م) [٢] .

وكان أمير المسلمين قبيل مصرعه قد أوصى بولاية العهد من بعده لابنه إبراهيم، فتمت مبايعته بمراكش وسط ظروف غاية فى الدقة والحرج لم تشهد دولة المرابطين مثيلا لها منذ قيامها . ورغم ذلك حدث انشقاق وخلاف داخل أسرة بنى تاشفين ، حيث رفض إسحاق بن على مبايعته ابن أخيه ، وخرج عليه ودعا لنفسه بالإمارة ، واشتد التنازع بين الطرفين داخل العاصمة مراكش . فى الوقت الذى استولى فيه الموحدون على فاس ومكناسة وسلا فى سنة ٥٤٠ هـ/ ١١٤٦ م ، وبدأوا يتجهون

(١) راجع تلك الحوادث بالتفصيل في : ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ١٩٣ - ١٩٥ ، رقم ١٤١ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الخاص بالموحدين ، ص ١٦ ، ابن أبى زرع ، ص ١١٥ ، أعمال الاعلام ق٣ ، ص ٢٦٣ ، ابن خلدون ، الـ ، جـ٦ ، ص ١٨٩ ، الحلل الموشية ص ٩٨ - ٩٩ ، سالم المغرب الكبير ، ص ٧٨٢ - ٧٨٣ ، عنان ، عصر المرابطين ، ق ١ ، ص ٥٤ ، ٢٥٥ ، Codera, Decadencia, p. 27. أما الربرتير (Reverter) المذكور بالمتن فهو من قواد القطلانيين أسره أمير البحر المرابطى على بن ميمون وسيق إلى مراكش حيث اعتنق الإسلام وعمل فى خدمة أمير المسلمين على بن يوسف ثم ابنه تاشفين وأبلى فى قتال الموحدين بالغرب بلاء حسنا إلى أن سقط قتيلا قرب تلمسان سنة ٥٣٩ هـ . أنظر عنه (الحلة السيراء ، جـ٢ هـ٢ ص ١٩٣ ، نظم الجمان هـ١ ص٩٦ ، البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ١٦) .

(٢) عن مقتل تاشفين بن على أنظر : المراكشى ، المعجب ، ص ٢٧٠ ، ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ١٩٥ رقم ١٤١ ، البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ١٦ - ١٧ ، روض القرطاس ، ص ١١٥ - ١١٦ ، الحلل الموشية ، ص ١٠٠ ، أعمال الاعلام ، ق.٣ ، ص ٢٦٤ ، سالم، المغرب الكبير ص ٧٨٣ ، عنان ، نفسه ، ق١ ، ص ٢٥٥ ،

Codera, op. cit, p. 31 & H. Miranda, Hist., Musul., de valencia, t. III, p. 101.

صوب العاصمة المرابطية نفسها [1] .

واستغل الأندلسيون تلك الفرصة المواتية ، وأشعلوا نيران الثورة ضد المرابطين في جميع أنحاء الأندلس . وأعلن كل ثائر استقلاله بمنطقة ، ودخلت البلاد بذلك في طور جديد من أطوال دويلات الطوائف . ومن هؤلاء الثوار ابن قسي [2] الذى ثار بغرب الأندلس وادعى الهداية وتسمى بالإمام ، وانضم إليه بعض الثوار أمثال ابن وزير [3] بباجة وابن المنذر [4] بشلب ، كما أعلن الثورة كل من

---

(١) أنظر : البيان المغرب ، جـ٤ ، ص ١٠٥ ، الحلل الموشية ، ص ١٠٠ ، أعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٦٤ ، العبر ، جـ٤ ، ١٠٥ ، الحلل الموشية ، ص١٠٠ ، أعمال الأعلام ، ق٣ ، ص٢٦٤ ، العبر ، جـ٦ ، ص١٨٩ ، سالم ، المغرب الكبير ، ص٧٨٣ ـ ٧٨٥ ، عنان ، نفسه ، ٢٥٥ .

(٢) ابن قسي : هو أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسي ، من أصل أسباني مسيحي ، نشأ بشلب واشتغل بالشئون المالية ثم ما لبث أن تزهد وتصدق بماله وادعى الهداية وتسمى بالإمام ، وتبعه الكثير من أهل غرب الأندلس وسماهم المريدين ، غير أن بعض أعوانه ثاروا عليه فاضطر للهرب ولجأ إلى الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على بالمغرب فعفا عنه وأكرمه انظر (الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ١٩٧ – ٢٠٠ رقم ١٤٢ ، أعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٨٥ – ٢٨٩ ،

Codera, op. cit, pp. 33 - 52.

(٣) ابن وزير : هو أبو محمد سيد راى بن عبد الوهاب بن وزير ، من زعماء الثورة على المرابطين في غرب الأندلس وأحد أتباع ابن قسى ، ثم خرج عليه وأدى ذلك إلى تمزق دعوة المريدين . وقد تمكن ابن وزير من الإستيلاء على شلب وميرتلة وأعلن الدعوة للقاضي ابن حمدين زعيم الثورة بقرطبة إلى أن قضى الموحدون على ثورته وأخضعوا غرب الأندلس . انظر (البيذق ، أخبار المهدى ، ص ١٦١ ، الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٢٠٣ – ٢٠٧ رقم ١٤٣ ، أعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٨٦ – ٢٨٨ ، سالم ، المغرب الكبير ، ص ٧٤٢ ، علام ، الدولة الموحدية ، ص ١٤٧ – ١٥٣ ،

Codera, op. cit, p. 52.

(٤) ابن المنذر : هو أبو الوليد محمد بن عمرو بن المنذر ، من أعيان شلب ، انضم الى ثورة ابن قسى ضد المرابطين ، ثم دخل فى حرب ضد ابن وزير انتهت بهزيمته واعتقاله بباجة إلى أن دخلها الموحدون فأطلقوا سراحه ودخل فى طاعتهم . انظر (الحلة ، جـ٢ ، ص ٢٠٢ – ٢٠٨ ، أعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٨٩) .

ابن عزون بشريش [١] وابن حمدين [٢] بقرطبة وأخيل بن إدريس [٣] في رندة وابن جزى [٤] بجيان وابن ميمون [٥] بقادس وابن الحجام [٦] ببطليوس ويوسف البطروجي [٧] في لبلة والقاضى ابن حسون [٨] بمالقة وابن عبد العزيز [٩] بلنسية ثم

---

(١) ابن عزون : هو أبو الغمر السائب بن عزون ، من القائمين بدعوة ابن حمدين في شريش . انظر (البيذق ، أخبار المهدى ، ص ١٦١ ، الحلة السيراء جـ٢ ، ص ٢٤١ - ٢٤٢ رقم ١٤٨) .

(٢) ابن حمدين : هو أبو جعفر بن محمد بن على بن حمدين التغلبي القرطبي ولي قضاء الجماعة بقرطبة سنة ٥٢٩ هـ ثم أعلن الثورة على المرابطين في سنة ٥٣٩ هـ عندما بلغته أنباء ثورة ابن قسي بغرب الأندلس ، وتسمى بأمير المسلمين المنصور بالله ودعيله على منابر قرطبة وكثير من المنابر الأندلسية ، ولكن ولايته لم تطل ، وتوفى بمالقة سنة ٥٤٨ هـ . انظر : (البيذق ، نفسه ، ص ١٦٠ ، ابن القطان ، ص ٢١٧ هـ٢ ، ابن الابار ، التكملة ، جـ١ ، ص ٣٨ - ٣٩ ، رقم ١١٩ ، النباهى المالقى ، تاريخ قضاة الأندلس المعروف بالمرقبة العليا ، ص ١٠٣ ، Codera, op. cit, p. 52.

(٣) هو أبو القاسم أخيل بن إدريس الرندى ، أستبد بحكم بلده رندة وتوفى بإشبيلة سنة ٥٦٠ أو ٥٦١ هـ . أنظر (الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٢٤١ - ٢٤٣ رقم ١٤٨) .

(٤) هو يوسف بن عبد الرحمن بن جزى ، من الثائرين بجيان ، توفى سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م انظر : (أعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٩٨) .

(٥) هو على بن عيسى بن ميمون ، من أسرة بنى ميمون الشهيرة في قيادة الأساطيل البحرية ، وكان من أمراء البحر في العصر المرابطي ، واستقل بحكم قادس عند انهيار دولة المرابطين ، وأعلن الطاعة للموحدين في سنة ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م . انظر عن بني ميمون (ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ٤ ، ص ٦٦ ، ٦٧ ، نص جديد من البيان المغرب ، نشر عبد القادر زمامة ، مجلة المعهد المصرى بمدريد ، رقم ٢٠ ، سنة ١٩٧٩ - ١١٨٠ ، ص ٨٣ ، سالم ، المغرب الكبير ، ص ٧٤٢) .

(٦) هو محمد بن على بن الحجام ، من الثائر بن ببطليوس . أنظر (البيذق) أخبار المهدى ، هـ٤ ص ١٦١ ، نص جديد من البيان المغرب ، ص ٩٥ ، سالم ، نفسه ، ص ٧٤٢) .

(٧) هو يوسف بن أحمد البطروجى ، من الثائرين في لبلة . انظر (البيذق) هـ ٣ ، ص ٦٦١ ، نص جديد من البيان المغرب ، ص ٨٤) .

(٨) هو أبو الحكم الحسين بن الحسين بن عبد الله بن حسون ، قاضى مالقة ورئيسها في الفتنة . انظر (ابن الابار ، التكملة ، جـ١ ، ص ٣١ رقم ٨٥ ، اعمال الاعلام ، ق٣ ، ٢٩٣ - ٢٩٤) .

(٩) هو أبو عبد الله مروان بن عبد الله بن عبد العزيز قاضى بلنسية وأميرها في الفتنة عند إنهيار الدولة المرابطية ، وتوفى بمراكش سنة ٥٧٨ هـ . أنظر (ابن الأبار ، المعجم ، ص ١٩٩ ، رقم ١٧٢ ، الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٢١٨ - ٢٢٦ ، رقم ١٤٥) .

خلفه ابن عياض [1] ثم محمد بن سعد بن مرونيش [2] الذى ضم مرسية إلى ملكة ، ومن الثوار كذلك ابن ملحان [3] بوادى آش والقاضى ابن عاصم [4] بأوريولة ، أما المرية فتولى حكمها ابن الرميمى [5] بتقديم أهلها وذلك قبل أن تسقط فى يد

---

(١) هو عبد الله بن عياض ، كان يحكم مرسية فى الفتنة التى نشبت عند انهيار دولة المرابطين وذلك باسم سيف الدولة بن هود ، عندما خلع أهل بلنسية واليهم مروان بن عبد العزيز استدعوه لحكمها ، فأرسل إليهم صهره عبد الله بن مردنيش نائبا عنه . وقد قتل ابن عياض فى إحدى المعارك سنة ٥٤٢ هـ . أنظر (أعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩ ،

Codera, op. cit, pp . 108 - 11o

(٢) هو محمد بن سعد بن مردنيش الجذامى ، من أخطر الثائرين الذين ظهروا بشرق الأندلس عند انهيار دولة المرابطين وبداية عصر الموحدين ، أصله أسبانى ، ويبدو أن جده مردنيش هذا دخل ولاء الجذاميين فانتسب إليهم ، والغالب أن اسمه Martinez ، وكان محمد ابن سعد بن مردنيش يتشبه بالنصارى فى هيئته ولباسه وسلاحه ويتكلم لغتهم بطلاقة ، كما استخدم الكثير من المرتزقة النصارى فى جيشه وتسميه المصادر الاسبانية El rey lobo أى الملك الذئب . أنظر عنه (الحلة السيراء ، جـ٢ ، هـ١ ص ٢٣٢ ، أعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٩٨ - ٣٠٠ ،

Codera, op. cit, pp . 111 - 115 & H. Miranda, Hist., musul., de Valencia, t. III. pp. 112 - 113).

(٣) هو أحمد بن محمد بن ملحان الطائى ، ثار بوادى آش ودعا لنفسه بهما واستولى على قصبته المدينة وتلقب بالمتأيد بالله ، ظل بها إلى أن استولى عليها ابن مردنيش وضمها إلى ملكة فى سنة ٥٤٦ هـ ، فعبر البحر إلى المغرب والتحق بخدمة الموحدى عبد المؤمن بن على . انظر (البيذق ، نفسه ، ص ١٦٢ ، أعمال الاعلام ، ق٢ ، ص ٣٠٤ ، سالم ، المغرب الكبير ، ص ٧٤٣ ، علام ، الدولة الموحدية ، ص ١٦٠ - ١٦١) .

(٤) هو أحمد بن عبد الرحمن بن على بن عاصم قاضى أوريولة ، ومن ذوى الحسب والنباهة فيها ، تولى حكم بلده أثناء فترة إنهيار دولة المرابطين . أنظر (اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٩٧ - ٢٩٨) .

(٥) هو أحمد أبو يحيى عبد الله بن محمد المعروف بابن الرميمى ، من أعيان المرية وذوى الرأى والنباهة فيها ، تولى حكم بلده المرية عند إنهيار الدولة المرابطية ، واستمر فى الحكم إلى أن دخلها النصارى فى سنة ٥٤٢ هـ . انظر (المراكشى المعجب ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ ، ابن الأبار ، التكملة ، جـ٢ ، ص ٧٣٢ ، رقم ٢٠٧٦ ، سالم ، نفسه ، ص ٧٤٣ ،

Codera, op. cit, p. 135 .

الفونسو السابع [1] ملك قشتالة وحلفائه من جنوة وبيشة (بيزة) فى سنة ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م [2] .

وبينما كان الثوار فى الأندلس يعترفون بتبعيتهم لعبد المؤمن بن على خليفة الموحدين - منذ عام ٥٤٩ هـ / ١١٤٤ م حتى أواخر ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م ، التى ثبت فيها سلطان الموحدين على جنوب الأندلس وجنوبها الغربى - كانت قوات الموحدين فى المغرب تحاصر مراكش منذ المحرم سنة ٥٤١ هـ وتقتحم أسوارها فى شوال من نفس السنة وتقضى على آخر رمز لدولة المرابطين ممثلا فى الأمير إبراهيم بن تاشفين ، وبمقتله ينقرض أمراء الدولة المرابطية [3] .

ومما لاشك فيه أن فترة حكم المرابطين للأندلس رغم قصرها ورغم اشتغال المرابطين بالقتال فى جميع الجبهات ، كانت من أزهى عصور الأندلس من الوجهة الاقتصادية فقد نعمت البلاد خلالها - خاصة فى عهد يوسف والنصف الأول من عهد ابنه على - بفترة من الأمن والهدوء والطمأنينة والازدهار فى جميع مناحى الحياة مما كان له أعظم الأثر فى تنشيط الحركة الاقتصادية .

---

(١) الفونسو السابع هو الفونسو رايموندث Alfonso Raimundez ويعرف فى المصادر الإسلامية بالطاغية أذفونش بن رمند السليطن (تصغير السلطان) ولى عرش قشتالة سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م عند وفاة أمه أراكة Urraca ابنة الفونسو السادس ، وكان لا يزال صغيرا ، ولذا عرف بالسليطين . انظر (نظم الجمان ، هـ ١ ص ١١٣ ، الحلة السيراء ، جـ٢ ، هـ١ ، ص ٢٤٩) .

(٢) عن تفاصيل إنهيار دولة المرابطين وقيام الثورات فى الأندلس وسقوط المرية فى يد النصارى ، راجع : (ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ١٧ ، حسين مؤنس ، نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد ، ١٩٥٥ م ، ص ٩٩ - ١٠٢ ، H. Mirandn, Hist., musul., de Valencia, t. III ,pp., 102 - 131)

(٣) عن نهاية الدولة المرابطية راجع التفصيلات فى : ابن عذارى ، نفسه ، جـ٤ ، ص ١٠٨ ، الحلل الموشية ، ص ١٠٢ - ١٠٤ ، الزركشى ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية طبعة تونس ، ١٢٨٩هـ ، ص ٨ ، سالم ، المغرب الكبير ، ص ٧٨٥ - ٧٨٧ ، عنان ، عصر المرابطين ، ق ١ ، ص ٢٦٠ - ٢٦٥ ، Codera, Decadencia, pp. 66 - 67 .

ثانيا : الأوضاع السياسية فى الأندلس فى عصر دولة الموحدين

١ - فى عهد الخليفة عبد المؤمن بن على :

كان هدف الخليفة عبد المؤمن الرئيسى تأسيس إمبراطورية مترامية الأطراف تضم بلاد المغرب كلها وما تبقى من أراضى الإسلام فى الأندلس ، وقد نجح الموحدون فى السيطرة على عدد كبير من قواعد الأندلس الجنوبية مثل إشبيلية وشريش [١] وبطليوس وميرتله [٢] وقادس وقرطبة فى نفس الفترة التى أسقطوا فيها دولة المرابطين فى المغرب ، ولم يحل عام ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م حتى كانت معظم مدن الأندلس الجنوبية قد أعلنت وبايعتها لعبد المؤمن بن على ودخوله فى طاعة الموحدين [٣] . أما المرية فكانت قد سقطت فى أيدى المسيحين منذ سنة ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م ، ولم يتمكن الموحدون من استردادها إلا بعد عشر سنوات فى سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م [٤] . أما

---

(١) تقع مدينة شريش Jerez بكورة شذونة فى منطقة جنوب غرب الأندلس ، ويصفها الإدريسى بأنها مدينة متوسطة حصينة بسورة الجنبات . (الإدريسى ، ص ٢٠٦) .

(٢) ميرتلة أو مارتلة Mertola : تقع بكورة أكشونية فى غرب الأندلس ، على ضفة نهر يانة وتشتهر بالمنعة والحصانة . انظر (الادريسى ، ص ١٧٩ ، مجهول ، جغرافية الأندلس ، نشر لويس مولينا ، مدريد ١٩٨٣ ، ص ١١ .)

(٣) عن خضوع المدن الأندلسية للموحدين أنظر : ابن الأثير ، الكامل جـ ٩ ، ص ١٤ ، المراكشى ، المعجب ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ ، روض القرطاس ص ١١٣ - ١٣٥ ، الحلل الموشية ، ص ١١١ - ١١٢ . ابن خلدون ، العبر جـ ٦ ، ص ٢٣٤ - ٢٣٧ ، السلاوى . الاستقصا ، جـ ٢ ، ص١٠٤ - ١١١ ، المقرى ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، جـ ١ ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٤٩ ، ص ٤١٧ ، سالم ، المغرب الكبير ، ص ٧٨٧ - ٧٩١ ، عنان ، عصر المرابطين ، ق ١ ، ص ٣٢٥ - ٣٣٥ ، مؤنس ، معالم ص ٣٧٧ ،

Huici miranda, Historia politica del imperia Almohade, pp. 156 - 157 .

(٤) عن سقوط المرية فى يد النصارى وإسترداد الموحدين لها ، أنظر : ابن الأثير ، نفسه ، جـ ٩ ، ص ١٧ ، روض القرطاس ، ص ١٣٦ ، مجموع رسائل موحدية ، نشر ليفى بروفنسال ، ص ٧١ - ٧٩ ، سالم ، نفسه ، ص ٧٩١ ، سالم ، تاريخ المرية قاعدة الأسطول فى الأندلس ، الاسكندرية ١٩٨٤ ، ص ٩٥ - ٩٧ ، عنان ، نفسه ، ق ١ ، ص ٣٤٦ - ٣٤٧ ، Codera, op. cit, pp. 135 - 137

شرق الأندلس فقد كان مستقلا : فالجزائر الشرقية (جزر البليار) كانت تابعة لبني غانية [1] المرابطين ، وظلت تحتفظ بإستقلالها حتى تمكن الخليفة محمد الناصر من الإستيلاء عليها في سنة ٥٩٩ هـ / ١٢٠٣ م . وأما بلنسية وسائر شرق الأندلس فقد استقل بها محمد بن سعد بن مردنيش ، الذى رفض الدخول فى طاعة الموحدين وتحالف مع النصارى ضدهم ، وظل شوكة فى ظهر الدولة الموحدية بالأندلس وخطراً كبيراً عليهم طوال عهد الخليفة عبد المؤمن وأوائل عهد ابنه يوسف بن عبد المؤمن [2] .

---

(١) لعب بنو غانية دورا هاما في حوادث شرق الأندلس عامة والجزر الشرقية بصفة خاصة وذلك فى العصر المرابطى والموحدى . وهم ينتمون إلى قبيلة مسوفة وجدهم على المسوفى كان من المقربين لدى يوسف بن تاشفين الذى زوجه إمرأة من أهل بيته تدعى غانية وإليها ينتسبون ، وهى التى ولدت يحيى ومحمدا ، فالأول وهو يحيى بن محمد بن غانية صاحب النصر الكبير على ألفونسو المحارب في وقعة إفراغة سنة ٥٢٨ هـ وكان يتولى شرق الأندلس في عهد على بن يوسف ، والآخر وهو محمد فكان يتولى الجزر الشرقية منذ سنة ٥٢٠ هـ وخلفه ابنه عبد الله ثم إسحاق بن محمد الذى عاصر الموحدين وسبب لهم الكثير من الإزعاج والمتاعب واشتهر بغزواته للسواحل المسيحية فى غرب البحر المتوسط وتوفى ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م وخلفه ابنه على ثم يحيى بن اسحاق ثم عبد الله بن إسحاق وهو آخرهم ، ولم يتمكن الموحدون من إخضاع الجزر الشرقية والقضاء على دولة بنى غانية بها إلا في سنة ٥٩٩ هـ / ١٢٠٣ م فى عهد الخليفة الناصر . أنظر (المراكشى المعجب ، ص ٢٤٢ - ٣٥٢ ؛ نظم الجمان ، تحقيق د. محمود مكى ، هـ ٣ ، ص ٢٢٠ ، ابراهيم حركات النظام السياسى والحربى فى عهد المرابطين ، ص ٢٠٨ - ٢١١ ،

Coidera , op. cit , pp. 271 , 392 & Alfred Bel , les benou Ghanua, [Pdris , 1903 , pp. 1-19) .

(٢) عن إبن مردنيش وصراعه ضد الموحدين راجع التفصيلات فى (المن بالامامة ، ص ١١٥ - ١١٨ ، ابن الأثير ، جـ ٩ ، ص ٧٨ - ٧٩ ، ابن عذارى ، القسم الخاص بالموحدين ، ص ٤٩ - ٥٣، روض القرطاس ، ص ١٣٦ - ١٣٨ ، أعمال الاعلام ق ٢ ، ص ٩٨ - ٣٠٠ ، سالم ، المغرب الكبير ، ص ٧٩٠ - ٧٩١ ، محمد أبو الفضل ، شرق الأندلس فى عصر الموحدين ، رسالة الدكتوراه غير منشورة نوقشت بآداب الاسكندرية ، ١٩٨٠ ، ص ٨٣ - ١١٢ ،

Codera , op. cit , pp.111 - 135 & H. Miranda, His., politica, pp. 197 - 205 .)

وفى سنة ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م دخل الموحدون غرناطة بعد أن خرج عنها واليها المرابطى ميمون يدر اللمتونى (١) ، ثم بدأ الموحدون يهتمون بتحصين ثغور الأندلس ، فأمر الخليفة عبد المؤمن بن على فى سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م ببناء مدينة جبل طارق وتحصينها ، ثم عبر البحر فى نفس السنة ونزل بجبل طارق (جبل الفتح) حيث قام بتنظيم شئون الأندلس وترتيب النواحى الإدارية فيها وتوزيع الحاميات الموحدية على مختلف المناطق وتعيين ولاتها ، واتخذ الموحدون إشبيليه قاعدة لهم فى الأندلس ومقراً لنزول خلفاء الموحدين . ومن الجدير بالذكر أنه وفدت على الخليفة عبد المؤمن أثناء إقامته بجبل وفود أندلسية من وجهاء المدن الأندلسية المختلفة لتجديد بيعتهم له حيث أجزل لهم العطاء (٢)، ويذكر ابن عذارى أن الخليفة عبد المؤمن « لم ينفصل من الأندلس حتى مهدها ورفق برعيتها ، فاستقامت بذلك الأمور للموحدين (٣) » .

وفى أوائل ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م وقبيل عودة الخليفة عبد المؤمن إلى المغرب أمر بغزو منطقة غرب الأندلس ، فسار إليها الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبى حفص من قرطبة فى جيش كبير من الموحدين ، ففتح حصن أطرنكش من أحواز بطليوس وقتل جميع من كان به من النصارى ، كما تمكن فى نفس السنة من استرجاع بطليوس وباجة (٤) ويابرة وحصن القصر (٥) .

---

(١) انظر . روض القرطاس ، ص ١٣٧ ، العبر ، جـ ٦ و ص ٢٣٦ – ٢٣٧ ، عنان ، نفسه ق ١ ، ص ٣٤٥ ، سالم نفسه ، ص ٧٩٠ ،

H. Miranda, op. cit, pp. 156 - 157 .

(٢) انظر . المن بالامامة ، ص ١٣٧ – ١٤٢ ، ١٤٩ – ١٥٠ ، المعجب ، ص ٢٩٣ ، البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ٤٢ – ٤٣ ، روض القرطاس ، ص ١٤٠ ، أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٣٠٩ .

(٣) البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ٤٦ ، روض القرطاس ، ص ١٤١ .

(٤) باجة (وبالأسبانية Beja) : تقع قرب ماردة بمنطقة غرب الأندلس ، وهى حاليا من مدن البرتغال . انظر (مجهول ، جغرافية الأندلس ، ص ٥٥ – ٥٦) .

(٥) انظر روض القرطاس ، ص ١٤١ ، سالم ، المغرب الكبير ، ص ٧٩٢ ، عنان ، نفسه ، ق١ ، =

وعاد الخليفة عبد المؤمن إلى مراكش (٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م) فى الوقت الذى نشب صراع شديد بين أبن مردنيش وابن همشك [١] وحلفاء من النصارى بقيادة الأقرع [٢] وبين الموحدين بقيادة أبى سعيد عثمان بن عبد المؤمن والى غرناطة عند فحص غرناطة فى موضع يعرف بمرج الرقاد [٣] ، وانتهى بهزيمة نكراء للموحدين ولوا على أثرها الأدبار [٤] ، غير أن ابن مردنيش ومن معه من النصارى فشلوا فى الإستيلاء على قصبة غرناطة . وعندما علم الخليفة عبد المؤمن بأنباء تلك

= ص ٣٤٥ أما حصن القصر فيقصد به قصر أبى دانس (Alcçer do sal ويقع إلى الشمال الغربى من باجة وإلى الجنوب من أشبونة بمنطقة غرب الأندلس . انظر (الادريسى ، ص ١٧٥) .

(١) هو أبو إسحاق ابراهيم بن مفرج بن همشك ، من معاونى ابن مردنيش وصهره ، وكانت قاعدة حكمه مدينة شقورة بكورة جيان . أما اسم همشك فهو لقب أطلق على جده ، وكان من جند بنى هود أصحاب سرقسطة وهو أسبانى مكون من كلمتين He Mochico ويعنى فى القشتالية الثور الذى قطع قرناه أو الذى لا قرن له ، كما تقال للرجل الذى قطع أذنه ، ومعنى الاسم إذن : هذا هو المصلوم الأذن . وكان إبراهيم بن همشك هذا يضرب به المثل فى السطوة والقتل ، وقد اختلف مع صهره ابن مردنيش وخرج عليه ودخله فى طاعة الموحدين سنة ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م فى عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن . انظر (ابن الأبار ، الحلة السيراء جـ٢ ، هـ ١ ، ص ٢٥٨ ، ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، جـ ٢ ، تحقيق د . شوقى ضيف ، ص ٥٢ ترجمة رقم ٣٦٤ ،

Codera, op. cit, pp. 116 - 117 .

(٢) هو البار ردريجس (Alvar Rodriguez) حفيد البرهانس القائد القشتالى الشهير وكان يعرف فى المصادر الإسلامية بمدار الأقرع . انظر (ابن صاحب الصلاة المن بالامامة ، هـ ١ ، ص ١٩١ ، روض القرطاس ، ص ١٣٨ ، عنان ، نفسه ، ق ١ ، ص ٣٨٧) .

(٣) يقع مرج الرقاد بفحص غرناطة (بالأسبانية Vega de Granada) ، وهو السهل الأخضر الذى تشرف عليه مدينة غرناطة ، ومرج الرقاد يقع بالتحديد على مسافة أربعة كيلو مترات من قرية الطرف الحالية قرب مجرى نهر شنيل ويسمى الآن Ma jarrocal . أنظر (المن بالامامة ، هـ ٢ ، ص ١٩٢ ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، هـ١ ، ص ٢٥٩) .

(٤) عن وقعة مرج الرقاد انظر : المن بالامامة ، ص ١٨٨ - ١٩٣ ؛ البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ٥٠ ؛ روض القرطاس ، ص ١٣٨ ، أعمال الاعلام ، ق٢ ، ص ٣٠١ ؛ سالم ، المغرب الكبير ، ص ٧٩٦ ؛ عنان نفسه ، ق ١ ، ص ٣٨٧ - ٣٨٨ ،

Huici Miranda, Hist., politica, pp. 197 - 200.

الهزيمة التي حاقت بالموحدين ، أرسل جيشا كبيرا يقوده أبو يعقوب يوسف إبنه وولى عهده ، فأوقع بابن مردنيش وابن همشك هزيمة شديدة عند جبل السبيكة على مقربة من وادى شنيل بظاهر غرناطة ، وفيها لقى مدار الأقرع (البارديجس) حليف ابن مردنيش مصرعه كما قتل عدد كبير من أتباعه ودخل الموحدون غرناطة ظافرين يوم الجمعة ٢٨ رجب ٥٥٧ هـ / ١٣ يوليو ١١٦٢ م [١] .

وفي سنة ٥٥٨ هـ / ١١٦٣ م أصيب الخليفة عبد المؤمن بمرض توفى على أثره فى ليلة الجمعة العاشر من جمادى الآخرة سنة ٥٥٨ هـ (١٥ مايو ١١٦٣ م) وخلفه إبنه يوسف بن عبد المؤمن . وهكذا يرجع الفضل الأعظم إلى عبد المؤمن فى تأسيس الدولة الوحدية الكبرى التى امتدت من إفريقية حتى المحيط الأطلسى بالاضافة الى إسبانيا الإسلامية ، ولذا فهو يعتبر المؤسس الحقيقى لتلك الدولة التى كان لها أعظم الأثر فى مواصلة الجهاد الذى بدأه المرابطون ضد النصارى الأسبان ، وبالتالى المحافظة على الكيان الاسلامى فى الأندلس لفترة امتدت نحوا من قرن من الزمان [٢] .

٢ - فى عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن :

خلف يوسف بن عبد المؤمن أباه عقب وفاته ، وقد واجهت دولة الموحدين فى خلافه مشكلات خطيرة فى الأندلس أبرزها الصراع ضد ابن مردنيش فى شرق

---

(١) حول موقعة السبيكة انظر : ابن صاحب الصلاة ، ص ١٩٥ - ٢٠٣ ، ابن الأثير ، جـ ٩ ، ص ٧٨ - ٧٩ ؛ ابن عذارى ، القسم الموحدى ، ص ٥٢ - ٥٣ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٣٠١ ، ابن خلدون ، جـ ٢ ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨ ، سالم ، نفسه ، ص ٧٩٦ ، عنان ، نفسه ، ص ٣٨٩ - ٣٩٠ ،

H. Miranda, Hist., politica, pp. 202 - 205 .

(٢) ابن صاحب الصلاة ، ص ٢٣١ ، المراكشى ، المعجب ، ص ٣٠٦ ، ابن الأثير جـ ٩ ، ص ٨١ ؛ ابن عذارى ، القسم الموحدى ، ص ٥٦ - ٥٨ ؛ روض القرطاس ص ١٤٣ ، عنان ، نفسه ، ق ١ ، ص ٣٩٤ - ٣٩٥ ، سالم ، نفسه ، ص ٧٩٦ ،

H. Miranda,op. cit ., p. 208 .

الأندلس ، ونشاط حركة الاسترداد البرتغالي على أيام الفونسو إنريكيث (Alfonso Enriguez) ملك البرتغال المعروف في الرواية الإسلامية بابن الريق ويعرف أيضا بابن الرنق أو ابن الرنك) وحليفه المغامر البرتغالي جراندة الجليقي المعروف في المصادر البرتغالية بخير الدور الباسل (Geraldo Sempavor) [1] .

وفيما يتعلق بالصراع ضد ابن مردنيش فقد نشبت معركة عنيفة في بداية عهد الخليفة يوسف بين جيش الموحدين وبين قوات ابن مردنيش بفحص مرسية في موضع يعرف بفحص الجلاب في ٧ ذى الحجة سنة ٥٦٠ هـ (١٥ أكتوبر ١١٦٤ م) وفيها دارت الدائرة على ابن مردنيش وترض لهزيمة ساحقة هلك فيها معظم عسكره، بينما ارتد هو وفلول جيشه إلى مرسية وتحصن بداخلها وكانت تلك الهزيمة ضربة قاصمة لابن مردنيش تسببت في تضعضع قوته وانهيار سلطانه في فترة وجيزة [2] .

ومما زاد في سوء أحوال ابن مردنيش وانهيار سلطانه في شرق الأندلس خروج صهره ابن همشك عليه وانضمامه إلى الموحدين ودخوله في طاعتهم سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م ، يضاف إلى ذلك سخط أهالي شرق الأندلس على ابن مردنيش بسبب استعانته بالمرتزقة النصارى وتحالفه مع ملوكهم ضد المسلمين وتقديمه الجزيات لهم كسبا لصداقتهم وموادعتهم ، وقد اثقل بذلك على رعاياه بالضرائب والمغارم الفادحة ،

---

(١) انظر . المن بالامامة ، ص ٢٣١ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ٨١ ، ابن عذارى ، نفسه ، القسم الموحدي ، ص ٥٨ ، ابن ابي زرع نفسه ، ص ١٤٧ ، ابن سماك العاملي ، الحلل الموشية ، ص ١١٩ ، الزركشي ، تاريخ الدولتين ، ص ١٣ ، المقرى ، نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ١١٢ ؛ سالم ، المغرب ، الكبير ، ص ٧٩٧ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، ق ٢ ، ص ١١ ؛ الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ص ٤٥٩ ، مؤنس ، معالم ص ٢٧٨ ،

H. Miranda, Hist., politica, p. 208 .

(٢) عن وقعة فحص الجلاب راجع التفصيلات في : المن بالامامة ، ص ٢٦٩ - ٢٧٤ ؛ روض القرطاس ، ص ١٤٨ ، أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٣٠١ ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٢٢٨ ، سالم ، نفسه ، ص ٧٩٨ ، عنان ، نفسه ، ق ٢ ، ص ١٦ - ١٨ ،

H. Miranda, Historia musul., de valencia, t. III, pp. 157 - 158 .

واستخدم في جبايتها الأساليب الوحشية [1] .

وفي رجب سنة ٥٦٥ هـ / مارس ١١٧١ م اتجه جيش الموحدين نحو أراضي ابن مردنيش ، فاستولى على بعض قواعد مثل قيجاطة (Quesada) شرقي جيان ، كما استولى على قصبة لورقة Lorca وإلش Elche وبسطة Baza وشقر Júcar ، وعجز ابن مردنيش عن وقف تقدم الموحدين ، فاتجه إلى مرسية بعد أن أصابه المرض ، في الوقت الذي أعلن فيه ابن عمه محمد بن مردنيش [2] والي المرية — ويعرف بابن صاحب البسيط [3] دخوله في طاعة الموحدين ، ولم يلبث ابن مردنيش أن توفي في سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧٢ م ، ودخل أولاده في الطاعة ، وبذلك انتهت دولته بشرق الأندلس وزال بوفاته أعظم الأخطار التي واجهتها الدولة الموحدية بالأندلس بعد الخطر النصراني [4] .

---

(١) انظر . المن بالامامة ، ص ٣٨٨ — ٣٩٠ ، ابن سعيد ، المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٥٠ ، رقم ٥١٧ ، أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٢٩٩ — ٣٠١ ، سالم ، المغرب الكبير ، ص ٧٩٩ ، عنان ، عصر المرابطين والموحدين ق ٢ ، ص ٤٦ — ٤٨ ،

Codera, op. cit, pp. 114 & 120 , H. Mirandn, Hist. , politica, pp. 238 - 239 .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن مردنيش صاحب المرية ومن أعوان ابن عمه ابن مردنيش صاحب شرق الأندلس كما كان زوجا لأخته . انظر (المن بالامامة ، ص ٤٠٦ — ٤٠٧ ، هـ ٣ ، ص ٤٠٦) .

(٣) البسيط : موضع صغير كان يقع بكورة مرسية ، ويطلق الاسم حاليا على مديرية Albacete وقاعدتها تحمل نفس الاسم بشرق أسبانيا إلى الغرب من مرسية . انظر (الحلة السيراء ، جـ ٢ ، هـ ١ ص ٢٢٣) .

(٤) انظر التفاصيل في : المن بالامامة ، ص ٤٠٢ ، ٤٠٦ — ٤٠٧ ، ٤٧١ — ٤٧٢ ، البيذق، أخبار المهدي ، ص ١٦٤ — ١٦٦ ، المعجب ، ص ٣٢٢ — ٣٢٣ ، ابن الأثير ، جـ ٩ ، ص ١١٤ ، البيان المغرب القسم الموحدي ، ص ٨٦ — ٨٧ ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٢٣٨ — ٢٣٩ ، سالم ، نفسه ، ص ٧٩٩ ، عنان ، نفسه ، ق ٢ ، ص ٤٨ — ٥٦ ،

G. Remiro, Hist., de murcia, p. 239 & H. Niranda, Hist ., musul., de valencia, t. III, pp. 166 - 168 .

أما الخطر الآخر الذى كان يهدد دولة الموحدين فى الأندلس فيتمثل فى الفونسو إنريكيث ملك البرتغال الذى تمكن فى عهد الخليفة عبد المؤمن من الاستيلاء على أشبونة وشنترين وقصر أبى دانس ، ثم واصل عدوانه على أراضى الإسلام فى غرب الأندلس فى عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ، وكان يتولى عنه هذه الأعمال العدوانية مغامر برتغالى من أتباعه يقال له جرانده الجليقى (Ceraldo Sem-pavor) ، كان يقود فرقة من النصارى هدفها القيام بأعمال السلب والنهب والتوسع فى أراضى المسلمين بغرب الأندلس بتشجيع من الفونسو إنريكيث ملك البرتغال ، فيذكر ابن عذارى أن جرانده ، هذا تمكن من الإستيلاء على مدينة ترجالة [1] (Trujillo) الواقعة شمال ماردة سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م وفى نفس السنة هاجم يابرة Evora وملكها وباعها للنصارى ، ثم استولى على حصن قاصرش (Caceres) غربى ترجالة فى صفر سنة ٥٦١ هـ / أواخر ١١٦٥ م . ثم اتبع ذلك بالإستيلاء على حصن منتانجش (Montanchez) ويقع على مقربة من ترجالة فى جمادى الآخرة من نفس العام ، ثم على بطليوس التى سلمها لألفونسو ملك البرتغال (ابن الرنك صاحب قلمرية كما تسميه الرواية الإسلامية) وشرع إثر ذلك فى محاصرة قوات الموحدين بالقصبة [2] .

وعندما سمع الخليفة يوسف الأنباء السيئة سير جيشاً كثيفاً إلى الأندلس ، تمكن من فتح حصن طبيرة [3] وكان بحوذة أحد الثوار الأندلسيين ويدعى عبد الله

---

(١) ترجالة (Trujillo) : مدينة تقع بمنطقة غرب الأندلس ، ويذكر الادريس أنها كالحصن المنيع ولها أسوار وأسواق عامرة . انظر (الادريس ، ص ١٨٦ - ١٨٧) .

(٢) حول تلك الحوادث راجع : البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ٧٨ - ٧٩ ، سالم ، نفسه ، ص ٧٩٨ - ٧٩٩ ، عنان ، نفسه ، ق ٢ ، ص ٢٦ - ٢٧ ، الحجى ، التاريخ الأندلسى ، ص ٤٦٠ - ٤٦١ .

(٣) يقع حصن أو ثغر طبيرة (Tavira) جنوب مملكة البرتغال عند مصب وادى يانة فى المحيط ، ويذكر الادريسى أنها على مسافة ١٢ ميلاً من شنتمرية الغرب ، انظر (الادريس ، ص ١٧١ ، المن بالامامة ، هـ ، ص ٣٦٧) .

بن عبيد الله ، وتم ذلك فى أواخر سنة ٥٦٣ هـ / ١١١٦٨ م . وفى نفس السنة عقد صلح وتحالف بين الموحدين وفرناند[1] (فرناندو رودريجث Fernando Rodriguez) صاحب ترجالة ، كما دخل فى الصلح صهره فرناندة البيوج [2] (Fernando II) ملك ليون ، وبفضل هذا التحالف فشل الفونسو إنريكيث ملك البرتغال فى الإستيلاء على قصبة بطليوس ، واضطر إلى الانسحاب هو وجرانده الجليقى فى شعبان سنة ٥٦٤ هـ / مايو ١١٦٩ م [3] .

وفى سنة ٥٦٦ هـ / ١١٦٠ م عبر الخليفة يوسف البحر إلى الأندلس للقيام بأعمال الجهاد ، فمكث باشبيلية بعض الوقت ثم اتجه لغزو مدينة وبذة [4] (Huete) فى شوال ٥٦٧ هـ / يونية ١١٧٢ م ، وأثناء سيره فتح حصن بلج (Vilchez) صلحا وأعطى الأمان لسكانه النصارى ، كما استولى صلحا على حصن الكرس [5] . (Alcaraz) ، وواصل زحفه إلى وبذة ، وهنا تختلف الروايات الاسلامية حول الوقائع التى حدثت عند وبذة ، فابن صاحب الصلاة يذكر أن الجيش الموحدى انتصر على

---

(١) هو فرناندو رودريجث القشتالى (Fernando Rodriguez el Castellano) تسميه الرواية الإسلامية فرناند ، صاحب ترجالة ، كان صهراً لألفونسو السابع (السليطين) صاحب طليطلة عاصمة قشتالة . انظر (المن بالامامة ، ص ٣٦٨ - ٣٦٩ ، هـ ١ ، ص ٦٢٨ ، البيان المغرب ، القسم الموحدى ، هـ ١ ، ص ٧٨) .

(٢) هو فرناند والثانى ملك ليون ويعرف عند المسلمين بالبيوج (فى القشتالة El Baboso) أى الكثير اللعاب ، كما كان يعرف بصاحب السبطاط (بالأسبانية Ciudad Rodrigo) أى مدينة رذريق ، وفرناند البيوج هذا هو ابن الفونسو السابع ملك قشتالة . انظر (المن بالإمامة ، ص ٣٧٠ ، هـ ٥ ، ص ٣٧٠ ، البيان المغرب ، القسم الموحدى ، هـ ٢ ، ص ٧٨) .

(٣) انظر . المن بالإمامة ، ص ٣٦٨ - ٣٧١ ، البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ٧٧ - ٧٨ .

(٤) تقع مدينة وبذة (يذكرها الادريسى وبذى) بمنطقة وادى الحجارة قرب أقليش وقونكة ، ويذكر الادريسى أن وبذى وأقليش مدينتان متوسطتان لهما إقليم ومزارع عامرة . أنظر (الادريسى ، ص ١٩٥) .

(٥) يقع حصن الكرس وحصن بلج شمالى كورة مرسية فى الطريق إلى وبذة انظر (الادريسى ، ص ١٩٥) .

النصارى القشتاليين الذين كانوا يتولون مهمة الدفاع عن المدينة ثم انسحب بعد ذلك متجها إلى قونكة [١] ، بينما يرى ابن عذارى – وهو ما نرجحه أن الهجوم الموحدى على وبذة منى بالفشل واضطروا للانسحاب لا سيما بعد أن تعرضوا لعواصف شديدة وأمطار غزيرة استحال معها مواصلة الهجوم ولذا فضلوا الانسحاب والاتجاه إلى مرسية [٢] .

وفى سنة ٥٦٨ هـ / ١١٧٣ م استولى البرتغاليون على مدينة باجة ومكثوا بها خمسة أشهر ثم انسحبوا منها بعد أن أحرقوها وخربوها [٣] . وفى نفس العام قام الجيش الموحدى بغزوة إلى منطقة طليطلة حيث أعمل السلب والقتل والتدمير فى تلك المنطقة ، وانتصر على القشتاليين بقيادة الأمير خمينو [٤] صاحب آبلة Avila الذى لقى مصرعه فى تلك المعركة . وفى السنة التالية (٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م) نشبت حرب بين القمط نونة [٥] (El conde nuno) حاكم طليطلة وبين فرناندخ الببوج ملك ليون الذى استنجد بالموحدين ، فأمدوه بجند إشبيلية حيث اشتركوا معه فى محاربة القمط نونة وعضدوا مركزه ثم رجعوا إلى اشبيلية بعد خمسة أشهر ، غير

---

(١) تقع قونكة (Cuenca) بكورة شنتبرية إلى الشمال الغربى من كورة بلنسية ، ويشير الادريسى إلى أن قونكة مدينة أزلية صغيرة مسورة . أنظر (الادريسى ، ص ١٩٥) .

(٢) عن غزوة وبذة أنظر . المن بالامامة ، ص ٤٨٧ – ٥٠٤ ، البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ٩٢ – ٩٧ .

(٣) ابن عذارى ، القسم الموحدى ، ص ١٠٠ – ١٠١ ، عنان ، نفسه ، ق ٢ ، ص ٨٦ – ٨٧ .

(٤) خمينو (Sancho Jimeno كما ورد فى المصادر الأسبانية) وكان يعرف فى المصادر العربية بإسم القومس الأحدب وأحيانا بأبى يردعة أو باسم شان منوس ، ويذكر أبى زرع أنه سمى بأبى يردعة لأن له يرذعة من الحرير منسوجة بالذهب ومكللة بأصناف الجوهر . أنظر (المن بالإمامة هـ ٢ ، ص ٢٩٨ ، روض القرطاس ، ص ١٤٩ – ١٥٠)

(٥) هو القمط أى الكونت نونة بيرث دى لارا Nuno perez de Lara حاكم طليطلة والوصى على عرش مملكة قشتالة . انظر (المن بالامامة ، هـ ٥ ، ص ٣٧٠) .

أن البيوج ما لبث أن نقض الصلح مع الموحدين فاضطروا لمحاربته في بلاده ليون عند مدينة السبطاط وانتصروا عليه وفتحوا قنطرة السيف (١) .

وقد أدت هذه الانتصارات الموحدية على النصارى إلى جنوح ملوكهم للصلح ، فدخل فى الصلح كل من القمط نونة حاكم طليطلة والوصى على عرش الطفل الفونسو الثامن ملك قشتالة والفونسو إنريكيث ملك البرتغال (٢) .

وفي سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م عبر الخليفة يوسف إلى الأندلس عبوره الأخير ، واتجه إلى إشبيلية ومنها إلى شنترين بغرب الأندلس وهى من قواعد الفونسو إنريكث ملك البرتغال ، وفرض عليها الموحدون حصاراً محكماً ، غير أنها كانت تتميز بالمنعة والحصانة إلى جانب توفر الأقوات والمؤمن بداخلها ، ولذا لم ينجح الموحدون فى اقتحام المدينة ، مما اضطر الخليفة إلى اصدار أوامره بالانسحاب غير أن هذا القرار كان مفاجأة للجند فانسحبوا دون نظام مما أثار الارتباك والفوضى فى صفوف الجيش وانتهز النصارى الفرصة السانحة وقاموا بهجوم مباغت على المسلمين ، جرح فيه الخليفة يوسف وقتل العديد من جند ، وانسحب بقية الجيش إلى إشبيلية حيث لم يلبث الخليفة أن توفى قرب إشبيلية متأثرا بجراحه وذلك فى نفس السنة (١٨ ربيع الأخر ٥٨٠ هـ / ٢٩ يولية ١١٨٤م) (٣) .

---

(١) انظر . ابن عذارى ، القسم الموحدى ، ص ١٠٣ ـ ١٠٤ ، أما قنطرة السيف التى وردت بالمتن فتقع قرب بطليوس ومارِدة بغرب الأندلس ، ويذكر الادريسى أنها من عجائب الأرض وبها حصن منيع على نفس القنطرة . (أنظر (الادريسى) ص ١٨٣) .

(٢) ابن صاحب الصلاة ، ص ٥٢٦ ، عنان ، نفسه ، ق ٢ ، ص ٨٩ ـ ٩٠ .

(٣) عن غزوة شنترين وتفاصيلها . راجع : المراكشى ، المعجب ، ص ٣٣٠ – ٣٣٢ ؛ ابن خلكان ، وفيات ، جـ ٦ ، ص ١٣٥ – ١٣٦ ، روض القرطاس ، ص ١٥١ – ١٥٢ ، الحلل الموشية ، ص ١٢٠ ، نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ١١٣ ، سالم ، المغرب الكبير ، ص ٨٠٠ – ٨٠١ ، عنان ، عصر المرابطين والموحدين ق ٢ ، ص ١١٩ – ١٢٧ ؛ مؤنس ، معالم ، ص ٣٧٨ ، الحجى ، التاريخ الأندلسى ، ص ٤٦٢ ، والملاحظ أن المصادر المسيحية تشير إلى أن الجيش الموحدى لقى هزيمة فادحة أمام شنترين واضطر للانسحاب .

أنظر H. Miranda, Hist., politica, pp. 293- 303 .

٣ - فى عهد الخليفة يعقوب المنصور بن يوسف :

خلف يعقوب الملقب بالمنصور والده يوسف على عرش الدولة الموحدية عقب وفاته فى ١٨ ربيع الاخر ٥٨٠ هـ / ٢٩ يولية ١١٨٤ م ، ويمثل عهده قمة الازدهار فى العصر الموحدى ، فكان خير خلف لأبيه الذى استشهد وهو يجاهد البرتغاليين ، وتمكن فى حياته ، من القضاء على الفتن والثورات ونشر العدل والأمن والطمأنينة فى ربوع البلاد (١) .

ففى سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م عبر الخليفة يعقوب المنصور المضيق إلى الأندلس ونزل بالجزيرة الخضراء ، ومنها اتجه إلى غرب الأندلس للانتقام لهزيمة شنترين ، فشن الغارات على مدينة أشبونة وما حولها ، وعاث فى تلك المنطقة قتلاً وسبياً وتخريباً ثم عاد إلى عاصمته مراكش (٢) .

واستغل البرتغاليون فرصة عودة الخليفة المنصور إلى بلاده ، وقرروا الانتقام فاتجه بدرو بن الفونسو إنريكيث (فى الرواية الاسلامية بطرو بن الرنك أو الريق) ملك البرتغال على رأس جيشه إلى مدينة شلب مستعينا بقوات فرنجية (صليبية) من الألمان والإنجليز والهولنديين - كانت العواصف قد اضطرتهم للالتجاء إلى ثغر أشبونة وفرضوا الحصار حول شلب وانتهى الأمر بإستيلائهم عليها فى سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م ، وأعقبوا ذلك بالإستيلاء على باجة ويابرة سنة ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م (٣) .

---

(١) أنظر . ابن خلكان ، وفيات ، جـ ٦ ، ص ٤ رقم ٨٠٠ ، البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ١٤٠ - ١٤٤ ؛ روض القرطاس ، ص ١٥٣ ، الحلل الموشية ص ١٢١ ؛ ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٢٤١ ، ص ١١٤ ، سالم نفسه ص ٨٠١ - ٨٠٢ ، عنان ، نفسه ، ق ٢ ، ص ١٣١ ،
H. Miranda, Hist . , politica, pp. 313- 314 .

(٢) روض القرطاس ، ص ١٥٤ ، الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٦٢ ، سالم ، نفسه ، ص ٨٠٥ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ٢١١ ، المراكشى ، المعجب ، ص ٣٥٦ ؛ ابن عذارى ، نفسه ، القسم الموحدى ، ص ١٧٦ ، ابن أبى زرع ، نفسه ، ص ١٥٤ ، نفح ، جـ ٦ ، ص ١١٤ ، =

وعندما سمع الخليفة المنصور بسقوط شلب فى أيدى النصارى انزعج لذلك وقرر العبور إلى الأندلس ، حيث اتجه مباشر إلى شلب على رأس جيش كبير من الموحدين ، وتمكن من استردادها فى سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م كما استعاد باجة ويابرة وقصر أبى دانس (١) .

وما أن حقق المنصور أهدافه فى غرب الأندلس ، من استرداد قواعد الغرب حتى عاد إلى العاصمة مراكش حيث أصيب بمرض شديد خيف عليه منه ، فأشار عليه الأطباء بالاقامة بعض الوقت بمدينة فاس ، فمكث بها ستة أشهر حتى شفى ثم عاد إلى مراكش (٢) . فى الوقت الذى وصله الأنباء بأن قوات الفونسو الثامن ملك قشتالة عاثت فسادا فى أرض المسلمين ووصلت حتى أحواز إشبيلية ، فأمر بإعداد الجيش للجهاد ، وعبر إلى الأندلس أوائل ٥٩١ هـ / ١١٩٤ م نزل بالجزيرة الخضراء ، واتجه منها إلى إشبيلية ثم إلى قرطبة ، وواصل سيره شمالا متجها إلى منطقة قلعة رباح (Calatrava) حيث كان الجيش القشتالى يعسكر عند حصن الأرك (٣) ، وهناك

= سالم ، نفسه ، ص ٨٠٥ - ٨٠٦ ، عنان ، نفسه ، ق ٢ ، ص ١٧١ - ١٧٤ ، مؤنس ، معالم ، ص ٣٨٧ ،

H. Miranda, op. cit , pp. 341 - 345 .

(١) انظر . ابن الأثير ، نفسه ، جـ ٩ ، ص ٢١١ ، المراكشى ، المعجب ، ص ٣٥٦ - ٣٥٧ ، ابن عذارى ، نفسه ، القسم للموحدى ، ص ١٨٦ ، روض القرطاس ، ص ١٥٤ - ١٥٥ ، الحلل الموشية ، ص ١٢١ ، نفح . جـ ٦ ص ١١٤ ، سالم ، نفسه ، ص ٨٠٥ - ٨٠٦ ، عنان ، نفسه ، ق ٢ ، ص ١٨٧ - ١٨٨ ، مؤنس ، معالم ، ص ٣٧٨ ، الحجى ، نفسه ، ص ٣٧٨ ، الحجى ، نفسه ، ص ٤٦٣ ،

H. Miranda, Hist . , politica, pp. 355- 757 .

(٢) المراكشى ، المعجب ، ص ٣٥٧ ، ابن أبى زرع ، نفسه ، ص ١٥٥ ، سالم ، نفسه ، ص ٨٠٦ .

(٣) حصن الأرك (فى الأسبانية Alarcos) موضع صغير من أعمال قلعة رباح ، ويقوم مكانه اليوم قرية صغيرة تسمى Santa María de Alarcos ، قرب قلعة رباح بمديرية ثيوداد ريال Ciudad real جنوب طليطلة . انظر (ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ١٥٤ ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، تحقيق مؤنس ، هـ ٣ ، ص ١١٧ ، سالم ، نفسه ، ص ٨٠٨ ، عنان نفسه ، ق ٢ ، هـ ١ ، ص ٢٠٠) .

دارت معركة عنيفة بين الطرفين (٩ شعبان ٥٩١ هـ / ١٨ يوليو ١١٩٥ م) انتهت بانتصار حاسم للمسلمين ، أعاد للأذهان ذكرى إنتصار الزلاقة وقتل فيها العديد من النصارى ، وحاز المسلمون معسكر النصارى بما فيه من أسلاب وغنائم [١] .

وترتب على انتصار الارك نتائج هامة منها استلام حصن الارك ، والاستيلاء على قلعة رباح عنوة ، وبعض الحصون الاخرى فى تلك المنطقة وإعادة الهيبة للجيش الموحدى فى الأندلس ثم عاد الخليفة المنصور إلى إشبيلية ظافراً بعد ذلك الانتصار العظيم فى الأرك [٢] ، الذى يصفه ابن عذارى بقوله : (وجاءت هذه الوقعة هنئة الموقع عامة المسرة كأكلة جائع أو شربة عطش ، فأنست كل فتح بالأندلس تقدمها ، وبقى

---

(١) عن تفاصيل وقعة الأرك راجع :

ابن الأثير ، نفسه ، جـ ٩ ، ص ٢٣٢ - ٢٣٣ ، المراكش ، المعجب ، ص ٣٥٨ - ٣٥٩ ، ابن خلكان ، وفيات ، جـ ٦ ، ص ٧ - ٨ رقم ٨٠٠ ، ابن الأبار ، التكملة ، جـ ١ ، ص ٢٦٦ ، رقم ٨٤٥ ، ابن عذارى ، نفسه ، القسم الموحدى ، ص ١٩٤ - ١٩٦ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٣٠٩ ، روض القرطاس ، ص ١٥٧ - ١٦١ ، الحلل الموشية ، ص ١٢١ ؛ ابن خلدون العبر ، جـ ٦ ، ص ٢٤٥ ، السلاوى ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ١٦٥ - ١٧١ ، نفح ، جـ ٦ ، ص ١١٥ - ١١٦ ، سالم ، نفسه ، ص ٨٠٩ - ٨١٠ ، عنان . نفسه ، ق ٢ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٩ ، مؤنس ، معالم ، ص ٣٧٩ ، الحجى ، نفسه ، ص ٤٦٤ ، فاضل السباعى ، يوم الأرك ، مجلة المناهل ، الرباط ، العدد ١٧ ، مارس ١٩٨٠ ، ص ١٩٢ - ٢١٢ ، Henri terrasse , Hist., du maroc, p. 327 ; H. miranda , las grandas batallas de la reconquista, pp. 137 - 141 ; Hist., pulitica , pp. 364 - 369 .

وفى وقعة الأرك يقول الشاعر أبو العباس الجراوى :

هو الفتح أعيا وصفه النظم والنثرا ... وعمت جميع المسلمين به البشرى

وأمجد فى الدنيا وغار حديثه ... فراقت به حسنا وطابت به نشرا

أنظر (البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ص ١٩٧ - ١٩٨) .

(٢) انظر : المراكشى ، المعجب ، ص ٣٥٩ . سالم ، نفسه ، ص ٨١١ ، عنان نفسه ، ق ٢ ، ص ٢١٤ ، فاضل السباعى ، يوم الارك ، ص ٢٠٩ ، H. Miranda, Hist . , politica, pp. 369 - 371 .

بأفواه المسلمين إلى الممات ذكرها [1] .

وفي السنة التالية (٥٩٢ هـ / ١١٩٦ م) خرج المنصور من إشبيلة على رأس جيشه ، واتجه شمالا نحو أراضي بطليوس ، واستولى على حصن منتانجش Muntanchez وهو من حصون بطليوس المنيعة ، كما استولى على مدينة ترجالة Trujillo ، وخرب أراضي طلبيرة وكانت من أعظم قواعد طليطلة ثم حاصر طليطلة نفسها بعض الوقت وعاث خراباً وتدميراً في أحوازها ، ثم عاد إلى أشبيلية في رمضان من نفس العام (٥٩٢ هـ / ١١٩٦ م) [2] .

وأدت تلك الجهود العسكرية التي قام بها الخليفة المنصور على أرض الأندلس إلى وضع حد للخطر النصراني ونشر الأمن والطمأنينة بين السكان المسلمين المتاخمين لأراضي النصارى وجنوح ملوك أسبانيا المسيحية إلى السلم وطلب الصلح ولم يلبث الخليفة أن قفل عائدا إلى المغرب (جمادى الآخرة ٥٩٤ هـ / ١١٩٨ م) حيث توفي بعد قليل في ٢٢ ربيع الأول ٥٩٥ هـ (٢٢ يناير ١١٩٩ م) [3] .

٤ – عهد محمد الناصر بن المنصور ونهاية دولة الموحدين في الأندلس :

عقب وفاة يعقوب المنصور (٢٢ ربيع الأول ٥٩٥ هـ ٢٢ يناير ١١٩٩ م) تولى ابنه وولي عهده أبو عبد الله محمد الملقب بالناصر لدين الله خلافة الموحدين (٤) .

---

(١) البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ١٩٦ .

(٢) المراكشي ، المعجب ، ص ٣٦٠ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ٢٣٣ ، ابن عذارى ، نفسه ، القسم الموحدى ، ص ١٩٩ ، نفح ، جـ ١ ، ص ٤١٨ ، سالم نفسه ، ص ٨١٣ – ٨١٤ ، عنان ، نفسه ، ص ٢١٧ – ٢١٩ ،

H. Miranda, Hist.., politica, pp. 371- 374 .

(٣) ابن عذارى ، نفسه ، القسم الموحدى ، ص ٢٠٤ ، المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ٤١٩ سالم ، نفسه ، ص ٨١٥ ، عنان ، نفسه ، ص ٢٣٧ .

(٤) المعجب ، ص ٣٨٦ ، البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ٢١١ – ٢١٢ ، روض القرطاس ، ص ١٦٤ .

وفي أوائل عهده نجح في إنتزاع ميورقة ومنورقة ويابسة (الجزر الشرقية) من أيدى بني غانية والقضاء نهائيا على دولتهم هناك وتم ذلك في (٥٩٩ - ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م) ، وبذلك زال خطر كان يؤرق الدولة الموحدية فترة طويلة ، وبدأت تكرس جهودها لمواجهة الخطر الأسباني المسيحي في الأندلس [١] .

وفي سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م وصل رسول من قشتالة يدعى إبراهيم بن الفخار اليهودى وزير الفونسو الثامن إلى الخليفة الناصر بالمغرب يطلب عقد الهدنة والصلح ، فتم له ذلك . غير أن القشتاليين انتهزوا فرصة انتهاء الهدنة (٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) وأخذوا يشنون الغارات على أراضي المسلمين المجاورة انتقاما لهزيمة الأرك ، وعاثوا فسادا فى أراضي جيان وبياسه ، متخذين من قلعة شلبطرة (Salvatierra) قرب قلعة رباح قاعدة لهم للإغارة على الأراضي الإسلامية [٢] .

وفي سنة ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م وصل إلى المغرب وفد من أعيان الأندلس يستنجدون بالخليفة الناصر لما أصاب بلادهم من تخريب وتدمير ونهب على أيدى النصارى وعندئذ تأهب الخليفة لمواصلة حركة الجهاد ، فعبر إلى الأندلس في نفس العام واتجه إلى إشبيلية ومنها إلى قرطبة ثم قلعة شلبطرة حيث تمركز نصارى قشتالة ، وحاصرهم الناصر بالقلعة فاضطروا أخيراً للتسليم وإخلاء القلعة للموحدين وذلك في ذى الحجة ٦٠٨ هـ / يونية ١٢١١ م [٣] .

---

(١) المعجب ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٧ ، مجموع رسائل موحدية ، نشر ليفي بروفنسال ، ص ٢٤١ - ٢٤٨ ، روض القرطاس ، ص ١٦٤ ، الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٩٤ ، سالم ، المغرب الكبير ، ص ٨١٦ - ٨١٨ ، عنان ، عصر المرابطين والموحدين ق ٢ ، ص ٢٥٧ - ٢٦١ ،

Henri terrasse, Hist., du maroc, p. 339, & Bel, Les Benou Ghunya, p. 120.

(٢) المراكش ، المعجب ، ص ٢٩٨ ، ابن عذارى ، نفسه ، القسم الموحدى ، ص ٢١٦ ، روض القرطاس ، ص ١٦٥ ، سالم ، نفسه ، ص ٨١٩ ، عنان ، نفسه ، ق ٢ ، ص ٢٨٤ .

(٣) المراكشي ، المعجب ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩ ، ابن عذارى ، القسم الموحدى ، ص ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، روض القرطاس ، ص ١٦٦ - ١٦٨ ، سالم ، نفسه ، ص ٨٢٠ - ٨٢١ ، عنان ، نفسه ، ق ٢ ، ص ٢٩٢ ،

H. Miranda, Hist.., politica, p. 420

وعلى أثر عودة الناصر إلى إشبيلية بعد غزوة شلبطرة أخذ ألفونسو الثامن يبذل جهوداً دعا فيها إلى القيام بحملة ضد المسلمين وعزم على صبغها بالصبغة الصليبية ، فاستنجد بالبابوية وبملوك غرب أوربا وبالممالك الأسبانية كما قام أساقفته خاصة رودريجو خيمنيث دى لارا أسقف طليطلة - بدعاية واسعة النطاق لتوحيد قوى المسيحية فى الغرب الأوروبى لمحاربة المسلمين . وبالفعل تمكن ألفونسو الثامن ملك قشتالة من حشد جيوش ضخمة سار بها تجاه مدينة قلعة رباح ، حيث استسلمت المدينة مقابل الأمان ، وما أن علم الخليفة الناصر بأنباء تلك الحملة الصليبية الضخمة حتى أعد عدته للجهاد وملاقاة النصارى . ودارت الموقعة الحاسمة بين جيوش الموحدين والجيوش المسيحية عند موضع يقال له العُقاب [1] (بالأسبانية Las Navas de Tolosa) عند سهل كثير التلال أسفل جبل الشارات ، وانتهت المعركة بهزيمة ساحقة منى بها الموحدون وقتل فيها منهم الآلاف فى ١٥ صفر ٦٠٩ هـ / ١٦ يولية ١٢١٢ م . وكانت كارثة فادحة أصابت الدولة الموحدية وأدت إلى انهيارها السريع ، كما تسببت فى سقوط بعض المدن الإسلامية فى يد النصارى مثل أبدة (Ubeda) وبياسة (Baeza) وبسطة (Baza) وبعض الحصون المجاورة ، وأخذ سلطان المسلمين عقب تلك الموقعة يضعف ويتراجع فى شبه الجزيرة ، ولذا يعتبر الباحثون الأسبان وقعة العقاب بمثابة طور جديد من أطوار حركة الاسترداد [2] .

---

(١) العُقاب : بالضم تعنى فى اللغة الطائر الجارح ، والصخرة العظيمة فى عرض الجبل . ويقع موضع العقاب الآن بمديرية جيان (Jaén) ، على مسافة ٥ كم شمال شرقى لاكارولينا La Carolina ، ويسمى الآن Las Navas detolosa . انظر (ياقوت ، معجم ، م ٤ ، ص ١٣٣ ، الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، جـ ٢ و ١ ، ص ٢٧٣ ، سالم المغرب الكبير ، ص ٨٢٥) .

(٢) حول تفاصيل وقعة العقاب راجع : المراكشى ، المعجب ، ص ٤٠١ - ٤٠٢ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ ، روض القرطاس ، ص ١٦٩ - ١٧٠ ، الحلل الموشية ، ص ١٢٢ ، ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٢٤٩ ، الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٩٦ - ٢٠٠ ، نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ١١٧ ، سالم ، المغرب الكبير ، ٨٢٦ - ٨٢٨ ، العبادى ، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٧٣ - ١٧٦ ، سعد زغلول عبد الحميد ، محمد بن تومرت وحركة =

وتوفى الخليفة محمد الناصر فى أعقاب هزيمة العقاب (شعبان ٦١٠ هـ / ديسمبر ١٢١٣) وخلفه ابنه يوسف المستنصر بالله ، وكان لا يزال صغير السن ليست له خبرة أو تجربة ولا معرفة بتصريف أمور الدولة فمال إلى الراحة والدعة ، ولم تكن له كما يذكر ابن عذارى « حركة تشهر ولا غزوة تذكر » مما أدى إلى استبداد أعمامه بالحكم دونه [١] .

وفى عهده سقطت مدينة القصر (قصر أبى دانس) فى يد الفونسو الثالث ملك البرتغال سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م [٢] ، مما أنذر بسقوط المزيد من الثغور والقواعد الإسلامية فى أيدى النصارى الأسبان ، وذلك فى ظل حالة الضعف التى تردت إليها الدولة الموحدية عقب كارثة العقاب ، وتحت حكم خلفاء ضعاف تولوا شئونها بعد وفاة الخليفة الناصر .

ولم يلبث المستنصر أن توفى فجأة فى سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٤ م وكانت وفاته إيذانا بإنهيار الدولة ، خاصة بسبب التصارع بين أفراد الأسرة الموحدية على العرش ونشوب الحروب الأهلية فيما بينهم وانتشار الفتن والثورات فى جميع أنحاء المغرب

= التجديد ، ص ٣٨ ، عنان ، نفسه ، ق ٢ ، ص ٢٩٣ - ٣١٣ ، الحجى ، نفسه ، ص ٤٩٠ - ٤٩٦ ، مؤنس ، معالم ، ص ٣٨٠ ،

Gaspar Remiro, Hist., de mur cia, p. 249; H. Terraste, Hist., du Maroc , pp. 340 - 342 , H. Miranda, Las grandas batallas, pp. 253 - 272; Historía politica. t. III, pp. 211 - 216 & Alvaro companer y fuertes, bosquejo Historicao de la dominacion islamita en las islaas Baleares, palma, 1889, p. 170 .

(١) المعجب ، ص ٤٠٤ ؛ البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ٢٤٣ ، روض القرطاس ، ص ١٧٢ ؛ الحلل الموشية ، ص ١٢٢ - ١٢٣ ؛ ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٢٥٠ ، نفح ، جـ ٦ ، ص ١١٧ ، سالم ، نفسه ، ص ٨٢٩ ، عنان ، نفسه ، ق ٢ ، ص ٣٢٨ - ٣٣١ ؛ الحجى ، نفسه ، ص ٤٦٤ .

(٢) ابن أبى زرع ، نفسه ، ص ١٧٢ - ١٧٣ ؛ الحجى ، نفسه ، ص ٤٦٤ .

والأندلس ، وازدياد قوة حركة الاسترداد [1] .

فالفترة التى تلت وفاة المستنصر عبارة عن صراعات بين أمراء الموحدين ، ذلك أن المستنصر توفى دون أن يعقب ، فاتفق شيوخ الموحدين على مبايعة عبد الواحد ابن يوسف بن عبد المؤمن (فى ذى الحجة ٦٢٠ هـ / يناير ١٢٢٤ م) ، وكان فى سن الشيخوخة ، غير أنه لم يمض على خلافته شهران حتى ثار عليه ابن أخيه ويدعى عبد الله بن يعقوب المنصور وكان واليا على مرسيه ، وأعلن أحقيته بالخلافة وتلقب بالعادل ، وأطاعته بعض مناطق من الأندلس والمغرب ، غير أن أحد أفراد الأسرة الموحدية خرج عليه ويدى عبد الله بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن المعروف بالبياسى ، ودخلت فى طاعته بعض المدن مثل قرطبة ومالقة ، وتحالف مع فرناندو الثالث ملك قشتالة وسلم إليه مدينة قيجاطة (Quesada) وبعض الحصون الإسلامية [2] ، وفى نفس الوقت أعلن أبو العلاء إدريس إلى إشبيلية ثورته على أخيه العادل ، ونادى بنفسه خليفة وتلقب بالمأمون [3] . ولم يطل عهد العادل إذ قام عليه بعض أشياخ الموحدين وقتلوه بمراكش سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٧ م ، وأرسلوا بيعتهم لأخيه المأمون ، ثم نكثوا بيعتهم وخرجوا على الطاعة بعد ذلك خوفاً من أن ينتقم منهم المأمون لمقتل أخيه العادل ، فقاموا بمبايعة شاب من الأسرة الموحدية يدعى يحيى

---

(١) انظر . المراكشى ، المعجب ، ص ٤٠٤ ، ابن عذارى ، نفسه ، القسم الموحدى ، ص ٢٤٧ ، روض القرطاس ، ص ١٧٣ ، الحلل الموشية ، ص ١٢٣ ، ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٢٥١ ، سالم ، نفسه ، ص ٨٢٩ ، عنان ، نفسه ، ق ٢ ، ص ٣٤٨ ، الحجى ، نفسه ص ٣٦٥ .

(٢) انظر التفاصيل فى ابن عذارى ، نفسه ، القسم الموحدى ، ص ٢٤٧ – ٢٥٠ ؛ روض القرطاس ، ص ١٧٣ – ١٧٦ ؛ الحلل الموشية ، ص ١٢٣ ، ابن خلدون ، نفسه ، جـ ٦ ، ص ٢٥١– ٢٥٢ ، المقرى ، نفح ، جـ ٦ ، ص ١١٧ – ١١٨ ، سالم ، نفسه ، ص ٨٢٩ ، عنان ، نفسه ، ق ٢ ، ص ٣٤٨ – ٣٥٣ .

(٣) انظر . ابن عذارى ، نفسه ، القسم الموحدى ، ص ٢٥٣ – ٢٥٥ ، روض القرطاس ، ص ١٧٦ ، الحلل الموشية ، ص ١٢٣ ، ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٢٥٢ – ٢٥٣ ، سالم ، نفسه ، ص ٨٢٩ ، عنان ، نفسه ، ق ٢ ، ص ٣٦٤ .

بن الناصر وهزيمة الأخير وفراره ثم مقتله بعد ذلك فى سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٦٥ م أثناء حروبه مع الخليفة الرشيد بن المأمون .

وخلال فترة الحروب الأهلية بين أفراد الأسرة الموحدية [(١)] انتهز بعض ثوار الأندلس الفرصة وأعلنوا خروجهم عن طاعة الموحدين مثل محمد بن يوسف بن هود الجذامى الذى بويع له بمرسية وشرق الأندلس ٦٢٥ هـ / ١٢٢٨ م وتسمى بأمير المسلمين وعز الدين وتلقب بالمتوكل على الله ، ودعا للخليفة العباسى المستنصر بالله سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٨ م [(٢)] ، وكذلك ثار بأرجونة (Arjona) من عمل جيان محمد بن يوسف بن الأحمر الذى تلقب بالغالب بالله وخرج عن طاعة ابن هود ، واستولى على جيان وبويع له بها سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م ، كما استولى على قرطبة وإشبيلية فترة ثم مد نفوذه إلى غرناطة ووادى آش وبسطة (فبراير سنة ٦٣٢ هـ و ٦٣٥ هـ) [(٣)] .

وانتهز النصارى الأسبان فرصة إشتعال الحروب الأهلية والفتن فى الأندلس

---

(١) تولى أبو محمد عبد الواحد بن أبى العلاء إدريس المأمون بن يعقوب المنصور أمر الموحدين فى سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م عقب وفاة والده المأمون وتلقب بالرشيد ، وتوفى سنة ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م . فخلفه أخوه على بن إدريس المأمون بن يعقوب المنصور والملقب بالسعيد الذى توفى فى سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م . وخلفه عمر بن إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن الملقب بالمرتضى ، الذى قتل سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م وتولى الحكم بعده إدريس بن أبى عبد الله بن أبى حفص عمر بن عبد المؤمن بن على الملقب بالواثق بالله والمعروف بأبى دبوس ، وقد لقى مصرعه أثناء الحرب ضد بنى مرين ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م ، وبمقتله تنتهى الدولة الموحدية . انظر تفاصيل تلك الحوادث فى : (ابن عذارى ، نفسه ، القسم الموحدى ، ص ٢٨٠ - ٢٨٥ ، ٣٢٤ - ٣٢٩ ؛ ابن أبى زرع ، نفسه ، ص ١٧٦ - ١٨١ ، الحلل الموشية ص ١٢٥ - ١٢٧ ، ابن خلدون ، العبر ، جـ ٦ ، ص ٢٥٢ - ٢٥٦ ، سالم نفسه ، ص ٨٢٩ ، عنان ، نفسه ، ص ٣٦٥ - ٣٨٣) .

(٢) انظر . ابن عذارى ، نفسه ، القسم الموحدى ، ص ٢٥٥ - ٢٥٨ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٣١٩ - ٣٢٢ ، ابن أبى زرع ، نفسه ، ص ٨١ ؛ سالم ، نفسه ، ص ٨٣٠ ، عنان ، نفسه ، ق ٢ ، ص ٣٩٠ - ٣٩١ .

(٣) ابن عذارى ، نفسه ، ص ٢٧٩ ، ٣٣٦ ، ٣٤٥ ، ٣٥٦ ، سالم ، نفسه ، ص ٨٣٠ ، مؤنس ، معالم ، ص ٣٨١ .

والمغرب ، واستولوا على العديد من المدن والقواعد الإسلامية فى الأندلس أهمها مدن قرطبة وبياسة وأبدة التى سقطت فى يد فرناندو الثالث (القديس) ملك قشتالة (٦٣٣ هـ / ١٢٣٦ م ، وبلنسية فى يد خايمي الأول (الفاتح) فى ٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م وتلى ذلك سقوط شاطبة وشقر ودانية كما سقطت فى يده قبل ذلك جزر ميورقة ومنورقة ويابسة (فيما بين سنة ٦٢٧ و ٦٣٥ هـ) ثم سقطت مرسية (٦٤١هـ / ١٢٤٣ م) ثم إشبيلية فى يد فرناندو والثالث ملك قشتالة سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م ، ولم يبق فى حوذة المسلمين سوى المناطق الجنوبية من الأندلس حيث أقام بنو الأحمر مملكة غرناطة [١] .

وفى سنة ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م أنقرضت نهائيا دولة الموحدين وذلك بمقتل أبى العلاء إدريس المقلب بأبى دبوس وذلك أثناء حربه ضد المرينيين الذين استولوا على العاصمة مراكش وورثوا الدولة الموحدية بالمغرب الأقصى [٢] .

---

(١) عن سقوط المدن الإسلامية فى يد النصارى راجع :
ابن عذارى ، نفسه ، القسم الموحدى ، ص ٢٨٨ ، ٢٩٢ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٤٥ ، ٣٦٧ ، ٣٨٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٨ ، ٤٧٠ ، ابن الأبار ، التكملة جـ ٢ ، ص ٥٢٠ ، رقم ١٤٥٧ ، الحلة السيراء، جـ ٢ ، ص ١٢٧ ، رقم ١٣٠ ، المقرى ، نفح ، جـ ٦ ، ص ٢٠٠ - ٢١٦ ، سالم ، نفسه ، ص ٨٣٠ - ٨٣١ ، عنان ، نفسه ، ق ٢ ، ص ٣٩٩ - ٤٣١ ، الحجى ، نفسه ، ص ٤٦٩ - ٤٨٣ ،
Cronica de la corona de Arogón , pp. 71 - 76 ; H. Mirabda , Hist. , politica , p. 478 & Isidro de las Cagifas, sevilla Almohade, Madrid , 1951, pp. 32 - 33 .

وفى رثاء المدن الأندلسية التى سقطت بين النصارى يقول الشاعر بن شريف :

دهى الجزيرة خطب لا عزاء له ... هوى له أحد وانهد ثهلان
أصابها العين فى الإسلام فامتحنت ... حتى خلت منه أوطان وبلدان
فسل بلنسية ما شأن مرسية ... وأين شاطبة أم أين جيان
وأين حمص وما تحويه من نزه ... ونهرها العذب فياض وملآن
قواعد كن أركان البلاد وما ... عسى البقاء إذا لم تبق أركان

انظر (البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ٤٧١) .

(٢) ابن عذارى ، نفسه ، القسم الموحدى ، ص ٤٥٥ ، روض القرطاس ، ص ١٨٧ ، الحلل الموشية ، ص ١٢٧ ؛ سالم ، نفسه ، ص ٨٣١ .

البـــاب الأول
الثورة الزراعية والغابية والحيوانية

الفصـــل الأول
الثروة الزراعيـــة

أولا : المظاهر الجغرافية وأثرها على الزراعـة .

ثانيـا : العوامل المؤثرة على الثروة الزراعية في عصر دولتي المرابطين والموحدين .

ثالثـا : الحرث واعداد الأرض للزراعة .

رابعـا : طرق الغراسة والتركيب والتشمير .

خامسا : نظم ووسائل الرى .

سادسا : طرق وقاية المزروعات من الآفات والحشائش الضارة .

سابعا : المحاصيل الزراعية ومنتجات البساتين .

ثامنـا : أهم النظم المتعلقة بالزراعة .

أولا : المظاهر الجغرافية وأثرها على الزراعة :

تقع شبه جزيرة إيبيريا أو الأندلس – كما كانت تسمى في العصر الإسلامي – في الجنوب الغربي من أوربا ، وتحيط بها المياه من جميع الجوانب عدا الشمال الشرقي حيث تمتد جبال البرتات التي تفصل بين شبه جزيرة إيبيريا وبلاد غالة . وتطوقها من الشرق مياه البحر المتوسط (بحر الشام أو الروم) ، ومن الغرب والشمال الغربي مياه المحيط الأطلسي (البحر المحيط أو بحر الظلمات) ، ومن الشمال خليج بسكونية (بسكاى) ، أما من الجنوب فمزيج من مياه البحر المتوسط والمحيط الأطلسي حيث يوجد مضيق جبل طارق الذى يفصل بين جنوب الأندلس والمغرب الأقصى (١) .

وتسود الجبال والمرتفعات سطح شبه الجزيرة الإيبيرية ، فهى هضبة يبلغ متوسط ارتفاعها عن مستوى سطح البحر ما يقرب من ستمائة متر ، وهذه الهضبة الكبرى تسمى بهضبة المزيتا (La Mesela) ، وتكاد تطل بحافاتها على السواحل الأندلسية مما كان له أثره فى ضيق السهول الساحلية وصعوبة اتصال مدن الساحل بالمناطق الداخلية برا (٢) .

وتحف بتلك الهضبة عدة سلاسل جبلية تكاد تطوقها ، فمن الجنوب تمتد سلسلة جبال سيرامورينا (Sierra Morena أى الجبال السمراء) وسلسلة جبال سيرا نيفادا Sierra Nevada المعروفة فى المصادر العربية بجبل شلير الذى يفصل الجنوب

---

(١) أنظر : ابن غالب ، قطعة من كتاب فرحة الأنفس ، ص ٣٨١ ؛ أبو الفدا ، تقويم البلدان ، طبعة بغداد (مصورة عن طبعة باريس ١٨٤٠ م) ص ١٦٥ – ١٦٦ ؛ عبد العزيز سالم ، مادة الأندلس ، دائرة معارف الشعب ، عدد ٦١ سنة ١٩٥٩ ، ص ٣ ، مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٢٩ ؛ عبد الله عنان ، جغرافية الأندلس والمصطلحات الجغرافية الاندلسية ، مجلة تطوان عدد ٣ – ٤ سنة ١٩٥٩-٥٨ ، ص ٢ – ٣ .

(٢) مؤنس ، نفسه ، ص ٢٢٩ ؛ عز الدين موسى ، النشاط الاقتصادي فى المغرب الإسلامي بيروت ، ١٩٨٣ ، ص ٥٢ ؛

Levi - provençal, Espana musulmaana, t. v, 147 .

والجنوب الشرقي عن وسط الأندلس ، وفي شرق الهضبة تمتد سلسلة جبال شرق الأندلس وتعرف أيضا بالجبال الإيبيرية (Sistema Iberíco) وهي تفصل بين الهضبة والسهول الساحلية للبحر المتوسط ، وفي أقصى الشمال الغربي تمتد سلسلة جبال قنطابرية (Cantabria) بحذاء خليج بسكاي ، وفي الشمال الشرقي جبال سرقسطة ، أما في الوسط فتمتد جبال طليطلة المعروفة بجبال الشارات وكذلك جبل شقورة (Sierra de Segura) . والملاحظ أنه يشغل المسافة الواقعة بين كل سلسلة من الجبال والتي تليها واد يجرى فيه نهر مستعرض يصب إما في البحر المتوسط أو في البحر المحيط ، وهذه الأودية تمثل المناطق السهلية المنبسطة الأكثر صلاحية للزراعة . ومن ناحية أخرى فإن تضاريس شبه الجزيرة الإيبيرية وتنوعها قد أثر في المناخ تأثيراً عميقاً ، كما أن الإمتداد الشاسع لشبه الجزيرة قد تسبب أيضا في تنوع المناخ في تلك البلاد[1] .

ويسود شبه الجزيرة الإيبيرية مناخ البحر المتوسط ومناخ غرب أوربا ، فشرق الأندلس وجنوبه يقعان في نطاق مناخ البحر المتوسط ، أما المناطق الشمالية والشمالية الغربية والغربية فيسودها مناخ غرب أوربا ، في حين تخضع المناطق الداخلية الواقعة في وسط شبه الجزيرة للمناخ القارى . وتجدر الإشارة هنا إلى أن معظم مناطق أسبانيا يسودها مناخ البحر المتوسط ، وهو حار جاف صيفا دافىء ممطر شتاء[2] .

ومما لاشك فيه أن لتنوع المناخ تأثيره العميق على الإنتاج الزراعى في تلك البلاد

---

(١) أنظر : البكرى ، جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق عبد الرحمن الحجى ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٥٧ – ٥٨ ؛ ابن غالب ، نفسه ، ص ٢٠٧ ، ابن فضل الله العمرى ، مسالك الأبصار ، جـ ١ ، تحقيق أحمد زكى ، القاهرة ١٩٢٤ ، ص ٥٦ ، القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٥ ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩١٥ ، ص ٢١٢ ، سالم ، مادة الأندلس ، دائرة معارف الشعب ، ص ٢ – ٤ ؛ مؤنس ، معالم ، ص ٢٢٩ ، مختار العبادى ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢١ ، عز الدين موسى ، النشاط الإقتصادى ، ص ٥٢ .

(٢) أنظر المقرى ، نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٢٨ – ١٢٩ ؛ مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٣٠ ، عز الدين موسى ، النشاط الاقتصادى ، ص ٥٢ – ٥٣ ،

Levi - Provençal, Espana musulmana, t. v, p; 147 .

مترامية الأطراف ، فقد أدى إلى تنوع الحاصلات الزراعية بحيث يمكن القول إن معظم هذه الحاصلات كان يزرع فى الأندلس لأن تنوع المناخ فى المناطق المزروعة أعدها لزراعة كل أنواع المحاصيل تقريبا [1] .

ويغلب على المناطق الجنوبية والجنوبية الغربية الجفاف بوجه عام ، وربما كان ذلك السبب فى تسمية أراضى غرب أسبانيا « باسترامادوره » ، والأمطار فى النصف الشمالى أكثر من الجنوبى ، وتسقط الأمطار عادة إبتداء من النصف الثانى من سبتمبر ويستمر موسم سقوطها حتى مايو ، ويذكر صاحب تقويم قرطبة أن خير الأمطار وأغزرها تلك التى تسقط فى أوائل نوفمبر حيث إبتداء فصل الشتاء فى الأندلس ، وهناك مناطق يستمر سقوط الأمطار فيها إلى مرحلة طويلة من الصيف وأعنى بها بلاد جليقية وأشتوريش [2] .

أما أنهار الأندلس فعديدة ، وبعضها يجرى إلى الشرق ويصب فى البحر المتوسط والآخر يجرى إلى الغرب ويصب فى المحيط الأطلسى . وكلها تنبع تقريبا من جبال وسط شبه الجزيرة فالأنهار الشرقية التى تروى سهول شرق وشمال شرق الأندلس أهمها : نهر إبره Ebro الذى يروى سرقسطة وما يجاورها ونهر طورية Turia الذى تقع عليه بلنسية ، ويليه جنوبا نهر شقر Jucar ثم نهر شقورة Segura الذى يروى منطقة مرسية وما حولها ، ونهر أندرش Andarax الذى يصب على مقربة من المرية ، أما الأنهار الغربية فأهمها نهر دويره (El Duero) ثم وادى تاجه (El Tajo) ثم واد يانه (Guadiana) ثم الوادى الكبير Guadalquivir [3] ، كما توجد أنهار أخرى صغيرة

---

(١) المقرى ، نفسه ، جـ ١ ، ص ١٢٨ .

(٢) أنظر ، عريب بن سعد ، تقويم قرطبة ، ص ٨٩ ، ٩٧ ، ١٠٤ ، مجهول ، تقويم غرناطى ، ص ٣١ ؛ مؤنس ، معالم ، ص ٢٣٠ .

(٣) أنظر ، وصف الأندلس للرازى ، نشره ليفى بروفنسال بعنوان :

La description de l'Espagne d" Ahmed Al - Razi , Al - Andalus, Vol, XVIII, Fasc. I , Madrid , 1953 , pp. 62; 101 - 103 .

وأيضا . ابن غالب ، ص ٣٠٧ ، الزهرى ، الجغرافية ، ص ١٣٩ – ١٤٠ ، ابن فضل الله =

في مناطق متفرقة ، ومن أمثلة هذه الأنهار : حدره (Darro) وشنيل (Genil) في غرناطة ، ووادى مالقة الذى تجف مياهه في الصيف والخريف ، ووادي لكة (Guadalete) بكورة شذونة الذى ينبع من جبال تاكرونا قرب الجزيرة الخضراء ويصب في المحيط [1] . وبطبيعة الحال فإن وديان تلك الأنهار كانت تمثل أهم مناطق الزراعة في الأندلس ويتركز بها غالبية السكان حيث أن الزراعة كانت تعتبر أهم حرف أهل الأندلس [2] .

ثانياً : العوامل المؤثرة على الثورة الزراعية في عصر دولتي المرابطين والموحدين :

على الرغم من ازدهار الزراعة ووفرة الانتاج الزراعي في الأندلس خلال عصر دولتي المرابطين والموحدين نتيجة لاستقرار الأوضاع السياسية وانتشار العدل والأمن والطمأنينة كما سبق الذكر ، إلا أن البلاد تعرضت في بعض الفترات للمجاعات والقحط وقلة الطعام وغلاء الأسعار . وهناك عدة عوامل كان لها تأثيرها السيء على الثروة الزراعية ونوجزها فيما يلي :

١ - الجفاف :

كانت الأراضي الأندلسية تتعرض أحياناً لحالة من الجفاف وانعدام سقوط الأمطار أو قلتها مما يؤدى إلى القحط وتدهور الثروة الزراعية في البلاد كما حدث في المغرب والأندلس في عصر المرابطين ، ويذكر ابن عذارى في ذلك أنه في سنة ٤٩٨

= العمرى ، مسالك الأبصار ، جـ ١ ، ص ٧٤ - ٧٦ ؛ مختار العبادى ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٢ .

(١) أنظر . الإدريسى ، نفسه ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، الزهرى ، الجغرافية ، ص ١٤٠ ، شيخ الربوة ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، طبعة بغداد (مصورة عن طبعة ليبزج ١٩٢٣ م) ص ٢٤٢ ، عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٤ ، سالم ، مادة الأندلس ، ص ٤ .

(٢) Levi - provençal , Histoire de L'Espagne musulmane , t. III, Paris, 1953, p. 166 .

هـ / ١١٠٤ م » تناهى القحط فى بلاد الأندلس والعدوة حتى أيقن الناس بالهلاك [١] ، كما تعرضت غرناطة فى سنة ٥٢٤ هـ / ١١٢٩ م للجفاف والقحط نتيجة عدم سقوط الأمطار [٢] . وخلال العصر الموحدى أيضا تأخر موسم سقوط الأمطار فى الأندلس فى سنة ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م مما أدى إلى حدوث حالة من الجفاف استمرت حتى شهر ديسمبر من السنة نفسها [٣] .

٢ - الفيضانات والسيول والعواصف :

أدت السيول التى اجتاحت الأندلس فى بعض السنين نتيجة لفيضان الأنهار خلال فصل الشتاء إلى هلاك الكثير من الناس وفساد المحاصيل الزراعية وبالتالى الإضرار بالثروة الزراعية للبلاد ، فيذكر ابن الكردبوس أن بلنسية تعرضت لأحد هذه السيول فى سنة ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م مما أحدث الكثير من التخريب والتدمير فى مدينة بلنسية وما يجاورها من القرى [٤] ، كما حدث سيل جارف بإشبيلية سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م تسبب فى هدم سورها من جهة الوادى [٥] ، وفى سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م أيضا حدث سيل اجتاح المدن المطلة على الوادى الكبير ، وفى ذلك يقول ابن عذارى : « وفيها (أى سنة ٥٩٧ هـ) كان السيل الشنيع بوادى اشبيلية هلك فيه أمم لم يحصيهم إلا الله وذلك بجفن إشبيلية وبكل من كان بضفتى الوادى من قرطبة إلى جزيرة قادس [٦] » .

---

(١) أنظر . ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٤٥ .

(٢) ابن الزبير ، صلة الصلة ، نشر ليفى بروفنسال ، الرباط ، ١٩٣٨ م ، ص ٢٤ رقم ٣٢ .

(٣) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، ص ٣٩٧ .

(٤) أنظر . ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص ٩٨ - ٩٩ .

(٥) ابن صاحب الصلاة ، نفسه ، ص ٢٣٤ ، عبد العزيز سالم ، قصور بنى عباد بإشبيلية الواردة فى شعر ابن زيدون ، مجلة أوراق ، عدد ٢ ، مدريد ، ١٩٧٩ ، ص ٣٥ - ٣٦ .

(٦) انظر . البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ٢١٤ . وقد أشار ابن عذارى إلى أن هذا السيل الذى حدث بإشبيلية سنة ٥٩٧ هـ سبقه سيول كثيرة حتى قال أحد الشعراء :

لله حمص أيما بلدة ... لو أننا من ثعباتها

طاف بها والريح روح له ... فابتلع الأرض وسكانها

انظر (البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ٢١٤) .

من ناحية أخرى كانت تحدث أحيانا تغيرات فجائية في المناخ كهبوب عواصف شديدة أو سقوط جليد مما يؤثر على المحاصيل ، فيذكر الحميرى أنه « نزل بمدينة ركلة في أيام بني هود برد عظيم حطم أغصان شجر الكمثرى حتى تركها جذوعا دون أغصان [(١)] » .

٣ - الزلازل :

تعرضت الأندلس لزلزال شديد في جمادى الأولى سنة ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م « عند طلوع الشمس وعند نزولها في الظهر من الأيام بتاريخ شهر جمادى الأولى من السنة المؤرخة (٥٦٥ هـ) وتوالت على مدينة أندوجر [(٢)] عدة أيام حتى كادت أن تتحول وتغوص بها الأرض ، واتصل بعد ذلك بمدينة قرطبة وغرناطة وإشبيلية وجميع الأندلس ، فكان الرائي بعينه يرى حيطان الديار تضطرب وتميل حتى إلى الأرض ثم ترتفع وترجع على حالها بلطف الله تعالى ، وتهدمت من ذلك مواضع ديار كثيرة في البلاد المذكورة وصوامع مساجد [(٣)] » .

٤ - الأوبئة والآفات الزراعية :

تأثرت الثروة الزراعية كثيراً بالأوبئة التي كانت تستشرى في المغرب والأندلس في بعض الأعوام نتيجة للحصار الذى قد تتعرض له بعض المدن من جانب النصارى الأسبان مما يسبب مجاعات وانتشار أمراض مختلفة ، أو لقلة الوعي الصحي والنظافة داخل المدن . والملاحظ أن المجاعات كان يعقبها غالباً ظهور أوبئة تفتك بالقوى البشرية في المجتمع مما يؤثر بشكل سيء على الإقتصاد عامة ، فيذكر ابن القطان أنه في سنة

---

(١) صفة جزيرة الأندلس ، ص ٧٨ . أما مدينة ركلة المذكورة بالمتن فتقع على نهر شلون قرب سرقسطة (الحميرى ص ٧٨) .

(٢) اندوجر Andujar : تقع قرب مدينة بياسة ، وكانت من أعمال قرطبة . أنظر (الإدريسي صفة مصر والمغرب وبلاد السودان والأندلس ، ص ١٩٦) .

(٣) أنظر . المن بالامامة ، ص ٣٩٧ ، البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ٨٤ .

٥٢٦ هـ / ١١٣١ م اشتدت المجاعة وانتشر الوباء بقرطبة وتوفى عدد كبير من الناس [١] . كذلك أشار ابن أبى زرع إلى وباء شديد فتك ببعض أهالى المغرب والأندلس فى سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م – أى فى عهد الخليفة الموحدى عبد الواحد الرشيد بن المأمون بن يعقوب المنصور – وفى ذلك يقول : « وكان بالعدوة والأندلس فى هذه المدة (أى سنة ٣٦٥ هـ) غلاء شديد ووباء مفرط هرب فيها أكثر أهل البلاد [٢] » .

ومن ناحية أخرى لم تسلم المحاصيل الزراعية من خطر الآفات خاصة الجراد الذى سبب الكثير من الخسائر والأضرار للثورة الزراعية فى الأندلس ، فقد أشار العذرى إلى أن فحص الفندون قرب [٣] لورقة كثيرا ما تعرض لآفة الجراد وأضر بمحاصيل تلك المنطقة [٤] . ويبدو أن أهل الأندلس منذ عصر الدولة الأموية – أولوا مكافحة الجراد اهتماما كبيرا ، فيذكر عريب بن سعد أن فى شهر مارس « يظهر دبيب الجراد فيؤمر بعقره [٥] » .

والغالب أن خطر الجراد اشتدت وطأته إبان العصر المرابطى بدليل تلك الرسائل التى كان يبعث بها أمراء المرابطين إلى عمالهم فى الأندلس يحثونهم على مكافحة الجراد وقتله بمختلف السبل [٦] . كذلك أورد ابن القطان أخباراً عديدة عن فتك الجراد بمحاصيل الأندلس فى عهد أمير المسلمين على بن يوسف ، فيذكر أنه فى

---

(١) نظم الجمان ، ص ١٩٧ .

(٢) روض القرطاس ، ص ١٨٢ .

(٣) لورقة (Lorca) : تقع بكورة مرسية فى جنوب شرق الأندلس ، واشتهرت بخصبها وحصانتها ويذكر العذرى أن تفسير لورقة باللاتينية معناه الدرع الحصين . أنظر (العذرى ص ١ ؛ الادريسى ، ص ١٩٦) .

(٤) نصوص عن الأندلس من ترصيع الأخبار ، ص ٢ .

(٥) أنظر . تقويم قرطبة ، ص ٤٠ .

(٦) أنظر : محمود مكى ، وثائق تاريخية جديدة عن العصر المرابطين ، ص ١٦٤ ، ١٨٦ – ١٨٨ .

سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م أكلت الجراد زرع قرطبة [١]، أما في سنة ٥٢٧ هـ / ١١٣٢ م و ٥٢٨ هـ / ١١٣٣ م فقد أتت الجراد على ما كان على الأرض من زرع وكلأ [٢] ، ويضيف ابن القطان أنه في سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م « محت الجراد ما على الأرض من زرع وكلأ ، وأمر الناس بالخروج إليها فساقوا منها خمسة آلاف عدل [٣] وثلاثمائة وثلاثين عدلا ، وما غاب عن العيون أكثر تركت في المواضع الذي قتلت فيه ولم تحمل [٤] » كذلك حدث في العامين التاليين (٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م و ٥٣١ هـ / ١١٣٦ م) خسائر فادحة في المحاصيل الزراعية نتيجة لظهور الجراد [٥] .

٥ - الفتن والثورات الداخلية والغارات النصرانية :

تسببت الفتن والثورات الداخلية التي نشبت في الأندلس خلال فترة الانتقال من العصر المرابطي الى العصر الموحدي في الأضرار بمصادر الثروة الاقتصادية عامة ، إذ أنها أدت إلى فرار الكثيرين من بلادهم وإهمال شئون الري وإتلاف الزرع وانتهاب الضرع وتخريب الأراضي الزراعية [٦] . فنجد أن ثورة ابن مردنيش - على سبيل المثال - بمنطقة شرق الأندلس كان لها أسوأ الأثر على الزراعة في مرسية بصفة خاصة لأنها معقل الثورة ومقر إقامة ابن مردنيش ، وقد أشار ابن صاحب الصلاة الى ذلك

---

(١) أنظر . نظم الجمان ، ص ١٩٩ .

(٢) نظم الجمان ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٨ .

(٣) العدل والعديل سواء أي النظير والمثل . والعدل نصف الحمل يكون على أحد جنبي البعير . انظر (ابن منظور ، لسان العرب ، ص ٢٨٣٩ - ٢٨٤٠) .

(٤) نظم الجمان ، ص ٢١٧ .

(٥) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ . وتجدر الإشارة إلى أنه لم ترد لنا أية أخبار عن خطر الجراد في العصر الموحدي مما يبعث على الظن بأن الدولة الموحدية - مثل الدولة الأموية - قد بذلت جهودا فائقة في هذا المجال ونجحت في الحد من هذا الخطر .

(٦) أنظر ابن الابار ، التكملة لكتاب الصلة ، جـ٢ ، طبعة كوديرا ، مدريد ١٨٨٦ م ، ص ٥٦٢ رقم ١٥٩٥ ، صلاح خالص ، إشبيلية في القرن الخامس الهجري ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ٤٨ .

بقوله : « فنزلوا (يقصد قوات الموحدين) بساحتها (أى مرسية) وأقاموا فيها ، وعيد عيد الأضحى بأباطحها وموضع راحتها من مقره فى دار مفره على مرأى منهم بظاهر مرسية المذكورة فى تخريب بساتينه وإباحة الخطوب فى مواضع متنزهاته من راحة ورياحينه وتتبعوا تلك الاصقاع بالتدمير[1] » .

ومن ناحية أخرى قام النصارى الاسبان بغارات عديدة على الأراضى الأندلسية المتاخمة لحدودهم ، وكان يصحب تلك الغارات دائما أعمال النهب والسلب واحراق المحاصيل ومثال ذلك ما حدث سنة ٥١٩ هـ - ٥٢٠ (١١٢٥ - ١١٢٦ م) عندما قام الفونسو الأول (المحارب) ملك أرغون بغارته التخريبية على المناطق الجنوبية الشرقية من الأندلس دون أن يلقى مقاومة تستحق الذكر ، كذلك أشار ابن القطان الى غارة نصرانية أخرى على غرب الاندلس سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م فيقول « وضربت خليل النصارى على قرية اشبيلية من جهة حصن القليعة فأوسعتها غارة وسبيا وقتلا نهبا ، ثم أغارت خيل النصارى على قرية اشبيلية ثانيا واقتحمت الشرف والناس على غرة وغفلة فقتلت منهم عالما لا يحصى[2] » ، كما أغاروا فى نفس السنة (٥٢٦ هـ) هلى جهة يابرة فى غرب الأندلس[3] .

وفى عصر الموحدين واصل النصارى الاسبان غاراتهم التخريبية على الأندلس ، فأغارو على منطقة قرطبة وما يجاورها سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م قبل أن يقوم يحيى بن على بن غانية بتسليمها للموحدين[4] ، كذلك قام ابن الرنك (الفونسو إنريكث

---

(١) أنظر : ابن الابار ، المعجم فى أصحاب القاضى ابن على الصدفى ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ١٦٠ ، ترجمة رقم ١٣٦ ، ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ١٠٩ ، هـ ٢ ، ص ١٠٩ ، ابن عذارى البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٦٩ - ٧٣ ، الحلل الموشية ، ص ٦٥ - ٦٦ . أيضا
Bosch Vila, Les Almeravides, pp. 234 - 236 & Terrasse, Hist ., du Maroc , p. 245 .

(٢) نظم الجمان ، ص ١٩٧ .

(٣) ابن القطان ، نفسه ، ص ١٩٧ .

(٤) انظر : ابن عذارى ، نفسه ، القسم الموحدى ، ص ٥٣ - ٥٤ ، السلاوى ، الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٠٥ .

ملك البرتغال) بغارة على قرى الشرف بإشبيلية سنة ٥٦٤ هـ / ١١٧٨ م [١]، كما قام أذفونش بن شانجة (الفونسو بن سانشو الثالث بن الفونسو السابع المعروف بالسليطين) ملك قشتالة وطليطلة بغارات سنتي ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م و ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م على جهات مالقة ورندة وغرناطة والجزيرة الخضراء ، وأعمال السلب والنهب والتخريب في تلك المناطق مما أدى إلى حدوث المجاعة والغلاء [٢] .

ثالثا : الحرث وإعداد الأرض للزراعة :

أشاد الجغرافيون الأندلسيون والمشارقة بخصوبة تربة الأندلس ووفرة إنتاجها الزراعي لا سيما في منطقة سهول شرق الأندلس الواقعة قرب مجاري الأنهار [٣] ، وكذلك في بعض مناطق غرب الأندلس مثل باجة [٤] ولبلة [٥] وبطليوس [٦] وشنترين [٧] وشلب [٨] ، وفي الجنوب الغربي مثل شريش [٩] وشذونة [١٠] ، وفي

---

(١) ابن عذارى ، نفسه ، القسم الموحدى ، ص ١١٢ .

(٢) المن بالامامة ، ص ٣٩٧ ؛ ابن عذارى ، نفسه ، القسم الموحدى ، ص ١١٨ .

(٣) الزهرى ، الجغرافية ، ص ١٠٠ ؛ القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد ، طبعة بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ٥١٣ ، مؤلف مجهول ، جغرافية الأندلس وفضلها وصفتها وذكر أصقاعها ، مخطوط ، نسخة مصورة بمكتبة المعهد المصرى بمدريد تحت رقم ٢٦ ب ، لوحة ٢٥ ، ٢٦ .

(٤) مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٥ .

(٥) العذرى ، نصوص عن الأندلس من ترصيع الأخبار ، ص ١١١ .

(٦) ابن غالب ، قطعة من فرحة الأنفس ، ص ٢٩٠ ، مجهول ، نفسه ، مخطوط ، لوحة ٢٤ .

(٧) اشتهرت قرى شنترين بخصوبة تربتها فيذكر المؤلف المجهول أن القفيز من القمح فيها مائة قفيز وأقل وأكثر . (جغرافية الأندلس ، لوحة رقم ٢٢) .

(٨) يذكر المؤلف المجهول أن بشلب إقليم طيب « يرفع فيه للقفيز الواحد مائة قفيز وأزيد : أنظر (مجهول ، جغرافية الأندلس ، لوحة رقم ٢٣) .

(٩) الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٠٢ .

(١٠) ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ٣٠١ ، مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة رقم ٢٩ .

وسط الأندلس مثل جيان [١] وبياسة [٢] وقبرة [٣] . ومن ناحية أخرى أوضحت كتب الجغرافية أن بعض المناطق الزراعية امتازت بوفرة محصولها نظراً لخصوبة التربة بها مثل محرث الكنبانية (أو القنبانية) بقرطبة ، حيث يذكر المقرى أن بقرطبة « المحرث العظيم الذى ليس له فى بلاد الأندلس نظير ولا أعظم منه بركة [٤] . » كما أن لورقة كان بها « الفحص الذى لا يعلم فى الأرض مثله وهو المعروف بالفندون [٥] » .

وقد تمكن أهل الأندلس من تصنيف الأنواع المختلفة للتربة [٦] ، وتوصلوا إلى معرفة ما يصلح لكل منهما من المزروعات والأسمدة ؛ فإن كتب الفلاحة الأندلسية تشير إلى أن أهم أنواع التربة فى الأندلس هو : التربة اللينة والجبلية والسوداء والبيضاء والرملية والصفراء والحمراء وأخيرا التربة الحرشا المضرسة (التربة الخشنة) [٧] .

---

(١) جيان (Jaén) : تقع بإقليم البشارات ، بينها وبين مدينة بياسة مسافة ٢٠ ميلا ، ويصفها الإدريسى بأنها مدينة كثيرة الخصب رخيصة الأسعار . أنظر (الإدريسى) ص ١٠٢ – ١٠٣ ، محمد الفاسى ، تحقيق الاعلام الجغرافية الأندلسية ، مجلة البينة ، الرباط ١٩٦٢ ، ص ٢٦) .

(٢) بياسة (Baeza) : من أعمال كورة جيان ، وتقع على كدية تراب مطلة على نهر الوادى الكبير . وبها أسوار وأسواق ومتاجر وزراعات ، ومنها إلى أبدة من جهة الشرق ٧ أميال (الإدريسى ، ص ٢٠٣) .

(٣) قبرة (Cabra) : تقع إلى الجنوب الشرقى من قرطبة على مسافة ٤٠ ميلا منها ، ويذكر الإدريسى أن بها حصناً كبيراً كالمدينة حصين المكان . أنظر (البكرى ، جغرافية الأندلس وأوربا ، هـ ٦ ، ص ١٢٧ ، الإدريسى ، ص ٢٠٥) .

(٤) المقرى ، نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٨ . وسهل الكنبانية أو القنبانية أصله أسبانى (Cam-pina) ومعناه البادية ، ويمتد إلى جنوب مدينة قرطبة واختص بزراعة الزيتون . انظر (سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، جـ ١ ، ص ١٦ ؛ محمد الفاسى ، تحقيق الاعلام الجغرافية ، ص ٢٩) .

(٥) الإدريسى ، ص ١٩٤ ، الحميرى ، ص ١٧٢ .

(٦) عن تصنيف الأنواع المختلفة للتربة بالتفصيل ، أنظر الملحق رقم (١) فى نهاية البحث .

(٧) انظر . ابن بصال ، الفلاحة ، ص ٤٢ – ٤٧ ، أبو الخير الإشبيلى ، الفلاحة ، ص ٤ ، ابن العوام الفلاحة ، جـ ١ ، ص ٨٩ – ٩٤ ؛

José Vallicrosa, tratadode Ibn Wafid, Al - Abdalus, Vol, V III, 1943, pp. 300 - 301 .

ومن الطبيعى أن تتعرض التربة لفقد خصوبتها بعد وقت ما ، ولذا حرص الأندلسيون على تسميدها من أجل إنعاشها وتجديد خصوبتها وزيادة إنتاجيتها . وقد أشارت كتب الفلاحة الأندلسية إلى عدة أنواع من السماد (السرجين أو السرقين) أهمها : روث (أو زبل) الخيل والبغال والحمير والزبل الآدمى والزبل المضاف وزبل أو بعر الضأن والماعز وزبل أو زرق الحمام ورماد الحمامات والتنانير والزبل المولد [١] .

وتستدل مما ذكره ابن بصال وغيره من علماء الفلاحة الأندلسية أن الزراع فى الأندلس اتبعوا ما يعرف الآن بنظام الدورة الزراعية لعدم إجهاد التربة وللمحافظة على خصوبتها ، وأحيانا كانوا يتركون الأرض بورا (كان يطلق عليها أراضى راقدة) لمدة عام ويطلقون فيها قطعان حيواناتهم لرعى الكلأ أو العشب . وكانوا يقسمون الأرض التى يزرع فيها إلى ثلاثة أنواع : بور ومعمور وقليب ، فالبور أراضى راقدة هامدة لا تصلح للزراعة إلا بعد القلب (أى الحرث) والتسميد ، أما المعمور فهى الأراضى التى حصد ما عليها وبقيت فيها بقايا ذلك ، وهى أفضل من البور إلا أنها لا تبلغ جودة القليب الذى يعتبر أكثر الأراضى ملاءمة للزراعة [٢] .

والقلب أو القليب يقصد به حرث التربة مرتين إلى أربع مرات حسب نوعية التربة ونوع الزرع أو الغرس ، ويشير ابن بصال إلى أن الحرث يبدأ غالبا بالأندلس فى منتصف يناير حتى يونيو [٣] ، غير أن بعض المناطق كما يذكر صاحب تقويم قرطبة

---

(١) أشار أبو الخير الإشبيلى وابن وافد وابن العوام إلى ان زرق الحمام هو أجود أنواع الزبول ، وأن جميع زبل الطيور يصلح للتربية عدا زبل الأوز وطير الماء وزبل الخنازير . انظر : (أبو الخير الفلاحة ، ص ١٠ – ١١ ؛ ابن العوام ، الفلاحة ، جـ ١ ، ص ٩٩ ،

Vallicrosa, tratado de agricultura de IbN Wafid, p. 305 .

وعن التفاصيل الخاصة بأنواع الأسمدة راجع الملحق رقم (٢) فى نهاية البحث

(٢) أنظر : ابن بصال ، الفلاحة ، ص ٥٧ ؛ عز الدين موسى ، النشاط الاقتصادى فى المغرب ، ص ١٨٩ ،

Levi - Provençal , Espana musulmana , tlv , p. 153 .

(٣) ابن بصال ، الفلاحة ، ص ٥٦ .

تبدأ الحرث فى أوائل أكتوبر كما فى قنباتية قرطبة ومنطقة فحص البلوط وما يجاورها من قرى [(١)] .

والحقيقة أن الأندلسيين عرفوا أهمية الحرث بالنسبة للتربية خاصة فى المساحات الكبيرة التى يصعب تسميدها ، فيذكر ابن بصال أن الأراضى الواسعة التى لا يستطاع تسميدها يستعاض عن ذلك بالحرث عدة مرات ، وهذا يفيد التربية كثيراً لأنه يفتح مسامها ويسرى الهواء الحار فى داخلها [(٢)] ، ويشير ابن العوام أيضا إلى ذلك بقوله : « فانها (أى الأرض) إن حرثت مرات مفترقات .. ينقطع نباتها (أى الحشائش الضارة) بكثرة حرثها فلا تتكلف تغذية شيء منه ، ثم يمر عليها حر الشمس والقيظ فيصل إلى أعماق خطوطها .. فيجتمع لها بهذا العمل ثلاث خلال : الانتفاش والرخاوة ثم إحراق الشمس وتلطيفها إياها . وهذا العمل أنجع ما يكون فى إصلاحها [(٣)] » .

وفى وقت الزراعة كان الزراع يقومون بحرث التربة بواسطة آلة يربط فيها ثوران ، ويتراوح عدد مرات الحرث بين اثنين إلى أربع مرات حسب نوع المحصول وطبيعة التربية ، وبعد ذلك تسوى الأرض بأن يؤخذ التراب من المكان المرتفع إلى المكان المنخفض حتى يستوى جرى الماء عليها ، ويحصل كل موضع على حاجته من الماء [(٤)] . وكان يتم تسوية الأرض ذات المساحة الصغيرة بإستخدام ميزان الماء المعروف

---

(١) أنظر : عريب بن سعد ، تقويم قرطبة ، ص ٩٤ ؛ ابن العوام ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٤٣٠ ، ويذكر ابن العوام – نقلا عن أبى الخير – أن أول فصول السنة عند الفلاحين فصل الخريف ، وفيه يبدأ الفلاحون أعمالهم . أنظر (ابن العوام ، الفلاحة ، جـ ٢ ، ص ٤٢٨) .

(٢) ابن بصال ، نفسه ، ص ٥٦ ،

J. Vallvé, La agricultura, p. 16 .

(٣) ابن العوام ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ١ – ٢ . وقد أوضح ابن بصال ضرورة ألا يبدأ الحرث قبل يناير حتى لا تتراكم مياه الأمطار فى الأرض مما يذهب برطوبتها ويضر بها ، ويضف أنه من المفيد للتربة أن يبدأ بحرثها فى منتصف يناير . أنظر (ابن بصال ، الفلاحة ، ص ٥٦ – ٥٧ ، ابن العوام ، جـ ١ ، ص ٥٢٣) .

(٤) ابن بصال ، الفلاحة ، ص ٥٥ ، المقرى ، نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٣٤ ، هـ ١ ، ص ١٣٤ .

بالمرجيقل (فى القشتالية Almarchaquel) ، أما لأراضى الواسعة فكان يستخدم فيها الجاروف الذى تجره الأبقار أو الثيران [1] .

وبعد تعديل الأرض وتسويتها تخطط لغراسة الثمار خطوطا مستقيمة ، حتى لا تخرج منها ثمرة عن حد صاحبتها لتقابلها الريح من أى ناحية هبت ، وتستوفى كل ثمرة من الريح والهواء حقها ، ويجعل بين ثمرة وثمرة إثنتى عشر ذراعا [2] ، أما إذا كانت الأرض ستزرع بالمحاصيل فيتم تقسيمها أحواضاً ، وتتباعد البذور مسافات تتفاوت باختلاف أنواع المحاصيل [3] .

رابعا : طرق الغراسة والتركيب والتشمير :

عرف زراع الأندلس طريقة غرس الأشجار المثمرة وذلك بالنوى وبالنوامى [4] وبالزراريع أى البذور ، فيذكر ابن بصال أن الثمار التى لها نوى مثل الجوز واللوز والبرقوق تنضج فى سبتمبر ، وهنا يؤخذ النوى ويزرع فى تلك المدة المذكورة . أما النوامى (القضبان) فتغرس ما بين يناير ومارس ، وكذلك الحال بالنسبة لغرس الأوتاد والمللوخ [5] .

---

(١) ابن بصال ، الفلاحة ، ص ٥٥ ؛ ابن العوام ، نفسه ، جـ ١ ، ص ١٤٧ ؛ عز الدين موسى ، النشاط الاقتصادى ، ص ١٩٠ ؛

Imamuddin, some aspects of the socio - economic and culture in Al - Andalus, Dacca, 1965, p. 75 .

وتجدر الاشارة إلى أن ميزان الماء أو المرجيقل يشبه ما يستعمل الآن فى صناعة البناء ، والمرجع أن هذه الآلة أخذها المسلمون عن النصارى الأسبان (المستعربين) الذين عاشوا تحت الحكم الإسلامى . أنظر : (ابن البصال ، الفلاحة ، مقدمة المحقق ، ص ٢٢ – ٢٣) .

(٢) ابن بصال ، نفسه ، ص ٥٥ .

(٣) ابن بصال ، نفسه ، ص ١٠٩ – ١١٠ ، ١١٢ – ١١٥ .

(٤) النوامى أو القضبان وهى الفروع الصغيرة .

(٥) أنظر : ابن بصال ، نفسه ، ص ٥٩ ، أما المللوخ التى ورد ذكرها بالمتن فهى الفروع أو الأغصان الصغيرة التى تملخ من الشجرة أى تنزع لغرسها بعد ذلك .

وقد أمدنا ابن بصال تفاصيل عديدة عن طرق الغراسة في الأندلس منها أن تؤخذ قضبان من أشجار الفاكهة وتغرس في قصارى ثم تخدم بالتسميد والرى ، وعند نموها تنقل إلى التربة التى ستستقر عليها نهائيا إلى أن تستكمل عملية النمو ، ويضيف أن هذه الطريقة تستخدم في غراسة الزيتون والإجاص وحب الملوك وغيرها من الأشجار المثمرة [١] .

أما الغراسة بالوتد فهى أن يؤخذ الوتد ويكون طوله نحو ثمانية أشبار وغلظه نحو الذراع ، ويحفر له حفرة عمقها أربعة أشبار ، ويوضع الوتد فيها وتردم ولا تسوى مع سطح الأرض بل تترك منخفضة ليستقر الماء فيها ويأخذ الوتد بذلك ما يكفيه من الماء ، ثم يبدأ الوتد بعد ذلك في تقبل الغذاء من التربة ، ويجرى عندئذ الماء في العود ، وينبغى أن تكون المسافة بين وتد وآخر نحو عشرين ذراعا [٢] .

وفى حالة غرس نوى الزيتون يكون وقته فى أكتوبر وذلك بأن تأخذ أفضل أنواع النوى على أن يكون زيتونا لم يمسسه ملح بأى حال ، ويغرس النوى فى قصارى بها تراب يلائم زراعته مثل التربة البيضاء الرطبة دون تسميد ، ثم يزرع فيها النوى ويخدم مدة أربع سنوات أو أقل ، ويشير ابن بصال إلى أنه جرب هذه الطريقة بنفسه وأثبتت نجاحها [٣] .

وتشير كتب التقاويم (كتب الأنواء) إلى أوقات غرس بعض أشجار الثمار ، فيذكر صاحب تقويم قرطبة أنه فى خلال شهر يناير يغرس النوى كله وتغرس الملوخ وتغرس القراصيا وأوتاد الزيتون والرمان [٤] وفى فبراير يغرس الزعفران والإجاص وتنقل

---

(١) ابن بصال ، الفلاحة ، ص ٦١ ، ٦٧ – ٦٨ .

(٢) انظر : ابن بصال ، نفسه ، ص ٦٠ .

(٣) ابن بصال ، نفسه ، ص ٦١ .

(٤) أنظر : عريب بن سعد ، تقويم قرطبة ، ص ٢٢ ؛ أبو الخير ، الفلاحة ، ص ٤٩ ، مجهول ، تقويم غرناطى من القرن ١٥ م ، نشر باسكث ، ص ٣٧ .

الغروسات [1] ، وفي مارس يتم غرس قصب السكر والورد المبكر [2] ، وخلال شهر إبريل تغرس أوتاد الأترج وقضبان الياسمين كما يغرس الحناء والدلاع أى البطيخ [3] ، وفى أغسطس يغرس الفول الخريفى [4] . ويضيف أبو الخير وابن العوام أنه فى نوفمبر يغرس التفاح [5] ، وفى ديسمبر يغرس الثوم والقرع والباذنجان حسبما يذكر صاحب تقويم غرناطة [6] .

ونستدل مما أورده ابن بصال وغيره على مدى تقدم علم الفلاحة عند الأندلسيين وتطور الأساليب الزراعية ، فتذكر كتب الفلاحة أنهم عرفوا التركيب أو التلقيح (تسميه العامة الترقيع) [7] ، ويوضح ابن بصال أنه لا تلقح شجرة إلا بشجرة من جنسها – فيما عدا الاستثناءات – ، وأن هذه الأجناس أربعة هى : الأشجار ذوات المياه وذوات الأصماغ وذوات الزيوت وذوات الألبان [8] .

ويذكر ابن بصال أن الأشجار ذوات الأصماغ تكون أشد تمكناً فى التركيب من ذوات المياه لأن من الأخير ما يتنافر مع بعضه أى لا يتركب مثل التفاح مع الرمان ، فى حين أن ذوات الأصماغ يتركب كل نوع منها بعضه فى بعض كاللوز

(١) عريب بن سعد ، نفسه ، ص ٣٢ ، أبو الخير ، ص ٤٧ .

(٢) عريب بن سعد ، نفسه ، ص ٤٠ ؛ تقويم غرناطى ، ص ٣٠ .

(٣) تقويم قرطبة ، ص ٤٩ ، تقويم غرناطى ، ص ٣١ .

(٤) تقويم قرطبة ، ص ١٠٩ .

(٥) أبو الخير ، نفسه ، ص ٤١ ، ابن العوام ، الفلاحة ، جـ ٢ ، ص ٤٣٣ .

(٦) مجهول ، تقويم غرناطى ، ص ٣٨ .

(٧) أنظر : تقويم قرطبة ، ص ٤٠ .

(٨) ابن بصال ، الفلاحة ، ص ٩١ – ٩٤ . وقد أوضح ابن بصال أنواعه الأشجار التى تدخل تحت كل جنس من الأجناس الأربعة المشار إليها ، فذوات المياه مثل التفاح والإجاص والرمان والعنب وما أشبهها ، وذوات الأصماغ مثل البرقوق واللوز وحب الملوك وعيون البقر والخوخ وما أشبهها ، وذوات الزيوت مثل الزيتون والضرو والرند وما أشبهها ، أما ذوات الألبان فمثل التين والجميز . انظر (الفلاحة ، ص ٩٤ .

مع عيون البقر والبرقوق مع الخوخ أو حب الملوك [1] .

ويشير عريب بن سعد إلى الأوقات الملائمة للتركيب أو التلقيح ، فيذكر أنه فى العاشر من يناير يبدأ تركيب الكروم فى سهول وجبال قرطبة حتى نهاية الشهر [2] ، وفى فبراير يركب التفاح والإجاص [3] ، وأنه فى مارس تركب الأشجار تركيبا تسميه العامة الترقيع [4] .

ومن ناحية أخرى كان الفلاحون فى الأندلس يحرصون على تشمير الأشجار المثمرة أى تشذيبها فيذكر ابن بصال أن التشذيب يصلح جميع الأشجار خاصة إذا تم ذلك وهى صغيرة لم يلحقها الكبر ذلك لأنه يساعد على إطالة عمر الأشجار وإصلاح ثمارها واستيفاء كل جزء منها نصيبه فى الغذاء ، خاصة وأن قطع فروع الأشجار لا ضرر فيه لأن موضع القطع يلتئم ويستوى سريعا ، ويضيف ابن بصال أنه ينبغى قطع الفروع غير المستقيمة ، وأن يكون التشذيب بعد أن يتحرك الماء فى الفروع أو القضبان لأنه إن شذبت قبل جرى أو تحرك الماء فيها دخل إليها برد الهواء وأضرها وسبب لها الضعف ، كما أن موضع القطع لا يلتئم بسرعة [5] .

خامسا : نظم ووسائل الرى :

من أبرز خصائص الأندلس عدم انتظام سقوط الأمطار واختلاف سطح الأراضى

---

(١) ابن بصال ، نفسه ، ص ٩٤ ؛ أبو الخير ، الفلاحة ، ص ٣٢ . وتجدر الإشارة إلى أن الأندلسيين استخدموا طرق للتركيب من أهمها الأنشاب والشق . أنظر (ابن بصال ، نفسه ، ص ٩٥ — ٩٦) .

(٢) أنظر : عريب بن سعد ، نفسه ، ص ٢٠ .

(٣) أنظر : تقويم قرطبة ، ص ٣٢ ؛ مجهول ، تقويم غرناطى ، ص ٢٨ .

(٤) تقويم قرطبة ، ص ٤٠ . وجدير بالذكر أن التركيب والأساليب الزراعية الأخرى قد تقدمت فى العصر الموحدى تقدماً كبيراً ، فيشير ابن ابى أصيبعة إلى أن أبا مروان عبد الملك بن زهر الإشبيلى زرع كرمة فى بستان الخليفة عبد المؤمن بن على بإشبيلية كان لها قوة الأدوية المسهلة ، وكان يعالج الخليفة بعنبها . أنظر (طبقات الاطباء ، تحقيق د . نزار رضا ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ٥٢٠) .

(٥) أنظر . الفلاحة ، ص ٨٩ — ٩٠ .

المزروعة ما بين سهول ومرتفعات إلى جانب أن الكثير من أنهارها لا تجرى فيه المياه خاصة فى فصل الصيف ، ومن هذا المنطلق أصبح من الضرورى وضع نظام جيد للرى يضمن الحصول على إنتاج كافٍ وثابت من المحاصيل الزراعية لمواجهة احتياجات السكان [(١)] .

وكانت الأراضى المزروعة فى الأندلس – كما هو الحال الآن – تنقسم إلى نوعين :

أحدهما أراضى تزرع دون رى اعتماداً على مياه الأمطار (زراعة بعلية) ، والآخر يمكن سقيه سواء من الأنهار أو الآبار (زراعة سقيا) ، والملاحظ أن النوع الأول يطبق على قسم محدود من الأندلس ويمتاز نظام الرى فيه بسهولته ، أما النوع الآخر فينتشر على مساحة واسعة ويتطلب الاستخدام السليم لمياه الرى فيه ضرورة حفر قنوات وترع لتوصيل المياه إلى الأراضى وإقامة السدود لضبط جريان الأنهار والتحكم فيها ، وإقامة الخزانات أو الصهاريج لحفظ المياه والانتفاع بها وقت الحاجة كما هو الحال فى صهاريج قصبة المرية ، وقد أدرك الأندلسيون ذلك ولهذا السبب اتخذوا التدابير اللازمة لرى معظم المناطق من مياه الأنهار أو العيون أو الآبار [(٢)] .

ومن أهم مصادر الرى فى الأندلس :

١ – ماء المطر :

وهو أفضل المياه للنبات ، ويصلح لرى جميع الثمار والخضر والقطانى لعذوبته

---

(١) أدرك ابن العوام الإشبيلى ظاهرة عدم انتظام سقوط الأمطار فى الأندلس ، ولذا نجده ، يشير إلى أن السقيا من الأنهار أو العيون أضمن للزراعة . أنظر (الفلاحة ، جـ ١ ، ص ٥ ؛

Imamuddin, some aspects of the socio - economic. p. 75 .

(٢) أنظر ابن العوام ، نفسه ، جـ ١ ، ص ٥ ؛

Levi - provençal, Espana musulmana, t.v,p. 152; Imamuddin, the economic history of Spain under the Umaydes, p. 74 & Vallvé , la agricultura, p. 17 .

ورطوبته واعتداله ، لذا تقبله الأرض قبولاً حسناً ويغرص فيها بجميع أجزائه ولا يتبقى له على وجهها أثر [١] .

٢ - مياه الأنهار :

وهى تلائم جميع الخضر مثل القرع والباذنجان والثوم والبصل والكراث والجزر واللفت وجميع أنواع الرياحين وبعض المحاصيل الأخرى كالكتان [٢] .

٣ - مياه العيون والآبار العذبة :

وهى تصلح لرى جميع الخضر وكل ما يزرع في البساتين مثل الجزر واللفت وغيره ويمتاز هذا النوع من مياه الرى باللزوجة والبورقية (أى وجود أملاح به) ويظهر ذلك عند سقى نبات بهذا الماء فيبقى منه على وجه الأرض تلك البورقية ، بينما لا يحدث ذلك بالنسبة لماء المطر أو النهر [٣] .

ويشير ابن العوام إلى أن الماء المالح مثل ماء البحر لا يصلح للرى ، وهو مفسد ومضر لجميع الأشجار والخضر [٤] .

ويتضح لنا مما ذكره صاحب تقويم قرطبة وغيره من علماء الفلاحة أن مصادر مياه الرى كانت تتوفر فى الأندلس ، فالأمطار تسقط فى الخريف إبتداء من أكتوبر ويستمر موسم سقوطها حتى إبريل أى الربيع ، ولذا فإن المياه تغزر فى أنهار الأندلس خاصة في يناير ، كما أن أمطار شهر إبريل تعد خيراً على الفلاحين ، فيها يتم رى محاصيل الأندلس [٥] . ومن ناحية أخرى كانت بعض الأنهار الصغيرة تعتمد فى مياهها على موسم الأمطار مثل نهر المرية المسمى أندرش Andarax (وادى بجانة)

---

(١) ابن بصال ، نفسه ، ص ٣٩ ؛ ابن العوام ، نفسه ، جـ ١ ، ص ١٣٤ .

(٢) ابن بصال ، نفسه ، ص ٣٩ ؛ ابن العوام ، نفسه ، جـ ١ ، ص ١٣٥

(٣) ابن بصال ، ص ٤٠ ، ابن العوام ، جـ١ ، ص ١٣٦ .

(٤) ابن العوام ، جـ ١ ، ص ١٣٦ .

(٥) عريب بن سعد ، تقويم قرطبة ، ص ٤٨ ؛ تقويم غرناطى ، ص ٣١ .

فعندما تمطر سماء المرية فإن مياه الأمطار بها تحدث سيولاً جارفة تؤلف ودياناً تصب في البحر المتوسط وأكبر هذه الوديان بجانة [1] ، كما يعتمد على الأمطار بعض زراع قرطبة خاصة في المناطق الجبلية والبعيدة عن ضفاف الأنهار [2] ، وكذلك بأقليم الشرف بإشبيلية وفحص الفندون قرب لورقة [3] بالإضافة إلى مناطق متعددة من غرب الأندلس المعروفة باسترامادورا .

أما مياه الأنهار فقد توفرت في عديد من مناطق الأندلس واعتمد عليها إلى حد كبير في الري خاصة في إشبيلية وقرطبة حيث مياه الوادي الكبير[4] Guadalquiver ، وفي غرناطة كانت مياه نهر حدره (Darro) وشنيل (Genil) تسقي أراضيها الزراعية [5] ، كما أن كورة بلنسية كانت تعتمد في الري على الترع والقنوات والروافد المتفرعة من نهر طورية أو الوادي الأبيض (Guadalavir) ونهر شقر (Jucar) [6] ، أما منطقة سرقسطة وما حولها من مدن وقرى فكانت تروى من مياه نهر إيره (Ebro) وشلون (jalon)[7] . كذلك كانت نهر مرسية (نهر شقورة Segura) يسقي قبلي مرسية وجوفها [8] ، وعلاوة على ذلك توفرت مياه من الأنهار في مالقه [9]

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٧ ؛ سالم ، تاريخ مدينة المرية ، ص ١٤ .

(٢) عريب بن سعد ، نفسه ، ص ١٩ ، ٤٨ .

(٣) الادريسي ، نفسه ، ص ١٩٤ ؛ المقري ، نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٥٧ .

(٤) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مجلد ١ ، طبعة بيروت ، ص ١٩٥ ؛ المقري ، نفسه ، جـ ١ ص ١٤٦ .

(٥) ياقوت ، نفسه ، مجلد ٤ ، ص ٢٠٤ ؛ القزويني ، آثار البلاد ، ص ٥٠٢ ؛ أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٧٧ .

(٦) الإدريسي ، ص ١٩١ ، ياقوت ، نفسه ، م ٣ ، ص ٣٥٤ ؛ الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ٤٨ .

(٧) أنظر : العذري ، نفسه ، ص ٢٢ ، ياقوت ، نفسه ، م ٣ ، ص ٣٦٠ ؛ ابن سعيد ، المغرب ، جـ ٢ ، ص ٤٣٤ .

(٨) انظر: ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٢٨٤ ، ابن سعيد ، المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٤٥ ؛ الحميري ، ص ١٨٣ .

(٩) ابن غالب ، نفسه ، ص ٢٩٤ .

والجزيرة الخضراء [١] ورندة [٢] ووادى آش [٣] وشاطبة [٤] وشنترين [٥] .

أما الرى من العيون والآبار فقد اعتمد عليه فى جيان [٦] وتاكرنا [٧] وأرشذونة [٨] الواقعة قبلى قرطبة وقبرة [٩] وقرمونة [١٠] ولبلة التى اشتهر غربها بوفرة مياه العيون الصالحة للشرب والرى [١١] .

وتجدر الإشارة إلى أن الزراع الأندلسيين لم يكتفوا بالاعتماد على مياه الأمطار والأنهار والعيون بل قاموا بحفر العديد من الآبار خاصة قرب بساتينهم ليضمنوا لها مصدراً هاماً من مصادر مياه الرى وذلك فى تلك المناطق البعيدة عن مجارى الأنهار والفقيرة فى أمطارها ، وكانوا يحرصون عند حفر البئر أن يكون فى موضع مرتفع من البستان ليصل الماء سريعا إلى جميع الأنحاء وبالذات المنخفضة منها [١٢] .

---

(١) العذرى ، نفسه ، ص ١١٧ ؛ الحميرى ، ص ٧٣ ؛ مجهول ، جغرافية الأندلس ، لوحة ٢١ .

(٢) رندة Ronda : من مدن كورة تاكرنا ، وتبعد عن مالقة مسافة ٩٦ ك . م . أنظر (ياقوت ، نفسه ، م ٣ ، ص ٧٣ ؛ مجهول ، جغرافية الأندلس ، ص ٦٨ ، محمد الفاسى ، الأعلام الجغرافية ، ص ٢٧) .

(٣) الإدريسى ، ص ٢٠٢ ، ياقوت ، نفسه ، م ١ . ص ١٩٨ . ومدينة وادى آش Guadix تقع على مسافة ٤٨ ك . م من بسطة ، وهى من أعمال كورة جيان ، ولها أسوار ومياه متدفقة ونهر صغير دائم الجريان . أنظر (الإدريسى ، ص ٢٠٢ ، الفاسى ، نفسه ، ص ٢٤) .

(٤) العذرى ، ص ١٨ . وشاطبة jativa كانت تسمى أيام الرومان Setabis وتبعد عن بلنسية بمسافة ٣٢ ميلا . أنظر (العذرى ، ص ١٨ ؛ الإدريسى ، ص ١٩٢ ؛ الفاسى ، ص ٣٤)

(٥) القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٥٤٢ ، مجهول ، جغرافية الأندلس ، لوحة ٢٢ .

(٦) ابن سعيد ، المغرب ، جـ ٢ ، ص ٥١ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٢٩ .

(٧) مجهول ، نفسه ، لوحة ٢١ .

(٨) الحميرى ، ص ١٢ .

(٩) الحميرى ، ص١٤٩ .

(١٠) الحميرى ، ص ١٥٩ .

(١١) الإدريسى ، ص ١٧٨ .

(١٢) أنظر : ابن بصال ، نفسه ، ص ١٧٤ . وتنبغى الإشارة إلى أن الأندلسيين قد أقاموا العديد =

وكان لدى زراع الأندلس خبرة ودراية بالأماكن التى ينبغى أن تحفر فيها الآبار ، وكانوا يعرفون كثرة الماء أو قلته وقربه أو بعده عن سطح الأرض وحلوه من مره ، ويستدلون على ذلك بالنباتات والحشائش التى تنمو فى المكان أو الموضع الذى سيحفر فيه البئر ، فإذا كان الموضع ينبت البردى والعليق والحماض دل هذا على كثرة الماء فى باطن الأرض ، وبقدر غضارة النبات وقوته وكثرة أوراقه يكون قرب الماء فى الموضع ، ويذكر ابن بصال أنه جرب ذلك بنفسه [(١)] .

ومن الملاحظ أيضا أن الزراع كانوا يحفرون تلك الآبار فى أغسطس وسبتمبر ، وهى فترة تتميز بالجفاف فى الأندلس ، ولزيادة كمية المياه والتقليل من عمق البئر اعتادوا أن يحفروا بجانب البئر الأول بئراً أخرى على مسافة ذراع واحد يصل عمقه إلى نصف البئر الأول ، ثم بئرا ثالثة على مسافة ذراع من البئر الثانية ولها من العمق نصف عمق الثانية ، وبنفس الطريقة كانوا يحفرون البئر الرابعة وكانت فى العادة أقل عمقا من الثالثة ، ويربطون بين تلك الآبار بقنوات فى القاع لتنتقل المياه من بئر إلى أخرى . وعلى هذا النحو كانت البئر الرابعة وهى أقل عمقاً تحوى من المياه ضعف الكمية الموجودة فى البئر الأولى [(٢)] .

ولسحب المياه من البئر أو رفعها من النهر لأعلى مستوى لها كان الأندلسيون يستخدمون عجلة مائية ذات أصل فارسى تسمى دولاباً أو ناعورة (بالأسبانية Noria)،

= من الصهاريج أو البرك لخزن مياه الأمطار للإنتفاع بها فى الشرب والرى وقت الجفاف . وعن الصهاريج والبرك أنظر : (تقويم قرطبة ، ص ١١٧ ؛ ابن عبدون ، رسالة فى الحسبة ، ص ٤٢) ،
Levi - provecçal ; Espana musul , t. v, pp. 164 - 166 & Teresa Garulo, Topoimia hispano - arabe " Al - Sahriy " Al - Qantara, vol, I, Madrid, 1980, pp. 29, 39, 41 .

(١) ابن بصال ، نفسه ، ص ١٧٥ – ١٧٦ ؛ أبو الخير ، الفلاحة ، ص ٥ .

(٢) أنظر : ابن العوام ، نفسه ، جـ ١ ، ص ١٤٣ ؛
Imamuddin, some aspects, p. 75.

أو آلات أخرى مثل الدالية والسانية والخطارة [1] .

وكان لأهل الأندلس مهارة فائقة في رفع المياه بواسطة العجلات المائية الكبيرة التي تدار بقوة تيار النهر وتعرف بالنواعير ، وهي بلاشك إبتكار مشرقي كان ينتشر على أنهار الشام والعراق وما زالت تستخدم في حماة على وجه الخصوص ، ثم انتقل استخدامها إلى الغرب الإسلامي خاصة الأندلس حيث نصب العديد منها على نهر مرسية (نهر شقورة) ونهر تاجة والوادي الكبير وغيرها [2] .

ويذكر بدور دى ميدينا (Pedro de Medina) ، أنه كان يوجد في القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) على نهر شنيل قرب إستجة (Ecija) عجلات مائية مرتفعة (نواعير) لرى البساتين وحقول القطن والقنب ، ويضيف الباحث الأثرى توريس بالباس T. Balbas أن هناك ناعورة في موضع قرب قرطبة يسمى كاسترو دل ريو Castro del Rio لا تزال باقية للآن ، كما توجد نوعورتان على نهر إيره قرب سرقسطة تداران بتيار الماء ، وناعورة بمرسية على نهرها إلا أنها دمرت في سنة ١٩٣٦ [3] ، كذلك كان يوجد بمجريط (حاليا تسمى مدريد)

---

(١) أنظر : العذرى ، نفسه ، ص ١ ، ١٢٢ ؛ الإدريسى ، ص ١٨٨ ، ابن العوام ، نفسه ، جـ١ ، ص ٥ ، ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، مجلد ١ ، ص ٢٠٠ ؛ متـز الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى ، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٤٧ م ، جـ٢ ، ص ٢٤٨ ؛ عز الدين موسى ، النشاط الاقتصادى ، ص ٦٢ ؛

G. S. Colin, ;a noria marocaine et les machines hydrauliqoes dans la monde Arabe, Hesperis, XIV, 1932, p. 36; T. Balbas, las norias Fluviales en Espana, Al - Andalus, Vol, V, 1940 , p. 196 & Vallvé, La agricultura, p. 18.

(٢) الإدريسى ، ص ١٨٧ ؛ ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ٢٢٨ ، ابن سعيد ، المغرب ، جـ٢ ، ص ٩ ؛ الحميرى ، نفسه ، ص ١٧٢ ، ١٨٣ ؛ المقرى ، نفح ، جـ ٤ ، ص ٢٠٧ . وتبتغى الإشارة إلى أن ناعورة قرطبة الواقعة على الوادى الكبير قد تعرضت للتدمير في العصر المرابطى فأعاد الأمير تاشفين بن على بنائها سنة ٥٣١ هـ . أنظر (ابن القطان ، نفسه ، ص ٢٢٨) .

(٣) عن نواعير قرطبة أنظر : عبد العزيز سالم ، قرطبة ، جـ ١ ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ،

T. Balbas , Las norias, pp. 197 - 201 & Imamuddin, The economic History, pp - 77 .

ويذكر توريس بابلس أن الناعورة كانت تطلق في المشرق الإسلامي على تلك الآلة التي تقام على =

بعض النواعير حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى [1].

أما السانية [2] (بالأسبانية Acena) فتشبه الناعورة ولكنها أقل فى الحجم ، ويذكر ابن هشام اللخمى أنهم فى الغرب الإسلامى « يقولون للآلة التى تربط بها

= ضفة النهر وتدار بتيار الماء ، أما الدولاب فهو إسم فارسى ويطلق على عجلة أو آلة تدار بالدولاب . أنظر :

(T. Balabs, op. cit ; N. 2, p. 196) .

(١) أنظر . محمود على مكى ، مدريد العربية ، ص ٤٨ .

(٢) يشير ابن هشام اللخمى إلى أنهم فى المغرب الإسلامى يطلقون على الآلة التى تخرج الماء من البئر سانية وأن بعضهم يسمى البئر نفسه سانية ، ويضيف أن هذا خطأ ، لأن السانية عند العرب البعير أو الثور أو الحمار يربط به الرشاء فيخرج الغَرب إذا عظم ولم يقدر على جذبه باليد ، والسانية أيضا الرجل الذى يخرج الغرب من البئر . والملاحظ أن لفظه سانية انتقلت إلى الأسبانية فى شكل Acena وخصص معناها فى الأسبانية بالطاحونة التى تدار بالماء ويستعمل فى المغرب اليوم بمعنى البستان فيه بئر . أنظر (عبد العزيز الأهوانى ، ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمى فى لحن العامة ، جـ ٢ ، مجلة معهد المخطوطات ، نوفمبر ١٩٥٧ ، ص ٢٩٠ – ٢٩١) وأهم أجزاء السانية هى القواديس (بالأسبانية Arca-duz) التى تحمل الماء والعجلة المائية والدابة التى تحركها . أنظر (عز الدين موسى ، النشاط الإقتصادى ، ص ٦٢ ،

J. Vallvé La agricultura, p. 18 .

وقد أوضح ابن العوام – نقلا عن أبى الخير الإشبيلى – وصف السانية فذكر أنها تتكون من حبل وخمسة قواديس خشبية ثقيلة واثنين من العجلات الصغيرة والكبيرة ذات الأسنان المشطية وعمود أو قائم طويل نحو ثلاثين شبراً . أنظر (ابن العوام ، الفلاحة ، جـ ١ ، ص ١٤٦ – ١٤٧ ،

Imamuddin, the economic history, p. 76 .

ومن ناحية أخرى تعرض شعراء الأندلس للنواعير ، فيقول عبد الملك بن سعيد المرادى فى وصف ناعورة :

ناهيك ناعورةً تعالت ... على ضفافى مع اقتدارى
يحملها الماء بانقياد ... وتحمل الماء باقتسار
تذكر طوراً حنين نايٍ ... وتارة من زئير ضارى
تسقى بساتين حاويات ... غرائب الروض والثمار

أنظر (ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٢٨ – ٢٢٩ رقم ١٥٦) .

الكيزان لإخراج الماء من البئر سانية [1] » ، وهي تدار بالدواب مثل الدولاب [2] ، في حين أن الناعورة تنصب على النهر وتدار بقوة تيار الماء ، وفي أثناء دورانها تصدر أنيناً عالياً وربما كان سببا في تسميتها بالناعورة (من النعير) . أما الدالية فجذع « طويل مركب في الأرض ، في رأسه مغرفة يغرف بها الماء [3] » ، ويشير ابن العوام إلى أن الخطارات كانت أيضا من آلات رفع المياه ، وهي نوع من الدواليب الخفاف [4] .

وعني أهل الأندلس بتنظيم ووسائل الري والصرف وذلك بإنشاء الجسور والقناطر والسدود وحفر الترع والقنوات التي لا حصر لها في مختلف الأنحاء . وقد توفرت في بلاد الأندلس أعداد كبيرة من القناطر ويمثل ذلك في ماردة ولبلة وقرطبة

---

(١) الأهواني ، ألفاظ مغربية ، ص ٢٩٠ . وقد أشار ابن بصال أيضا إلى إستخدام السانية التي تدار بالدواب وتستخدم في إستخراج المياه من الآبار . (الفلاحة ، ص ١٧٦) وعن السانية انظر أيضا : Colin, La noria marocaine, p. 46 .

(٢) يذكر ابن خاقان أن الوزير أبا بكر بن عبد العزيز من حكام بلنسية في عصر الطوائف كان له بستان قرب باب الحنش « وفي ساقيته الكبرى دولاب » (قلائد العقيان ، طبعة بولاق ، ١٢٨٣ هـ ، ص ٦٤) . ومن شعر ابن الأبار في وصف دولاب :

تقتادنا أقدامنا وجيادنا ... لجنابه وهو النضير المُعْجِبُ

كلفاً بدولاب يدور كأنه ... فَلَكٌ ولكن ما ارتقاه كوكبُ

أنظر (ابن سعيد ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٣١٢ ، رقم ٥٥٧) .

(٣) ابن العوام ، نفسه ، جـ ١ ، ص ٥ ؛ الأهواني ، ألفاظ مغربية ، ص ٢٩١ . ويذكر الباحث كولان أن الدالية آلة رفع مياه استخدمها الأندلسيون وتدار بالدواب . أنظر :
(Colin, La noria marocaine, p. 36) .

(٤) ابن العوام ، نفسه ، جـ ١ ، ص ٥ ؛ عز الدين موسى ، نفسه ، ص ٦٢ . والملاحظ أن الخطارة عرفت في عصر الرومان ، واستخدمت في رفع المياه من الأنهار أو الآبار ، وكانت تدار إما بتيار الماء أو بالدواب . وتنبغي الإشارة إلى أنهم في المغرب كانوا يطلقون أحيانا اسم الخطارة على البئر نفسه . أنظر (ابراهيم حركات ، النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين ص ١١١ ؛ Imamuddin, Some aspects, p. 76.

ومدينة الزهراء وطليطلة وبلنسية [1] ، ومن ناحية أخرى شيدو بعض جسور المياه التى اقتبسوها عن النظام الرومانى . فقد اهتم الخليفة الموحدى يوسف ابن عبد المؤمن بتوصيل المياه إلى إشبيلية لرى بساتينه (كانوا يسمونها البحيرات) وقصوره ولشرب أهل المدينة على الرغم من وقوع إشبيلية على نهر الوادى الكبير . وكان خارج باب قرمونة (أحد أبواب إشبيلية) فى السهل المتسع على الطريق المؤدى إلى مدينة قرمونة أثر قديم من بنيان جسر رومانى قد علت عليه الأرض وأصبح هذا البناء خيطاً رفيعاً من حجارة لا يفهم المسلمون الغرض منه ، فخرج إليه الحاج يعيش المهندس وحفر حول هذا الأثر فإذا به جسر من المياه قديم يرجع إلى عهد الرومان كانت تجرى فيه المياه ، فما زال الحاج يعيش يتتبعه بالحفر حتى أوقعه الحفر فى العين القديمة المسماة عند أهل إشبيلية بعين الغبار ، ولم تكن بعين ماء وإنما كانت فتقاً فى طريق الجسر الرومانى ، واستمر فى الحفر حتى اهتدى إلى أصل الجسر قرب قلعة جابر (تقع على بعد ١٢ ك . م غربى إشبيلية وتسمى فى الأسبانية Alcala de Guadaira) فأصلحه المهندس يعيش وأجراه إلى داخل إشبيلية حيث وزع على القصور والبساتين[2] . كذلك أمر الخليفة يوسف بن عبد المؤمن الموحدى ببناء خزان أو محبس للماء بداخل إشبيلية فى حارة ميور الملاصقة لقصر إشبيلية حاليا — لتخزين المياه والاستفادة منها وقت الحاجة [3] .

أما جداول الأنهار والقنوات (المسماة عند أهل الأندلس بالسواقى) فكانت

---

(١) عن أهم القناطر الأندلسية أنظر : ابن غالب ، ص ٢٨٨ ، الإدريسى ، ص ١٧٨ ، ١٨٧ ، ٢١٢ ، ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٣ م ١ تحقيق إحسان عباس ، ص ٢٠ ؛ ابن صاحب الصلاة ، ص ٢٣٤ — ٢٣٥ ، ٥٠٥ ؛ الحميرى ، ص ١٣٠ ، ١٥٦ ؛ سالم ، العمارة المدنية بالأندلس ، كتاب الشعب ، عدد ٦٤ ، ص ١٤٨ — ١٥٠ .

(٢) أنظر : ابن صاحب الصلاة ، نفسه ، ص ٤٦٨ ؛ ابن عذارى ، نفسه ، القسم الموحدى ، ص ١٣٨ ، عبد العزيز سالم ، العمارة المدنية بالأندلس ، ص ١٤٨ .

(٣) ابن صاحب الصلاة ، نفسه ، ص ٤٦٨ ، هـ ٣ ص ٤٦٨ .

تسقى مناطق واسعة من الأندلس ، وساعدت إلى حد كبير على إزدهار الزراعة . ويزودنا الجغرافى العذرى بمعلومات غاية فى القيمة عن السواقى الأندلسية وأهميتها فى الرى فيقول : « وعلى نهر تدمير النواعر التى تسقى جناتها ، وابتداء الساقية المستخرجة منه من قنطرة أشكابه وتبلغ هذه الساقية فى أملاك أهل مدينة مرسية إلى حد قرية طوس وهى من قرى أريولة ، ثم يبتدىء أهل مدينة أريولة بإخراج ساقية من هذا الوادى من جهاتهم حتى تنتهى إلى الموضع المسمى بالقطرلات ، وطول هذه الساقية ومسافتها ثمانية وعشرون ميلا [1] . » ويؤكد ذلك ما ذكره الحميرى من أن نهر مرسية يخرج من جدول قرب قنطرة أشكابه يرجع إلى عهد قديم ويسقى قبلى مرسية كما يوجد جدول آخر يسقى جوفى المدينة [2] . ويشير الحميرى إلى أن لورقة تعتمد فى رى أراضيها أيضا على الجداول التى تخرج من نهر مرسية والتى يسقى الجدول منها عشرة فراسخ وأكثر [3] . كذلك كان يدخل مدينة بجانة (Pechian) جدولان أحدهما بأعلى المدينة من جانب الشرق ويسقى بساتينها كلها ، والثانى يشق الأرباض الجوفية ويخرج عنها إلى الأرباض القبلية حتى يقع فى النهر هناك [4] ، ومن ناحية أخرى وجد العديد من السواقى فى إشبيلية [5] وغرناطة [6]

---

(١) ترصيع الأخبار ، ص ١ ،

F. Calvo, Caracteristicas geograficas de la huerta de Murcia, en " Libro de la huerta " Murcia. 1973, p. 3.

(٢) أنظر : الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٨٣ .

(٣) صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٧٢ .

(٤) الحميرى ، نفسه ، ص ٣٨ .

(٥) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، ص ٢٣٥ ،

Levi - provençal, Espana nusulmana, t.v,pp. 162 - 163 .

(٦) ابن صاحب الصلاة ، نفسه ، ص ١٤٢ ، ابن الخطيب ، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى بلاد المغرب والأندلس ، تحقيق د . مختار العبادى ، ص ٩١ ، هـ ١ ، ص ٩١ ؛ القلقشندى صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢١٥ .

وبلنسية [١] ووشقة [٢] وميورقة [٣] وقرطبة [٤] .

ويتضح لنا مما ذكره العذرى أن الزراع كانوا يتناوبون فى الإنتفاع بالسواقى ، فكل منهم يسقى وقتاً يسمى النوبة [٥] . ويبدو أن بعض المشاكل والمنازعات كانت بين الزراع حول مسائل الرى ، ولذا أنشأ فى مدينة بلنسية ما يسمى بوكالة الساقية وذلك لتنظيم كل ما يتصل بشئون الرى [٦] ، وكان يطلق على متوليها اسم صاحب الساقية (بالأسبانية Zabacequias) [٧] .

---

(١) ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٤٠ .

(٢) أنظر : العذرى ، نصوص من ترصيع الأخبار ، ص ٥٥ . وتقع وشقه (Huesca) فى منطقة الثغر الأعلى على مسافة ٧٣ ك . م شمال شرق سرقسطة . أنظر (العذرى ، ص ٥٥ ؛ ابن الكرديوس ، تاريخ الأندلس ، تحقيق مختار العبادى ، هـ ٣ ، ص ٧٤) .

(٣) ابن سعيد ، المغرب ، جـ ٢ ، ص ٤٦٦ ؛ أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٩١ .

(٤) عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، جـ ١ ، ص ٢٠٤ .

(٥) العذرى ، نصوص من كتاب ترصيع الأخبار ، ص ٩ ؛ حسن مؤنس ، تاريخ الجغرافيـة ، ص ٩٥ .

(٦) أشار ابن الزبير إلى مثال من هذه المنازعات ، فيذكر أن الفقيه عبد الوهاب بن قطن وهو من أهل حصن قنبيل (من أعمال كورة غرناطة) أرسل إلى محمد بن حسون قاضى غرناطة فى عصر المرابطين (ت ٥١٩ هـ) قصيدة يشكو له فيها جيرانه أهل حصن الحرائر لأنهم استحوذوا على عين ماء بقنبيل كانت مقسمة بين الطرفين . ومن قصيدته التى بعث بها إلى القاضى قوله :

أقاضى المسلمين لنا حقوق ... ستعلمها وتعلم مقتضاها
لنا عين ماء مقسمة علينا ... وليس لنا الحيا شيء سواها
لنا خمس من الأثمان منها ... وسائرها الحرائر منتهاها
ورثناها تراثا من قديم ... فترويها برى من رواها

أنظر (صلة الصلة ، نشر ليفى بروفنسال ، ص ٢٦ – ٢٧ رقم ٣٨) ، ومن ناحية أخرى أشار ابن بصال إلى أنه أحيانا قد تحدث خلافات بين الناس بسبب اقتراب الآبار من بعضها ، ويضيف بأنه فى حالة وجود بئر أقدم من الآخر وانتقل الماء من البئر القديم إلى البئر الحديث ، كان الحكم الجارى بالأندلس وقتذاك هو أن يؤمر صاحب البئر الحديث بردمه ، أنظر (الفلاحة ، ص ١٧٨ – ١٧٩) .

(٧) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٣ م ١ ، تحقيق إحسان عباس ، ص ١٤ ، ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٣ ، ص ١٥٨ ،

Levi - provençal, Espana musul., t.v, p. 163 & j. Vallvé, la agricultura, p. 18 .

والغالب أن الأندلسيين قد توصلوا أيضا إلى إقامة السدود على مجارى الأنهار لتنظيم أعمال الرى والتحكم فى مياه الأنهار ، فيشير الزهرى إلى أن ابن همشك – فى عصر الموحدين – حاول إقامة سد عند مدينة شقورة يحاكى به سد مأرب باليمن [١] ، وهناك إشارة أخرى لابن القطان تفيد بوجود سد بمدينة طلبيرة [٢] ، كذلك يذكر الإدريسى أن تحت قنطرة قرطبة « يعترض الوادى رصيف سد مصنوع من الأحجار [٣] » .

وتجدر الإشارة إلى أن بعض المستشرقين الأسبان ينكرون على العرب أنهم أدخلوا نظام الرى فى بساتين بلنسية ، ويزعمون أن معظم نظم ووسائل الرى ترجع إلى أصل أسبانى سواء فى عصر الرومان أو القوط ، ويمكن الرد على ذلك بأن المسلمين عندما دخلوا الأندلس قاموا بتطوير وتحسين نظم الرى بها خاصة وأنها كانت مزدهرة على أيديهم فى المشرق فى مناطق نهرى دجلة والفرات بالعراق ونهرى العاص وبردى بسورية ونهر النيل بمصر ، فنقلوها إلى الأندلس منذ فترة مبكرة من حكمهم [٤] .

والملاحظ أن الملك خايمى الأول صاحب أرغون أبقى بعد استرداده لبلنسية سنة ٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م على النظام الإسلامى فى الرى ، فسمح لسكان بلنسية بإستخدام سبع قنوات [٥] (سواقى) دون أن يلتزموا بدفع أية ضريبة ، بينما استبقى

---

(١) الجغرافية ، ص ٩٩ .

(٢) نظم الجمان ، ص ١٣ – ١٤ . وتقع مدينة طلبيرة (بالأسبانية Talavera de la Reina) على نهر تاجه إلى الغرب من طليطلة . أنظر (البكرى ، جغرافية الأندلس ، ص ٨٩) .

(٣) أنظر : صفة المغرب والسودان ومصر الأندلس ، ص ٢١٢ ،

Colin, la noria, p. 46 .

(٤) j. Ribera, El Sistema de riegoss en la huerta Valenciana no es obra de los Arabes , en disertaciones Y opusculos, t. II, Madrid, 1928; H. Miranda, Hist., musul., de Valencia, t. I, pp. 155 - 157 & Imamuddin, some aspects, p. 77.

(٥) كان فحص بلنسية يروى من النهر بسبعة جداول أو قنوات : ففى الشمال القناة التى يقال لها ساقية مونكادة (Moncada) وقنوات طورموس (Tormos) ومستالة (Mastalla) ورسكانة =

قناة واحدة لاستعماله الشخصى وهى المسماة بقناة مونكاده (Acequia de Moncada) وذلك حتى سنة ٦٦٧ هـ / ١٢٦٨ م عندما سمح لهم باستخدامها نظير دفع مبلغ معين من المال . كذلك أبقى الملك خايمى الأول على نظام المسلمين في تجنب حدوث منازعات حول الرى وذلك بالاحتكام إلى وكالة السقيا المسماة أيضا بمحكمة المياه (بالأسبانية Tribunal de lasaquas) وهى من الأماكن المعروفة فى بلنسية حتى الآن ، وتعتبر من انجازات المسلمين ، وتنعقد المحكمة كل يوم خميس عند الظهر أمام باب الرسل من الكنيسة الكبرى (La Catedral) ، وهذا شأنها منذ سقوط بلنسية فى يد النصارى الأسبان سنة ٨٣٦ هـ / ١٢٣٨ م ، وتفسير ذلك أن محكمة المياه (وكالة السقيا) كانت تنعقد أيام الحكم الإسلامى بالمسجد الجامع كباقى الهيئات القضائية ، وكون المحكمة لا تعقد إلا يوم الخميس دليل على أصلها الإسلامى لأن يوم الخميس – كما هو معروف – هو نهاية أسبوع العمل عند المسلمين [(١)] .

= (Rascana) ، ومن الجنوب قنوات : كوارت (Cuart) ومسلاته (Mislata ولعلها مأخوذة من الكلمة العربية منزل عطا) وفبارة (Favara) وروبله (Rovella) أنظر شكيب أرسلان ، الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٣٩ ، جـ ٣ ، ص ٢١٣ – ٢١٤) .

(١) أرسلان ، الحلل السندسية ، جـ ٣ ، ص ٢١٣ ، محمد القاضى ، محكمة المياه ، مجلة الفيصل ، العدد ٣٨ ، يونيو ١٩٨٠ م ، ص ١٣٥ ؛

Ribera, El sistema de riegos. p. 309 ; Imamuddin, The economic history, p. 82 & júan Vernet, los musulmanes Espanoles, Barcelona, 1961, p. 62 .

ومما تجدر ملاحظته أن مراكش لا زالت تحتفظ بنظام الرى الذى أقامه المهندسون المسلمون والمتأثر إلى حد كبير بالنظام الأندلسى . ومن ناحية أخرى كان للعصر المرابطى والموحدى أثره البعيد فى تعمق التأثيرات الأندلسية فى المغرب خاصة فى مجال الرى والزراعة . أنظر (الإدريسى ، نفسه ، ص ٦٩ ؛ المقرى ، ، جـ ٤ ، ص ١٤٩ ؛ عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ص ٨٣٢ – ٨٣٣ ؛

Ribera, op. cit, p. 310 .

ويذكر الباحث الأسبانى جونثالث بالنثيا (G. palencia) من خلال وثيقة نشرها – أن التأثير=

سادسا : طرق وقاية المزروعات من الآفات والحشائش الضارة :

اهتم الأندلسيون بوقاية محاصيلهم الزراعية وأشجار الفاكهة من ديدان الأرض والهوام وغيرها من الآفات الزراعية ، كما حرصوا على تنقية التربة من الحشائش الضارة . وقد أوضح ابن بصال الطريقة التي كان يتبعها الزراع لوقاية المزروعات من الديدان وعروق الأرض وما أشبهها فيقول : « ووجه الحيلة في ذلك أنه إذا قطعت الأرض أحواضا عندما يراد زراعتها .. عمدت إلى رماد الحمام ففرشت على وجه الأرض منه فرشة نحو غلظ الأصبع ، ثم يكون الزبل فوق هذا الرماد ثم تزرع الزريعة في الأحواض .. فإن الحيوان المذكور إذا خرج من الأرض يريد النبات وجد الرماد فيهرب ويرتدع ، فيكون الرماد حجابا بين النبات والحيوان المضر (١) » .

كذلك يذكر أبو الخير الإشبيلي طريقة طرد الديدان والهوام عن أشجار الفاكهة وذلك بتدخين تلك الأشجار بأرواث الدواب أو برش القليل من الزيت على أشجار الفاكهة التي يخشى عليها الذنابير فإنها لا تقربه (٢) . كما استخدم الزراع أيضا المناقيش (مفردها منقاش) لتنقية التربة من الحشائش الضارة والكشف عن أصول النباتات والأشجار وقلع الجذور الضعيفة وترك القوية الجيدة . والمناقيش تشبه المناجل (٣)

= الإسلامي كان عميقاً في إقليم أرغون خاصة فيما يتعلق بنظام الري وكذلك في النظم المتعلقة بالزراعة بصفة عامة . أنظر :

(palencia, Notas Sobre el reimende riegos en region de Veruela, al - Andalus, vol, X, 1945 , pp. 79 - 88)

(١) أنظر : الفلاحة ، ص ١٧٣ .

(٢) أبو الخير ، الفلاحة ، ص ٢٥ — ٢٦ ، ٥٤ . وتنبغي الإشارة إلى أن الجراد كان من أخطر الآفات الزراعية ، فيذكر عريب بن سعد أنه في مارس دبيب الجراد فيؤمر بعقره . (تقويم قرطبة ، ص ٤٠) .

(٣) استخدم الأندلسيون المناجل في الحصاد ، وظلت مستعملة حتى عصر مملكة بني الأحمر في غرناطة ، وأطلقوا على المنجل اسم شقور . أنظر (ابن بصال ، الفلاحة ، ص ٩٦ . ١٢٢ ، سيكو دي ثينا ، وثائق عربية غرناطية ، منشورات المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد ، ١٩٦١ م ، ص ٢٢) .

وهى معقوفة مثلها ولكنها تتميز عنها بحدتها [١] .

كذلك توصل الأندلسيون إلى علاج أشجار الفاكهة من الأمراض ، ومن ذلك علاك أشجار النارنج بوضع رماد الحمامات أو شيء من دم الماعز على أصول الشجرة ، فإن هذا يؤدى إلى علاجها وعودتها إلى ما كانت عليه من الغضارة والتنعم [٢] . كما أنهم كانوا يغطون فى الخريف والشتاء بعض المحاصيل التى تزرع مثل الأترج واليمون والنارنج والموز والياسمين والريحان حتى لا يضر بها الجليد وذلك بأن يصنعوا لها قبابا [٣] .

سابعا : أهم المحاصيل الزراعية ومنتجات البساتين :

١ - القمح (الحنطة أو البر):

تشير كتب الفلاحة الأندلسية إلى ان القمح كان يزرع بين أكتوبر وديسمبر [٤] ، ويضيف ابن العوام أن القمح لا تجود زراعته إلا فى التربة المستوية [٥] . وكان يحصد فى يونية أو يوليو [٦] ، بينما يتم الحصاد فى مناطق مالقه ومرسية وشذونة فى أوائل مايو [٧] .

وكان للقمح فى الأندلس ، أنواع مختلفة أهمها : الريون والأطرجال والشمرة ،

---

(١) عن المناقيش أنظر : ابن بصال ، نفسه ، ص ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٣٩ . كذلك استعمل الأندلسيون آلات زراعية أخرى مثل المكانس التى تصنع من الحشائش أو العوسج لتحريك البذور (التقاوى) فى التربة . (ابن بصال ، ص ١١٧ . ١٢١ ، ١٥٥) .

(٢) ابن بصال ، ص ٨٢ .

(٣) عريب بن سعد ، تقويم قرطبة ، ص ١٠ ؛ ابن العوام ، الفلاحة ، جـ ٢ ، ص ٤٢٩ .

(٤) أنظر : ابن بصال ، ص ١٥٤ ؛ ابن العوام ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٣٦ ، ٤٣٢ .

(٥) ابن العوام ، جـ ٢ ، ص ٣٧ .

(٦) عريب بن سعد ، تقويم ، قرطبة ، ص ٦٤ ، ٧٥ .

(٧) عريب ابن سعد ، نفسه ، ص ٥٢ ؛ ابن عذارى ، نفسه ، القسم الموحدى ، ص ١٩٨ .

وأفضلها جميعا الريون ، وهو قمح يابس ممتلىء نقي . وعلى هذا فإن أثمان القمح كانت تختلف تبعا لإختلاف أنواعه [1] .

وتتركز أهم مناطق انتاج القمح فى لورقة [2] Lorca ومرسية [3] Murcia وشبرب [4] وأبدة [5] Uveda وجيان [6] Jaén ويبورة [7] Evora وشريش [8] Jerez وشنترة [9]

---

(١) ابن العطار ، الوثائق والسجلات ، ص ٤٢ - ٤٣ ؛

Asín Palacios, Glosario de Voces romances, P. 254 & J. Vallvé, La Agricultura, p. 19 .

ومن الملاحظ أنه علاوة على استخدام القمح فى صناعة الدقيق فإن تبن القمح كانت له منافع منها استخدامه كعلف للحيوانات والإستفادة منه أيضا بحرقه مخلوطا بروث البقر لطرد الهوام والحشرات الضارة من البيت . أنظر :

(Vallicrosa, tratado de agricultura, p. 332 .)

(٢) العذرى ، ترصيع الأخبار ، ص ٢ - ٣ .

(٣) مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٥ .

(٤) ابن غالب ، قطعة من فرحة الأنفس ، ص ٢٨٥ . ويقع حصن شبرب إلى الشمال من بلنسية وهو من أعمالها . (ابن غالب ، ص ٢٨٥) .

(٥) الإدريسى ، ص ٢٠٣ ؛ الحميرى ، ص ١١ . وتقع أبدة على مسافة سبعة أميال من بياسة ، وهى من أعمال كورة جيان . أنظر (الإدريسى ، ص ٢٠٣) .

(٦) الإدريسى ، ص ٢٠٢ ، الحميرى ، ص ٧٠ .

(٧) أنظر الإدريسى ، ص ١٨١ . وتقع يابرة أو يبورة على مقربة من بطليوس فى غرب الأندلس . (الإدريسى ، ص١٨١) .

(٨) الإدريسى ، ص ٢٠٦ ؛ الحميرى ، ص ١٠٢ . وتقع شريش بكورة شذونة جنوب غربى الأندلس (الحميرى ، ص ١٠٢) .

(٩) يذكر المقرى - نقلا عن اليسع بن عيسى الغافقى - أن من خصائص مدينة شنترة (بغرب الأندلس) أن القمح والشعير يزرعان فيها ويحصدان عند مضى أربعين يوماً من زراعتها . (نفح ، جـ ١ ، ص ١٥٤) ، غير أننا لا نستطيع أن نقبل هذا الكلام للمبالغة الواضحة فيه ، لأنه مهما كانت خصوبة التربة وملائمة المناخ فلا يمكن أن يحصدان قبل ثلاثة شهور فى شنترة أو غيرها . أنظر (حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية ، ص ٣٠٠) .

وبطليوس[1] Cintra Badajoz وأشبونة[2] Lisboa وفحص بلاطة[3] الواقع بين شنترين Santarem وأشبونة وقنبانية قرطبة[4] (Cordoba) وغرناطة[5] وحصن بيانة[6] (Baena) وقرمونة[7] (Carmona).

٢ – الشعير :

وكان يزرع في نوفمبر وديسمبر[8]، ويذكر صاحب تقويم قرطبة أن حصاده في قنبانية (كنبانية) قرطبة وغيرها من المناطق يتم في شهر مايو[9]. وتشير كتب الفلاحة إلى أن هناك نوعاً من الشعير في الأندلس يسمى الإشبطالة أو الطرمش[10]، وكان يستخدم علفاً للحيوانات، ولذا يفضل حصده أخضر وهو ما يعرف بالقصيل، وعلاوة على ذلك كان دقيقه يستعمل في صناعة الخبز[11].

---

(١) أنظر. الرازى، وصف الأندلس، في :
Levi- provençal, lq description, p. 87.

(٢) أنظر الزهرى، الجغرافية، ص ٨٥؛ مجهول، جغرافية الأندلس، مخطوط، لوحة ٢١.

(٣) الإدريسي، ص ١٨٥؛ الحميرى، ص ٤٦. وجدير بالذكر أن كلمة «الفحص» كانت تطلق في الأندلس على كل موضع يسكن سواء كان سهلا أو جبلا شريطة أن يزرع، ثم صار علماً لعدة مواضع. انظر (ياقوت، معجم، مجلد ٤، ص ٢٤٦).

(٤) المقرى، نفح، جـ ٤، ص ٢٠٣، عبد العزيز سالم، قرطبة، جـ ١، ص ١٦.

(٥) الحلل الموشية، ص ٦٦؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، نشر أحمد عاصى، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٨، ص ٢٢.

(٦) الإدريسي، ص ٢٠٥. ويقع حصن بيانة قرب قبرة، وهو من أعمال قرطبة. (الحميرى، ص ٥٩).

(٧) الإدريسي، ص ٢٠٦.

(٨) ابن بصال، ص ١٥٤؛ ابن العوام، نفسه، جـ ٢، ص ٤٣٢.

(٩) تقويم قرطبة، ص ٥٦؛ ابن العوام، جـ ٢، ص ٤٣٨؛ تقويم غرناطى، ص ٣٣.

(١٠) من الملاحظ أن كلمة الإشبطالة (Espatella) – المشار إليها بالمتن – كلمة رومانسية وهى لاتينية أهل الأندلس) أنظر :
Asín palacios, Glosario, p.113.

(١١) Vallicrosa, tratado de agricultura de Ibn Wafid, p, 314 & Vallvé, La agricultura, p. 22.

ومن أهم المناطق التى اشتهرت بزراعته بيرة [1] Vera (من أعمال المرية) وغرناطة [2] وجيان [3] وبيانة [4] وأبدة [5] وقرمونة [6] وشنترة [7] وأشبونة [8] وبطليوس [9] وسهيل [10] .

٣ - الأرز :

وهو محصول شرقى الأصل ومصرى على وجه الخصوص ، أدخله المسلمون إلى الأندلس ، وانتقل اسمه إلى الأسبانية فى صورة (Arroz) . ويرى بعض الباحثين أن دخول الأرز إلى بلاد الأندلس يؤرخ بحوالى منتصف القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) حيث ترد أول إشارة عن زراعته على ضفاف أنهار الأندلس [11] ، غير أنه من المرجح أن زراعة الأرز قد أدخلت إلى الأندلس قبل ذلك ربما مع جند مصر الذين استقروا عقب الفتح فى منطقة تدمير بشرق الأندلس .

ويذكر ابن العوام أن الأرز كان يزرع فى الأندلس خلال شهر إبريل ويحصد فى سبتمبر ، وهو من المحاصيل التى تحتاج إلى مياه رى كثيرة سواء كانت مياه الأمطار أو الأنهار [12] . وتعتبر بلنسية من أهم مناطق زراعته ، فيذكر العذرى أن الأرز « ينجب

---

(١) ابن الخطيب ، مشاهدات و ص ٤٠ .

(٢) الحلل الموشية ، ص ٦٦ .

(٣) الإدريسى ، ص ٢٠٢ ، الحميرى ، ص ٧٠ .

(٤) الإدريسى ، ص ٢٠٥ .

(٥) الإدريسى ، ص ٢٠٣ ، الحميرى ، ص ١١ .

(٦) الإدريسى ، ص ٢٠٦ .

(٧) المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٥٤ .

(٨) الزهرى ، الجغرافية ، ص ٨٥ .

(٩) Levi- provençal, la description de l'Espagne p. 87 .

(١٠) ابن الخطيب ، مشاهدات ، ص ٧٥ . وسهيل مرفأ على البحر المتوسط يسمى اليوم Fuengirola ، وكانت من أعمال مالقة . أنظر (مشاهدات ابن الخطيب) ، هـ ٦ ، ص ٧٥) .

(١١) أنظر عريب بن سعد ، نفسه ، ص ٥٠ ،

Imamoddin, some aspects; p. 83.

(١٢) تقويم قرطبة ، ص ٥٠ ، ابن العوام ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٤٢٩ ، ٤٣٩ - ٤٤٠ .

فيها ، ومنها يحمل إلى جميع بلاد الأندلس [1] ، كذلك أشار ابن العوام إلى زراعته في إشبيلية [2] .

٤ – الذرة :

لم تشر كتب الفلاحة الأندلسية إلى زراعة الذرة مما دعا بعض الباحثين الأسبان إلى القول بأن زراعة الذرة لم تبدأ في جنوب الأندلس إلا في القرن الثامن عشر الميلادى [3] . غير أن ابن الخطيب أورد نصاً في غاية الأهمية أوضح فيه زراعة الذرة في سهول غرناطة خلال القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) [4] ، وعلى هذا يمكن القول بأن زراعة الذرة وجدت بالأندلس – وخاصة في منطقة غرناطة – ربما قبل عصر مملكة بني الأحمر (بني نصر) في غرناطة أى منذ العصر الموحدى على الأقل .

٥ – أهم الحبوب الأخرى :

تشير كتب الفلاحة إلى زراعة العديد من الحبوب في الأندلس ومن أهمها :

الفول [5] ، الذى كان يجود في التربة اللينة الرطبة ولا تصلح زراعته في التربة الرقيقة أو الحرشا المضرسة ، ويذكر ابن بصال أن زراعته تبدأ في شهر اكتوبر أو نوفمبر [6] .

---

(١) ترصيع الأخبار ، ص ١٧ ؛ وأيضا
provençal, ESP., AnA Musul., t. v, p. 167. Levi-

(٢) الفلاحة ، جـ ٢ ، ص ٥٥ ، ٤٣٨ .

(٣) J.Antonio Rodriguez, sobre el cultivo del maíz en el reino Nazari de Granada, Cuadernos, Granada, 1975, N. 2, p. 168.

(٤) أنظر : الإحاطة في أخبار غرناطة ، م ١ ، تحقيق عبد الله عنان ، ص ١٣٧ .

(٥) يقال للفول في لاتينية أهل الأندلس فابه Faba ، وبالعربية باقلي وبالأندلسية فول . أنظر (Asín palacios, Glosario, p. 118) .

(٦) ابن بصال ، الفلاحة ، ص ١١٠ ؛ ابن العوام ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٤٣٢ . وقد أورد ابن بصال طريقة زراعة الفول ، فيذكر أنه لابد من حرث الأرض أولاً ثم تقسيمها إلى أحواض على أن يكون =

أما الحمص فكان يزرع في فبراير أو مارس وتلائمه التربة الحرشا [١] ، وتشير كتب الجغرافية إلى أن سرقسطة كان يخزن بها الفول والحمص مدة عشرين سنة وأكثر [٢] ، كما اشتهرت لقنت [٣] (Alicante) وجيان بزراعة البقول [٤] ، وعرف أهل الأندلس أيضا زراعة اللوبيا [٥] والعدس [٦] والجلبان [٧] والسمسم (الجلجلان) [٨] .

= طول الحوض إثنى عشر زراعاً وعرضه أربعة أذرع ثم تروى الأرض ، ولا يزرع الفول إلا بعد نقعه في الماء يوما وليلة . أنظر التفاصيل في : (ابن بصال ص ١١٠) أما بالنسبة لحصاده فيذكر ابن العوام أنه تم حصده في مالقة وشذونة في شهر مايو (الفلاحة ، جـ ٢ ، ص ٤٤٠ – ٤٤١) .

(١) ابن بصال ، الفلاحة ، ص ١٠٩ ؛ ابن العوام ، الفلاحة ، جـ ٢ ، ص ٤٣٨ .

(٢) أنظر ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٢٨٨ ؛ الزهري ، الجغرافية ، ص ٨١ ؛ مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٣ ؛ المقري ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٨٣ – ١٨٤ ؛
René Basset, Description de l'Espagne, en " Homenaje a F. Codera " zaragoza, 1904, p. 628 & Vallvé , IA agricultura, p. 23 .

(٣) تقع لقنت جنوب مدينة دانية على ساحل البحر المتوسط ، وهي مدينة صغيرة من أعمال كورة مرسية ، انظر (الإدريسي ، ص ١٨٧ ؛ الحميري ، ص ١٧٠) .

(٤) الإدريسي ، ص ١٩٣ ، ٢٠٢ ، الحميري ، ص ٧٠ ، ١٧٠ .

(٥) ابن بصال ، ص ١١٢ ؛ ابن العوام ، جـ ٢ ، ص ٤٣٩ – ٤٤٠ . وتجود زراعة اللوبيا في التربة الحرشا والرطبة ، وتزرع في شهر إبريل . راجع تفاصيل طريقة زراعتها في ابن بصال ، ث ١١٢ .

(٦) يذكر ابن بصال أن وقت زراعة العدس البكير في المناطق البعلية تكون من القمح أي بين اكتوبر وديسمبر ، أما في أرض السقيا فيزرع في فبراير . (ابن بصال ، ص ١١٢ – ١١٣) .

(٧) ابن بصال ، ص ١١٣ . وكان يطلق على الجلبان في لاتينية أهل الأندلس (الرومانسية) اسم أربليش (Arvilyas) . أنظر :
(Asín palacios, Glosario de voces romances, p. 21)
والجلبان اسم يطلق على نوعين من الحبوب وهي البسلة والماش (نبات يشبه اللوبيا) أنظر: (حلمي سالم ، اقتصاد مصر الداخلي وأنظمته ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٧ م ، هـ ١ ، ص ٩) .

(٨) ابن بصال ، ص ١١٤ . والملاحظ أن السمسم أو الجلجلان من النباتات الضعيفة التي يضرها البرد ولذا تتأخر زراعته ولا يبكر بها . وقت زراعته شهر ابريل وحصاده في سبتمبر أنظر (ابن بصال ، ص ١١٤) وقد انتقلت الكلمة العربية « الجلجلان » إلى الأسبانية في شكل Ajonjoli) أنظر :
(Max Meyerhof, Esquisse d'hisoire de la Pharmcologie et Botanique chez les musulmans d'Espagne, Al - andalus, vol ; III Madrid, 1935, p. 40).

٦ - قصب السكر :

وهو من النباتات المشرقية التي أدخلها المسلمون إلى الأندلس ، وإن كان بعض الباحثين الأسبان الحديثين يزعمون بأنه سابق على مجيء المسلمين ، الذين توسعوا فحسب في زراعته وأنه زرع بجنوب الأندلس منذ عصر الرومان (١) .

ويذكر ابن العوام الإشبيلي – نقلاً عن ابن حجاج – أن زراعة قصب السكر تتم في فبراير أو مارس ، وأنه يجود في التربة الرطبة (٢) وعلى ضفاف الأنهار (٣) . ويضيف عريب بن سعد أن القصب ينمو في سبتمبر ويحصد في نوفمبر أو يناير ليصنع منه السكر (٤) .

وتتركز زراعته في المناطق الساحلية خاصة في البساتين الواقعة جنوبي إشبيلية (Sevilla) والتي تعرف بجنات المصلى (٥) وفحص غرناطة (٦) وشلوبانية أو شلوبينية (٧) (Salobrena) والمنكب (٨) (Almunécar) وشمجلة أو

---

(١) Imamddin, The economic history, p. 115 .

(٢) ابن العوام ، الفلاحة ، جـ ١ ، ص ٣٩١ – ٣٩٢ ؛ تقويم غرناطي ، ص ٣٠ ؛ Vallicrosa, tratado de agricultura de Ibn Wafid, p. 322 .

(٣) أنظر : القزويني ، آثار البلاد ، ص ١٠ .

(٤) تقويم قرطبة ، ص ٢٤ ، ٩١ ، ١٠٩ . والملاحظ أنه لاستخلاص العصارة من القصب كان يقطع إلى أجزاء صغيرة ثم يعصر ، وهذه العصارة تغلي حتى يتبخر ثلاثة أرباعها ويتبقى الربع ، ومن هنا السائل السميك المتبقي المسمى الخثارة يستخلص السكر . أنظر : (Imamuddin, op. cit, p.118) .

(٥) العذري : ص ٩٦ ؛ ابن غالب ، ص ٢٩٣ ؛ جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٨ .

(٦) ابن غالب : ص ٢٨٣ ؛ ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص ٢٢ ، الحميري ، ص ٢٤ .

(٧) ياقوت ، معجم البلدان ، م ٣ ، ص ٣٦٠ ؛ الحميري ، ص ١١١ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢١٨ . وتقع شلوبانية على ساحل البحر المتوسط ، وكانت من أعمال كورة غرناطة . أنظر (الحميري ، ص ١١١) .

(٨) ابن الخطيب ، مشاهدات ، ص ٨٠ ؛ القلقشندي ، نفسه ، جـ ٥ ، ص ٢١٨ . وتقع المنكب على البحر المتوسط جنوبي المرية ، وهي مرفأ ساحلي في جنوب شرقي الأندلس بكورة غرناطة ، =

شمجيلة [1] .

٧ - القطـن :

وهو أيضا من المحاصيل المشرقية التى أدخلها المسلمون إلى الأندلس وأصبح يسمى فى الأسبانية (Algodon) [2] .

ويزرع القطن فى شهر مارس [3] ، ويجمع فى سبتمبر [4] ، وتلائمه التربة الحرشا ، ويحتاج إلى حرث وتسميد كثير ، ويذكر ابن بصال أن أوفق أوقات زراعته عندما تكون الأرض ثرية أى رويت بالماء رياً غزيرا [5] .

وتعتبر إشبيلية أهم منطقة لزراعة القطن فى الأندلس حيث يذكر الحميرى أن القطن يجود بأرضها فيعم بلاد الأندلس [6] ، ويؤكد ذلك قوت ياقوت : « ومما فاقت (أى إشبيلية) به على غيرها من نواحى الأندلس زراعة القطن فإنه يحمل منها إلى جميع بلاد الأندلس والمغرب [7] » كذلك كان يزرع فى رندة [8] ووادى [9] آش وميورقة [10] .

= (ابن الخطيب ، نفسه ، ص ٨٠) .

(١) ياقوت ، نفسه ، م ٣ ، ص ٣٦١ . وتقع شمجلة قرب ساحل البحر المتوسط ، وكانت من أعمال مالقة . أنظر (معجم البلدان ، م ٣ ، ص ٣٦١) .

(٢) Imamuddin, some aspects, p, 88 .

(٣) عريب بن سعد ، تقويم قرطبة ، ص ٤٠ ؛ ابن العوام ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٤٣٨ ؛ تقويم غرناطى ص ٣٠ .

(٤) ابن بصال ، نفسه ، ص ١١٥ .

(٥) ابن بصال ، ص ١١٤ – ١١٥ .

(٦) صفة جزيرة الأندلس ، ص ٢١ .

(٧) أنظر . معجم البلدان ، مجلد ١ ، ص ١٩٥ . وعن شهرة إشبيلية بزراعة القطن أنظر : (العذرى ، ص ٩٦ ، ابن غالب ، ص ٢٩٣ ؛ مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٧ ، Vallcé, La agricultura, p. 24)

(٨) ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ٣٢٩ .

(٩) الحميرى ، ص ١٩٢ ؛ Lavi - provençal, ESP. musul., t.v, p. 167 .

(١٠) الزهرى ، الجغرافية ، ص ١٢٩ .

٨ - الكتـــان :

يشير ابن العوام إلى أن زراعة الكتان تبدأ بعد أن تروى الأرض بمياه الأمطار أى في شهر نوفمبر [١] ، ثم يحصد في مالقة وشذونة في شهر مايو [٢] . وأصلح الأراضى لزاعته التربة الرملية والرطبة [٣] .

وتتركز أهم مناطق زراعة الكتان في قرى جبل شلير بغرناطة حيث يتميز كتان تلك المنطقة بجودته وتفوقه على كتان الفيوم الشهير [٤] ، كذلك كان يزرع في شذونة ومالقة [٥] وشيرب [٦] ولاردة [٧] وباجة [٨] وميورقة [٩] .

٩ - القنـــب :

أصـل هذا النبات مختلف فيـه ، فهناك من يعتقد أنه صيني ، بينما يرى

---

(١) أنظر . كتاب الفلاحة ، جـ ٢ ، ص ٣٥ ، ٤٣٢ .

(٢) تقويم قرطبة ، ص ٥٢ ؛ ابن العوام ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٤٤٠ - ٤٤١ ، تقويم غرناطي ص ٣٣ .

(٣) ابن بصال ، ص ٣٣ - ٣٤ .

(٤) البكرى ، جغرافية الأندلس وأوربا ، ص ٨٥ ؛ الزهرى ، نفسه ، ص ٩٦ ، ياقوت ، معجم ، م ١ ، ص ٢٤٤ .

(٥) عن زراعة الكتان في شذونة (بجنوب غرب الأندلس) ومالقة أنظر : ابن العوام ، جـ ٢ ، ص ٤٤٠ - ٤٤١ .

(٦) أنظر . ابن غالب ، ص ٢٨٥ .

(٧) الحميرى ، نفسه ، ص ١٦٨ .

(٨) نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٥١ .

(٩) الزهرى ، ص ١٢٩ . وتبتغى الإشارة إلى أن الكتان كان يستفاد منه في المنسوجات الكتانية وكذلك في صناعة الزيت من بذوره وفي صناعة الورق . أنظر :

Vallvé, op. cit, p. 24 & Imamuddin, the economic history, p. 112 .

ومن ناحية أخرى كان الكتان يعرف في اللغة الرومانسية بالابارتل Abertal أنظر :

Asin palacios, Glosario, P.I.

البعض أنه فارسي الأصل ، وإن كان من الثابت أن المسلمين هم الذين أدخلوه إلى الأندلس [١] .

ويشير ابن العوام إلى أن القنب (بالاسبانية Canamo) يزرع في فبراير ومارس في حين كان يحصد في يونيه ، وأنه كان يجود في الأراضي المنخفضة كثيرة المياه والرطبة ، ويضيف أن ألياف هذا النبات كانت تستخدم في صناعة الأحبال والخيوط والورق [٢] . ويذكر صاحب كتاب « عمدة الطبيب في معرفة النبات » أن بعض الثقاب أخبروه أنه بناحية طليطلة يوجد نبات يقلعه الصيادون ثم ينقعونه في الماء ويدقونه كما يصنع بالقنب ثم يغزل ويصنع منه شباك لصيد القنلية [٣] .

ومما تجدر ملاحظته أن المصادر لم تشر مطلقا إلى مناطق زراعة القنب في الأندلس ، وإن كان من الثابت أن هذا النبات زرع بمناطق عديدة .

١١ - الزعفران (بالأسبانية Azafran) :

يزرع الزعفران [٤] في شهر فبراير أو مايو ، وينمو في أوائل اكتوبر أو نوفمبر ، ويجود في التربة السوداء والرملية والحرشا أي الخشنة . ويذكر ابن بصال أن الزعفران « لا ينجب إلا في البلاد الباردة خاصة [٥] » .

---

(١) Imamuddin, the economic history, pp. 114 - 115 .

(٢) أنظر : ابن العوام ، الفلاحة ، جـ ٢ ، ص ١١٧ - ١١٨ . ومن المعروف أن خيوط نبات القنب والحلفاء كان يصنع منها النعال المسماة بالبرغات (جمع برغة) أنظر . (دوزى ، تكملة المعاجم العربية ، ترجمة محمد سليم ، بغداد ، ١٩٧٨ ، جـ ١ ، ص ٢٩٧) .

(٣) A. palacios, Glosario, p. 60 .

وحيوان القنلية - المشار إليه بالمتن - يشبه الأرنب إلا أنه أدق منه وأطيب في الطعم وأحسن وبرا ، وكثيرا ما يلبس فراؤها في الأندلس . أنظر (المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٨٤ - ١٨٥) .

(٤) يقال للزعفران أيضا الكركم والجادى . أنظر (ابن عبد الله القرطبي ، شرح أسماء العقار ، نشر ما يرهوف ، ص ١٧) .

(٥) عريب بن سعد ، تقويم قرطبة ، ص ٣٣ ، ١٠٩ ، ابن بصال ، ص ١١٦ - ١١٧ ؛ ابن العوام جـ٢ ، ص ٤٤٠ - ٤٤١ . ويذكر ابن بصال أنه لزراعة الزعفران ينبغي أن تقسم الأراضي أحواضا =

وأهم مناطق زراعته تتركز في بياسة [1] (Baeza) وبسطة [2] (Baza) وباغة [3] (priego) من أعمال غرناطة) وبلنسية [4] وإفراغه [5] (Rraga) . والمعروف أن الأندلس كانت من أبرز مناطق إنتاج الزعفران في العصور الوسطى ، وكانت له أهمية كبيرة في التجارة العالمية نظراً لاستخدامه العديدة في الصباغة والطيب والعقاقير الطبية [6] .

١٢ - العصفر :

ويزرع في شهر فبراير أو مارس ، ويحتاج إلى حرث ومياه ري كثيرة ، ويجود في التربة الرطبة ، وأكثر المناطق ملائمة لزراعته البلاد المعتدلة ذات الهواء الرطب [7] .

= على أن يكون طول الحوض اثنى عشر ذراعاً وعرضه أربعة أذرع ثم يؤخذ بصل الزعفران ويجعل منها في عرض الحوض ثلاث عشرة بصلة على صف ، وترتب في الأحواض صفوفا ، ويكون بين صف وآخر في حدود الشبر ، ثم يردم عليها التراب وتروى بالماء . أنظر (الفلاحة ، ص ١١٦ - ١١٧) .

(١) الإدريسي ، ص ٢٠٣ ؛ ابن غالب ، ص ٢٨٤ ؛ ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ٧١ ، أبو الفدا تقويم البلدان ، ص ١٧٧ ؛ الحميري ، ص ٥٧ ؛ المقري ، نفح ، جـ ٤ ، ص ٢٠٤ .

(٢) أنظر . ابن الخطيب ، مشاهدات ، ص ٨٦ + مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٦ ، القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٢١ .

(٣) ابن غالب ، ص ٢٨٣ ؛ المقري ، نفسه ، جـ ١ ، ص ١٤٢ .

(٤) العذري ، ص ١٧ ؛ ياقوت ، معجم ، م ١ ، ص ٤٩٠ ، القزويني ، آثار البلاد ، ص ١٥٣ ؛ مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٦ ؛ المقري ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٦٨ .

(٥) مجهول ، جغرافية الأندلس ، لوحة ٢٤ . وتقع إفراغه في الشمال الشرقي من الأندلس قرب مدينة لاردة بمنطقة الثغر الأعلى . (مجهول ، نفسه ، لوحة ٢٤) .

(٦) Heyd, Histoire du commerce du Levant au moyen age, t. II, Amesterdam, 1967, pp. 668 - 669 .

(٧) تقويم قرطبة ، ص ٤٠ ؛ ابن بصال ، ص ١١٦ ؛ ابن العوام ، جـ ٢ ، ص ٤٣٨ ، ويذكر ابن عبد الله القرطبي أن العصفر هو المريق والأحريض ويسمى أيضا بهرم وبهرمان ، أما بذره فيسمى القرطم . انظر (شرح اسماء العقار ، نشر ما يرهوف ، ص ٣٢) ويشير ابن بصال إلى أن العصفر نوعان : مشوك وغير مشوك ، والنوع الأخير أفضل في الجمع والصباغة (الفلاحة ، ص ١١٦) .

وتتركز زراعته في إشبيلية [1] ولبلة [2] (Niebla) . وكان يستخدم مثل الزعفران في الصباغة باللون الأصفر [3] .

١٣ - زراعة الخضر والفاكهة :

عرف الأندلسيون زراعة العديد من الخضر والفاكهة مثل :

١ - الكرنـب :

وكان يزرع بإشبيلية في شهر يونيه ويؤكل في نوفمبر [4] . ويشير ابن بصال إلى نوعين من الكرنب الصيفي وهو مغلق الأوراق ، والشتوى مفرق الأوراق ، ويضيف بأن الكرنب الذى يؤكل في الصيف يغرس في مارس بينما الأخر الذى يؤكل في الشتاء يغرس في يونيه ، ويجود في التربة السوداء والغليظة [5] . ويذكر الزهرى أن بلنسية اشتهرت بزراعته ، وأن الرأس الواحدة من الكرنب توزن بخمسة عشر رطلا [6] .

٢ - القنبـيط :

وكان يزرع في مارس أو إبريل ، أما في إشبيلية فيزرع في يناير [7] ، وتلائمه التربة السوداء ، وزراعته تتم في أحواض يبدأ تسميدها قبل أن تزرع فيها الزريعة ثم

---

(١) العذرى ، ص ٩٦ ؛ الحميرى ، ص ٢١ .

(٢) العذرى ، ص ١١١ ؛ القزوينى ، نفسه ، ص ٥٥٥ ، الحميرى ، ص ١٦٩ .

(٣) آدم متز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى ، جـ ٢ ، ص ٢٣١ . وقد انتقلت الكلمة العربية العصفر إلى الأسبانية في صورة Alasor .

(٤) تقويم قرطبة ، ص ٦٧ ، ١٠٩ ، ابن العوام ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٤٤٢ ، تقوم غرناطى ، ص ٣٧ .

(٥) ابن بصال ، الفلاحة ، ص ١٥١ - ١٥٢ . وعن طريقة زراعته راجع (ابن بصال ، ص ١٥١ ، أبو الخير الفلاحة ، ص ٦٣) .

(٦) الجغرافية ، ص ١٠٢ .

(٧) تقويم قرطبة ، ص ٥٠ ؛ ابن بصال ، ص ١٥٢ ، ابن العوام ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٤٣٥ .

تسقى بالماء إلى أن ينبت القنبيط فيقطع عنه الماء ، ثم يروى بعد ذلك مرة كل أسبوع [1] .

٣ - الاسباناخ (الاسفاناج [2]) :

ويزرع البكير منه فى أول سبتمبر ، ويؤكل فى منتصف اكتوبر ، أما المتأخر الذى يزرع فى يناير فيؤكل فى مارس . ويجود الأسباناخ فى التربة المدمنة والسمينة [3] .

٤ - اللفت (السلجم) :

وكان يزرع فى أوائل أغسطس ويؤكل فى الخريف والشتاء [4] . ويشير ابن بصال إلى نوعين من اللفت أحدهما مستطيل والآخر مدحرج أى مدور ، وتجود زراعته فى التربة المدمنة والسمينة [5] . وأهم مناطق زراعته فإشبيلية وقرطبة وغرناطة [6] .

٥ - الجـــزر :

وكان يزرع فى إشبيلية وغرناطة فى منتصف يوليه أو أغسطس [7] ، وتجود زراعته فى التربة السوداء ، ولا يلائمه إلا الماء العذب [8] .

---

(١) ابن بصال ، ص ١٥٢ .

(٢) يذكر ابن البيطار أن الاسفاناخ أو الزبانخ بقلة معروفة تعلو شبراً ولها ورق ذو شعب وأن من الاسفاناخ ما هوى برى وبستانى . أنظر (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، جـ ١ ، مكتبة المثنى ببغداد ، بدون تاريخ ، ص ٢٥ ، دوزى ، تكملة المعاجم العربية ، جـ ١ ، ص ١٢٤) .

(٣) ابن بصال ، ص ١٥٤ - ١٥٥ .

(٤) ابن بصال ، ص ١٤٢ ، ابن عبد الله القرطبى ، شرح أسماء العقار ، ص ٢٩ ، هـ ٨ ، ص ٢٩ .

(٥) ابن بصال ، ص ١٤١ ، أبو الخير ، الفلاحة ، ص ٦٥ .

(٦) تقويم قرطبة ، ص ١٠٩ ؛ ابن العوام ، جـ ٢ ، ص ٤٣٣ .

(٧) تقويم قرطبة ، ص ٨٤ ؛ ابن العوام ، جـ٢ ، ص ٤٤٣ - ٤٤٤ ، تقويم غرناطى ، ص ٣٤ .

(٨) ابن بصال ، ص ١٤٢ .

٦ - الباذنجان :

يذكر ابن بصال أن زراعـة الباذنجان تبدأ فى شهر يناير [١] ، بينما يشير ابن العوام إلى أن زراعتـه بإشبيلية تبدأ مبكراً فى ديسمبر [٢] ، وكذا الحال بالنسبـة لقرطبـة [٣] . وتجود زراعته فى التربة المدمنة والحرشا (الخشنة [٤]) . وقد اشتهرت قرطبة بزراعـة نوع من الباذنجـان مد حرج الشكل صغير الجـرم رقيق القشر يعرف بالقرطبى [٥] .

٧ - القـــرع :

كان القرع يزرع فى إشبيلية وقرطبة فى شهر ديسمبر [٦] ، بينما يذكر ابن بصال أن زراعته فى أغلب مناطق الأندلس تبدأ فى يناير [٧] .

٨ - الخـــس :

كان الخس الكبير يزرع فى سبتمبر ، وينضج فى منتصف مارس . أما المتأخر فيزرع فى نوفمبر وينضج فى مايو . ويذكر ابن بصال أن هذا النوع الأخير « أفضل الخس وأحمده وأتمه خلقاً وأحسنه طعماً وهو دون مرارة » . ويلائمه الماء العذب

---

(١) ابن بصال ، ص ١٣٤ .

(٢) ابن العوام ، جـ ٢ ، ص ٤٣٤ .

(٣) انظر . عريب بن سعد ، تقويم قرطبة ، ص ١١٧ ، تقويم غرناطى ، ص ٣٨ .

(٤) ابن بصال ، الفلاحة ، ص ١٣٦ .

(٥) Asin palacios, Glosario, p. 167 .

وقد أورد أحد شعراء الأندلس وصفاً طريفاً للباذنجان فيقول :

ومستحسن عند الطعام مدحرج ... غذاء نمير الماء فى كل بستان

تطلـع فـى أقمـاعـه فكأنـه ... قلوب نعاج فى مخاليف عقبان

انظر (المقرى ، نفح ، جـ ٥ ، ص ٢٢٩)

(٦) تقويم قرطبة ، ص ١١٧ ، ابن العوام ، جـ ٢ ، ص ٤٣٤ .

(٧) ابن بصال ، ص ١٣٠ - ١٣١ .

والأرض اللينة والسمينة [1] . أما ابن العوام فيشير إلى أن زراعة الخس فى إشبيلية تبدأ فى يناير أو مارس [2] .

٩ – البصل :

يذكر ابن بصال أن البصل نوعان : أحداهما يبكر بزراعته للأكل ، والآخر يتأخر لادخاره من أجل استخدامه كزريعة . ويضيف بأن البكير يزرع فى اكتوبر والمتأخر فى يناير ، وتلائمه الأرض الحمراء والسوداء والحرشا [3] . ويشير صاحب تقويم قرطبة أن البصل كان يزرع بقرطبة وما حلوها فى أكتوبر وحتى نهاية يناير [4] .

ويبدو أن كورة إشبيلية كانت تشتهر بزراعة البصل ، إذ يشير ياقوت إلى وجود إقليم بها يسمى « إقليم البصل » وذلك لكثرة زراعة هذا المحصول به [5] .

١٠ – الثوم :

أشار ابن بصال إلى أن زراعة الثوم فى نوفمبر أو يناير ويحصد فى يونيه ، وتوافقه التربة البيضاء والسوداء أو الحرشا . ويضيف بأن هذا النبات لا يحتاج إلى ماء أو تسميد كثير [6] . ويذكر ابن العوام وصاحب تقويم قرطبة أن أهم مناطق زراعته في إشبيلية وقرطبة [7] .

---

(١) أنظر : ابن بصال ، الفلاحة ، ص ١٥٨ – ١٥٩ ، أبو الخير الإشبيلي ، الفلاحة ، ص ٦٤ ، Vallicosa, tratado de agricultura de Ibn Wafid, p. 317 .

(٢) ابن العوام ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٤٣٣ ، ٤٣٥ .

(٣) ابن بصال ، ص ١٤٥ ؛ أبو الخير ، الفلاحة ، ص ٦٥ .

(٤) تقويم قرطبة ، ص ١٠١ ؛ تقويم غرناطى ، ص ٣٨ .

(٥) معجم البلدان ، م ١ ، ص ٤٤٢ .

(٦) ابن بصال ، ص ١٤٤ ، ١٤٧ .

(٧) عريب بن سعد ، نفسه ، ص ١١٧ ؛ ابن العوام ، جـ ٢ ، ص ٤٣٤ .

١١ - البطيخ (الدلاع) :

يذكر ابن بصال وصاحب تقويم غرناطة أن البطيخ كان يغرس في منطقة غرناطة ومعظم مناطق الأندلس خلال شهر إبريل ، وأنه يجود في الأماكن الباردة ، وتلائمه التربة السوداء وهو لا يحتاج إلى مياه كثيرة لأن كثرة الماء قد تقلل من حلاوته [١] .

وأشارت كتب النبات إلى العديد من أنواع البطيخ أهمها : السكرى وهو أفضل الأنواع ، والسندى أو الهندى والدمشقى والمرسى . وأهم مناطق زراعته تتركز في مرسية وبلنسية وغرناطة [٢] .

١٢ - الزيتــــون :

أشار ابن العوام إلى نوعين من الزيتون أحدهما برى أى ينبت بطبعه في الجبال والآخر بستاني وهو أكثر حباً من الأول وأوفر زيتاً [٣] . والزيتون لا يحتاج إلى رى كثير ، وتلائمه التربة الرقيقة [٤] . وكان الزيتون يغرس بإشبيلية في شهر اكتوبر [٥] ، بينما يذكر صاحب تقويم قرطبة أن أوتاد الزيتون تغرس بقرطبة في يناير ، ويضيف بأنه في سبتمبر ينضج بعض الزيتون ويظهر الزيت الجديد [٦] .

---

(١) ابن بصال ، الفلاحة ، ص ١٢٨ - ١٣٠ ؛ تقويم غرناطى ، ص ٣٢ . ويذكر عريب بن سعد أن الدلاع الهندى يطيب بقرطبة في أغسطس (تقويم قرطبة ، ص ٨٣) .

(٢) ابن بصال ، نفسه ، ص ١٢٨ - ١٣٠ ؛ تقويم غرناطة ، ص ٣٢ ؛
Vallicrosa, tratado de agricultura de Ibn Wafid, p. 317 .

(٣) ابن العوام ، الفلاحة ، جـ ١ ، ص ٢٢٥ .

(٤) ابن بصال ، نفسه ، ص ٦١ ؛ ابن العوام ، نفسه ، جـ ١ ، ص ٢٢٥ ، ٢٣١ .

(٥) ابن العوام ، نفسه ، جـ ١ ، ص ٢٤٢ .

(٦) عريب بن سعد ، تقويم قرطبة ، ص ٢٤ ، ٩١ ؛ مجهول ، تقويم غرناطى ، ص ٣٥ . ومن الملاحظ أن الكلمة العربية « الزيتون » دخلت الأسبانية في شكل (Aceituno) كذلك كلمة الزيت (Aceite) أنظر :
(Max Meyerhof, Esquisse d'histoire de la pharmaologie et botanique, p. 40.)

وكان الزيتون يزرع في جميع أنحاء الأندلس عدا جزيرة يابسة [1] (Ibiza) ، وأهم مناطق زراعتـه تتركز في إشبيليـة خاصـة منطقة جبل الشرف [2] ولبلة [3] وقرى ماردة [4] ومورور [5] وشذونة [6] وبياسة [7] وبسطـة [8] وقبرة [9] وسـهل الكنبانيـة (Camipna) وجبل العروس بقرطبة [10] وشريش [11] وشوذر [12] وضفاف

---

(١) الزهري ، الجغرافية ، ص ١٢٨ – ١٢٩ .

(٢) حول شهرة شرف إشبيلية بزراعة الزيتون انظر : الرازي ، وصف الأندلس ، في :

Levi - Provençal, la description de l'Esp., p. 93.

العذري ، ص ٩٥ ؛ البكري ، جغرافية الأندلس وأوربا ، ص ١١٤ ؛ ابن غالب ، ص ٢٩٢ ، الإدريسي ، ص ١٧٨ ، ياقوت ، معجم ، م ٣ ، ص ٣٣٦ – ٣٣٧ ، الحميري ، ص ١٩ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، مجهول و جغرافية الأندلس ، مخطوط و لوحة ٢٨ . ويقصد بالشرف Ajarafe تلك المرتفعات الواقعة إلى الغرب من إشبيلية وتسمى اليوم جبال انديفالو (Sierra de Andévalo) وهي جزء من الجبال السمراء (سيراموريتا Sierra Morena) أنظر (الحميري ، ص ١٠١ ؛ الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، جـ ٢ ، هـ ٢ ، ص ٢٠٤) .

(٣) أنظر الرازي ، وصف الأندلس في :

Levi - Provençal, la description de l'Esp., p. 91.

ابن غالب ، ص ٢٩٣ ؛ ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ٣٣٩ ؛ الحميري ، ص ١٦٩ ، جغرافية الأندلس ، لوحة ٢٦ .

(٤) انظر : مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٥ .

(٥) L. Provençal, op. cit, p 95 .

(٦) ابن غالب ، ص ٢٩٤ ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٩ .

(٧) جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ١٨ .

(٨) الحميري ، ص ٤٥ .

(٩) ياقوت ، نفسه ، م ٤ ، ص ٣٠٥ ، ص ١٤٩ ، جغرافية الأندلس ، مخطوط لوحة ١٨ . وتقع قبرة (Cabra) جنوبي قرطبة . انظر (الحميري ، ص ١٤٩) .

(١٠) ابن غالب ، ص ٢٩٦ ، سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، جـ ١ ، ص ١٦ .

(١١) الإدريسي ، ص ٢٠٦ ؛ الحميري ، ص ١٠٢ . وكانت شريش (تسمى اليوم Jerez) من أعمال كورة شذونة . (الإدريسي ، ص ٢٠٦) .

(١٢) الحميري ، ص ١١٧ . وقرية شوذر (Jédar) من أعمال جيان . (الحميري ، ص ١١٧) .

وادى بجانة بالمرية [١] وباغة [٢] وقمارش [٣] (Comares) (من أعمال كورة غرناطة) ومالقة [٤] وإستجة [٥] ومربيطر[٦] (Murviedro) .

١٣ - الكروم (الأعناب) :

أشار ابن العوام إلى أن غرس الكروم يبدأ فى فصل الخريف ، ثم ينضج خلال شهر مايو [٧] ويضيف صاحب تقويم قرطبة أن بكور[٨] العنب يظهر فى يونية [٩] ، غير أنه فى غرناطة ينضج فى نهاية شهر أغسطس [١٠] .

وأنواع العنب كثيرة منها الأسود والمدحرج والطويل ، كما أن منها الأحمر المشوب بصفرة [١١] ، ومنه ما هو بستانى يزرع فى التربة الطينية ، ونوع آخر صحراوى يزرع فى التربة الرملية [١٢] .

وكانت أشجار الكروم تغرس بجهات عديدة من الأندلس أهمها : مرسية [١٣]

---

(١) مشاهدات ابن الخطيب ، ص ٨٣ ؛ الحميرى ، ص ٣٩ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢١٨ ، سالم ، تاريخ مدينة المرية ، ص ١٦ .

(٢) ياقوت ، نفسه ، م ١ ، ص ٥٣٢ .

(٣) مشاهدات ، ص ٧٩ .

(٤) ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ٤٢٣ ؛ جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢١ .

(٥) ابن العوام ، نفسه ، جـ ١ ، ص ٢٢٥ .

(٦) الحميرى ، ص ١٨١ .

(٧) تقويم قرطبة ، ص ٥٧ ؛ ابن العوام ، جـ ١ ، ص ٣٥٢ .

(٨) الباكور كلمة تطلق على مابكر من الثمار عامة ، وتطلق اليوم (Albacora) فى أسبانيا على باكورة التين بصفة خاصة ، أنظر (الأهوانى ، ألفاظ مغربية ، جـ ١ ، ص ١٤٥) .

(٩) تقويم قرطبة ، ص ٦٦ ؛ ابن العوام ، جـ ٢ ، ص ٤٤٢ .

(١٠) تقويم غرناطى ، ص ٣٤ .

(١١) ابن العوام ، جـ ١ ، ص ٣٥١ .

(١٢) ابن بصال ، ص ٧٦ ؛ ابن العوام ، جـ ١ ، ص ٣٥٨ .

(١٣) أنظر : الإدريسى ، ص ١٩٥ ؛ الحميرى ، ص ١٨٢ - ١٨٣ ، J. Vallvé, la agricultura, p. 29.

ولورقة [1] ولقنت [2] ودانية [3] وبريانة [4] (شمال بلنسية Burriana) ومربيطر [5] (Murviedro) ويابسة [6] ووادى الحجارة [7] (Guadalajara) ودروقة [8] (Daroca من أعمال قلعة أيوب) وجبل العروس بقرطبة [9] وقبرة [10] وجبل الشرف وضفاف الوادى الكبير قرب إشبيلية [11] وليلة [12] وشذونة [13] ومورور [14] وشلب [15] (Silves بغرب الأندلس) وقرى ماردة [16] (Merida) وقلمرية [17] وشنتمرية [18] الغرب والمنكب [19] وغرناطة [20]

---

(١) يشير ياقوت إلى أن عنب لورقة « يكون العنقود فيه خمسين رطلا بالعراقى » ويضيف بأنه سمع بذلك من أحد شيوخها : ورغم المبالغة الظاهرة فى هذا النص إلا أنه يدل على مدى وفرة إنتاج العنب فى لورقة . أنظر (معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٢٥ – ٢٦ ، القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٥٥٦) .

(٢) الإردريسى ، ص ١٩٣ ، الحميرى ، ص ١٧٠ .

(٣) ابن غالب ، ص ٢٨٥ ، الإدريسى ، ص ١٩٢ ، الحميرى ، ص ٧٦ .

(٤) الإدريسى ، ص ١٩١ ، الحميرى ، ص ٤٤ .

(٥) الحميرى ، ص ١٨١ .

(٦) الإدريسى ، ص ٢٠٤ ، ياقوت ، نفسه ، م ٥ ، ص ٤٢٤ .

(٧) الإدريسى ، ص ١٨٩ ، الحميرى ، ص ١٩٣ .

(٨) الإدريسى ، ص ١٨٩ ، الحميرى ، ص ٧٧ .

(٩) ابن غالب ، ص ٢٩٦ ، سالم ، قرطبة ، جـ ١ ، ص ١٦ .

(١٠) جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ١٨ .

(١١) ابن العوام ، نفسه ، جـ ١ ، ص ٣٥٨ .

(١٢) ابن غالب ، ص ٢٩٢ ، ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ٣٣٩ ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٧ .

(١٣) ابن غالب ، ص ٢٩٤ ، جغرافية الأندلس ، لوحة ٢٩ .

(١٤) جغرافية الأندلس ، لوحة ٢٩ .

(١٥) جغرافية الأندلس ، لوحة ٢٣ .

(١٦) جغرافية الأندلس ، لوحة ٢٥ .

(١٧) الإدريسى ، ص ١٨٣ ، الحميرى ، ص ١٦٤ .

(١٨) الإدريسى ، ص ١٧٩ ، الحميرى ، ص ١١٥ .

(١٩) جغرافية الأندلس ، لوحة ٢٢ .

(٢٠) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٣٦٨ .

وقمارش [١] وبرجة [٢] (Berja من أعمال المرية) ومالقة وما يحيط بها من القرى [٣] وسرقسطة [٤] .

١٤ - التين :

أشار ابن العوام الى أن التين كان يغرس فى الأندلس خلال فصلى الخريف والربيع [٥] ، وينضج فى يونيه خاصة فى قرطبة والمناطق القريبة من السواحل [٦] . ومن المعروف أن التربية الرميلية والخشنة أو الحرشا تلائم زراعته ، ويندر وجوده على ضفاف الأنهار [٧] .

وأهم مناطق زراعته فى الأندلس مدينة مالقة [٨] حيث يوجد نوع من التين

---

(١) مشاهدات ابن الخطيب ، ص ٧٩ .

(٢) مشاهدات ، ص ٨١ .

(٣) انظر الرازى ، وصف الأندلس ، فى :

L. provençal, la descrip., p. 98 .

ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ٤٢٣ ، جغرافية الأندلس ، لوحة ٢١ ،

Vallvé, op. cit, p. 29.; Robles, Malaga musulnana, malage, 1275, 1291.

(٤) يشير ابو حامد الغرناطى الى أن بمنطقة سرقسطة نوع من العنب تزن الحبة الواحدة عشرة مثاقيل . انظر (المغرب عن بعض عجائب المغرب ، ورقة ٧) وعلى هذا تكون وزن حبة العنب تلك ٤٥ جراما خاصة وأن متوسط وزن المثقال ٤,٥ جرام . أنظر (مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون ، ص ٣٢٧ .

(٥) انظر ابن العوام ، نفسه ، جـ ١ ، ص ٢٩٨ .

(٦) تقويم قرطبة ، ص ٦٦ ، ابن العوام ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٤٤٢ .

(٧) ابن بصال ، الفلاحة ، ص ٦٦ ، ابن العوام ، نفسه ، جـ ١ ، ص ٢٩٨ .

(٨) أنظر الإدريسى ، ص ٢٠٠ ، ٢٠٤ ؛ ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ٤٢٣ ، ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٣٦٦ ، الحميرى ، ص ١٧٨ - ١٧٩ ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢١ ، نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٤٤ ، ص ١٨٦ ، جـ ٤ ، ص ٢٠٥ . والمعروف أن تين مالقة حظى بمديح شعراء الأندلس ، وفيه يقول أبو الحجاج يوسف المالقى :

مالقة حييت ياتينها ... الفلك من أجلك ياتينها

نهى طبيبى عنه فى علتى ... ما لطبيبى عن حياتى نهى

يسمى المالقة [١] يضرب المثل بحسنه ، كذلك كان يتوافر فى بلش أو بليش [٢] Velez (من قرى مالقة) وسهيل [٣] وقمارش [٤] ومرسية [٥] ولقنت [٦] وبلنسية [٧] وأندة [٨] وشلب [٩] وشريش [١٠] والجزيرة الخضراء [١١] وقبرة [١٢] وجبل الشرف بإشبيلية [١٣] وشنترية الغرب [١٤] وجبل طارق [١٥] .

---

(١) كان يوجد العديد من أنواع التين أهمها المالقى والإشبيلى المعروف بالشعرى والقوطى والدنقال والسهيلى . انظر (ابن العطار ، الوثائق والسجلات ، ص ٧٣ ، السقطى ، اداب الحسبة ، ص ١٧ ، المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٨٦ ، جـ ٤ ، ص ٢٠٠ ،
Garca Gomez, Sobre agricultura arabigo. Andaluza, p. 134 & J. Vallvé, la agricultura, p. 32) .

(٢) ابن الخطيب ، مشاهدات ، ص ٧٩ ؛ ابن بطوطة ، ص ٣٦٨ ك القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢١٨ .

(٣) مشاهدات ، ص ٧٥ .

(٤) مشاهدات ، ص ٧٩ .

(٥) الحميرى ، ص ١٨٣ .

(٦) الإدريسى ، ص ١٩٣ ، الحميرى ، صص ١٧٠ .

(٧) يذكر الزهرى أن فى بلنسية من أنواع التين ما ليس له نظير فى بلاد الأندلس كلها ، حتى أن الرجل بها يشترى من التين الأخضر بربع درهم فيحمل ستين نوعا منه لا يشبه واحد الآخر سواء فى المذاق أو اللون . أنظر (الجغرافية ، ص ١٠٢) .

(٨) ياقوت ، معجم ، م ١ ، ص ٢٦٤ . وتقع أنده (Onda) إلى الشمال من بلنسية . (العذرى ، ص ١٩ ، الحميرى ، ص ٣١) .

(٩) مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٣ .

(١٠) الإدريسى ، ص ٢٠٦ ، الحميرى ، ص ١٠٢ .

(١١) الحميرى ، ص ٧٣ .

(١٢) جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ١٨ .

(١٣) الإدريسى ، ص ١٧٨ . ويذكر السقطى أن التين الإشبيلى المعروف بالشعرى يتميز بأنه فى غاية من القد ونهاية من إسوداد اللون وبدع من التخطيط الأبيض . (أداب الحسبة ، ص ١٧) .

(١٤) الإدريسى ، ص ١٧٩ ، الحميرى ، ص ١١٥ .

(١٥) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، ص ١١ .

١٥ - التفـــاح :

يذكر أبو الخير الإشبيلى أن التفاح يغرس فى مناطق الزراعة البعلية خلال شهر نوفمبر ، أما فى أرض السقيا فخلال فبراير [(١)]، وتلائمه التربة الحرشا [(٢)] ، ويظهر باكورة التفاح فى مايو [(٣)] بينما ينضج جميعه فى يونيه [(٤)] . ويضيف صاحب تقويم قرطبة أنه فى مايو ويونيه وأكتوبر يقوم الأندلسيون بعمل شراب التفاح [(٥)] .

ومن أبرز مناطق زراعته حصن جليانه (من أعمال وادى آش) حيث يشير المقرى إلى أنه به التفاح الجليانى الذى خصن الله بـه ذلك الموضع ، ويجمع بين عظم الحجم وكبر الجوهر وحلاوة الطعم وذكاء الرائحة [(٦)] . كذلك اشتهرت بزراعتـه شنترة [(٧)] وأشبونة [(٨)] وقلمـريـة [(٩)] وسـرقـسطـة [(١٠)] ووشقة [(١١)]

---

(١) أبو الخير الإشبيلى ، الفلاحة ، ص ٤١ .

(٢) ابن بصال ، الفلاحة ، ص ٦٤ .

(٣) تقويم قرطبة ، ص ٥٨ ، تقويم غرناطى ، ص ٣٣ .

(٤) تقويم قرطبة ، ص ٧٥ .

(٥) تقويم قرطبة ، ص ٥٨ ، ٧٥ ، ١٠١ ، تقويم غرناطى ، ص ٣٦ .

(٦) ابن سعيد ، المغرب ، جـ ٢ ، ص ١٤٨ ، المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٤٣ .

(٧) انظر السلفى ، أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر السفر للسفلى ، نشر إحسان عباس ، ص ٤٠ رقم ١٩ ؛ ياقوت ، معجم ، م ٣ ، ص ٣٦٧ ، القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٥٤٢ ، ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ٤١٥ ، أبو حامد الغرناطى ، المغرب عن بعض عجائب المغرب ، مخطوط ، ورقة ٧ ، أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٧٣ . ويذكر المقرى نقلا عن اليسع بن عيسى الغافقى أن بشنترة تفاحاً دور كل واحدة ثلاثة أشبار وأكثر . أنظر (نفح ، جـ ١ ، ص ١٥٤) ورغم المبالغة الواضحة فى هذه العبارة التى أوردها المقرى إلا أنها تدل على مدى شهرة شنترة بزراعة التفاح وجودته .

(٨) الزهرى ، الجغرافية ، ص ٨٥ ؛ مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢١ .

(٩) الحميرى ، ص ١٦٤ .

(١٠) أشار الحميرى إلى مدى رخص التفاح بسرقسطة فيقول : « وربما بيع منها (أى سرقسطة) وسق القارب من التفاح بما تباع به الأرطال اليسيرة فى غيرها » (انظر الحميرى ص ٩٧ ، نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٨٣) .

(١١) العذرى ، ص ٥٥ .

وأشكونى [١] وجبل طارق [٢] .

١٦ - الرمـــان :

أشار عريب بن سعد إلى أن غرس أوتاد الرمان كان يتم فى شهر يناير [٣] ، وأن نضجه فى سبتمبر [٤] ، وتجود زراعته فى التربة الرملية والرخوة (أى اللينة [٥]) ، ويذكر ابن العوام أنه كان يوجد بالأندلس العديد من أنواع الرمان أهمها : السفرى والأمليس والدوارى والمرسى والعدسى [٦] .

ومن أهم مناطق زراعتـه شرق الأندلس وجنوبها الشرقى لا سيما فى كورة تدمير [٧] (مرسية) وقرية أشكونى [٨] (من أعمال مرسية) ، ومالقة التى اشتهرت بالرمان المرسى الياقوتى [٩] .

---

(١) الحميرى ، ص ٢٢ ، وقرية أشكونى من أعمال كورة مرسية اشتهرت بخصوبة تربتها وبزراعة الفاكهة . (الحميرى ، ص ٢٢) .

(٢) هـ (١٣) المن بالامامة ، ص ١٤١ :

(٣) أنظر : تقويم قرطبة ، ص ٢٤ .

(٤) تقويم قرطبة ، ص ٩١ ؛ ابن العوام ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٤٢٩ ، تقويم غرناطى ، ص ٣٥ .

(٥) ابن بصال ، نفسه ، ص ٦٢ .

(٦) ابن العوام ، نفسه ، جـ ١ ، ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، والرمان السفرى المذكور بالمتن ينسب إلى سفر بن عبيد الكلاعى من جند الأردن واحد خواص الأمير عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) وهى أول من زرعه بالأندلس ، وقد وصف ابن سعيد الرمان السفرى بعذوبة الطعم وغزارة الماء وحسن الصورة . وفيه يقول الشاعر أحمد بن محمد بن فرج :

ولابسـة صدفـاً أحـمـرا ... أتتك وقد ملئت جوهرا
كأنك فاتح حق لطيف ... تضمن مرجانه الأحمرا
حبوبا كمثل لثات الحبيب ... رضابا إذا شئت أو منظرا
وللسفر تعزى وقد سافرت ... فتشكو النوى أو تقاسى السرى

أنظر (المقرى ، نفح ، جـ ٢ ، ص ١٥ - ١٦)

(٧) العذرى ، نصوص عن الأندلس ، ص ٢ .

(٨) الحميرى ، ص ٢٢ .

(٩) مشاهدات ابن الخطيب ، ص ٧٧ ؛ مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢١ ، المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٤٤ .

١٧ - الكمثـــــرى :

أشار ابن العوام إلى وجود نوعين من الكمثرى في الأندلس ، إحدهما جبلى والآخـر بسـتاني . فالأول كان يزرع فى الخـريف ، أمـا الآخر ففى أكتوبر حتى يناير [١] . ويذكر ابن حجاج أن ثمر الكمثرى تلائمه المناطق البـاردة ذات التـربة الخصبة والميـاه الكثيرة [٢] . ويشير عريب بن سعد إلى أن الكمثرى تنضج فى يوليو وأغسطس ، وفى هذا الموسم تظهر بقرطبة الكمثرى السكرية الطيبة ، أما البـاكور منها فيظهر فى مايو [٣] .

وأهم مناطق زراعة الكمثرى تتركز فى حصن دلر بجبل شلير (قرب غرناطة) حيث يذكر الإدريسى أن « به من الكمثرى كل عجيبة ، وذلك أن الكمثرى به يكون منهـا فى وزن الحـبة الواحـدة رطل أندلس ، وأمـا الأعم منهـا فكمثرتان فى رطـل واحد ، ولها مذاق عجيب [٤] » ، وكذلك فى كورة تدمير [٥] (مرسية) وبلنسية [٦] ووشقة [٧] .

١٨ - القراسيا (حب الملوك) :

القراسـيا ثمـرة طيبة أشبـه بالبرقـوق ، وكـان الأندلسـيون يزرعونهـا فـى

---

(١) أنظر : ابن العوام ، الفلاحة ، جـ ١ ، ص ٣٦٢ .

(٢) ابن العوام ، نفسه ، جـ ١ ، ص ٢٦٠ .

(٣) تقويم قرطبة ، ص ٥٨ ، ٨٣ ، ابن العوام ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٤٣٨ .

(٤) أنظر : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ٢٠١ .

(٥) العذرى ، نصوص عن الأندلس ، ص ٢ .

(٦) أشار ابن سعيد إلى وجود نوع من الكمثرى في بلنسية يسمى الأورزة فى حجم حبة العنب اشتـهـر بطيب رائحتـه وحـلاوة طعـمـه أنظر (المقـرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٦٨) والملاحظ أن هذه الكمثرى لا تزال موجودة للآن وتسمى فى الأسبانية Peras de San Juín ولكن ليست فى حجم العنب وإنما فى حجم البيضة الكبيرة . أنظر (حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، ص ٤٨٦ ؛ دوزى ، تكملة المعاجم العربية ، جـ ١ ، ص ١٢٠) .

(٧) العذرى ، ص ٦٦ ، الحميرى ، ص ١٩٥ .

يناير [1]، ويظهر باكورها في مايو [2] ، ويذكر ابن العوام أن القراسيا نوعان : أسود وأحمر ، ومنها البساني والجبلي ، وتجود في المناطق الباردة بصفة خاصة [3] .

وأهم مناطق زراعتها : سرقسطة [4] وبلنسية التي يذكر الزهري أن بها الكثير من حب الملوك الذي لا يوجد مثله في غيرها من البلاد [5] . وكذلك تكثر زراعتها في قلمرية [6] وفريش [7].

١٩ - المـــوز :

يزرع الموز في المناطق الساحلية خاصة في شلوبينية [8] (شلوبانية) وشمجلة أو شمجلية قرب مالقة [9] . ويذكر صاحب تقويم قرطبة أن الزراع الأندلسيين كانوا يقومون بتغطية أشجار الموز خلال فصل الشتاء حتى لا يضرها الجليد [10] .

---

(١) انظر : أبو الخير ، الفلاحة ، ص ٤٩ ؛ ابن العوام ، الفلاحة ، جـ ١ ، ص ٢٦٩ . والملاحظ أنهم في المغرب يسمون الكرز حب الملوك ، ويذكر بعض علماء النبات أن القراسيا هي حب الملوك لأنه يلاك في الفم لرطوبته (A. Palacios, Glosario, p. 243) .

(٢) تقويم قرطبة ، ص ٥٨ .

(٣) ابن العوام ، نفسه ، جـ ١ ، ص ٢٦٩ .

(٤) المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٨٣ .

(٥) الزهري ، الجغرافية ، ص ١٠٢ ، ياقوت ، معجم ، م ١ ، ص ٤٩٠ .

(٦) الحميرى ، نفسه ، ص ١٦٤ .

(٧) ابن غالب ، نفسه ، ص ٢٩٠ . ويصف أحد الشعراء القراسيا فيقول :

ودوحٍ تهـــدّل أشطانــه ... رعى الدهر من حسنه ما اشتهى
فما أحمر منه فصوص العقيق ... وما أسود منه عيون المهـا

أنظر (نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ١٣٩) ويقع حصن فريش جنوب غربي قرطبة قرب فرنجولش على الطريق بين قرطبة وإشبيلية . (الإدريسي ، ص ٢٠٧) .

(٨) ياقوت ، معجم ، م ٣ ، ص ٣٦٠ ، الحميرى ، ص ١١١ .

(٩) ياقوت ، نفسه ، م ٣ ، ص ٣٦١ .

(١٠) عريب بن سعد ، تقويم قرطبة ، ص ١٠٩ ، ابن العوام ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٤٢٩ .

٢٠ - الجـــوز واللــوز :

ورد فى كتب الفلاحة الأندلسية أن الجوز واللوز تلائمهما التربة اللينة الرخوة والتربة الرملية [(١)] . ويذكر عريب بن سعد أن الجوز يبدأ فى النضج خلال يونيه ، ويجمع فى أغسطس [(٢)] . وأنواع الجوز عديدة أهمها الأمليسى الكبير الحب الرقيق القشر ، والترحين الصغير الحب [(٣)] . أما اللوز الكبير فيبدأ فى النضج خلال شهر ديسمبر [(٤)] .

وكان الجوز يزرع بحصن فريرة أسفل جبل شلير [(٥)] وقرى كورة غرناطة خاصة عند جبل شلير [(٦)] ، وفى شلب [(٧)] وبرتقال [(٨)] وشنتبرية [(٩)] وطركرنة [(١٠)] . أما اللوز فأهم مناطقـه : مالقـة [(١١)] وبلش [(١٢)] وقمارش [(١٣)] وشلب [(١٤)] وبرتقال

---

(١) أنظر: ابن بصال ، ص ٧٢ ، ابن العوام ، نفسه ، جـ ١ ، ص ٢٨١ .

(٢) تقويم قرطبة ، ص ٦٧ ، تقويم غرناطى ، ص ٣٤ .

(٣) ابن العوام ، نفسه ، جـ ١ ، ص ٢٩٢ .

(٤) تقويم قرطبة ، ص ١١٧ ، تقويم غرناطى ، ص ٣٨ .

(٥) الإدريسى ، ص ٢٠١ .

(٦) ابن غالب ، ص ٢٨٣ ؛ الزهرى ، نفسه ، ص ٩٤ .

(٧) مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٣ .

(٨) مجهول ، جغرافية الأندلس ، لوحة ٢٤ . ومدينة برتقال Porto كانت تقع على المحيط الأطلسى قرب مصب وادى دويره . أنظر (جغرافية الأندلس ، لوحة ٢٣) .

(٩) ياقوت ، معجم ، م ٣ ، ص ٣٦٦ .

(١٠) مجهول ، جغرافية الأندلس ، لوحة ٢٥ . والمعروف أن طركونة وبرتقال كانتا مثل طليطلة فى أيدى النصارى الأسبان فى عصر دولتى المرابطين والموحدين .

(١١) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٣٦٦ .

(١٢) ابن الخطيب ، مشاهدات ، ص ٧٩ .

(١٣) ابن الخطيب ، مشاهدات ، ص ٧٩ .

(١٤) جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٣ .

[1] وبساتين قرطبة [2] .

كذلك كان يزرع بالأندلس البندق أو الجلوز [3] والفستق [4] خاصة في شنتبرية [5] .

٢١ - الخوخ والمشمش :

ذكر ابن العوام أن الخوخ نوعان أحدهما أملس دون زغب وفيه حمرة ويسمى الأقرع أو المصري كما يقال له الشتوي ، والنوع الآخر هو الأزغب [6] . ويضيف عريب بن سعد أنه في شهر اغسطس وسبتمبر ينضج الخوخ الأمليسي [7] . والتربة التي تلائم زراعته هي الحرشا والرملية [8] . أما المشمش [9] فيجود في التربة

(١) جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٤ .

(٢) اشار ابن سعيد المغربي إلى زراعة أشجار اللوز بمنية الزبير المرابطي بقرطبة وفي وصف أشجار اللوز يقول أبو بكر بن بقي :

سطر من اللوز في البستان قابلني ... مازاد شيء على شيء ولا نقصا
كأنما كلّ غصنٍ كُمُّ جاريةٍ ... إذا النسيم ثنى أعطافه رقصا

(انظر . نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ١٨) .

(٣) ذكر ابن بصال أن الجلوز يجود في التربة الرخوة (اللينة) . وأوضح أسين بلاسيوس نقلا عن مؤلف مجهول أن الجلوز من جنس الشجر العظام ، وهو كثير ببلاد الأندلس والروم ، ويسمى في لاتينية أهل الأندلس ابلانش (Avellanas) وبالعربية بندق رومي وبالأندلسية جلوز . ويضيف ابن عبد الله القرطبي أن البندق هو الجلوز . أنظر (ابن عبد الله القرطبي ، شرح أسماء العقار ، نشر ما يرهوف ، ص ٨ ، دوزي ، تكملة المعاجم ، جـ ١ ، ص ٤٥ ،

(Asín Palacios, Glosario, p. 25)

(٤) ذكر أبو الخير أن الفستق صغير وكبير الحب ، وعند زراعته تؤخذ ثمرة الفستق غير مقشورة لم يصبها آفة فتزرع بنفس طريقة زراعة الفاكهة اليابسة الأخرى . أنظر (ابن العوام ، الفلاحة جـ ١ ، ص ٢٦٥) .

(٥) ياقوت ، معجم ، م ٣ ، ص ٣٣٦ .

(٦) ابن العوام ، الفلاحة ، جـ ١ ، ص ٣٣٨ .

(٧) تقويم قرطبة ، ص ٨٣ ، ٩١ .

(٨) ابن بصال ، نفسه ، ص ٧٠ – ٧١ .

(٩) أشار آسين بلاسيوس – نقلا عن ولف مجهول – أن لفظ «مشمش» فارسي معرب وأن هذا =

الرملية [1] . ويظهر باكورة فى شهر مايو [2] ويذكر ابن العوام نوعين منه أحدهما كبير الحب والآخر صغير [3] .

٢٢ - الأترج والنارنج والليمون :

يزرع الأترج والنارنج والليمون فى عديد من البساتين خاصة فى إشبيلية وقرطبة وجبل طارق [4] ، فيذكر الشقندى أن معظم ديار إشبيلية لا تخلو من أشجار النارنج والليم (الليمون [5]) ، كذلك يشير الزهرى إلى شهرة ذاتية بزراعة النارنج [6] . وهذه المحاصيل تجود فى المناطق المائلة إلى الدفء ، وتلائمها التربة الرملية والسوداء [7] . ويذكر أبو الخير الإشبيلى أن الأترج والنارنج والليمون كلها نوع واحد [8] ، وأن الأترج كان يعرف أيضا بالتفاح اليمانى ، ومنه حلو وآخر حامض [9] .

= هو اسمه بالمشرق ، أما فى الأندلسى فيسمى البرقوق (فى الأسبانية Albaricoque) انظر :
(Asín Palacios, Glosario, p. 41)

(١) ابن العوام ، نفسه ، جـ ١ ، ص ٣٣٦ .

(٢) تقويم قرطبة ، ص ٥٧ - ٥٨ ، تقويم غرناطى ، ص ٣٢ .

(٣) ابن العوام ، نفسه ، جـ ١ ، ص ٣٣٦ . ومن الملاحظ أن ابن صاحب الصلاة قد أشار إلى زراعة المشمش فى جبل طارق أنظر (المن بالإمامة ، ص ١٤١) .

(٤) انظر . تقويم قرطبة ، ص ٤٩ ، ١٠٥ ؛ ابن العوام ، جـ ٢ ، ص ٤٢٩ ، المن بالامامة ، ص ١٤١ .

(٥) نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ٢٠٠ .

(٦) الجغرافية ، ص ١٠٣ .

(٧) ابن بصال ، ص ٨١ ؛ ابن العوام ، جـ ١ ، ص ٣٢١ .

(٨) الأترج كان يسمى أيضا بالكباد وهو نوع من كبار الليمون وكانوا فى المغرب يطلقون على الليمون اسم الليم . أنظر (الأهوانى ، ألفاظ مغربية ، جـ ٢ ، ص ٣٠٩ ، دوزى ، تكملة المعاجم العربية ، جـ ١ ، ص ٨٠) .

(٩) ابن العوام ، جـ ١ ، ص ٣١٤ . والملاحظ أن الأندلسيين كانوا يحرصون على استخدام أوراق الأترج فى الطهى لإضفاء مذاق معين على الأطعمة . انظر (مجهول ، كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس ، نشر إويثى ميراندا ، مجلة المعهد المصرى بمدريد ، م ٩ - ١٠ سنة ٦١ - ١٩٦٢ ، ص ٥٣-٥٨) .

زراعة الرياحين والنباتات الطبية والعطرية :

حفلت البساتين الأندلسية بمختلف أنواع الرياحين والنباتات الطبية والعطرية مثل الورد والبنفسج والخيرى والسوسن والنرجس والبهار والياسمين والريحان والحبق القرنفلى والآس [١] .

وأهم مناطق زراعة الأزهار أو الرياحين فى بانسية [٢] وبرجة [٣] وجبل شقورة [٤] وجبل شيبة قرب قبرة [٥] وجبل شلير بغرناطة [٦] وجبل العروس بقرطبة [٧] .

ومن ناحية أخرى كان يزرع بالبساتين وينبت بالجبال أيضا العديد من

---

(١) عن تفاصيل طرق زراعة الرياحين فى بساتين الأندلس أنظر (ابن بصال ، ص ١٦٢ – ١٦٧ ، أبو الخير ، الفلاحة ، ص ٦٦ – ٦٧) وتجدر الإشارة إلى أن الأندلسيين استفادوا من تلك الرياحين أيضا فى عمل الأشربة مثل شراب الورد والحبق القرنفلى الذى يقطع القيء ويقوى الكبد والمعدة ، وشراب البنفسج والريحان لعلاج السعال . أنظر (مجهول ، كتاب الطبيخ ، ص ٢٤٠ – ٢٤٢) .

(٢) ياقوت ، معجم ، مجلد ١ ص ٤٩٠ ، مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٦ .

(٣) ابن سعيد ، المغرب ، جـ ٢ ، ص ٣٢٨ ، ابن الخطيب ، مشاهدات ، ص ٨١ ، نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٤٣ .

(٤) الحميرى صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٠٥ .

(٥) انظر : نص الرازى فى :

Levi - Provençal, la description, p. 65 .

الحميرى ، نفسه ، ص ١٤٩ .

(٦) القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٥٤٧ ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٦٦ .

(٧) ابن غالب ، قطعة من فرحة الأنفس ، ص ٢٩٦ ، نفح ، جـ ٤ ، ص ٢٠٣ . وتجدر الاشارة إلى أن الأندلسيين عرفوا طريقة صنع شمامات أى باقات الزهور وحفظها من الذبول والابقاء على نضارتها وذلك بوضع شمع مذاب على طين الفخارين فيرطبه ، وهذا يساعد على تغذية الأزهار ، فيطول الاستمتاع بها . انظر (بن بصال ، الفلاحة ، ص ١٨١) .

النباتات الطيبة والعطرية مثل الحناء [1] والشونيز [2] والشيح [3] والأنسيون [4] والكراويا [5] والكمون [6] والكزبر [7] . وإكليل الجبل [8] وإكليل الملك [9]

---

(١) ذكر ابن بصال أن الحناء كانت تزرع بالبساتين وأن زريعتها كانت تجلب من المشرق ، وقد استخدم الأندلسيون الحناء في الخضاب الأحمر (تقويم قرطبة ، ص ٥٠ ، ٩٢ ؛ ابن بصال ، ص ١١٨-١١٩ ؛ ابن الابار ، المعجم ، ص ٢٤ ، رقم ١٨ ؛ تقويم غرناطي ، ص ٣٢) .

(٢) الشونيز (حبة البركة) : كان يزرع في مارس أو إبريل ويجود في التربة السوداء واللينة والحرشا . انظر (تقويم قرطبة ، ص ٧٥ ؛ ابن بصال ، ص ١٢٣ - ١٢٤ ، دوزي ، تكملة المعاجم العربية ، جـ ١ ، ص ٢٠٥) .

(٣) الشيح (كان يسمى أيضا الخزامى ، وفي الرومانسية أشيغله Asiglo) : نبات أوراقه عطرة الرائحة وكان ينبت بالجبال خاصة في جيان وقلعة رباح وشلطيش . انظر :

(Palacios, Glosario, p. 23) .

(٤) الأنسيون يسمى أيضا بزر الرازيانج الرومي ، ويعرفه أهل المغرب بالحبة الحلوة . ويذكر ابن بصال أنه كان يزرع في مارس أو ابريل ويحصد في أغسطس ، ويجود في التربة السوداء والحرشا . (تقويم قرطبة ، ص ١٠١ ، ابن عبد الله القرطبي ، شرح أسماء العقار ، ص ٦ ، ابن بصال ، ص ١٢٤) .

(٥) يقال للكراويا أيضا الكمون الأرميني ، وكانت تزرع في يناير ، وتجود في التربة السوداء واللينة الرطبة . أنظر (ابن عبد الله القرطبي ، ونفسه ، ص ٢٣ ؛ ابن بصال ، ص ١٢٢ - ١٢٣ ، ابن العوام ، جـ ٢ ، ص ٤٣٩) .

(٦) أشار ابن بصال إلى أن الكمون يجود في المناطق المعتدلة والمائلة إلى الحرارة ، وكان يزرع في الأندلس خلال يناير وفبراير (ابن بصال ، ص ١٢١ ، ١٢٢ ؛ ابن العوام جـ ٢ ، ص ٤٢٩) .

(٧) الكزبر أو الكزبرة : ذكر ابن بصال أنها كانت تزرع في الأندلس خلال يناير أو مارس ، وأنها تجود في التربة السوداء . والمعروف أن الكزبرة كانت تستخدم مثل الكمون كتوابل في الأطعمة انظر (ابن عبد الله القرطبي ، نفسه ، ص ٢٢ ، ابن بصال ، ص ١٢٤ - ١٢٥ ؛ مؤلف مجهول ، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس ، ص ٢١ - ٢٨) .

(٨) إكليل الجبل : ذكر ابن البيطار ، أنه نبات مشهور ببلاد الأندلس ، وكان يستخدم كوقود في الأفران ، ويكثر في الجبال والمناطق المجصصة القليلة التراب . (ابن البيطار ، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، جـ ١ ، ص ٥١) .

(٩) إكليل الملك : يسمى أيضا شجرة الحب وبعجمية (لاتينية) الأندلس قريلية ، وكان يستخدم كعقار للسع الهوام . انظر (تقويم قرطبة ، ص ٦٧ ؛ ابن عبد الله القرطبي ، نفسه ، ص ٤ - ٥) .

والأقحوان [1] وعود الألنجوج [2] والحلب [3] القسط [4] والسنبل [5] والجنطيانا والنادرين [6] الجبلى [7] وغيرها .

وتتركز مناطق النباتات العطرية والطبية فى دلاية (قرب المرية) حيث ينبت هناك عود الألنجوج الذى لا يفرقه العود الهندى ذكاء وعطر رائحة ، وفى جبل الجنة قرب أكشونبة (بغرب الأندلس) يوجد العود الذى الرائحة ، وفى جبل المتلون بجيان المحلب الذى لا يعدل به وفى المقدم فى الأفاوية والمفضل فى أنواع الأشنان (٨) ،

---

(١) الأقحوان أو البابونج كان يعرف فى مصر بالكركاس ويسميه الأندلسيون المقارجة وهو اسم رومانسى ، ويطلق عليه أهل افريقية اسم رجل الدجاجة ، وكان ينبت فى شرق الأندلس وطليطلة . (ابن البيطار ، نفسه ، جـ ١ ، ص ٧٣) .

(٢) الألنجوج : عود يتبخر به ، ويسمى أيضا عود البخور والعود الرطب . انظر (المقرى ، نفح ، جـ ١ ، هـ ٣ ، ص ١٣٧ ؛ دوزى ، تكملة المعاجم العربية ، جـ ١ ، ص ١٧٧ هـ ٣٦٦) .

(٣) المحلب : يسمى أيضا حب الأراك ، واسم شجرته اليسر ، ومنها يؤخذ عود اليسر المستخدم فى الطيب . انظر (ياقوت ، معجم ، م ٥ ، ص ٦٣ ؛ ابن عبد الله القرطبى ، نفسه ، ص ٢٥) .

(٤) القسط : يسمى أيضا البستج ، وهو عود يتداوى به (ابن عبد الله القرطبى ، نفسه ، ص ٣٧ ، المقرى ، نفسه ، جـ ١ ، هـ ٤ ، ص ١٣٧) .

(٥) السنبل : كان يوجد عدة أسماء له منها السنبل الرومى وهو النادرين والمسمى أيضا سنبل العصافير . (ابن عبد الله القرطبى ، ص ٢٩) .

(٦) الجنطيانا : نبات مر الطعم ويسمى ثوم الحية أو دواء الحية ، وفى لاتينية الأندلس بشلشكة . أنظر (ابن عبد الله القرطبى ، ص ١١ ، دوزى ، نفسه ، جـ ١ ، ص ٣٥٤ ،
(Palacios, Glosario, p. 91) .

(٧) النادرين الجبلى : يسميه أهل الأندلس أيضا الششترة ، وهو من أنواع السنبل ، وكان يكثر بجبال الجزيرة الخضراء وشلير ومالقة (Palacios,OP . Cit . p. 282) وحول النباتات الطبية والعطرية بالأندلس انظر : البكرى ، جغرافية الأندلس ، ص ١٢٤ – ١٢٦ ، الحميرى ، ص ١٠٥ ، ١٤٩ ؛ مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٤ ؛ المقرى نفح ، جـ ١ ، ص ١٣٧ – ١٣٨ ، ١٦٦ .

(٨) الأشنان : يسمى هذا النبات أيضا الغاسول أو الحماض أو الحرض . ويستخدم فى تنظيف الأيدى والملابس ، وكان يكثر بإشبيلية والمرية . أنظر (ابن عبد الله القرطبى ، نفسه ، ص ٦ ؛
Palacios, Glosario, p. 268 .

ولا ينبت إلا بالهند والأندلس ، وبجبل شقورة ينبت السنبل الرومى الطيب ، وفى جبل شلير بغرناطة وجبل شيبة بقربة تنبت أجناس الأفاويه [1] الرفيعة والنباتات الطبية ، كذلك كانت الجنطيانا تحمل من الأندلس إلى جميع الآفاق ، كما كان قرمز الأندلس يمتاز بجودة نوعه ويكثر بإشبيلية وبلنسية ولبلة وشذونة [2] .

ثامنا : أهم النظم المتعلقة بالزراعة

(أ) البساتين ونظامها :

كان الإندلسيون يحرصون حرصا شديدا على اتخاذ البساتين والتأنق فى زراعتها بمختلف أنواع الخضر والفاكهة والازهار ، ولشدة عنايتهم بهذه البساتين والرياض أسبغوا عليها طابعا خاصا أصبحت تتميز به [3] .

وأصبح وجود البساتين حول التجميعات العمرانية وداخلها أمراً تشهد به المصادر التاريخية والأدبية ، وكانت مراكز انتشارها فى الأندلس – على وجه الخصوص – على ضفاف الأنهار كما فى سرقسطة [4] وبلنسية [5] وشقر [6] وشاطبة [7]

---

(١) الأفاوية (جمع الأفواه الذى هو جمع فُوه بالضم) : ويقصد بها التوابل ونوافج الطيب ، والأفواه كما قال الجوهرى ما يعالج به الطيب . أنظر (المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٢٨ هـ ١) .

(٢) انظر . البكرى ، جغرافية الأندلس ، ١٢٤ – ١٢٦ ، مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٤ .

(٣) انظر : جيمس ديكى ، ملاحظات عن فلاحة البساتين فى الأندلس ، تقرير عن نشاط معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، ديسمبر ، ١٩٦٦ ، ص ١٣ .

(٤) الإدريسى ، ص ١٩٠ ، الزهرى ، الجغرافية ، ص ٨١ ، أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٨١ ، الحميرى ، ص ٩٦ .

(٥) الإدريسى ، ص ١٩١ ؛ ابن سعيد ، المغرب ، جـ ٢ ، مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٦ .

(٦) ياقوت ، معجم البلدان ، م ٣ ؛ ص ٣٥٤ ، الحميرى ، ص ١٠٢ .

(٧) العذرى ، نصوص من ترصيع الأخبار ، ص ١٨ .

ومرسية [1] وأوريولة [2] والمرية [3] وبرجة [4] وغرناطة [5] وبياسة [6] وجيان [7] وإستجة [8] وقرطبة [9] وإشبيلية [10] والجزيرة الخضراء [11] .

وقد أوضحت كتب الفلاحة مقومات البستان الأندلسي ، فأشارت إلى أن الأندلسي كان ينتقي أفضل المواضع لاقامة بستانه ، فيحرص على أن تكون تربته خصبة ، ومياه الري متوفرة ، وأن يكون قريبا من منزله قدر المستطاع ليبعث الراحة والسرور في نفسه وأهله [12] .

والملاحظ أن البستان الأندلسي كان موضعا منفردا يتمتع فيه المرء بمحاسن الطبيعية بعيدا عن صخب المدينة وضوضائها ، وكان صاحب البستان يحوط بستانه بسياج مرتفع يغطى بالنبات الأخضر حتى لا يقع بصره إلا على خضرة وزهور فتأنس نفسه وتستريح ، كما كان يقيم لنفسه مكانا داخل البستان أشبه بغرفة يجلس فيها

---

(١) الإدريسي ، ص ١٩٤ ، ياقوت ، نفسه ، م ٥ ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٥ .

(٢) ياقوت ، نفسه ، م ١ ، ص ٢٨٠ ؛ ابن سعيد ، جـ ٢ ، ص ٢٨٦ ؛ الحميرى ، ص ٣٤ .

(٣) الإدريسي ، ص ١٩٧ ، ٢٠٠ ؛ ابن الخطيب ، مشاهدات ، ص ٤٧ ؛ الحميرى ، ص ٣٩ ، المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٥٤ .

(٤) ابن سعيد ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٣٢٨ ، ابن الخطيب ، مشاهدات ، ص ٨١ ، المقرى ، نفسه ، جـ ١ ، ص ١٤٣ .

(٥) ابن سعيد ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ١٠٢ ، المقرى ، نفسه ، جـ ١ ، ص ١٦٤ ، جـ ٤ ، ص ٢٠٤ .

(٦) مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ١٨ .

(٧) الإدريسي ، ص ٢٠٢ ، الحميرى ، ٧٠ .

(٨) الإدريسي ، ص ٢٠٥ ، الحميرى ، ص ١٥ .

(٩) ابن سعيد ، نفسه ، جـ ١ ، ص ٢٢٠ ، المقرى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٢٠٣ .

(١٠) الزهرى ، نفسه ، ص ٨٨ ، الحميرى ، ص ٢١ ، المقرى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ١٩٩ .

(١١) الإدريسي ، ص ١٧٦ ، ابن سعيد ، نفسه ، جـ ١ ، ص ٣٢٠ ، الحميرى ، ص ٧٣ .

(١٢) أبو الخير الإشبيلي ، الفلاحة ، ص ٣٨ ؛ ابن العوام ، الفلاحة ، جـ ١ ، ص ٢٥٢- ١٥٣

وقت الظهيرة . وكان لبعد البساتين عن العمران وعزلتها أعمق الأثر أن يسمى أهل الأندلس القبور بالروضات لتشابهها معها في العزلة [١] .

ويبدو أن الأندلسي لم يكن يعتزل في بستانه من أجل المتعة فحسب بل للتأمل أيضا ، لأنه عندما كان يعتزل في بستانه فإنه يعبر عن رغبته الكامنة في أعماق نفسه في الاستمتاع بالجنة في الحياة الأخرى [٢] .

وكان البستان الأندلسي يمتاز بكثرة أشجاره التي تزراع بالداخل وعلى طول الطريق المؤدى إلى البستان نفسه ، ومن أمثالها أشجار السنديان الواقعة عند مدخل جنة العريف بغرناطة ، ولعل الغرض من وضع الأشجار قرب السور زيادة عزلة البستان عما حوله [٣] ، كما كان يزرع عند حيطان البستان شجر العليق أو العوسج كثير الشوك لمنع الغرباء واللصوص من تسلق البستان وسرقة ثماره [٤] .

أما داخل البستان فقد راعوا ألا يغرسو الأشجار غرسا مختلطا ، فكان يغرس كل واحد منها مع جنسه ، وتغرس الأشجار في البستان صفوفا على خطوط مستقيمة [٥] ،كما كانوا يقسمون البستان إلى خمائل وممرات مكسوة بالخضرة ، وبين الخمائل كانت تقام أحواض صغيرة لزراعة مختلف الخضر والزهور أو الرياحين التي تنشر عبقها وروائحها الطيبة في جميع أرجاء البستان . أما الأشجار الكبيرة التي عرفوها وزينوا بها بساتينهم ، فأشهرها الصنوبر والسبستان (المخيطا) والأرز والحور والشوحط وغيرها [٦] .

---

(١) جيمس ديكي ، ملاحظات عن فلاحة البساتين ، ص ١٣ ؛ صلاح خالص ، إشبيلية في القرن الخامس الهجري ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ١٠٥ .

(٢) جيمس ديكي ، نفسه ، ص ١٣ .

(٣) انظر جيمس ديكي ، نفسه ، ص ١٤ .

(٤) ياقوت ، معجم ، م ٤ ، ص ١٦٨ ، أبو الخير الإشبيلي ، الفلاحة ، ص ٥٥ .

(٥) ابن العوام ، الفلاحة ، جـ ١ ، ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(٦) ابن بصال ، نفسه ، ص ٨٤ ، أبو الخير ، نفسه ، ص ٣٩ .

ومما يدل على خبرة الأندلسيين فى مجال البساتين أن الخليفة الموحدى عبد المؤمن ابن على استعان بالأندلسيين عند إنشاء البستان الكبير بمراكش سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م ، ويؤكد ذلك قول ابن سعيد « أن حضرة مراكش هى بغداد المغرب ، وهى أعظم ما فى بر العدوة وأكثر مصانعها ومبانيها الجليلة وبساتينها إنما ظهرت فى مدة بنى عبد المؤمن ، وكانوا يجلبون لها صناع الأندلس من جزيرتهم [١] » .

ولقد اهتم أمراء المرابطين وخلفاء الموحدين بإنشاء البساتين واعتنوا بها ، وتأنقوا فى تجميلها وغرسها ، فقد كان للزبير بن عمر المرابطى كثير من البساتين بمنيته المعروفة باسمه بمدينة قرطبة [٢] ، كما كان لابن مردنيش العديد من الرياض والبساتين قرب مرسية [٣] ، كذلك أمر الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بإقامة قصوره المعروفة بالبحيرة داخل بساتين فسيحة ممتدة خارج باب جمهور [٤] من إشبيلية فى سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م ، وعمل على غرسها بالزيتون والأعناب والإجاص (نوع من الكمثرى) والتفاح وغيرها من أشجار الفاكهة [٥] . وفى سنة ٥٩٢ هـ / ١١٩٥ م أمر الخليفة يعقوب المنصور بإقامة بستان له بحصن الفرج Aznalfarache عند جبل الشرف بإشبيلية [٦] ، كما كان للسادة من بنى عبد المؤمن العديد من البساتين بمدينة جبل طارق ، جلبوا إليها الماء من سفح الجبل [٧] .

---

(١) المقرى ، نفح ، جـ ٤ ، ص ١٤٩ ؛ عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ص ٨٣٢ ، محمد المنونى ، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ، تطوان ، ١٩٥٠ م ، ص ٢٤٠ .

(٢) انظر المقرى ، نفح ، جـ ٢ ، ص ١٨ ؛ عبد العزيز سالم ، قرطبة ، جـ ١ ، ص ٢٢٨ .

(٣) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ٨٦ .

(٤) يقع باب جمهور فى القطاع الشرقى من سور إشبيلية ، وسمى فيما بعد بباب اللحم (Puertade Carne) وكان يطل مباشرة على خليج إشبيلية . أنظر : (سالم ، قصور بنى عباد ، مجلة أوراق ، ص ٣٧) .

(٥) انظر . ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، ص ٤٦٣ – ٤٦٤ ، ابن عذارى ، نفسه ، القسم الموحدى ، ص ٩٥ ، ٩٨ ، ١٣٢ .

(٦) ابن عذارى ، نفسه ، القسم الموحدى ، ص ١٩٨ .

(٧) الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٢١ .

(ب) الضياع ونظام الإقطاعات الزراعية :

انتشر نظام الضيـاع والاقطاعات الزراعيـة فى الأندلس منذ بدايـة العصر الإسلامى [1] (بدليل أن كلمة ضيعة تقابلها فى اللغة الأسبانية كلمة Aldea أى الضيعة) ، وقد أشارت المصـادر الجغرافيـة إلى وجود كثير من الضيـاع فى معظم بلاد الأندلس خـاصـة فى طرطوشـة [2] (Tortosa) ومـربيطر [3] (Murviedro) وأوريولة [4] (Orihuela) ومرسية [5] (Murcia) وقـورية [6] (Coria) وبلش أوبليش [7] (Velez) وإشبيلية [8] وغرناطة [9] وغيرها .

---

(١) أشار الباحث سانشث البورنث (Sanchez Anbornoz) إلى وجود نظام إقطاع الأراضى فى الأندلس منذ الفتح الإسلامى ، وناقش هذا الموضوع بالتفصيل فى كتابه :

(En torno a los origenes del Feudalismo, T. III, Mendoza, 1942)

وأنظر أيضا :

Levi - Provençal , Espana musul., T. V, P. 149 .

(٢) الحميرى ، ص ١٢٤ ، وتقع طرطوشة بشرق الأندلس شمالى بلنسية ، على ساحل البحر المتوسط . (الإدريسى ، ص ١٩٠ ؛ ابن غالب ، ص ٢٨٥ ؛ القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٥٤٤ ، محمد الفاسى ، الأعلام الجغرافية ، ص ٢٥ - ٢٦) .

(٣) الإدريسى ، ص ١٩١ . وتقع مربيطر على ساحل البحر المتوسط شمالى بلنسية وإلى الجنوب من طرطوشة ، وكانت من أعمال كورة بلنسية . أنظر (الإدريسى ، ١٩١ ؛ الحميرى ، ص ٨١) .

(٤) الإدريسى ، ص ١٩٣ ؛ الحميرى ، ص ٣٤ . وأوريولة : تقع فى شرق الأندلس وهى من أعمال كورة مرسية . (الحميرى ، ص ٣٤) .

(٥) أشار ابن الأبار إلى أن أبا بكر أحمد بن طاهر صاحب مرسية فى عصر الطوائف كانت له نصف بلده ضيعة له (الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ١١٧ ، رقم ١٣٠) ويذكر ابن عبد الملك المراكشى أن سليمان بن عبد الله الأزدى (عاش فى العصر المرابطى) كان يتعيش من فائدة ضيعة له بقرية بنى أشكورتة قرب مرسية . أنظر (الذيل والتكملة ، بقية السفر الرابع ، ص ٧٠ - ٧١ رقم ١٧١) .

(٦) الإدريسى ، ص ١٨٣ ؛ الحميرى ، ص ١٦٤ ، وقورية من مدن الثغر الأدنى وتقع بغرب الأندلس إلى الشرق من قلمرية . انظر (البكرى ، جغرافية الأندلس ، ص ٦٣ ، هـ ٤ ، ص ٩٤ - ٩٥) .

(٧) ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ٤٢٤ . وتقع بلش أو بليش قرب ساحل المتوسط ، وهى من أعمال مالقة . انظر (الإدريسى ، ص ١٩٩ ، ابن سعيد ، جـ ١ ، ص ٤٢٤) .

(٨) الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٣٦ - ٣٧ ، ابن ابى اصيبعة ، طبقات الأطباء ، ص ٥١٧ .

(٩) المقرى ، نفح ، جـ ٢ ، ص ١٩٣ - ١٩٤ .

والغالب أن نظام الاقطاع كان قائما فى الأندلس قبل الفتح الإسلامى ، فقد أشارت بعض المصادر الإسلامية إلى أن الخليفة الوليد بن عبد الملك منح أولاد الملك القوطى غيطشة (Witiza) ضياع والدهم [1] ، فيقول المقرى : « وعقد (أى الخليفة الوليد) لكل واحد منهم سجلا . فقدموا الأندلس وحازوا ضياع والدهم أجمع ، واقتسموها على موافقة منهم ، فصار منها لكبيرهم المند ألف ضيعة فى غرب الأندلس فسكن من أجلها إشبيلية مقتربا منها ، وصار لارطباش ألف ضيعة وهو تلوه فى السن وضياعه فى موسطة الأندلس فسكن من أجلها قرطبة ، وصار لثالثهم وقلة ألف ضيعة فى شرق الأندلس وجهة الثغر فسكن من أجلها طليطلة [2] » .

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الضياع كان يمتلكها الأثرياء من أهل الأندلس ، وكانت الضيعة تتكون من منية أو قصر ريفى تحيط به البساتين والحقول ، وكان أصحاب هذه الضياع يقيمون فيها خاصة فى فصل الربيع حيث الهدوء والسكينة والراحة والتمتع بجمال الطبيعة [3] .

---

(١) انظر ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، دار الكتاب المصرى ، بدون تاريخ ، ص ٣٠ – ٣١ .

(٢) المقرى ، نفسه ، جـ ١ ، ص ٢٤٩ ؛

Vallvé, La agricultura, P. 7;

وقد أشار المقرى إلى أن أرطباش وهب ميمون جد بنى حزم وهو من جند الشام ضيعتين إحداهما على وادى شوش (Guadajoz) قرب قرطبة والأخرى بحيان . (نفح ، جـ ١ ، ص ٢٥١) .

(٣) Levi - Provençal , Espana musul., T. V, P. 149 .

وجدير بالملاحظة أن كلمة « المجشر » التى وردت فى بعض المصادر كانت تعنى المزرعة أو الضيعة، وأن هذا النظام لا يزال موجوداً فى أسبانيا حتى الآن . وكلمة مجشر وردت فى طبوغرافية إشبيلية خلال القرن ٧ هـ / ١٣ م ، فقد ورد فى وثائق تقسيم إشبيلية فى عهد الفونسو العاشر (العالم El Sabio) كلمات : Majar و Machar و Macar كما نلحظ وجود عبارة Machar Alcorasy أى مجشر أوضيعة القرشى . كما استمرت كلمة مجشر (Mausar) فى الطبوغرافية الحديثة لإشبيلية ومالقة والمرية وماردة وقادس . أنظر :

(J. Oliver Asín, Maysar: Cortijo, origenes Y nomenclatura Arabe del cortijo Sevillano, Al - Andalus, vol, x, Madrid, 1945, PP. 110 - 113) .

أما نظام إقطاع الأراضي الزراعية فقد اتبع في عصر دولتي المرابطين والموحدين كما الحال منذ أوائل الحكم الإسلامي في الأندلس ، حيث أقطعت الأراضي للجند العرب القادمين من المشرق وشاركوا في الفتح . فالملاحظ أن المرابطين - بعد سيطرتهم على الأندلس - لجأوا إلى تطبيق سياسة حكيمة كان لها تأثيرها الفعال في إزدهار الزراعة وزيادة الإنتاج ، ذلك أن الحاجب المنصور بن أبي عامر وخلفاءه عمدوا إلى انتزاع الإقطاعات الزراعية التي كانت قد منحت للجند مقابل خدماتهم العسكرية ، وأعطاهم رواتب مشاهرة ، في الوقت الذي قامت فيه الدولة بالإشراف على تلك الأراضي وإدارتها ، وفرض عليها الجباة ما قدروه من ضريبة الخراج ، غير أن هؤلاء الجباة أساءوا معاملة الزراع وأثقلوا كاهلهم بالضرائب وساموهم الخسف ، فضعف الإنتاج وساءت الأحوال الاقتصادية عامة في البلاد ، وزادت الحالة سوءا في عصر ملوك الطوائف بسبب خضوعهم لألفونسو السادس ملك قشتالة واضطرارهم لدفع الاتاوات والجزيات لمندوبيه من جهة ولقيام الفتن والحروب المستمرة بينهم من جهة أخرى هذا إلى جانب حياة الترف والبذخ التي استغرق فيها ملوك الطوائف ، مما أدى إلى ارهاق الناس بالضرائب الباهظة الجائزة وإقدام بعضهم على هجر أراضيهم [1] .

وما إن تمكن المرابطون من السيطرة على الأندلس حتى عمدوا إلى إتباع السياسة القديمة في إقطاع الأراضي للجند يفلحونها ويستثمرونها ، وهو ما أشار إليه صاحب الحلل الموشية بقوله : « فمن ظهرت نجدته وإعانته وشجاعته أكرموه بولاية موضع ينتفع بفوائده [2] » .

وكانت هذه السياسة المرابطية - في إقطاع الأراضي للجند وذوي الكفايات - خيرا على الأندلس ، فقد انتعشت الزراعة بفضل عودة الزراع أراضيهم لفلاحتها

(١) أنظر : حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٤٠٥ ، عز الدين موسى ، النشاط الاقتصادي ، ص ١٤١ - ١٤٢ ،

Levi - Provençal, Hist., de L' Espagne, t. III, PP. 198 - 203 .

(٢) الحلل الموشية ، ص ٥٩ .

والعناية بها واستغلالها على خير وجه خاصة بعد استقرار الأمن والهدوء فى البلاد وزوال الكثير من الضرائب وتحسن الأوضاع بشكل عام فى الأندلس عما كانت عليه فى عصر الطوائف ، مما ساعد على إزدهار الزراعة الأندلسية (١) .

وعندما قام ابن مردنيش بثورته واستولى على منطقة شرق الأندلس ، انتهج نفس هذا النظام الإقطاعى ، فأقطع الجند المرتزقة من النصارى الكثير من الأراضى ، كما أقطع أحد كبار فرسانهم ويدعى بدرو رويث (Pedro Ruiz) مدينة شنتمرية الشرق (السهلة) (٢) .

وبعد إستيلاء الموحدين على الأندلس اتبعوا أيضا سياسة إقطاع الأراضى لجندهم ، كما أقطعوا زعماء المماليك الغز (٣) قرى كثيرة ، فيقول المراكشى : « وأقطع (أى الخليفة يعقوب المنصور) شعبان المذكور (من أمراء المماليك الغز) بالأندلس قرى كثيرة تغل فى كل سنة نحوا من تسعة آلاف دينار (٤) » .

وتجدر الإشارة إلى أنه فى العصر المرابطى والموحدى تم استصلاح مساحات

---

(١) حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٤٠٥ – ٤٠٦ .

(٢) F. Codera, Decadencia, p. 114 .

والمعروف أن مدينة شنتمرية الشرق أو السهلة (سهلة بنى رزين Santa maria de Albarracin كانت من كبار معاقل كورة شنتبرية (Santaver) فى الجنوب الغربى من سرقسطة ، وتقع اليوم فى شرق مديرية تيرويل Teruel وعرفت بالسهلة لكثرة أنهارها ووفرة مياهها . أنظر (الحلة السيراء ، جـ ٢ ، هـ ٢ ، ص ١٠٩) .

(٣) الغز (الأغزاز) جنس من الترك ، بلادهم فى أقصى المشرق على تخوم الصين ، وقد دخلوا إلى بلاد المسلمين أسارى ومماليك ، واستخدمهم الفاطميون والأيوبيون فى الجيش ، ولم يلبث كثير منهم أن ملكوا حرياتهم وبرزوا فى الحياة المدنية والعسكرية ، وقد وفد بعضهم إلى المغرب ودخلوا فى خدمة الخليفة الموحدى يعقوب المنصور . أنظر (المراكشى ، المعجب ، ص ٣٦٥ هـ ١ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة جـ ٤ ، القاهرة ١٩٣٣ ، ص ٩٠ ، أحمد مختار العبادى ، قيام دولة المماليك الأولى ، بيروت ، ١٩٦٩ م ، ص ٩٧) .

(٤) المعجب ، ص ٣٦٦ – ٣٦٧ ؛ ابن عذارى ، نفسه ، القسم الموحدى ، ص ٢٠٨ .

واسعة من الأراضى البور (كان يطلق عليها الأرض الموات) ، فقد جرت العادة أن يقوم أولو الأمر من المرابطين والموحدين بإقطاع مساحات من الأرض الموات أو البور لبعض الأعوان أو كبار الجند لحسن بلائهم فى الجهاد ضد النصارى ، وذلك تشجيعاً لهم على استصلاحها والانتفاع بما تغله من محاصيل (١) .

وإلى جانب الضياع أو الاقطاعات الزراعية التى كان يمتلكها كبار الجند وأفراد الطبقة العليا ، وجدت مساحات واسعة من الأراضى الزراعية الخصبة التى تدخل ضمن الأملاك الشخصية لأمير المسلمين المرابطى أو الخليفة الموحدى ، ويديرها صاحب المستخلص وأملاك السلطان أى أحد العمال أو المختصين بالإشراف على أملاك السلطان ، وهذا إلى جانب أراضى الدولة المعروفة بالمستخلص وهى الأراضى الزراعية والعقارات التى تخص بيت مال المسلمين (٢) .

(جـ) العلاقة بين ملاك الأرض والمستأجرين :

شاع فى الأندلس فى العصر الإسلامى ظاهرة إقامة ملاك الأرض الأثرياء فى منياتهم فى الأرباض أو القرى أو فى قصورهم بالمدن ، حيث عاشوا حياة مترفة فخمة تاركين مهمة فلاحة الأرض للمستأجرين من الفلاحين وفق عقود معينة تبرم بين الطرفين لتنظيم وتحديد العلاقة بينهما ، وأهم العقود ما يلى :

١ - عقد مناصفة أو مقاسمة : وفيه يتم عقد بين المالك والمستأجر على أن

---

(١) أنظر . ابن القاسم ، المقصد المحمود فى تلخيص العقود ، مخطوط رقم ٥ بمدرسة الدراسات العربية بمدريد ، ورقة ٣٧ ب .

(٢) أنظر : بان عذارى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٦٣ - ٦٤ ، القسم الموحدى ، ص ٢٠١ ، عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، القسم الثانى ، ص ٦٢٤ ؛ عز الدين موسى ، النشاط الاقتصادى ، ص ١٣٩ - ١٤٠ ،

Levi - provenal, Espana musul., t . v, p. 152 .

يقوم الأخير بزراعة الأرض وحصدها ، ثم تقسيم المحصول مناصفة بين الطرفين [1].

٢ - عقد مزارعة : ويتعلق بالأرض البعلية (أى التى تروى بالأمطار) ، وفيه يتفق صاحب الأرض والمزارع (المستأجر) على أن يساهم كل منهما بنسبة معينة من البذور (التفاوى) على أن يقوم المزارع بزراعة الأرض إلى أن ينتهى من حصادها . وتختلف حصة المزارع من المحصول حسب طبيعته الأرض ونوعية العمل سواء كان زراعة أو غراسة ، ومدى مساهمة المالك فى البذور وآلات الزراعة . وغالبا كانت حصة المزارع النصف أو الثلث أو الربع أو الخمس [2] .

٣ - عقد مساقاة : ويشبه عقد المزارعة إلا أنه ينطبق على أرض السقيا التى يمكن ريها سواء من الأنهار أو الابار [3] .

٤ - عقد مغارسة : ويبرم عند تأجير أراضى تغرسى فيها أشجار مثمرة ، وفى معظم الأحيان كان المالك يتفق مع المزارع على أن يساهم كل منهما بنصف الزريعة ، وعند الحصاد يتم تقسيم المحصول مناصفة . وقد يدفع المالك للأجير بعض المال مساعدة له على فلاحة الأرض [4] .

---

(١) أنظر : ابن العطار ، الوثائق والسجلات ، ص ٧٣ - ٧٤ ،

Levi - provencal, op. cit, PP. 150 - 151; Jaim Oliver Asin, las dos. Almuzaras, Al Andalus, vol, XXXVII, Madrid, 1962, p. 166; Imamuddin, the economic history, p. 47 & J. Vallvé, la agricultura, p. 35 .

ومن الملاحظ أن ابن الأبار قد أشار إلى أن اسماعيل بن عباد قاضى إشبيلية كانت له أراضى يزرعها الفلاحون بالمشاركة أى المناصفة أنظر (الحلة السيراء ، جـ ٢ ص ٣٦ رقم ١١٨ هـ ٤ ص ٣٦) .

(٢) أنظر : ابن العطار ، الوثائق ، ص ٥٨ - ٦٨ ؛ عز الدين موسى ، نفسه ، ص ١٨٦ ،

Oliver Asin, las dos Almuzaras, PP. 166 - 167; Imaamuddin, the economic histury, p.48 & Vallvé, la agricul., p. 35 .

(٣) ابن العطار ، نفسه ، ص ٨٣ - ٨٤ ؛ ابن القاسم ، المقصد المحمود ، مخطوط ، ورقة ٦٢ ب ،

Oliver Asin,op. cit, p. 167 & Vallvé, op. cit, p. 36 .

(٤) ابن العطار ، نفسه ، ص ٨٢ ، ابن القاسم ، نفسه ، مخطوط ، ورقة ٦٣ ب ،

Oliver Asin,op. cit, p; 167 & Vallvé, op. vit, p. 36 .

ويشير ابن العطار إلى أن المالك قد يتفق مع المزارع على أن يقوم الأخير بإعطاء الأول نصيبه من المحصول مطحوناً أو يحمله له على دوابه ويقوم بتوصيله إلى منزل المالك ، كما قد يتفقان على أن يقوم المزارع فى عيد الأضحى بإرسال شاة سمينة وبعض الدواجن للمالك [1] .

ويذكر ابن القاسم أن المالك قد يقوم بتأجير أرضه لأحد الفلاحين لمدة معينة ، على أن يقوم المستأجر بدفع مبلغ معين من المال كل عام للمالك ، ويبرم عقد بينهما يحدد فيه أيضا موقع الحقل أو البستان ومبانيه أو مرافقه ، ويشهد على ذلك بعض الشهود الثقات [2] ويضيف بأن المزارع كان يستعين فى فلاحة الأرض بأفراد أسرته سواء الزوجة أو الأبناء كما كان يلجأ أحيانا إلى استئجار حراث [3] .

ومن النظم المتعلقة بالزراعة أيضا أن يسلم أحد الأشخاص أحد المزارعين مبلغا معينا من المال نظير أن يقوم الأخير بتسليمه مقابل ذلك كمية معينة من المحصول عند الحصادوفق عقد يبرم بينهما بشهادة بعض الشهود [4] . ومن ناحية أخرى قد يتعرض مستأجر الأرض الزراعية لإحدى الكوارث التى تصيب الأرض أحيانا أو آفة زراعية مما يؤثر على المحصول ، ولهذا كان يلجأ إلى بعض الخبراء الثقات لتقدير مدى الخسارة ، لمراعاة ذلك عند دفع قيمة الإيجار لمالك الأرض سواء عينا أو نقداً [5] .

ومن الأمور الشائعة فى الأندلس فى العصر الإسلامى حبس الأراضى الزراعية على النساء ليستعن بها على المعيشة ، وكن يقمن بتأجيرها للفلاحين نظير أجر معين كل عام ولمدة محددة وفق العقد المبرم الذى يشهد عليه بعض الشهود [6] .

---

(١) الوثائق ، ص ٦٠ - ٦١ .

(٢) المقصد المحمود ، ورقة ٥١ أ .

(٣) ابن العطار ، نفسه ، ص ٦٧ ، ابن القاسم ، نفسه ، ورقة ٥٧ أ .

(٤) أنظر : ابن العطار ، الوثائق و ص ٤٩ - ٥٢ ، ٥٤ .

(٥) ابن العطار ، نفسه ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

(٦) عن حبس البساتين والضياع أنظر : ابن سهل الأندلسى ، النوازل أو الأحكام الكبرى ، =

كما نلحظ وجود ظاهرة حرص الأسرة على عدم انتقال ملكية الأرض الزراعية إلى الغرباء من خارج دائرة العائلة ، فهناك الكثير من الوثائق التى تشير إلى أن الزوجة قد تشترى بعض الحقول أو البساتين (كانت تسمى بالفدادين) من زوجها ، كما أن الابنة كانت تشترى من أمها ، ويكتب عند ذلك عقود يشهد على صحتها شهود ثقات [1].

ومن ناحية أخرى نلحظ وجود ظاهرة الطمع فى ضم أو شراء ممتلكات الغير ، فقد يلجأ أحد أفراد كبار الملاك من الطبقة العليا إلى كثير من الوسائل والحيل والمكائد لإكراه جاره على بيع أرضه الزراعية المجاورة لأملاكه . وقد أورد ابن سهل الأندلسى رواية توضح المحاولات والمساعى العديدة التي بذلها أحد الفقهاء فى العصر الأموى لشراء حقل جاره ، وفشله فى النهاية [2] .

(د) نظام تخزين المحاصيل :

بعد انتهاء الزراع من الحصاد ، ينقلون المحصول إلى الأندر (الأنادر) وهو المكان الذى يتم فيه درس المحصول مستخدمين فى ذلك الأبقار وبعض الأجراء من العمال الزراعيين . وقد أوضح أبو الخير الإشبيلى كيفية عمل الأنادر بقوله : « أقصد بالأنادر المواضع المرتفعة المكشوفة عن الشجر ، القليلة الحجر العلكة التراب المكشوفة لمهب الريح من حيث هب فيكون تخليص الزرع بها بأى ريح هبت .. وأما بعده عن الشجر فإنه متى قارب الأندر شجر مال الخدمة للجلوس فى ظل الشجر حين الهاجرة

= مخطوط الخزانة العامة بالرباط ، برقم ٣٣٩٨ د ، لوحة ١٣٩ ، ١٤١ ، وأيضا الونشريسى ، المعيار ، جـ٧ ، ص ٢٩٤ .

(١) J. Boschvila, los documentos Arabes del Archivo Catedral de Huesca, Revista del instituto de estudios Islamicos en Madrid, Vol, V, 1957, PP. 19 - 22 .

(٢) أنظر : ابن سهل الأندلسى ، وثيقة فى رد المكائد فى البيع بالاكراه فى الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى ، دراسة وتعليق محمد عبد الوهاب خلاف ، مجلة المناهل ، العدد ٢٦ ، الرباط ، مارس ١٩٨٣ ، ص ٣٠٠ – ٣٠٥ .

وشدة الحرة ، فتعطل الدرس ، فإن الزرع محتاج مع دراسة البقر إلى الخدمة من أجنابه إلى نادر بين أرجل البقر فيتخلص الدرس سريعا [1] » .

وعند إتمام الدرس تبدأ عملية نقل المحصول إلى الأهراء أو المطامير (المخازن) لتخزينه ويذكر أبو الخير أن بيوت الأهراء ينبغي أن يكون بها « كوى من قبل المشرق والمغرب لتخرقها الرياح ويخرج منها وهج حرارة البيت ، ولا تجعل فيها كوة مما يلقى القبلة ولا تجاورها المطابخ ولا مرابط الدواب [2] » .

وقد برع الأندلسيون في تخزين المحاصيل الزراعية والفواكه ، وشجعهم على ذلك طبيعة الأرض والمناخ وتقدم على الفلاحة في بلادهم . فتذكر المصادر أن حنطة طليطلة لا تتغير ولا تتسوس على مر السنين ويتوارثها الخلف عن السلف [3] ، ويضيف صاحب جغرافية الأندلس أن من بين فضائل طليطلة أن القمح يمكث مختزنا بها تحت الأرض في المطامير والأهراء مائة سنة وأقل وأكثر لا يتغير له لون ولا رائحة ولا طعم [4] ، ويعزى القزويني ذلك إلى ملاءمة تربة طليطلة ومناخها لتخزين المحاصيل [5] . كذلك امتازت سرقسطة بأنه لا يتسوس فيها شيء من الطعام ولا يعفن ، كما يوجد فيها القمح مائة سنة والعنب المعلق من ستة أعوام وكذلك التين والخوخ والتفاح ، ويخزن بها الفول والحمص مدة عشرين سنة [6] ، ومن

---

(١) أنظر أبو الخير الإشبيلي ، الفلاحة ، ص ٩٨ .

(٢) أبو الخير ، نفسه ، ص ١٧ .

(٣) أنظر . نص الرازي في :

Levi - provencal, la descrip., de l' Esp., p. 81 .

وأيضا : البكري ، جغرافية الأندلس ، ص ٨٨ ، الزهري ، ص ٨٣ ؛ الحميري ، ص ١٢٣ ، نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٣٩ .

(٤) مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ١٩ .

(٥) آثار البلاد ، ص ٥٤٥ .

(٦) الزهري ، ص ٨١ ، ابن غالب ، ص ٢٨٨ ؛ مجهول ، جغرافية الأندلس ، لوحة ٢٣ ؛ نفح ، جـ ١ ، ص ١٨٣ — ١٨٤ .

مميزات لورقة أن طعامها (محاصيل) يبقى مطمرا تحت الأرض عشرين عاما لا يتغير [1] ، كذلك كان زيتون إشبيلية يخزن تحت الأرض أكثر من ثلاثين سنة [2] ، ويذكر الزهرى أن من عجائب المرية أنه « يختزن بها الشعير ستين وسبعين سنة لا يتسوس ويؤكل بخلاف غيرها من المواضع [3] » ، ويذكر الرازى أن مناخ شريش المعتدل يساعد على حفظ الفاكهة مدة طويلة [4] .

ويذكر ابن وافد أن من طرق اختزان الحبوب نثر زبل الضأن يابسا فى المطامير أو الأهراء ، مما يساعد على سلامة الحبوب من الآفات وتبقى صلبة سليمة لا يصيبها التسوس [5] . كذلك يشير ابن العوام إلى عدة طرق أخرى لتخزين الحبوب منها فرش أرضية المطمورة بتبن القمح أو بنثر رماد عيدان الكرم أو زبل الضأن يابسا [6] .

كذلك عرف الأندلسيون طرق حفظ الفاكهة مثل التفاح وذلك بتركه حتى ينضج تماما فى أكتوبر ثم يجمع فى الليل ، ويحافظ عليه من أن يجرح أو يخدش ثم يوضع فى قدور تفرش قيعانها بطبقة سيقان الكتان ، ولا توضع واحدة فوق أخرى إلا بعد أن يفرش بينها طبقة من سيقان الكتان ، وبهذه الطريقة يبقى إلى شهر يونيه . على أن يتم التخزين فى مكان بارد ، ويتعاهد كل ثلاثين يوما وينقى منه ما أخذ يعتريه الفساد لئلا يفسد الباقى . وكانت نفس الطريقة تطبق بالنسبة لثمر الرمان [7] .

---

(١) القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٥٥٦ ، الحميرى ، نفسه ، ص ١٧٢ . ويشير العذرى إلى أن طعام كورة تدمير (مرسية) يبقى تحت الأرض خمسين عاما وأكثر ولا يتغير . أنظر (نصوص عن الأندلس ، ص ٢) .

(٢) الزهرى ، ص ٨٩ ، القزوينى ، نفسه ، ص ٤٩٧ ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٩٣ .

(٣) الزهرى ، ص ١٠١ ، وتجدر الإشارة إلى أن مالقة كانت غير صالحة لاختزان الحبوب كما أورد ابن الخطيب . أنظر (مشاهدات ابن الخطيب ، ص ٧٨) .

(٤) أنظر نص الرازى فى :

Levi - provencal, la descrip., de l' Esp., p. 96 .

(٥) Vallicrosa, tratado de agricultura de IbN Wafid, p. 311 .

(٦) ابن العوام ، الفلاحة ، جـ ١ ، ص ٦٧٨ – ٦٧٩ ؛ أبو الخير ، الفلاحة ، ص ١٧ – ١٩ .

(٧) ابن بصال ، الفلاحة ، ص ١٧٩ – ١٨٠ ، ابن العوام ، نفسه ، جـ ١ ، ص ٦٧٢ .

أما الثمار الجافة مثل الجوز واللوز والجلوز وغيرها فكان يتم حفظها في حفر تحت الأرض يفرش قعرها بالرمل وتوضع فيها هذه الثمار ثم تغطى بالرمل حتى تسوى مع وجه الأرض (١) .

ومن طرق حفظ الزيتون أن يضاف إليه الملح والخل ، كما عرفوا حفظ زيوته مدة طويلة وذلك بإضافة قليل من الملح وأوراق زيتون جديدة رطبة وأترج ، ووضع ذلك كله في أوعية أو قدور نظيفة في أماكن باردة (٢) . كذلك تمكنوا من حفظ العنب بحرق ورق شجر التين وحطبه ونشر رماده على عناقيد العنب أو بغمس تلك العناقيد في ماء الشب ثم تعليقها ، ويضيف ابن العوام أن ذلك يحفظ العنب مدة عام (٣) .

---

(١) ابن بصال ، نفسه ، ص ١٨٠ .

(٢) Vallicrosa, tratado de agricultura de IbN Wafid, p. 315 & Imamuddin, the economic history, p. 55 .

(٣) أنظر . ابن العوام ، الفلاحة ، جـ ١ ، ص ٦٦٠ .

الفصل الثانى

الثروة الغابية والحيوانية

أولا : الثروة الغابية

ثانيا : الثروة الحيوانية

ثالثا : الثروة السمكية

أولا : الثـــروة الغابيـــة :

اشتهرت الأندلس بغاباتها الكثيفة وأخشابها الجيدة متعددة الأنواع ، وتتركز أهم مناطق الغابات فى جبال شقورة وقونكة وطرطوشة [١] .

ومن أهم أنواع الأخشاب التى اشتهرت بها غابات الأندلس خشب الصنوبر ، الذى كان يكثر فى طرطوشة حيث يذكر الإدريسى أن « بجبالها يكون خشب الصنوبر الذى لا يوجد له نظير فى الطول الوغلظ ، ومنه تتخذ الصوارى » ، ويضيف بأن هذا النوع من الخشب يتميز بأنه صافى البشرة دسم لا يتغير سريعاً ، ولا يفعل فى السوس ما يفعله فى غيره [٢] . كما اشتهرت شلب بكثرة أشجار الصنوبر ، فيشير الحميرى إلى أن العود (أى الخشب) بجبالها كثير ويحمل منها إلى كل الجهات [٣] ، كذلك امتازت غابات غرب الأندلس خاصة فى شنتمرية الغرب [٤] والقصر [٥] (قصر أبى دانس Alcaçar de sal) وشلطيش [٦] وقادس [٧] بتوفر أشجار الصنوبر بها . كما كان يكثر بجبال يابسة شجر الصنوبر [٨] ، فيذكر الحميرى ، أن بأرضها « ينبت الصنوبر الجيد العود للإنشاء وعدة المراكب [٩] » .

وقد استخدم الأندلسيون خشب الصنوبر لجودته فى بناء السفن وصناعة الأثاث

---

(١) أنظر الإدريسى ، ص ١٩٥ ؛ الزهرى ، ص ٩٨ ، القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٥٤٥ ، Levi - Provençal, Esp., musul., t. v, p, 170 & Vallvé, La industría en Al - Andalus, Al Qantara, vol, I, Madrid, 1980, p. 221 .

(٢) صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ١٩٠ ، ابن غالب ، ص ٢٨٦ .

(٣) صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٠٦ ، مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٣ .

(٤) الحميرى ، ص ١١٥ .

(٥) الحميرى ، ص ١٦١ .

(٦) الحميرى ، ص ١١١ .

(٧) الحميرى ، ص ١٤٥ .

(٨) الزهرى ، ص ١٢٨ ، القزوينى ، نفسه ، ص ٢٨٢ ، ياقوت ، معجم ، م ٥ ، ص ٤٢٤ .

(٩) صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٩٨ ، نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ٢١٢ .

والأبواب والنوافـذ وأسقف المبـانى على إخـتلاف أنواعهـا ، كالمسـاجد والفنادق والمنازل [1]، كما استغل خـشب الصنوبر المشـرب بالراتينج [2] فى صناعـة المسـارج (المشاعل [3]) ، كذلك كان يستخرج منه كميات من القار [4] (الزفت) ، هذا بالإضافة إلى أن ثمرة الصنوبر كانت تستخدم فى الأغراض الطبية [5] .

وتشير المصادر الجغرافية إلى وجود أشجار البسق [6] فى طرطوشة [7] ، وكان خشب البقش يستخدم في صناعة صوارى السفن وأسقف المبانى وأدوات الطعام مثل الملاعق والأطباق وغيرها [8] ، ويذكر القزويني أن بجبل طرطوشة « شجر خشبه يشبه

---

(١) أنظر : ياقوت ، معجم ، مجلد ٥ ، ص ٤٢٤ ، الحميرى ، نفسه ، ص ١٩٨ ، شكيب أرسلان ، الحلل السندسية ، جـ ٣ ، ص ٨ ،

Imamuddin , The economic histiry, [. 128 & J. Vallvé , La industría , p. 221 .

(٢) الراتينج : يقال له أيضا راطينا ، وهو الصمغ الذى يسميه أهل المغرب الرجينة ، كما يسمى زفت الغناوى ، وهو صمغ الصنوبر الذكر . أنظر (ابن عبد الله القرطبى ، شرح أسماء العقار ، نشر ما يرهون ، ص ٣٨) . وقد اشتهرت طرطوشة وبريانة (شمالى بلنسية) بشجر الصنوبر الكثير الصمغ . أنظر : (ASín Palacios, Glosario, p. 231).

(٣) ذكر المؤلف المجهول لكتاب « عمدة الطبيب فى معرفة النبات » أن خشب الصنوبر يستخرج منه الزفت لأنه دسم ، كما يستصبح بخشبه ، كما يستصبح بالشمع ، ويسمون تلك المصابيح اللذائن وتسميه العرب بالمناور ، ويضيف بأنه يكثر بجهة طرطوشة .

(ASín Palacios,op. cit, p. 297) .

(٤) ASín Palacios,op. cit, p. 297 & Vallvé, la industría, p; 221 .

(٥) يذكر ابن البيطار أن ثمرة الصنوبر الكبير إذا كانت طرية فإنها تتميز بالمرارة والحرافة والرطوبة ولذا تصبح نافعة لمن به قيح متجمع في صدره . أنظر (الجامع لمفردات الأدوية ، جـ ٣ ، ص ٨٧) ويشير ابن عبد الله القرطبى إلى أن شجر الصنوبر نوعان أحدهما يثمر حباً كباراً والآخر يثمر حباً صغاراً . أنظر (شرح أسماء العقار ، ص ٣٤) .

(٦) البسق : شجرة يشبه ورقها ورق الآس ، وعودها أى خشبها أصفر صلب ، ولها حب أسود ويذكر ابن البيطار أن نشارة خشب البسق إذا عجنت مع الحناء وضمد بها الرأس قوت الشعر . أنظر (الجامع لمفردات الأدوية ، جـ ١ ، ص ١٠٣) .

(٧) ابن غالب ، ص ٢٨٦ ، مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٤ .

(٨) Vallvé, La industría, p. 221.

خشب الساج تتخذ منه الآلات [1] » .

أما شجر البلوط (السنديان) فكان يتوفر في جبال فحص البلوط [2] (أو بطروش Peroches) قرب قرطبة ، وغابات أوريط [3] Ureto (قلعة رباح Calatrava) وباغة [4] Priego (من أعمال غرناطة) . وكان خشب البلوط يستخدم في عمل الفحم النباتي الذى كان يستعمل وقوداً ولأغراض التدفئة في المنازل [5] . وكان للفحم أماكن مخصصة لبيعه في المدن الأندلسية ، وتخضع لمراقبة المحتسب خوفاً من أعمال الغش والتدليس ، فيذكر ابن عبدون أن باعة الفحم « يجب أن تكون لهم مجارد لا مجارف فإنها تجرف التراب والغبار ويعتمدون ذلك ، ويؤمروا بعزل الغبار منه .. ويجب أن يحفظ الفحم من البلل في زمن الشتاء .. فإن البلل يثقله في الوزن ويفسده عند الوقيد [6] » .

---

(١) آثار البلاد ، ص ٥٤٥ .

(٢) الإدريسى ، ص ٢١٣ ، الحميرى ، ص ٤٥ . ويذكر الحميرى أن حصن بطروش يقع في طريق قرطبة وهو من أعمالها .. ويحيط به شجر البلوط . (الحميرى ، ص ٤٥) . ومن ناحية أخرى كان يوجد نوع من البلوط يعرف بالأمارة مر الطعم ، وهو الذى تجمع عليه القرمز ، انظر .
(Palacios, Glosario, p. 15) .

(٣) ابن غالب ، ص ٢٨٩ ؛ ياقوت ، معجم ، م ١ ، ص ٤٩٢ . وتقع قلعة رباح أو ربط على نهر يانه شمالي قرطبة وإلى الجنوب من طليطلة . أنظر (الإدريسى ، ص ١٨٦) .

(٤) الإدريسى ، ص ٢٠٤ ،

(٥) انظر : ابن بشكوال ، الصلة ، ق ١ ، ص ٣٧ رقم ٧١ ، مجهول ، كتاب الطبيخ ، ص ٣٣ ، ٥٠ ،
Levi - provencal, Esp., Musul, t. v, p. 170 .

(٦) رسالة في الحسبة ، ص ٣٨ . كذلك حث ابن عبد الرؤوف في رسالته على مراقبة باعة الفحم فيقول : « وكذلك يتعاهد الفحم الفرني ويؤمر بائعه ألا يخلطه بالفحم الحدادى ، ولا ما يعمل من خشب البلوط بسواه فإن فعل ذلك فهو غش ودلس ويعاقب عليه . (ابن عبد الرؤوف) ، رسالة في الحسبة ، ص ١٠٦) .

كذلك كانت منطقة وادى آش بكورة غرناطة غنية بأشجار الشاهبلوط (المعروفة أيضا بالقسطل) وانتفعوا بأخشابها وثمارها [1] .

كما كان يكثر بكورة شذونة (جنوب غرب الأندلس) شجر يسمى المقل [2] ، ويذكر الحميرى أن الغرابيل كانت تصنع من قلب (جمار) هذا الشجر [3] ، ويضيف ابن عبد الله القرطبى أن صمغ هذا النوع من الشجر كان يستخدم فى الأغراض الطبية [4] .

ويستدل من كتب الحسبة الأندلسية ، أن شجر الفلين أو القرق (Alcorque) كان يكثر بغابات الأندلس ، وكان الفلين يستخدم فى صناعة النعال أو ما يسمى بالأقراق ، وهى خفاف تصنع من الجلد والفلين وتستخدم فى فصل الصيف ، كما كان يستخدم فى صناعة شباك صيد الأسماك [5] .

ويشير علماء النبات الأندلسيون إلى وجود أنواع أخرى من أشجار الغابات مثل البطم [6]

---

(١) أنظر ياقوت ، معجم ، م ١ ، ص ١٩٨ ؛ ابن عبد الله القرطبى ، نفسه ، ص ٣٦ ؛
Palacios, Glosario, p. 70 & Levi - provençal, Esp. musul, t. v, p; 170 .
(٢) المقل : يطلق هذا الإسم على صمغ شجرة ، وعلى نوع من أنواع الشجر يقال له المكور وثمرته تسمى اللوم . أنظر (ابن عبد الله القرطبى ، شرح أسماء العقار ، ص ٢٦) .
(٣) أنظر : صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٠١ .
(٤) شرح أسماء العقار ، ص ٢٦ .
(٥) أنظر : السقطى ، آداب الحسبة ، ص ٦٣-٦٤ ، محمود على مكى ، مدريد العربية ، ص ٨٤ ،
Levi - Provnçal, Histoire de l' Espagne, T. III, p. 424 & J. Oliver Asín, Quercus en la Espana musulmana, AL - Andalus, Fasc, I, vol, xxlv, Madrid, 1959, PP. 135 - 142 .
(٦) البطم : شجرة مشهورة ، والبطم البرى هو الضر وقيل أيضا هو شجرة المصطلى ، أما صمغ البطم فيقال له تياجشت . أنظر (ابن عبد الله القرطبى ، شرح أسماء العقار ، ص ١٠ ، ٣٥) .

والبقم [١] والدلب [٢] والسدر [٣] والصفصاف [٤] والبشتناقة [٥] والشربين [٦] .

أما شجر الخروب فكان يكثير بدانية وقادس ، فيذكر الزهرى أن خروب دانية من النوع الجيد « الذى يقطر عسله تحت شجرة [٧] » ، كما يذكر الحميرى أن خروب جزيرة قادس كان ينتفع به كغذاء للماعز ، ويضيف بأن شجر المثنان يتوفر بهذه الجزيرة ، وأن بها أيضا « شجرة تشبه فسيل النحل لها صمغ إذا خلط بالزجاج

---

(١) البقم : خشب شجر عظام ورقة مثل ورق اللوز الأخضر ، وساقه حمراء ، ويحتوى خشبه على مادة ملونة كانت تستعمل فى الصباغة باللون الأحمر . أنظر (السقطى ، آداب الحسبة ، ص ٦٣ ، ابن البيطار المالقى ، الجامع لمفردات الأدوية ، جـ ١ ، ص ١٠٣ ، مؤنس ، وصف جديد لقرطبة الإسلامية ، هـ ٣ ، ص ١٧٤) .

(٢) الدلب : اسمه العربى عيثان وبالفارسية الصنار ، ويعرف فى المغرب الإسلامى بأنه الخشب الذى يصبغ باللون الأصفر ولذا تسميه العامة هناك الصفيرى . ويوضح ابن العوام الاشبيلى أن شجرة الدلب كانت تنمو فى الأندلس خاصة فى المناطق المنخفضة والرطبة ، وأنها مفيدة للبساتين لأن رائحتها تقتل الحشرات والآفات الضارة التى قد تصيب نباتات البساتين . أنظر (ابن العوام ، الفلاحة ، جـ ١ ، ص ٣٩٩ - ٤٠٠ ، ابن عبد الله القرطبى ، نفسه ، ص ١٣) .

(٣) السدر : شجرة شائكة وثمرتها هى النبق الذى يأكله الناس . أنظر (ابن عبد الله القرطبى نفسه ، ص ٢٩) .

(٤) شجر الصفصاف : يسمى بالعجمية (أى لاتينية أهل الأندلس) شالجة أو شالج ، وبالأندلسية صفصاف ، وكان ينبت فى جيان وقرطبة وطليطلة ، ويستخدم فى صنع الأوعية التى يحفظ فيها الخل . أنظر :

(Asín Palacios, Glosario, p. 261) .

(٥) يشير ابن عبد الله القرطبى إلى أن شجرة البشتناقة كان يحصل منها على صمغ يقال له القنة أو عسل القنة أو البارزد . أنظر (شرح أسماء العقار ، ص ٣٧) .

(٦) كان يستخرج من شجرة دهن أى زيت يسمى القطران . انظر (ابن عبد الله القرطبى ، نفسه ، ص ٣٧) .

(٧) أنظر : الجغرافية ، ص ١٠٣ . ويذكر المؤلف المجهول لكتاب عمدة الطبيب أن شجر الخروب ثمرة طويل وهو عريض غليظ فيه عسل كثير لاسيما النابت منه بدانية ، ويستخدم عسله فى صناعة الحلوى . أنظر :

Asín Palacios, Glosario, pp. 41 - 42 .

صمغه ، وصار حجراً تتخذ منه الفصوص [1] .

ويورد صاحب كتاب عمدة الطبيب في معرفة النبات أسماء بعض الأشجار التي كانت تنمو بغابات الأندلس مثل شجر يقال له الميس ، وهو ضخم كان يصنع من خشبه القباب والمسارج ويسمى في لاتينية أهل الأندلس بلبونة (PALO - BONO [2]) . وهناك شجرة أخرى كانت تنمو بالجبال يطلق عليها البلقيرة أى شجرة البراغيث ، لأنهم كانوا يأخذون أوراقها ويضعونها في البيوت فيجتمع إليها البراغيث ، فيأخذون هذه الأوراق أو الحشائش في اليوم التالي برفق ويرمونها خارج الدار ، ثم يكررون ذلك إلى أن يتم التخلص من براغيث البيت [3] .

كما كان يوجد شجرة تسمى اللبان وثمرها عطر الرائحة ، ويحصل منها على صمغ يسمى في لاتينية الأندلس شانسية ، وهذا النوع من الأشجار كان ينمو في طرطوشة [4] . كذلك وجدت أشجار الحرو وكان يستخرج منها صمغ يطلق عليه الكهرباء أو الكاربا [5] . وإلى جانب هذه الاشجار كانت تنبت في الغابات بعض الأعشاب التي ينتفع بها الأندلسيون ، مثل نبات القوللية ، فقد ذكر المؤلف المجهول صاحب كتاب عمدة الطبيب أن هذا النبات كان ينمو في الجبال خاصة في قرمونة وإشبيلية ، وأنه إذا دق وغسل به الثياب بيضها لأن له رغوة الصابون [6] ، كما أن مناطق العشب كانت تتوفر مرسية منذ أقدم العصور ، خاصة في قرطاجنة الحلفاء التي اشتهرت بنبات الحلفاء الذى استخدم في صناعة الحصر والقفاف والسلال ، وكان

---

(١) صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٤٥ ؛

Levi - Provençal ; Espana musul., t. v, p. 170 .

(٢) Asín Palacios, Glosario, p. 210 .

(٣) Asín Palacios, op. cit, p. 240 .

(٤) Asín Palacios, op. cit, p. 274 .

(٥) ابن عبد الله القرطبي ، شرح أسماء العقار ، ص ٢٣ .

(٦) Asín Palacios, op. cit, pp. 72 - 73 .

يصدر عن طريق ميناء لقنت إلى جميع بلدان حوض البحر المتوسط [1] .

وقد اشتهرت العديد من المدن الأندلسية بالأخشاب الجيدة التى كانت تفى بحاجة الأندلس كلها ، مثل مدينة لتشسكة [2] (Lechoseco) وهى من أعمال كورة جيان ، ويذكر ابن غالب أنه كان « ينقل منها الخشب فيعم الأندلس [3] » ، وحصن قيشاطة أو قيجاطة (Quesada) من أعمال جيان أيضا كان يقع قربه جبل يقطع به من الخشب الذى تخرط منه القطاع والأطباق وغير ذلك مما يعم الأندلس وبلاد المغرب [4] ، ويذكر الإدريسى أن بحصن قلصقة قرب قونكة (Cuenca) جبالاً كثيرة « بها شجر الصنوبر الكثير ويقطع بها الخشب ويلقى فى الماء ويحمل إلى دانية وإلى بلنسية فى البحر ، وذلك أنها تسير فى النهر من قلعة إلى جزيرة شقر ، ومن جزيرة شقر إلى حصن قلييرة وتفرع هناك على البحر فتملأ منها المراكب ، وتحمل إلى دانية فتنشأ منها السفن الكبار والمراكب الصغار ، ويحمل إلى بلنسية منه ما كان عريضا فيصرف فى الأبنية والديار [5] » .

وتشير بعض المصادر الجغرافية إلى شهرة بعض المدن بكثرة أشجارها التى تنمو

---

(١) انظر : الإدريسى ، ص ١٩٣ ؛ الحميرى ، ص ١٧٠ ،
Levi - Provençal, Espanaa musul., t. v, 170 & vallvé, La agriclitura, p. 24 .

(٢) ورد اسم لتشسكة عند ابن غالب هكذا (تنشسكة) وعند ياقوت (لتكشة) والغالب أن صحة الإسم لتشسكة ليتفق مع ما جاء فى المخطوطات الأسبانية والبرتغالية (Lechoseco) وتقع لتشسكة قرب بياسة وهى من أعمال كورة جيان . أنظر (ابن غالب ، فرحة الأنفس ، هـ ٢ ، ص ٢٨٤ ، ياقوت ، معجم ، م ٥ ص ١٣ ، الحلة السيراء ، نشر مؤنس ، جـ ٢ ، هـ ٢ ص ٢٥٣) .

(٣) ابن غالب ، نفسه ، ص ٢٨٤ ؛ ياقوت ، نفسه ، م ٥ ، ص ١٣ ؛ ابن سعيد ، المغرب ، جـ ٢ ، ص ٤٩ .

(٤) الإدريسى ، ص ٢٠٢ ، الحميرى ، نفسه ، ص ١٦٥ . ويقع حصن قيشاطة على مسافة مرحلتين من مدينة جيان ، (الإدريسى ، ص ٣٢) .

(٥) الإدريسى ، ص ١٩٥ .

بالجبال مثل بلنسية [١] وشاطبة [٢] وشقر [٣] ومربيطر[٤] وبريانة [٥] ومرسية [٦] وجنجالة [٧] وقلعة أيوب [٨] وتطيلة [٩] وحصن شاط [١٠] وقسطيلية [١١] ولبلة [١٢] وإشبيلية [١٣] وفرنجولش [١٤] وقريش [١٥] وبياسة [١٦] وأشبونة [١٧] . وكانت الأشجار تقطع عادة في الأيام الأولى من شهر اغسطس حتى لا تصاب بالتسوس فقد

---

(١) الزهرى ، الجغرافية ، ص ١٠٢ .

(٢) الزهرى ، نفسه ، ص ١٠٣ .

(٣) الإدريسى ، ص ١٩٢ ، ياقوت ، معجم ، م ٣ ، ص ٣٥٤ ؛ الحميرى ، ص ١٠٢ .

(٤) الإدريسى ، ص ١٩١ ؛ الحميرى ، ص ١٨٠ . وتقع مربيطر أو مرباطر شمالى بلنسية (الإدريسى ، ص ١٩١) .

(٥) الإدريسى ، ص ١٩١ . وتقع بريانة قرب مربيطر فى شمالى بلنسية . أنظر الحميرى ، ص ١٨٠ .

(٦) ياقوت ، معجم ، مجلد ، ص ١٠٧ ، مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٥ .

(٧) الإدريسى ، ص ١٩٥ ، وتقع جنجالة على مسافة ٥٠ ميلا من مرسية . أنظر (الإدريسى ، ص ١٩٥) .

(٨) الحميرى ، ص ١٦٣ . وتقع قلعة أيوب (Calatayud) قرب مدينة سالم (Medinaceli) فى منطقة الثغر الأعلى . أنظر (صفة جزيرة الأندلس ص ١٦٣) .

(٩) ياقوت ، معجم ، مجلد ٢ ، ص ٣٣ .

(١٠) ياقوت ، معجم ، مجلد ٣ ، ص ٣١٠ . ويقع حصن شاط بكورة غرناطة (البيرة) (ياقوت ، م ٣ ، ص ٣١٠) .

(١١) ياقوت ، نفسه ، مجلد ٤ ، ص ٣٤٨ . وتقع مدينة قسطيلية بكورة غرناطة (ياقوت ، نفسه ، م ٤ ، ص ٣٤٨) .

(١٢) ياقوت ، نفسه ، م ٥ ، ص ١٠ ، الحميرى ، ص ١٦٨ .

(١٣) مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٧ .

(١٤) الإدريسى ، ص ٢٠٧ ، الحميرى ، ص ١٤٣ . وتقع فرنجولش (Honochuelos) قرب حصن المدور بين قرطبة وإشبيلية . انظر (الإدريسى ، ص ٢٠٧ ، الحميرى ، ص ١٤٣) .

(١٥) ياقوت ، م ٤ ، ص ٢٥٩ . وتقع قريش غربى فحص البلوط إلى الشمال الغربى من قرطبة . أنظر الإدريسى ، ص ٢٠٧ ، ياقوت ، م ٤ ، ص ٢٥٩ .

(١٦) ابن سعيد ، المغرب ، جـ ٢ ، ص ٧١ .

(١٧) مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢١ .

ذكر عريب بن سعد أن أهل التجربة ممن يعملون في حرفة قطع الأخشاب بالغابات أخبروه أن ما يقطع من الأخشاب خلال الثلاثة أيام الأولى من شهر أغسطس لا يصيبه التسوس [١] .

ثانيا : الثروة الحيوانية :

١ - أهم مناطق الرعي :

أشاد الجغرافيون المسلمون بكثرة المراعي في مناطق الأندلس ووفرة ثروتها الحيوانية فيصف ابن حوقل - الذى زار الأندلس في القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) - جزيرة ميورقة بقوله : « وهي (أى ميورقة) .. واسعة الخير كثيرة رخيصة الماشية لكثرة المراعي ، غزيرة النتاج والمواشي [٢] » .

وتتركز مناطق الرعي في الأندلس قرب مجارى مياه الأنهار حيث ينمو العشب على ضفافها ، وكذلك في المناطق التي تتعرض لسقوط الأمطار [٣] ، وتشير المصادر الجغرافية إلى توفر المراعي الجيدة في كثير من مدن الأندلس ، وأهمها إشبيلية : حيث يذكر العذرى أن بها « المراين ، وهي مواضع ندية ومروجها لا تتهشم صيفا ، وتتمادى غضارتها ، وبذلك يصلح نتاج رمكها وتدر الألبان على طيب مسارحها ، ولو اقتصر مسارح الأندلس عليها لوسعتهم [٤] » .

---

(١) أنظر تقويم قرطبة ، ص ٧٨ ، تقويم غرناطي ، ص ٤٣ ،
Imamuddin, the economic history, p. 129 .

(٢) انظر صورة الأرض ، طبعة بيروت ، بدون تاريخ ، ص ١١٥ ، المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٨٥ ، حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٥٨٧ ،
J. Vernet, Los musulmanes espanoles, p. 63 & Imamuddin, the economic history, p. 131 .

(٣) levi - provençal, Espana musulmana, t. v, p. 168 .

(٤) نصوص عن الأندلس من ترصيع الأخبار ، ص ٩٦ ، ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٢٩٣ ، الحميرى ص ٢١ . وتجدر الإشارة إلى أن أرض الكلأ والعشب في التشريع الإسلامي لا تكون =

كذلك توافرت المراعي في المناطق الجبلية مثل شقورة (١) وجبال قرطبة(٢) المعروفة في الأسبانية باسم (Sierra morena) وجبال الصوف (٣) جنوبي إستجة وشذونة وجبل شلب (٤) وقادس (٥) واكشونبة (٦) ، وجبال طليطلة المعروفة بالشارات (٧) وجبل طرطوشة (٨) . كما انتشرت المراعي في بعض جهات قلعة رباح (٩) ولاردة (١٠) ومدينة سالم (١١) وشلطيش (١٢) والجزيرة الخضراء (١٣) ورندة (١٤)

= مملوكة لأحد وإنما مشاعاً للجماعة كلها ولا يجبى عنها مال ، وكانت بشبه جزيرة الأندلس أراضٍ كثيرة يجرى عليها هذا الحكم منذ أقدم العصور ، وهى أراضى المراعى المشاع . أنظر (مؤنس ، فجر الأندلسى ، ص ٥٨٧) .

(١) الزهرى ، الجغرافية ، ص ٩٨ ؛ ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص ٢٧٨ .

(٢) الحميرى ، ص ١٤٢ .

(٣) الزهرى ، نفسه ، ص ٩٣ ؛ ابن صاحب الصلاة ، نفسه ، ص ٥١٩ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ٩٨ .

(٤) يذكر القزوينى أن بشلب جبل عظيم منيف كثير المسارح والمياه . أنظر (آثار البلاد ، ص ٥٣١ ؛ الحميرى ، ص ١٠٦ ، مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٣) .

(٥) الحميرى ، ص ١٤٥ .

(٦) ابن غالب ، ص ٢٩١ .

(٧) الإدريسى ، ص ١٨٨ ، الحميرى ، ص ١٣٢ .

(٨) القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٥٤٥ .

(٩) أنظر نص الرازى فى :

Levi - Provençal, la descrip., de l'Espag., p. 82 .

ويذكر ابن غالب أن الماشية تحسن فى مراعى قلعة رباح ولألبانها فضل ظاهر على غيرها . انظر (فرحة الأنفس ، ص ٢٨٩) .

(١٠) أشار الحميرى إلى أن فحص مشكيجان فى لاردة يكثر به المراعى والمزارع . انظر (صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٦٨) .

(١١) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١١٧ .

(١٢) الحميرى ، ص ١١١ .

(١٣) ابن غالب ، ص ٢٩٤ ؛ ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ٣٢٠ ، أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٧٣ ، مجهول ، جغرافية الأندلس ، لوحة ٢١ .

(١٤) ياقوت ، معجم ، م ٣ ، ص ٧٣ .

وبطليوس [1] وبياسة وأبذة [2] وقبرة [3] وشذونة [4] والقنطرة [5] وقلمرية [6] ويبورة [7] وبلنسية [8] وشاطبة [9] وكورة مرسية [10] ومالقة [11] وحصن أشكر [12] وبيرة [13] وباجة [14] ولبلة [15] وبسطة [16]

---

(١) أنظر نص الرازى فى :

Levi - provençal, la description, p. 87 .

ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ٣٦٣ ؛ أبو الفدا ، نفسه ، ص ١٧٣ .

(٢) أوردت الرسائل الموحدية كثيراً شهرة منطقة بياسة وأبذة باتساع المراعى . أنظر (ليفى بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية ، ص ٧٩) .

(٣) أنظر الرازى ، وصف الأندلس فى :

Levi - provençal, la description, p. 65 .

(٤) العذرى ، ص ١١٨ ،

Levi - provençal, la description, p. 96 .

(٥) أشار الرازى إلى أن مدينة القنطرة (Alcantara) الواقعة جنوبى نهر التاجة قرب قلمرية كانت غنية بالمراعى . أنظر :

(Levi - provençal, la description, p. 90 .)

(٦) انظر الإدريسى ، ص ١٨٣ .

(٧) انظر الإدريسى ، ص ١٨١ .

(٨) العذرى ، ص ١٨ ، ابن غالب ، ص ٢٨٥ .

(٩) العذرى ، ص ١٩ .

(١٠) الزهرى ، ص ١٠٠ ؛ الإدريسى ، ص ١٩٥ ؛ مجهول ، جغرافية الأندلس مخطوط لوحة ٢٥ .

(١١) Levi - provençal, la description, p. 98 .

(١٢) يصف ابن الخطيب حصن أكشر (يسمى الآن Huescar) بأنه مسرح البهائم ومعدن الرعى الدائم . أنظر (مشاهدات ، ص ٨٧) ويقع حصن أشكر بكورة غرناطة (ابن الخطيب ، نفسه ، ص ٨٧) .

(١٣) مشاهدات ابن الخطيب ، ص ٨٤ . وتقع بيرة (Vera) قرب لورقة ، وهى من أعمال المرية ، أنظر الإدريسى ، ص ١٩٤) .

(١٤) ابن غالب ، ص ٢٩٠ ، ابن الشباط ، وصف الأندلس ، ص ٢٠ ؛ مجهول ، جغرافية الأندلس ، لوحة ٢٥ .

(١٥) ابن غالب ، ص ٢٩١ - ٢٩٢ ؛ مجهول ، جغرافية الأندلس ، لوحة ٢٦ .

(١٦) مجهول ، نفسه ، لوحة ٢٦ .

ومـورور [١] وسرقسطة [٢] وتطيلة [٣] وميورقة [٤] .

وكانت المناطق الرعوية فى الأندلس نوعين أحدهما بجوار الأراضى الزراعية ، وفى هذه الحالة تكون الأرض ملكاً لصاحب الماشية ، فيترك سائمته ترعى على هداها، والنوع الآخر يكون بالمناطق الجبلية وشبه الصحراوية ، وفيه يكون الرعى الحرفة الرئيسية الوحيدة لصاحب الماشية [٥] . والملاحظ أن النوع الأول وهو المختلط بمناطق الزراعة تمتد مناطقة قرب كنبانية قرطبة وإستجة وضفاف الوادى الكبير حيث توجد العديد من القرى التى يشتغل أهلها بتربية الماشية إلى جانب الزراعة [٦] . أما النوع الثانى فلم يكن يستلزم أرضا ثابتة وإنما يعتمد الرعاة على التنقل ، وكانت مناطقهم عادة تصاقب الثغور ومناطق الحدود مع النصارى الأسبان حيث يسهل عليهم التحرك والهروب بقطعانهم من الماشية والأغنام عند الضرورة وفى أوقات الخطر والاحتماء بالجبال ، ولو أن أصحاب هذا النوع من الرعاة احترفوا الزراعة فإنه يتعذر عليهم إنقاذ محاصيلهم التى كثيرا ما تتعرض للنهب أو للحرق . كذلك نلحظ أن المناطق المسيحية المتاخمة للحدود الإسلامية – والتى تتعرض لغارات المسلمين – كان يتمركز بها الرعاة النصارى [٧] ، حيث أشارت المصادر الإسلامية إلى غنى جبال طليطلة وطلبيرة وغرب الأندلس بالأغنام والماشية [٨] .

---

(١) مجهول ، نفسه ، لوحة ٢٩ .

(٢) الزهرى ، ص ٨١ .

(٣) ابن غالب ، ص ٢٨٧ .

(٤) الزهرى ، ص ١٢٩ ؛ المقرى ، نفح ، جـ ٤ ، ص ٢٠٧ .

(٥) انظر : عز الدين موسى ، النشاط الاقتصادى فى المغرب ، ص ١٩٨ ،
Levi - provençal, Histoire, t. III, p. 268 & Imamuddin, the economic history, P. 49 .

(٦) انظر : ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، ص ٥١٩ ؛ ابن عذارى ، نفسه ، القسم الموحدى ، ص ٩٨ ، ١٧٥ .

(٧) Imamuddin, op. cit, p. 134 .

(٨) الإدريسى ، ص ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ابن صاحب الصلاة ، نفسه ، ص ٥٢٥ ، الحميرى ، ص ١٣٢ .

ثانيا: السائمــــة :

١ - الأغنام (الضأن) :

كانت المناطق الرعوية لتربية الأغنام تتوفر فى عصر الموحدين خاصة فى إستجة وجنوبى قرطبة وقرى إشبيلية الواقعة قرب الوادى الكبير ، ونستدل على ذلك من قول ابن صاحب الصلاة الذى يذكر أن شان منوس المعروف بالقومس الأحدب صاحب آبلة (Avila شمالى غربى مجريط) شن غارة ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م على جهة إستجة وجنوبى قرطبة والقنبانية ومنطقة الوادى الكبير فغنم نحو خمسين ألف رأس من الغنم وأعداداً ضخمة من البقر [١] . ويذكر الزهرى أن من مناطق تربية الأغنام جبال الصوف المتصلة بجبال تاكرنا وجبل طارق بجنوب الأندلس [٢] ، كما يشير إلى أن بمرسية موضعاً يسمى فحص شنقير (أو شنقنيرة) يزن الخروف الراضع وزن أمه [٣] . وعرفت جبال الشارات بأنها غنية بالأبقار والأغنام إلى حد أن سكان هذه الجبال كانوا يصدرونها إلى جميع الأنحاء ، وتمتاز أغنام تلك المنطقة بأنها فى غاية السمن ويضرب بها المثل بسمنتها فى جميع جهات الأندلس [٤] . كذلك اشتهرت عدة مدن أخرى بتربية الأغنام مثل إشبيلية [٥] وشذونة [٦] ومدينة سالم [٧] وقلعة رباح [٨]

---

(١) أنظر : المن بالامامة ، ص ٥١٩ ؛ ابن عذارى ، نفسه ، القسم الموحدى ، ص ٩٨ .

(٢) الزهرى ، الجغرافية ، ص ٩٣ ، حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية ، ص ٣٧٥ .

(٣) الزهرى ، نفسه ، ص ١٠٠ .

(٤) الإدريسى ، نفسه ، ص ١٨٨ ؛ الحميرى ، نفسه ، ص ١٣٢ - ١٣٣ .

(٥) العذرى ، ص ٩٦ ؛ ابن غالب ، ص ٢٩٣ ، الحميرى ، ص ٢١ .

(٦) ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ٣٠١ ، مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٩ .

(٧) ابن حوقل ، صورة الأرض . وتقع مدينة سالم شمالى مدريد بنحو ١٥٣ ك . م فى الطريق الذى بين مدريد وسرقسطة ، وهى الآن من مدن محافظة سورية Soria أنظر (الإدريسى ، ص ١٨٩ ؛ ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، هـ ١ ، ص ٦٠) .

(٨) أنظر . ابن غالب ، ص ٢٨٩ .

وقلمرية [1] وشقورة [2] وميورقة [3].

ويذكر عريب بن سعد أن التكاثر بين الأغنام في قرطبة وما حولها يتم في شهر اكتوبر حيث يتوفر اللبن [4] ، أما ابن العوام فيذكر أن التكاثر بينها في بلدة إشبيلية يتم في وقت اعتدال الهواء وذلك خلال شهر مارس [5] .

ويستدل مما ذكره ابن العوام أن الأندلسيين عرفوا طرق علاج الأغنام من الأمراض المختلفة التي قد تصيبها ، كما كانوا على دراية بوسائل تسمين الأغنام من ذلك على سبيل المثال دفع الأغنام إلى المبالغة في شرب الماء وتناول الملح كل خمسة أيام ، وإعلافها التبن المختلط بالملح والقرع المملح والعدس [6] .

وتجدر الإشارة إلى أن بعض كبار الملاك كانوا يلجأون إلى استئجار رعاة لقطعانهم لمدة معينة ، ويتم الاتفاق عن طريق عقد يبرم بين الطرفين يحدد فيه عدد القطيع وقيمة استئجار الراعي وكانت تدفع عند انتهاء العقد ، وفي نفس الوقت كان صاحب القطيع يتكفل بكسوة الراعي في الشتاء والصيف ، بينما كان الراعي يتعهد بمسئوليته الكاملة عن كل ما ينقص من قطيع الأغنام ويلتزم أيضا برعايتها والقيام بمؤنتها وطلب المراعي الخصبة لها في جميع فصول السنة [7] . وفي بعض الأحيان كان الاتفاق يتم بين أحد الرعاة ممن يمتلكون القطعان وشخص آخر يتعهد فيها الراعي

---

(1) الإدريسي ، ص ١٨٣ .

(2) الزهري ، ص ٩٨ . وتقع مدينة شقورة (Segura) في أعلى الجبل المسمى بنفس الإسم ، وتمتاز بالمنعة والحصانة ، وكانت من أعمال كورة جيان - الزهري ، ص ٩٨) .

(3) الزهري ، ص ١٢٩ .

(4) انظر تقويم قرطبة ، ص ١٠٠ .

(5) الفلاحة ، جـ ٢ ، ص ٤٧١ .

(6) الفلاحة ، جـ ٢ ، ص ٤٧٤ .

(7) ابن القاسم ، المقصد المحمود في تلخيص العقود ، مخطوط ، ورقة ٥٦ أ - ٥٧ أ . ويذكر ابن العوام أن رجلاً واحداً يمكنه رعي مائتان من الضأن ، على أن يكون معه غلام يعينه وكلبين إذا كانت مسرحة في المرعى . (الفلاحة ، جـ ٢ ، ص ٤٧١) .

أن يزود هذا الشخص بكميات محددة من اللبن أو منتجاته كالسمن أو الزبد يوميا أو أسبوعيا لفترة معينة نظير مبلغ محدد ، مع استثناء الفترة التى تتوقف فيها الماشية عن إنتاج اللبن [1] .

وقد استفاد الأندلسيون من الأغنام (الضأن) فى كثير من الأعمال ، فبفضل لحومها كانوا يواجهون احتياجات السكان [2] ، كما كانوا ينتجون من ألبانها الجبن والزبد والسمن [3] ، ويصنعون من وبرها الأصواف [4] ، أما الجلود فكانوا يقومون بدبغها تمهيداً لاستخدامها فى الصناعات الجلدية المختلفة [5] ، إلى جانب استخدام روث أو بعر الأغنام فى التسميد [6] .

٢ - الماعز :

كانت تربية الماعز تكثر فى بعض الجهات مثل فحص البلوط عند جبل يعرف

---

(١) أنظر : ابن العطار ، الوثائق والسجلات ، ص ٤٦ ، الفهرى ، السفر الثانى من الوثائق والعقود ، مخطوط ، ورقة ١٢١ أ - ١٢٢ أ .

(٢) ابن العوام ، الفلاحة ، جـ ٢ ، ص ٤٧٠ . وقد أشار السقطى إلى ضرورة مراقبة المحتسب لباعة اللحم ، ويمنعهم من النفخ في الذبائح عند سلخها حتى لا ينفخ فيها من بـه بخر فيتغير طيب اللحم ، ويضيف بأن باعة اللحم يلجأون إلى بعض الحيل منها أنهم يشهرون بالأسواق السمين ويذبحون غيره . انظر (آداب الحسبة ، ص ٣٢ - ٣٣) .

(٣) اشتهرت شريش بطيب جبنها ، كذلك اختصت مدينة قصر أبى دانس بكثرة ألبانها ، أما قلعة رباح فيذكر ابن غالب أن لألبانها فضل ظاهر على غيرها . أنظر (ابن غالب ، ص ٢٨٨ ، ابن الخطيب ، مشاهدات ، ص ٨٥ - ٨٦ ، الحميرى ، ص ١٦١) وعن الألبان ومنتجاتها انظر (ابن عبد الرؤوف ، رسالة فى الحسبة ، ص ٩٢ ، ١٠١ ، ١٠٥) .

(٤) كانت صناعة المنسوجات الصوفية مزدهرة فى مدينة جنجالة قرب مرسية (الإدريسى ص ١٩٥) .

(٥) اشتهرت بعض المدن الأندلسية بدبغ الجلود مثل لبلة وباجة بغرب الأندلس . أنظر (ابن غالب ، ص ٢٩٢ ؛ أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٦٨ ، نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٥١) .

(٦) انظر : ابن العوام ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٤٧٠ .

بجبل المعز [(١)] ، وبمرتفعات قادس حيث ينمو شجر الخروب بكثرة فيرعى عليه الماعز [(٢)] ، وكذلك بجزيرة يابسة [(٣)] وميورقة [(٤)] .

ويذكر ابن العوام أن أفضل مراعى الماعز هى المواضع الجبلية ، وأن الكرسنة [(٥)] إذا أعلفت لها تساعد على كثرة اللبن ، كما أن أوراق الذرة علف جيد لها وتؤدى إلى تسمينها .

٣ - البقر والجاموس :

تركزت أهم مناطق تربية الأبقار فى منورقة (Meneorca) ، حيث يذكر الزهرى أنه « ليس فى معمور الأرض أطيب من لحم بقرها [(٦)] » وكذلك فى ميورقة [(٧)] وقرب إستجة وسهل الكتبانية (القنبانية) بقرطبة وقرب إشبيلية عند الوادى الكبير [(٨)] وجبل شقورة [(٩)] وفحص البلوط [(١٠)] وجبال الشارات [(١١)] وقلمرية [(١٢)] .

---

(١) انظر : الحميرى ، ص ١٤٢ .

(٢) يقول الحميرى : « .. وشعراؤها (أى قادس) صنوبر ورتم ، فإذا رعت معزلهم خروب ذلك المكان عند عقدها أسكر لبنها وليس يكون ذلك فى ألبان الضأن .. » (صفة جزيرة الأندلس ص ١٤٥) .

(٣) يذكر الزهرى أن يابسة (Ibiza) « لا تنجب فيها الغنم وإنما تنجب فيها المعز وهى أكثر كسبهم » أنظر (الجغرافية ، ص ١٢٨) .

(٤) الزهرى ، ص ١٢٩ .

(٥) الكرسنة : نبات له حب يشبه الشعير ، ويستخدم كعلف للماشية . أنظر (ابن العوام ، الفلاحة ، جـ ٢ ، ص ٤٦٨ - ٤٦٩) .

(٦) أنظر : الجغرافية ، ص ١٢٩ .

(٧) الزهرى ، نفسه ، ص ١٢٩ ، المقرى ، نفح ، جـ ٤ ، ص ٢٠٧ .

(٨) انظر : ابن صاحب الصلاة ، نفسه ، ص ٥١٩ ؛ ابن عذارى ، نفسه ، القسم الموحدى ، ص ٩٨ .

(٩) الزهرى ، ص ٩٨ .

(١٠) الحميرى ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(١١) الإدريسى ، ص ١٨٨ ، الحميرى ، ص ١٣٢ - ١٣٣ .

(١٢) الإدريسى ، ص ١٨٣ .

ويشير ابن العوام إلى أن أهم علف للأبقار هو نبات الكرسنة وحبها ، ولأنه يقوى الأبقار ويسمنها ويكثر من لبنها ، ويضيف بأن الجلبان إذا نقع في الماء وأعلفته الأبقار سمنها مثل الكرسنة ، كما أن أوراق الذرة تساعد على تسمين الأبقار [1] .

وكان يستفاد من الأبقار في حرث الأراضي الزراعية [2] ، ودرس المحصول وإدارة السواني أو النواعير إلى جانب الإفادة من لحومها وألبانها وجلودها وروثها [3] .

أما الجاموس فحيوان هندي الأصل ، أدخلت تربيته إلى بلاد الشام خلال القرن ٣ هـ / ٩ م أو قبل ذلك ، ثم أدخل إلى الأندلس ربما عن طريق العرب الشاميين حيث تتوفر بها أراضي المستنقعات التي تلائم رعي وتربية الجاموس [4] .

ومما يجدر ملاحظته أن المصادر التي بين أيدينا لم تشر صراحة إلى تربية هذا

---

(١) الفلاحة ، جـ ٢ ، ص ٤٧٨ – ٤٦٩ .

(٢) يذكر ابن عبدون الإشبيلي أنه يجب ألا تذبح بهيمة تصلح للحرث ويرقب ذلك أمين ثقة لا يرتشي يخرج إلى موضع الذبح كل يوم ، وألا تكون ذات عيب ، ولا أنثى تصلح للنسل ، ويضيف السقطي بأنه ينبغي عدم ذبح الحوامل ولا ذوات الدر وتذبح الظاهرة العيوب .. أنظر (ابن عبدون ، رسالة في القضاء والحسبة ، ص ٤٤ ، السقطي ، أداب الحسبة ، ص ٣٢) . ولعل تلك الإشارة التي أوردتها كتب الحسبة الأندلسية توضح لنا مدى الاهتمام بالمحافظة على الثروة الحيوانية وتنميتها .

(٣) أشار صاحب كتاب منافع الحيوان إلى أن لبن البقر قليل الماء كثير السمن ، وأن الجبن المتولد منه أصفر اللون ضارب إلى الحمرة (مجهول ، منافع الحيوان ، مخطوط لوحة ١١) . ويذكر عريب بن سعد أنه في شهر يناير تتواضع البقر ويكثر اللبن (تقويم قرطبة و ص ٢٤) ، وينبغي الإشارة إلى أن النصارى المستعربين كانوا يقومون بتربية الخنازير والاستفادة من لحومها ، غير أن روثها لا يصلح لتسميد التربة . أنظر (أبو الخير الإشبيلي ، الفلاحة ، ص ١٠ – ١١ ، ابن العوام ، جـ ١ ، ص ٩٩) .

(٤) آدم متز ، الحضارة الإسلامية ، جـ ٢ ، ص ٢٥٤ ،

Imamuddin, the economic history, p. 141.

أما كلمة جاموس (الجمع جواميس) فهي فارسية معربة ، ويذكر صاحب كتاب منافع الحيوان أن لبن الجاموس سمين كثير الزبد ، وهو أغلظ من لبن البقرة . أنظر (مجهول ، منافع الحيوان ، مخطوط ، لوحة ١٤ ، الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، جـ ١ ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ١٢٩٢ هـ ، ص ٢٠٧ ، أمين المعلوف ، معجم الحيوان ، طبعة القاهرة ، ١٩٣٢ ، ص ٤١) .

الحيوان فى الأندلس ، حتى أن ابن العوام عند تعرضه لتربية الماشية ذكر جميع الحيوانات التى كان يقوم الأندلسيون بتربيتها عدا الجاموس ، غير أن ابن عبد الرؤوف ألمح إلى وجود نوع من الجبن كان يباع فى الأندلس يسمى الجبن الجاموسى وهو الذى يصنع من لبن الجاموس مما يؤكد تربية هذا الحيوان هناك [(١)] .

٤ - الخيل والبغال والحمير والأبل :

كان للخيل والبغال أهمية كبيرة فى العصور الوسطى لاستخدامها فى المعارك والانتقال وحمل الأثقال . وكانت البغال أكثر ملائمة من الخيل فى السير عبر الأراضى المرتفعة التى يكثر وجودها بالأندلس [(٢)] .

وقد اشتهرت الأندس بتربية البغال الجيدة ، فيقول ابن حوقل : « وتخص بالبغال الفره ، وبها يتفاخرون ويتكاثرون ، ولهم منها نتاج ليس كمثله فى معادن البغال المذكورة وأصعاقها المشهورة [(٣)] » ويضيف بأن ميورقة كان يجلب منها بغال جيدة النوع ، يباع منها البغل بخمسمائة دينار ، لأنها تمتاز بسرعة السير وجمال المنظر وبشعورها اللامعة وقوة تحملها للكد والجهد [(٤)] ، كما اشتهرت قرطبة بالبغال فيذكر ياقوت نقلاً عن ابن حوقل — « أن أكثر ركوبهم البغلات .. ويبلغ ثمن البغلة عندهم خمسمائة دينار، وأما المائة والمائتان فكثير ، لحسن شكلها وألوانها وقدودها وعلوها وصحة قوائمها [(٥)] كما كثر تربية الخيول بحصن مدلين قرب ماردة وبمدينة

---

(١) ابن عبد الرؤوف ، رسالة فى الحسبة ، ص ١٠١ .

(٢) المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٨٥ ،

Levi - provençal, Espana musulmana, t, v, p. 168 ; Imaamuddin, the economic history, P; 135 .

(٣) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١١٤ .

(٤) ابن حوقل ، نفسه ، ص ١١٤ - ١١٥ . ويشير ابن العوام إلى أن البغل المربع العريض الطويل العنق الواسع البطن أجود أنواع البغال . أنظر (الفلاحة ، جـ ٢ ، ص ٤٧٨) .

(٥) معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٣٢٤ ؛ القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٥٥٢ .

وبمدينة ترجالة (قرب حصن مدلين) واستخدمت فى الإغارة على حدود النصارى ، الأسبان [1] ، كذلك اشتهرت إشبيلية [2] ولبلة [3] وميورقة بتربية الخيول ، فيذكر الزهرى أن « بميورقة كثير من البقر والخيل والبغال [4] » .

ويشير عريب بن سعد إلى أنه فى شهر يناير يرعى الخيل العشب بقرطبة ، ثم يخرج عن الرعى فى فبراير و يعلف القصيل أى ما إخضر من الشعير ، وفى منتصف شهر ابريل تطلق فحول الخيل على الرماك (الإناث) فى المرائن للتكاثر ، ومدة حملها أحد عشر شهرا [5] .

أما الحمير فكانت تستخدم فى الركوب وأعمال الفلاحة ، ويذكر ابن العوام أن أجود أنواعها ذات العنق الطويل والعيون الغائرة والعريضة الجسم . ويستدل مما ذكره ابن العوام أن الأندلسيين عرفوا كيفية علاج الحمير من الأمراض التى قد تصيبها [6] . ومن ناحية أخرى أشار المؤلف المجهول إلى أن الحمير فى الأندلس كانت ترعى بصفة خاصة نوعا من الحشائش يسمى لسان الذئب أو السريس ، ويضيف بأنه عشب مر الطعم ، ويعرف عند الأندلسيين باسم أميرون (وهى كلمة رومانسية Amiron) [7] .

أما تربية الإبل فى الأندلس فلم يستكثر أهل الأندلس منها إلا بعد دخول المرابطين إذا كان يوسف بن تاشفين يعتمد عليها فى حروبه ضد النصارى الأسبان ، كما استخدمها الأندلسيون فى النقل خاصة وأنها تتحمل العطش والسير فى الصحراء[8] .

---

(١) الإدريسى ، ص ١٨٦ .

(٢) ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٩٢ .

(٣) ابن غالب ، ص ١٩١ – ٢٩٢ .

(٤) الجغرافية ، ص ١٢٩ .

(٥) تقويم قرطبة ، ص ٢٤ ، ٣٠ ، ٣٧ ، ٤٥ ، ابن العوام ، الفلاحة ، جـ ٢ ، ص ٤٩٢ .

(٦) الفلاحة ، جـ ٢ ، ص ٤٧٧ ، ٤٧٩ – ٤٨١ .

(٧) Asín Palacios, Glosario, p. 14.

(٨) ابن العوام ، الفلاحة ، جـ ٢ ، ص ٤٨٢ ؛ ابن خلكان ، وفيات ، جـ ٦ ، ص ١١٥ – ١١٧ ،

Imamuddin, the economic, p. 140 .

ويشير ابن العوام إلى أن الأبل إذا أعلفت نبات الحلبة وحبها سمنت وصحت أجسامها لأنها ملائمة لغذائها [1] . ويضيف عريب بن سعد أن شهر يناير أنسب الأوقات لتناسل الإبل وأن ما نتج من الإبل بعد نوء الغفر هو « شر النتاج لاستقباله الحر [2] » .

ثالثا : تربية الحمام والدجاج والأوز والبط :

كان الأندلسيون يهتمون بتربية الحمام والدواجن للإستفادة من لحومها فى الأكل ، ومن روثها فى تسميد التربة وزيادة خصوبتها .

ويذكر ابن العوام أن الحمام نوعان أحدهما الانسى المتخذ فى البيوت وفيها تفرخ وإليها تأوى وهو الأفضل والآخر البرى الذى قلما يفرخ فى بيوت الناس [3] .

ويشير أبو الخير الإشبيلى إلى أن أبراج الحمام يجب أن تكون فى المواضع الباردة سواء فى غرفة أو على تل ، وبالقرب من مزرعة ، وأن تكون فتحات الأبراج متجهة نحو الشرق لتدخلها أشعة الشمس النافعة لها ، كما أن بيوتها ينبغى أن تتميز بالاتساع والنظافة [4] .

وعرف الأندلسيون الإكثار من فراخ الحمام وذلك بعزل الذكر عن الأنثى أياما ثم الجمع بينهما ، مما يساعد على كثرة البيض . وكانوا يعلفونه العدس والكرسنة والجلبان ، أما صغار الحمام فكان يعلف الخبز المبلول بالماء ، والذى يوضع لهم فى أوانى الشرب [5] .

---

(١) أنظر : الفلاحة ، جـ ٢ ، ص ٤٨٢ .

(٢) تقويم قرطبة ، ص ٢١ ، ٤٦ . أما نوء الغفر المشار إليه بالمتن فهو يحدث فى التاسع عشر من ابريل ولا مطر فيه . (تقويم قرطبة ، ص ٤٦) .

(٣) الفلاحة ، جـ ٢ ، ص ٦٩٢ .

(٤) أبو الخير ، الفلاحة ، ص ٧٤ – ٧٧ ؛ ابن العوام ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٦٩٥ .

(٥) ابن العوام ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٦٩٤ .

وتشير كتب الفلاحة إلى أن الأندلسيين كانوا يبخرون أبراج الحمام بأظلاف الماعز وقرونها مع قرون الأيل لمنع إقتراب البعوض والهوام والحشرات الضارة منها [1] .

ويستدل من المصادر أن بعض أنواع الحمام كان يدرب على حمل الرسائل لمسافات بعيدة هذا النواع باسم الهدى أو الزاجل ، فيذكر ابن الخطيب أن المعتمد بن عباد عقب انتصار الزلاقة – طيير « الحمام إلى إبنه بإشبيلية ، فعرفه بما صنع الله فاتصل به الخبر ليومه [2] » .

أما الدجاج فكان يربى بكثرة فى بيوت الزراع للانتفاع بلحمه أو بيعه فى الأسواق [3] . ويقول ابن العوام أن « الدجاج العظيم الجثة يبيض أكثر من الصغير الجثة » وأن أفضل علف له هو السلت ونخالة القمح والذرة [4] .

كما كانوا يربون الأوز خاصة فى الأماكن التى يكثر بها الماء والعشب ، ويعلف القطانى التى تساعد على تسمينهن ، كذلك عجين دقيق الترمس ، بينما تعلف فراخهن التبن المدقوق [5] . أما البط فكان يعلف الشعير والعدس وورق القرع وتبن القمح [6] .

رابعا : تربيـــة الحشرات النافعـــة :

١ – تربية النحل :

كان عسل النحل يستخرج فى مناطق عديدة من الأندلس سواء فى البساتين أو

---

(١) أبو الخير ، نفسه ، ص ٧٦ .

(٢) أعمال الأعلام ، القسم الثالث (الخاص بالمغرب) ص ٢٤٥ ، مجهول ، منافع الحيوان مخطوط ، لوحة ٨٥ .

(٣) ابن العوام ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٧٠٦ .

(٤) ابن العوام ، الفلاحة ، جـ ٢ ، ص ٧١٣ . والسلت صنف من الشعير يتجرد من قشره وينسلت كالقمح . أنظر (ابن البيطار ، الجامع لمفردات الأدوية ، جـ ٣ ، ص ٢٧) .

(٥) ابن العوام ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٧٠٣ – ٧٠٤ .

(٦) ابن العوام ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٧٠٤ – ٧٠٥ .

الحقول أو في الغابات والجبال . وتتركز أهم مناطق إنتاجه في إشبيلية [١] وأشبونة [٢] وماردة [٣] وباجة [٤] والقصر [٥] (قصر أبي دانس) وبطليوس[٦] وأورية [٧] Oria (من أعمال المرية) وقنتورية [٨] (من أعمال كورة غرناطة) وجيان [٩] .

وتشير كتب الفلاحة الأندلسية إلى ضرورة أن تكون خلايا النحل متجهة نحو المشرق والقبلة وبالقرب من مواضع الماء والأزهار والرياحين والعشب ، وتجنب الأماكن الصاخبة . وأن تكون الخلايا واسعة ، مصنوعة من خشب الأرز [١٠] .

---

(١) أوضح القزويني أن بإشبيلية عسلاً كثيراً ، ويضيف المقرى أن عسل الشرف يبقى حينا لا يترمل ولا يتبدل . أنظر (آثار البلاد ، ص ٤٩٧ ، نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٩٣) .

(٢) أشاد الرازى وابن غالب وغيرهما بعسل أشبونة الجيد ، فيقول ابن غالب : « وفي جبالها شورة العسل ، وهو الأبيض الخالص ، يشبه السكر في المذاق » ويذكر ياقوت أن لعسلها فضل على كل عسل بالأندلس ، ويشبه السكر بحيث أنه يلف في خرقة فلا يلوثها . أنظر (نص الرازى في :
Levi - provencal, la description, p. 90 .
ابن غالب ، ص ٤٩١ ؛ ياقوت ، معجم ، م ٥ ، ص ١٦ ؛ القزويني ، آثار البلاد ، ص ٥٥٥)

(٣) مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٥ .

(٤) ألمح الرازى وابن غالب وابن سعيد إلى أن توار باجة يلائم تربية النحل . أنظر (نص الرازى في :
Levi - provencal,op. cit, p.. 87.
ابن غالب ، ص ٢٩٠ ، ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ٤٠٣ ، مجهول ، جغرافية الأندلس لوحة ٢٥ .

(٥) الإدريسي ، نفسه ، ص ١٨١ .

(٦) مجهول ، جغرافية الأندلس ، لوحة ٢٤ .

(٧) ابن الخطيب ، مشاهدات ، ص ٨٦ .

(٨) ابن الخطيب ، نفس المصدر ، ص ٨٥ .

(٩) الإدريسي ، ص ٢٠٢ .

(١٠) أبو الخير الإشبيلي ، الفلاحة ، ص ٧٢ – ٧٣ ، ابن العوام ، الفلاحة ، جـ ٢ ، ص ٧٢٠ . والمعروف أن النحل نوعان : الاناث التي تعمل وتنتج العسل ، والذكور الغير منتجة ، ويذكر ابن وافد وغيره ضرورة أن يكون عدد الذكور اقل في الخلية من عدد الاناث . ويضيف ابن العوام أن كثرة الملوك في الخلية مضر للنحل ، لذا ينبغي أن تقتل ملوك النحل إلا واحدا ، وهذا يكفي ، لأن في كثرتها إفساد للنحل . أنظر (أبو الخير ، نفسه ، ص ٧٣ ، ابن العوام ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٧١٧ – ١٧٨ ،
Vallicrosa, tratado de agricultura, pp. 324 - 325 .

وقد عرف الأندلسيون كيفية علاج النحل من الأمراض ، ومن طرقهم في ذلك : خلط مسحوق من نوار الرمان مع العسل داخل الخلية [1] . كما عرفوا طرق الاكثار من إنتاج العسل وذلك بتحويل قرص العسل من مكان لآخر أوبإدخال نماذج صناعية ذهبية اللون من النحل إلى الخلية [2] .

ويذكر عريب بن سعد أن النحل يتكاثر في فبراير ، وبعد ثلاثة أشهر أى في مايو يتم قطف العسل [3] ، ويضيف ابن وافد أن أفضل الأعوام للعسل هو أن يقطف ثلاث مرات في العام وذلك خلال يونيو وسبتمبر وفبراير [4] . ويقول أبو الخير: « ولا ينبغي أن يقطف العسل إلا في يوم مشمس [5] » .

ولتجنب لدغات النحل عمد أهل الأندلس إلى طحن الحلبة والملوخيا وخلطهما بالزيت ثم دهن الأجزاء الظاهرة من الجسم ، والنفخ عليهن (أى على النحل) بالفم من هذا الخليط [6] .

ب - تربية دود الحرير :

اشتهرت الأندلس بزراعة أشجار التوت (يطلق عليه القرصاد) لملائمة مناخها لزراعته ، وبالتالي إزدهرت بها حرفة تربية دود الحرير (القز) الذى يعيش على أوراق التوت .

---

(1) ابن العوام ، الفلاحة ، جـ ٢ ، ص ٧٢٧ - ٧٢٨ . ومن ناحية أخرى كان الأندلسيون يدخنون الخلايا بجمار خشب الساج لتجنب القمل . (أبو الخير ، ص ٧٣) .

(2) ابن العوام ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٧٢٨ - ٧٢٩ ،

Vallicrosa, tratado de agricultura, pp. 325 .

(3) تقديم قرطبة ، ص ٣٢ ، ٥٧ ، تقويم غرناطي ، ص ٢٩ ، ٣٣ .

(4) أبو الخير ، ص ٧٤ ،

Vallicrosa, op. cit, p. 325 .

(5) أبو الخير ، الفلاحة ، ص ٧٤ . ويذكر ابن عبد الرؤوف أن « عسل النحل كله صنف واحد ، يمنع من التفاضل فيه ، ويجوز بيعه بعسل القصب متفاضلا . (رسالة في الحسبة ، ص ١٠٥) .

(6) أبو الخير ، نفسه ، ص ٧٤ .

وأهم مناطق تربية دود الحرير جيان التى عرفت بجيان الحرير لكثرته فيها ، ويذكر الإدريسى أن بجيان أكثر من ثلاثة آلاف قرية يربى بها دود الحرير (١) ، كذلك بسطة (٢) ووادى آش (٣) وفنيانة (٤) (قرب وادى آش) وقرى جبل شلير بكورة غرناطة (٥) وحصن شنش ودلاية (٦) قرب المرية ونارجة (٧) (من أعمال مالقة) وبطليوس (٨) .

ويشير صاحب تقويم قرطبة إلى أنه فى شهر فبراير تبدأ النساء فى الأندلس بتحضين بيض دود الحرير حتى يفقس ، وفى مارس يتولد دود الحرير (٩) .

وتجدر الإشارة إلى أن بعض أصحاب أشجار التوت كانوا يلجأون - أحيانا - إلى إستئجار أحد العمال ليقوم بتربية دود الحرير نظير مبلغ متفق عليه دون أن يكون له نصيب من الحرير المستخرج (١٠) . ومن ناحية أخرى شاعت فى الأندلس ظاهرة «السلم فى الحرير» بمعنى أن يقوم أحد الأشخاص بتسليم آخر ممن يقومون بتربية دود الحرير مبلغاً معيناً لقاء أن يمده فى وقت محدد بكمية معينة من الحرير ، ويتم كتابة عقد بينهما يشهد عليه بعض الشهود (١١) .

---

(١) الإدريسى ، ص ٢٠٢ ؛ ابن سعيد ، المغرب ، جـ ٢ ، ص ٥١ ؛ الحميرى ، ص ٧٠ ؛ المقرى ، نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ٢٠٤ .

(٢) الحميرى ، ص ٤٥ ؛ مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٦ .

(٣) الحميرى ، ص ١٩٢ .

(٤) الحميرى ، ص ١٤٣ .

(٥) الزهرى ، الجغرافية ، ص ٩٣ ، ٩٦ ؛ الحميرى ، ص ٢٤ ، ١١٢ .

(٦) ابن سعيد ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٢٢٥ ؛ ابن الخطيب ، مشاهدات ، ص ٨٢ ، أبو الفدا تقويم البلدان ، ص ١٧٥ ، سالم ، مدينة المرية ، ص ١٥ - ١٦ .

(٧) اشتهرت قرية نارجة قرب مالقة بكثرة الحرير وصباغته . أنظر (نفح ، جـ ١ ، ص ١٦٦ - ١٦٧) .

(٨) مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٤ .

(٩) أنظر . عريب بن سعد ، تقويم قرطبة ، ص ٣٣ ، ٤٠ ؛ مجهول ، تقويم غرناطى ، ص ٣٠ .

(١٠) أنظر : الونشريسى ، المعيار المغرب ، جـ ٥ ، ص ٥١ .

(١١) ابن العطار ، الوثائق والسجلات ، ص ٥٣ .

وإلى جانب دود الحرير كان يوجد بالأندلس أيضا نوع من الديدان يعرف بدود القرمز ، وهو أحمر اللون ، يتطفل على نوع من أشجار البلوط يطلق عليه أمارة شجر القرمز ، مكونة مادة القرمز التي كانت تستخدم في الصباغة باللون الأحمر [(١)] .

وقد اختصت بعض مدن الأندلس بإنتاج القرمز مثل إشبيلية حيث يذكر العذري أنه يجمع بها « القرمز الجيد الذي هو أجل من اللك الهندي [(٢)] » ، كذلك اشتهرت بلنسية بإنتاجه [(٣)] .

خامسا : الطيور والحيوانات الوحشية :

أشارت كتب الجغرافية إلى إقبال أهل الأندلس على صيد الطيور والحيوانات الوحشية فيذكر المؤلف المجهول أن الأندلس « كثيرة الصيد من الوحش والطير والحوت [(٤)] » ، ويضيف المقري – نقلا عن ابن سعيد – أن بالأندلس من الغزال والأيل وحمار الوحش وبقره وغير ذلك مالا يوجد في غيرها كثيرا .. ولها من الطيور والجوارح وغيرها ما يكثر ذكره ويطول [(٥)] .

وقد استغل الأندلسيون وفرة الطيور ببلادهم سواء في الجبال أو الغابات أو عند سواحل البحر وضفاف البحيرات ، وعكفوا على صيدها للانتفاع بلحومها ووبرها أو من أجل التسلية والمتعة .

---

(١) مجهول ، منافع الحيوان ، مخطوط ، لوحة ١٥١ ، متز الحضارة الإسلامية ، جـ ٢ ص ٢٣٠ ، أمين المعلوف ، معجم الحيوان ، ص ٧١ ،

Asin Palacios, Glosario, p. 15 .

(٢) العذري ، ص ٩٦ ؛ مجهول ، جغرافية الأندلس ، لوحة ٢٨ . واللك المذكور بالمتن صبغ يستخرج من بعض الأعشاب ، وكانت تشتهر به الهند بصفة خاصة . (نظم الجمان ، تحقيق د . محمود مكي ، هـ ٣ ، ص ١٠٠) .

(٣) ياقوت ، معجم ، مجلد ، ص ٤٩٠ ؛ مجهول ، جغرافية الأندلس ، لوحة ٢٦ .

(٤) جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ١٢ .

(٥) نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٨٥ .

ونتيجة لتباين المناخ فى الأندلس من منطقة لأخرى ، فقد أدى هذا إلى هجرة الطيور شتاء من المناطق الشمالية الباردة إلى الجنوبية الأكثر دفئا ، كما كثرت هجراتها من المدن والأماكن المأهولة إلى الغابات والجبال (١) .

ويذكر عريب بن سعد أنه فى يناير تلتزم الشذانقات البلنسية أعشاشها ، وفى مارس تقوم بوضع البيض وتحضنه ثلاثين يوما ، وفى ابريل تخرج تلك الشذانقات من بيضها ثم تكتسى بالريش خلال ثلاثين يوما (٢) . ويضيف عريب أنه فى شهر مايو تأتى إلى الأندلس الغرانق الصيفية من الجزائر الشرقية (جزر البليار) (٣) . كذلك اشتهرت أشبونة بكثرة البزاة فى جبالها ، فيذكر ابن غالب أن بزاة أشبونة أفضل أنواع البزاة المعروفة ، وكانت هذه البزاة أو الصقور تصيد طيور الماء والحمائم والكراكى (٤) .

وقد أشار عريب بن سعد إلى العديد من الطيور الأخرى التى كانت تصاد فى الأندلس خلال أوقات معينة من السنة مثل البُركة (٥) والحجل (٦)

(١) Imamuddin, the economic history, p. 143.

(٢) تقويم قرطبة ، ص ٢٤ ، ٤٠ ، ٤٩ ، والشذانقات من جنس الطيور واستخدمت فى الصيد ، واشتهرت عدة مدن بصيدها مثل بلنسية ولبلة . (تقويم قرطبة ، ص ٩٢) .

(٣) تقويم قرطبة ، ص ٥٩ . والغرنوق (الجمع غرانق) : طائر مائى كبير أغبر اللون أبتر الذنب طويل العنق والرجلين ، يعرف بالكركى فى العراق وبالرهو فى مصر والشام والسودان ، وبالغرنوق فى المغرب والأندلس . أنظر (أمين المعلوف ، معجم الحيوان ، ص ٢٨ ، ٧٥) .

(٤) ابن غالب ، ص ٢٩١ ، القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٥٥٥ ، مجهول ، جغرافية الأندلس ، لوحة ٢١ . والباز (الجمع بزاة) : جنس من الصقور ، يصاد به ويمتاز بأنه أحمر العينين أصفر الرجلين مدور الرأس ، فطن لما يراد منه ، سريع الطير والأنقضاض على الفريسة . أنظر (مجهول ، منافع الحيوان ، مخطوط ، لوحة ٩٦ ، أمين معلوف ، معجم الحيوان ، ص ١٠٢ ، سالم ، صور من المجتمع الأندلسى ، مجلة المعهد المصرى بمدريد ، عدد ١٩ ، ص ٧٢ — ٧٥) .

(٥) تقويم قرطبة ، ص ٢٤ ، ٦٦ . البُركة (الجمع برك وأبراك وبركان) طائر مائى من فصيلة الأوز ، عريض المنقار ، وهو أصغر من الأوز المعروف . أنظر (الدميرى ، حياة الحيوان الكبرى ، جـ ١ ، ص ١٤٠ ، المعلوف ، نفسه ، ص ٨٨ ، ١٥٦) .

(٦) تقويم قرطبة ، ص ٧٥ . وقد اشتهرت حمة بجانة وجزيرة يابسة بكثرة طائر الحجل بجبالها . =

والسمان (١) واليمام (٢) والطواويس (٣) والزرازير (٤) والنسور (٥) وغيرها .

كذلك كان يصاد بالأندلس بعض الحيوانات الوحشية والزواحف مثل الأفاعي التي تستخدم في صناعة العقاقير الطبية ، فيذكر عريب بن سعد أن شهر يونيه يصلح لصيد الأفاعي وعمل أقراصها للترياق (٦) . كما كان يصاد الأرانب البرية والقنليات والثعالب والسمور خاصة في ميورقة ومنورقة وجبل شلير وشمال الأندلس وينتفع بلحمها وفرائها (٧) .

= والحجل أو القبج من الطيور التي يستطاب لحمها . ويذكر صاحب كتاب منافع الحيوان أن الذكر من طبيعته خداع أمثاله بقرقرته ، لأن الصيادين ينصبونه عند الشرك فيكثر القرقرة والصياح حتى يجتمع إليه الحجل فيقعون في الشرك ، ويفعل ذلك كالمنتقم منعم والحاسد لهم ، ويشير أبو الخير الإشبيلي إلى أن الأندلسيين استخدموا القمح وبذر البنج لصيد الحجل . أنظر (مجهول ، منافع الحيوان ، مخطوط ، لوحة ٧٣ - ٧٤ ؛ أبو الخير ، الفلاحة ، ص ٧٨ ؛ القزويني ، آثار البلاد ، ص ٢٧٢ ، مشاهدات ابن الخطيب ، ص ٩٢) .

(١) تقويم قرطبة ، ص ٤٠ .

(٢) تقويم قرطبة ، ص ٤٠ .

(٣) تقويم قرطبة ، ص ٤٠ .

(٤) يذكر عريب بن سعد أنه في شهر اكتوبر يظهر الزرزور الأبيض والأسود . (تقويم قرطبة ، ص ١٠٠) ، والزرزور (بضم الزاي) طائر من نوع العصفور وسمي بذلك لزرزورته أي لتصويته ، ويشير صاحب منافع الحيوان إلى أن لحم الزرزور نافع للمبرودين والمفلوجين وأن من طبيعة هذا الطائر أنه يطلب الجراد حيث كان فيأكله . أنظر (مجهول ، منافع الحيوان ، مخطوط ، لوحة ٩١ ؛ الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، ص ٥ ، مجهول ، كتاب الطبيخ ، ص ٣٣) .

(٥) كان ساحل الجزيرة الخضراء من أهم مناطق صيد الطيور ، فيذكر العذري أن جلد النسر العجيب كان يجلب من الجزيرة الخضراء إلى معظم بلاد الأندلس . (نصوص ص ١٢٠) كما اشتهرت بحيرة بلنسية الواقعة جنوب مدينة بلنسية بكثرة طيور الماء مثل دجاجة الوادي التي كانت تصاد هناك . أنظر (الزهري ، الجغرافية ، ص ١٠٢ ، ارسلان الحلل السندسية ، جـ ٣ ، ص ٢١٦) كذلك يذكر ابن سعيد أن قلعة جابر قرب إشبيلية اختصت بكثرة الطير . (المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٩١) .

(٦) تقويم قرطبة ، ص ٦١ ، مجهول و منافع الحيوان ، مخطوط ، لوحة ١٣٦ .

(٧) الزهري ، الجغرافية ، ص ٩٤ ، ١٢٩ - ١٣٠ ؛ القزويني ، آثار البلاد ، ص ٥٤٥ ، =

ومن ناحية أخرى تشير المصادر إلى صيد الغزال والحمار الوحشي والبقر الوحشي والأيل [1]، ويقول صاحب تقويم قرطبة أنه في شهر يونية « تخرج الكتب في قرون الأيل للقسي [2] » .

ثالثـا : الثـروة السمكيـة :

ساعد امتداد السواحل الأندلسية على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي إلى جانب كثرة أنهارها على توفر مصايد الأسماك بها . وقد اشتغل بعض السكان بحرفة صيد الأسماك خاصة عند السواحل الجنوبيـة والشرقية والغربية وصفاف الأنهار ، حيث كانوا يتعيشون من وراء تلك الحرفة كما زودوا المدن والقرى بالأنواع المختلفة من الأسـماك [3] .

وتذكر المصادر الجغرافية غنى سواحل الأندلس وأنهارها بالأسماك ، فيذكر ابن غالب أن نهر قرطبة (الوادى الكبير) من خاصيته « أن حوته أطيب حوت يؤكل بالأندلس [4] » كذلك كان يكثر بإشبيلية صيد الأسماك خاصة وأنها تقع على نفس

= نفح ، جـ ١ ، ص ١٨٤ – ١٨٥ . ويذكر الدميرى أن السمور حيوان يرى يشبه السنور والنمس ويمتاز بالجرأة على الانسان ولا يصاد إلا بالحيل وذلك بأن يدفن له جيفه فيختال بها ، ويتخذ منه الفراء ، (حياة الحيوان ، جـ ٢ ، ص ٣٧) .

(١) أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٦٧ ؛ المقرى ، نفسه ، جـ ١ ، ص ١٨٥ .

(٢) عريب بن سعد ، تقويم قرطبة ، ص ٦٦ . ويذكر صاحب منافع الحيوان أن قرن الأيل إذا بخر به البيت هربت الحيات والذباب منه . أنظر (مجهول ، منافع الحيوان ، مخطوط ، لوحة ٢٩) والأيل – كما يذكر الدميرى – ذكر الأوعال ويشبه الغزال ، وهو مولع بأكل الحيات ، يطلبها حيث وجدها ، وتمتاز قرونه بأنها مصمتة لا تجويف فيها ، وهو يلقيها في كل سنة ، وينتفع منها الناس فى أغراض عديدة . أنظر (الدميرى ، نفسه ، جـ ١ ، ص ١٢٠ – ١٢١ ؛ أمين المعلوف ، معجم الحيوان ، ص ٨٢ – ٨٣) .

(٣) أنظر : البكرى ، جغرافية الأندلس وأوربا ، ص ٦٥ ، ٦٦ ،

Imamuddin, the ecocomic history, p. 144.

(٤) ابن غالب ، قطعة من فرحة الأنفس ، ص ٣٠٧ .

نهر قرطبة عند مصبه في المحيط الأطلسي [1] ، ويذكر الرازى أن نهر إبره الذى تقع عليه طرطوشة وسرقسطة اختص بالحوت المعروف بالطرختة (أو الترختة) وهو حوت أبيض كبير الحجم ليس له إلا شوكة واحدة [2] . كما أن وادى يانة امتاز بكثرة أسماكه ، وهي – كما يصفها الزهرى – « صفر الألوان ، وفيها نقط حمر ولها أنياب وأضراس ، وليس فى البحر ولا فى الأنهار أطيب من هذا الحوت [3] » ، وقد اشتهرت المدن الواقعة على هذا الوادى بصيد الأسماك ومنها بطليوس وباجة وماردة [4] . كذلك كان نهر التاجة الذى تقع عليه أشبونة وافر الأسماك [5] .

واشتهرت بعض السواحل بثرائها فى الأسماك خاصة ساحل مالقة قرب مربلة وسهيل وبزليانة [6] (من أعمال مالقة) ، وعند ساحل المنكب [7] والجزيرة

---

(١) القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٤٩٧ ؛ مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٧ .

(٢) نص . الرازى ، وصف الأندلس فى :

Levi - provencal, la description, pp. 103 - 104 .

القزوينى ، نفسه ، ص ٥٠٥ ، ٥٤٥ ، ويذكر القزوينى أن بوادى طرطوشة (نهر إبره) الحوت الطيب من البورى والشولى . (آثار البلاد ، ص ٥٤٥) .

(٣) الزهرى ، الجغرافية ، ص ٩٧ . وتبغى الاشارة إلى أن كلمة « الحوت » اصطلاح مغربى ويعنى السمك بوجه عام ولا يزال مستعملا إلى اليوم . أنظر (مشاهدات ابن الخطيب ، هـ ٥ ، ص ٧٥) .

(٤) أنظر : الرازى ، وصف الأندلس فى :

Levi - provencal, la description, pp. 86 - 87 .

ابن غالب ، ص ٢٩٠ – ٢٩١ ؛ القزوينى ، نفسه ، ص ٥٥٥ ، ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ٣٨١ ؛ مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٤ ، ٢٧ .

(٥) انظر : الرازى ، وصف الأندلس فى :

Levi -provencal, op. cit, p. 89.

ابن غالب ، ص ٢٩١ ، ابن سعيد ، نفسه ، جـ ١ ، ص ٤١١ .

(٦) الإدريسى ، ص ٢٠٠ ، ابن الخطيب ، مشاهدات ، ص ٧٥ ، الحميرى ، ص ٤٤ . ويشير الإدريسى إلى أن بقرية بزليانة شباك يصاد بها الحوت الكثير ويحمل منها إلى الجهات المجاورة لها . أنظر (الإدريسى ، ص ٢٠٠ ، الحميرى ، ص ٤٤) .

(٧) الإدريسى ، ص ١٩٩ ، الحميرى ، ص ١٨٦ .

الخضراء [1] وطريف وجبل طارق [2] وشذونة [3] وشلطيش [4] .

وكانت أسماك البحر المتوسط والمحيط الأطلسي تهاجر في أوقات معينة إلى أنهار الأندلس فيذكر عريب بن سعد أنه خلال شهر مارس « يخرج حوت الشولي والشابل من البحر إلى الأنهار [5] » وفي أغسطس « يخرج حوت البوري من البحر إلى الأنهار فيكثر صيده ويكثر السردين [6] » ، كذلك اشتهر ساحل شذونة بصيد التن ، فيقول الحميري « وبساحل شذونة يوجد حوت التن فيظهر في أول شهر مايو لا يرى قبل هذا الشهر ، فإنه يخرج من البحر المحيط فيدخل إلى البحر المتوسط الذي يسمى البحر الرومي ، فيصير مدة ظهوره أربعين يوما ، ثم يعود على مثل ذلك الوقت من العام الآخر [7] » . ويضيف الزهري أن التن يصاد أيضا قرب سواحل شرق الأندلس ومربلة والجزيرة الخضراء وطريف وجبل طارق خلال شهر مايو ويونيه ، كما يذكر أنه « ليس في البحر حوت أسمن منه ولا أطيب ، ولا يؤكل في معمور الأرض طريا إلا في

---

(١) ابن سعيد ، نفسه ، جـ ١ ، ص ٣٢٠ ؛ أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٧٣ .

(٢) الزهري ، ص ١٢٠ .

(٣) الحميري ، ص ١٠١ ، مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٩ .

(٤) يذكر المقري – نقلا عن ابن سعيد – أن بحر جزيرة شلطيش كثير السمك ومنها يحمل ملحا إلى إشبيلية . أنظر (نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٥٧) .

(٥) أنظر : تقويم قرطبة ، ص ٤٠ – ٤١ . والشولي والشابل من الأسماك البحرية التي تدخل الأنهار . وتذكر كتب الحيوان أن الشابل بقدر طول الذراع وأزيد على ذلك . لذيذ الطعم حسن اللحم سمين ، ويطلق عليه في الأسبانية (Sabalo) . أنظر (أمين معلوف ، معجم الحيوان ، ص ٦٨) ، ويذكر صاحب كتاب الطبيخ أن أهل قرطبة وإشبيلية كانوا يأكلون الشولي والشابل مغموما في القدور في الفرن . أنظر (مجهول ، كتاب الطبيخ ص ١٧٣) .

(٦) تقويم قرطبة ، ص ٨٤ . والسردين من الأسماك التي تعيش في المياه المالحة والعذبة . (المعلوف ، نفسه ، ص ٦٩) ويذكر ابن الخطيب أن قرطبة في عهد الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠ – ٣٦٦ هـ / ٩٦١ – ٩٧٦ م) كانت تستهلك كميات ضخمة من السردين المجلوب من الساحل ، (أعمال الاعلام ، ق ١٢١ – ١٢٢) .

(٧) الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٠١ .

الأندلس ، وقد ييبس ويدخر ويجلب إلى جميع الأرض يابسا [1] » .

ومن المرجح أن الأندلسيين عرفوا تربية الأسماك في بحيرات قصورهم وبساتينهم منذ العصر الأموى ، فيذكر صاحب كتاب الطبيخ أنه فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (الثالث) « كان يفتت فى كل يوم ثلاثون خبزة برسم حيتان البحيرة التى فى القصر (أى قصر الزهراء) [2] » .

وتجدر الإشارة إلى أن باعة الأسماك كانوا يجلسون بموضع معين من السوق أو يضعونه فى أوعية ويتجولون به فى السوق ، فيقول السقطى : « ويمنع ألا يحمل أحد حوتا فى يده لئلا يمس أثواب الناس إلا فى وعاء [3] » ويستدل من كتب الحسبة الأندلسية أن باعة الأسماك كانوا يخضعون لرقابة صارمة من المحتسب منعا لأعمال الغش التى قد يلجأ إليها بعضهم ومن أمثلتها بيع السمك البائت وخلط الطرى أو الطازج بالبائت [4] ، وقد ألزم المحتسب باعة الأسماك « ألا يبيت عندهم حوت إلا أن مملحا [5] » ، كذلك وجد فى الأسواق من كان يبيع الأسماك مطبوخة ومقلية ، وكان المحتسب يأمرهم – دائما بغسل السمك وتنظيفه جيدا وعدم قليه بزيت ردىء

---

(١) الجغرافية ، ص ١١٩ – ١٢٠ . ويتضح لنا من المصادر أن الصيادين الأندلسيين كانوا يستخدمون الشباك والمراكب فى صيدهم . (الزهرى ، ص ١٢٠ ، أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ٢٩٤) وقد دخلت كلمة الشباك (مفردها شبكة) أو المضربة كما تسمى فى العربية إلى الأسبانية فى شكل Almadrabas أنظر :

Levi - provencal, Esp. musul, t. v, p. 175 .

ويذكر الونشريشى أن بعض الصيادين كانوا يكونون شركات فيما بينهم ويتعاونون بشباكهم فى صيد الأسماك ، ويقتسمون ما يصطادونه بالتساوى . أنظر (المعيار ، جـ ٨ ، ص ١٢٠) .

(٢) مجهول ، كتاب الطبيخ ، ص ٨١ .

(٣) آداب الحسبة ، ص ٦٧ .

(٤) ابن عبد الرؤوف و رسالة فى الحسبة ، ص ٩٧ ؛ ابن عبدون ، رسالة فى القضاء والحسبة ، ص ٤٤ .

(٥) السقطى ، آداب الحسبة ، ص ٣٥ .

أو الإكثار من الدقيق الذى يلث فيه السمك عند القلى [1] .

وإلى جانب هذه الثروة الحيوانية الكبيرة عرفت الأندلس بعض الحيوانات البحرية مثل القندس [2] الذى كان يوجد بساحل لبلة ، وكان الصيادون ينتفعون من خصاه فى صناعة العقاقير الطبية [3] ، واستخدم جلده فى عمل غشاء سروج الخيل وأغطية المقاعد [4] ، كذلك كان يخرج من المحيط قرب ساحل شنترين دابة ياقل لها أبا قلمون فتحتك بحجارة على الساحل فيسقط منها وبرة على لون الذهب ولين الخز ، فتجمع وينسج منها الثياب الغالية الثمينة [5] .

(١) ابن عبد الرؤوف ، نفسه ، ص ٩٧ .

(٢) القندس : يسمى أيضا كلب الماء أو بادستر ، وهو من ذوات الشعر كالماعز ، ويذكر ياقوت أنه دابة بحرية تخرج إلى البر وعندها قوة ميز ، ويقوم الصيادون بصيدها للانتفاع بخصاها المسماة جندبادستر أو قسطوريون ، ويضيف صاحب كتاب منافع الحيوان أن هذا الحيوان عندما يرى الصيادين جدوا فى طلبه نام على ظهره حتى يريهم الدم فيعلمون أنه قطعهما وألقاهما فينصرفون عنه .

انظر: (ابن عبد الله القرطبى ، شرح أسماء العقار ، ص ١٢ ، ياقوت ، معجم ، م ٣ ، ص ٢١٣ ؛ مجهول ، منافع الحيوان ، مخطوط ، لوحة ٦٧ – ٦٨ ، الدميرى ، حياة الحيوان ، جـ ٢ ، ص٨٧ ؛ المعلوف ، معجم الحيوان ، ص ٥٢) .

(٣) ابن عبد الله القرطبى ، نفسه ، ص ١٢ ؛ نفسه ، م ٣ ، ص ٢١٣ ، المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٨٤ .

(٤) مجهول ، منافع الحيوان ، مخطوط ، لوحة ٦٨ .

(٥) الاصطخرى ، المسالك والممالك ، ص ٣٥ ، المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٢٤٠ – ٢٤١ ، القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٥٤٢ .

البــاب الثــانى

الثروة المعدنيــة والصناعات

الفصل الأول

الثروة المعدنية

أولا : نظام استغلال المناجم الأندلسية.

ثانيا : أهم المعادن فى الأندلس :

(١) الذهب .

(٢) الفضة .

(٣) الحديد .

(٤) النحاس .

(٥) الرصاص .

(٦) القصدير .

(٧) الزئبق والزنجفر .

(٨) الكبريت .

(٩) الكحل (الإثمد) .

(١٠) التوتيا والصفر .

(١١) الزاج والشب .

(١٢) المغرة والطفل والقار .

(١٣) الملح .

(١٤) الأحجار الكريمة

(١٥) الرخام والأحجار .

(١٦) العنبر .

(١٧) المياه الحارة أو المعدنية (الحمات) .

أولا : نظام استغـلال المناجـم الأندلسيـة :

اشتهرت أسبانيا منذ أقدم العصور بوفرة ثرواتها المعدنية [1] التى تكثر فى جبالها ومرتفعاتها ، وعرف الرومان – على وجه الخصوص – كيف يستغلون هذه الثروة المعدنية فى صناعة الآلات والعدد والتحف المعدنية والحلى ، كما استغلوا المناجم الأسبانية لاستخراج الذهب والفضة . وتابعهم فى ذلك القوط الغربيون الذين واصلوا التقاليد الرومانية فى صيغة الحلى وأدوات الزينة ، وليس أدل على ذلك من تاج الملكة سونتيلة الذى يرجع إلى القرن التاسع الميلادى ويحتفظ به المتحف الأهلى للآثار بمدريد [2] . وانتهج المسلمون فى العصر الإسلامى نهج الرومان والقوط الغربيين فى إستخراج المعادن من المناجم الأندلسية واكتشاف مناجم أخرى جديدة ، والتوصل إلى أساليب معالجاتها وتصنيعها [3] .

ومن الملاحظ أن معلوماتنا عن الوسائل التى اتبعها المسلمون فى استغلال المناجم تكاد تكون معدومة ، ومع ذلك فإن الجغرافيين العرب يتسمون بالدقة فيما أورده من إشارات عن تلك المناجم وما ذكروه عن مواقعها ، وهو ما أكده الجغرافيون الحديثون والاكتشافات الأثرية [4] .

---

(١) تنبه الجغرافيون المسلمون إلى ذلك فنجدهم يمدحون الأندلس كثيرا بوفرة معادنها وجودتها وشبهوها ببلاد الصين فى هذا المجال . أنظر على سبيل المثال : الرازى وصف الأندلس فى :
Levi - provençal, la description, pp. 62 - 63;
ابن غالب ، ص ٢٨١ ؛ الحميرى ، ص ١ ، ٣ ؛ المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٢٥ ، ١٣٩ .

(٢) José Luis Martín, Historía de Espana, la alta edad media, Madrid, 1980, p. 30 & Imamuddin, the economic history, p. 157.

(٣) Imamuddin, op. cit, p. 157 & Vallvé, la industría, p. 209.

(٤) Imamuddin, op. cit,pp. 157 - 158.

وإلى الشريف الإدريسي يرجع الفضل الأعظم في إلقاء الضوء على نظام استغلال المناجم عند مسلمي الأندلس في عصر المرابطين ، فقد زار منجما للزئبق في حصن أبال [1] (بالأسبانية Ovejo) وأوضح أن عمق المنجم كان يزيد على مائتين وخمسين قامة ، وأن أكثر من ألف عامل كانوا يشتغلون فيه ، وأنهم كانوا ينقسمون إلى أربع مجموعات : فالأولى للنزول في المنجم وقطع الأحجار ، والثانية لنقل الحطب لحرق المعدن ، والثالثة لعمل أواني وأفران سبك الزئبق والمجموعة الأخيرة لحرقه في الأفران وتخليصه من الشوائب [2] .

والمرجح أن المسلمين طبقوا في استخراج المعادن في الأندلس نفس الأسلوب الروماني القديم دون تغيير كبير ، وهو ما أوضحته المخلفات الأثرية المتبقية في المناجم ، ومن ناحية أخرى لاحظ بعض الباحثين الأسبان – استنادا إلى الاكتشافات الأثرية الحديثة – أن العاملين في المناجم الأندلسية كانوا يخصصون جزءا كبيرا من عنايتهم لسطح المنجم وجدرانه ومداخله وأنهم كانوا يستخدمون بعض الكتل الخشبية لتدعيم الأسقف ، وبناء دهاليز تساعد العمال في النزول ، كما كانوا يستخدمون مصابيح زيتية – على نفس النمط الروماني – لإنارة المناجم وتيسير العمل فيها وضمانا لسلامة العاملين فيها من أي مخاطر قد تتسبب عنها الانهيارات التقليدية لأسقف المناجم [3] .

---

(١) حصن أبال (Ovejo) ، كان يقع شمال قرطبة على مسافة مرحلة منها . أنظر (الإدريسي ، ص ٢١٣ ، الحميري ، ص ١٠ ، مؤنس و تاريخ الجغرافية ، ص ٥٤٣ هـ ٣) . وتجدر الإشارة هنا إلى أن المرحلة هي المسافة التي يقطعها المسافر في يومه ويترجمها المستشرقون باليوم ، وهي حوالي ٣٥ ميلاً .

(٢) أنظر : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ٢١٣ – ٢١٤ ؛ الحميري ، ص١٠ . ويتضح لنا مما ذكره الإدريسي أن العمل في المناجم الأندلسية كان على نطاق واسع ، وأن جزءا كبيراً – نسبيا من السكان كان يشتغل فيها .

(٣) Imamuddin, some aspects of the socio - economic and culture history in Al - Andalus , pp. 27 - 28 & Juan Vernet, los musulmanes espanoles, p. 63.

ثانيا : أهم المعادن في الأندلس :

١ - الذهـــب :

ذكر الجغرافيون المسلمون أن الذهب من أهم المعادن التي كانت تستخرج بالأندلس [١] وكان يعثر عليه إما في باطن الأرض داخل الصخور أو في مجاري بعض الأنهار.

وأهم مناجم الذهب تتوفر في حصن المعدن [٢] (Almadén) الواقع قرب أشبونة (Lisboa) ، وقد أوضح الإدريسي أنه شاهده ، وأضاف أنه سمي بحصن المعدن « لأنه عند هيجان البحر يقذف هناك بالذهب والتبر ، فإذا كان زمن الشتاء قصد إلى هذا الحصن أهل تلك البلاد فيخدمون المعدن الذي به إلى انقضاء الشتاء ، وهو من عجائب الأرض [٣] » كذلك وجدت مناجم أخرى في فرنجولش [٤] (Hornachuelos) وأماكن متفرقة بكورة غرناطة [٥] ، كما وجدت سحالة الذهب

---

(١) انظر : الاصطخري ، المسالك ، ص ٣٦ ، القزويني ، آثار البلاد ، ص ٥٠٣ و ابن الشباط وصف الأندلس ، ص ٤ ،

Levi - Provençal, Espana musul ., t. v, p. 173.

(٢) حصن المعدن : يقع على ضفة نهر التاجة من جنوبه أمام مدينة أشبونة . أنظر (الإدريسي ، ص ١٨٤) ، وقد فتحه الخليفة الموحدي يعقوب المنصور سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م ، وكان آنذاك في يد النصارى ، وأمر بهدمه وتخريبه . (ابن عذاري ، نفسه ، القسم الموحدي ، ص ١٨٥) . والملاحظ أن الكلمة العربية « المعدن » هي نفسها القشتالية Almadén وكان الجغرافيون المسلمون يقصدون بها « المنجم » أنظر :

Elias Teres, nota soba sobre el Toponimo Almadén, Al - Andalus, Fasc, I, vol, XIII, Madrid, 1976, pp. 225 - 226.

(٣) وصف المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ١٨٤ ؛ ابن غالب ، ص ٢٩١ ، ياقوت معجم ، م ٥ ، ص ١٦ .

(٤) يوجد بها الذهب في موضع يسمى المرج . (الحميري ، ص ١٤٣) وتقع فرنجولش على مسافة ١٢ ميلا من حصن المدور ، وهي من أعمال قرطبة . (الإدريسي ، ص ٢٠٧) .

(٥) أنظر . الجغرافية ، ص ٩٥ ، ابن غالب ، ص ٢٨٣ ؛ ياقوت ، معجم ، م ٤ ، ص ١٩٥ ؛ =

فى ميـاه بعض مجـارى الأنهار خاصــة فى غرناطـة ، فيذكر الزهـرى أن نهر شنيل (Ge\nil) يشق المدينة (غرناطة) من الوسط ويتوفر به الذهب الأحمر الذى يعتبر من أجود الأنواع ، كذلك كان يتوفر بنهر حدره (Darro) – الذى اشتق اسمــه من الذهب (Deloro) – وبالتحديد فى المكان الذى يقع بين قنطرة الحواتين وقنطرة القاضى بوسط مدينة غرناطة ، ويضيف الزهرى أن « هذا الذهب إذا اجتمع فإنه يباع مثقاله زائدا على جميع الذهب بالربع والخمس (١) » ، كما وجد التبر الخالص فى مياه نهر شيقر Segre وهو نهر لاردة وكذلك بنهر التاجة (٢) .

ويذكر المعدنيون أن أحجار الذهب ثلاثة أنواع هى الأحمر والأصفر ونوع ثالث أسود الظاهر أحمر الباطن ولكنه قليل . ونستدل من المصادر العربية على أن المسلمين فى الغرب الإسلامى عرفوا تنقية الذهب من شوائبه وذلك بجعله فى كوجل (أى إناء يصنع خاصة للصهر وهو من دقاق العظم والجص) ثم يوضع فى فرن يوقد بالفحم مع استخدام الكير لرفع درجة الحرارة ، وعندما يبدأ فى الانصهار أو السبك تضاف مادة البورق الزجاجى (البوريك Boraxوهو من الأملاح) ورصاص وصابون ، ومن المعدن الذى يحوى الذهب يوضع عشرة أجزاء ، ومن البورق والرصاص والصابون من كل واحد جزء أو أكثر قليلا ، وتستمر تلك العملية حوالى نصف يوم ، ومع نهايتها تذاب الشوائب ويصبح الذهب نقيا . وهناك طريقة أخرى وهى غسله بغسولات متتالية إما بالمياه الحارة (أى المياه المعدنية الساخنة) أو بالخلول (أى الأحماض (٣) .

= الحميرى ، ص ٢٤ ؛ عبد العزيز سالم ، مـادة غرناطـة ، دائرة معارف الشعب ، عدد ٦١ ، ص ٩٢ ؛

Levi - provençal , Espana musul., t.v,p. 173 & Vallvé, la industría, p. 209.

(١) الزهرى ، الجغـرافيـة ، ص ٨٣ ؛ الحمـيـرى ، ص ١٦٨ ، المقـرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٣٨ ،

Elias Teres, Nota sobre el Toponimo Almadén , p. 227 .

(٢) انظر . ابن يوسف الحكيم ، الدوحة المشتبكة ، ص ٣١ .

(٣) ابن يوسف الحكيم ، الدوحة المشتبكة ، ص ٣١ – ٣٣ ،

Vallvé, la industria, p. 210 .

وكان الذهب يستخدم – أساسا – فى سك الدنانير وصياغة الحلى وبعض التحف وأدوات الزينة ، بالإضافة إلى استخدامه فى صناعة الملابس أو الحلل الموشاة بخيوط من الذهب ، وتذهيب الأثاث والأبواب خاصة عند الطبقات الثرية المترفة ، أو فى بعض المنشآت الهامة كباب المقصورة الرئيسى بجامع قرطبة وكان من الذهب [1] .

٢ – الفضـــة :

وتتوفر مناجمها بمناطق عديدة من الأندلس خاصة فى فرنجولش بموضع منها يسمى المرج [2] ، وبساحل مرسية [3] وكورة باجة [4] ولوشة [5] (من أعمال غرناطة) وقرية كرتش (من أعمال قرطبة) التى كانت تضم منجما للفضة الخالصة [6] ، وكذلك فى جبال حمة بجانة [7](Pechi na) وطوطالقة [8] (Totalica) من

(١) انظر : الحميرى ، ص ١٥٧ ، عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، جـ ١ ، ص ٣٤٣ ،

Vallvé, op. cut, p. 211.

(٢) الإدريسى ، ص ٢٠٧ ، الحميرى ، ص ١٤٣ .

(٣) الاصطخرى ، المسالك ، ص ٣٦ ، العذرى ، نصوص من ترصيع الأخبار ، ص ٢، ٤ المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٣٨ . ويذكر العذرى أن ديسم بن اسحق المتنزى بمرسية فى عهد الأمير الأموى عبد الله بن محمد (٢٧٥ – ٣٠٠ هـ) عثر على معادن الفضة بتدمير (مرسية) فضرب الدراهم على اسمه . (ترصيع الأخبار ، ص ١٢) .

(٤) انظر : مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٥ ، المقرى ، نفسه ، جـ ١ ، ص ١٥١ .

(٥) المقرى ، نفسه ، جـ ١ ، ص ١٤٢ .

(٦) البكرى ، جغرافية الأندلس ، ص ١٢٩ ، المقرى ، نفح ، جـ ٢ ، ص ٤ ، سالم ، قرطبة ، دائرة معارف الشعب ، عدد ٦١ ، ص ١٤ .

(٧) البكرى ، نفسه ، ص ١٢٩ ، المقرى ، نفسه ، جـ ١ ، ص ١٣٨ ،

Levi - provençal, Esp. musul., 174.

(٨) ياقوت ، معجم ، م ٤ ، ص ٥٠ ،

Levi - Provençal, la description, p. 88 .

حصون باجة) ، وفى شمال مدينة جيان [١] ومناطق متفرقة بكورتى غرناطة وإشبيلة [٢] .

وتبغى الاشارة إلى أن الطبقات المعدنية التى تحوى معدن الفضة يختلط بها الرصاص أيضا ، وقد تمكن المسلمون من تنقية الفضة الخالصة وفصلها عن الرصاص ، وذلك باستخدام طريقة الصهر ، بأن يوضع الرصاص المختلط بالفضة فى كوجل مقاوم للصهر وتشعل عليه النار بشدة حتى تصل إلى درجة الانصهار ، فعندئذ يتبخر الرصاص بينما تترسب الفضة الخالصة فى قاع الكوجل [٣] . وهناك طريقة أخرى لتخليص الفضة من أية شوائب قد تكون عالقة بها ، بوضع كمية معينة من الفضة فى كوجل ثم يضاف إليها قدر الربع من بورق زجاجى ورصاص ثم يوقد عليها بنار الفحم والكير مدة ساعتين أو ثلاثة ، فتخلص الفضة وتبقى فى قاع الكوجل [٤] .

وكان للفضة العديد من الاستخدامات لعل من أهمها سك الدراهم وصناعة الحلى الفضية وبعض التحف وأدوات الزينة كالقناطر التى أهداها أحمد بن عبد الرحمن المعروف بدحيم للمنصور ابن أبى عامر عند مروره بمرسية ، كما كان لجامع قرطبة فى عهد المنصور بن أبى عامر أربع ثريات كبيرة من الفضة ، وكانت ثريات المقصورة فضة خالصة ، وفى رأس قبة الجامع تفاح من ذهب وفضة [٥] .

---

(١) أنظر : ابن الفقيه الهمذانى ، مختصر كتاب البلدان ، طبعه مكتبة المثنى ببغداد ، بدون تاريخ ، ص ٨٧ .

(٢) القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٥٠٢ ؛ ابن الخطيب ، الاحاطة ، م ١ ، ص ٩٧ ،
Vallvé, la industría, p. 211 .

(٣) ابن يوسف الحكيم ، الدوحة المشتبكة ، ص ٣٢ – ٣٣ ؛
Vallvé, op. cit, p. 211.

(٤) الدوحة المشتبكة ، ص ٣٢ – ٣٤.

(٥) العذرى ، ص ١٥ ، الحميرى ، ص ١٥٧ ؛ سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، جـ ٢ ، ص ١٤٢ ،

Vallvé, op. cit, p. 211.

٣ - الحديد :

كانت الأندلس غنية بمعدن الحديد [(١)] ، وكثرت مناجمه بمختلف الأنحاء خاصة في جبال المرية [(٢)] وجبال الشارات [(٣)] وجزيرة شلطيش [(٤)] وحصن قسنطينه الذي يوجد « بجبالــه معادن الحديد الطيب المتفق على طيبه وكثرته [(٥)] » وكذلك في فريش [(٦)] (قرب قرطبة) وكورة غرناطة [(٧)] وجبل أندة [(٨)] وو ادى آش [(٩)]

---

(١) أنظر : الرازى ، ووصف الأندلس في ،

Levi - provençal , la description, p. 62 .

ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١١٤ ، البكرى ، جغرافية الأندلس ، ص ١٣٠ ، القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٥٠٣ .

(٢) الإدريسى ، ص ١٩٧ ، مجهول الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٥ ؛ نفح ، جـ ١ ، ص ١٥٣ ؛ سالم ، تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٦٦ .

(٣) الإدريسى ، ص ١٨٨ ، الحميرى ، ص ١٣٣ ، سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، جـ ٢ ، ص ١٣٥ ،

Vallvé, la industría, p. 213.

(٤) الإدريسى ، ص ١٧٩ ؛ الحميرى ، ص ١١٠ . وشلطيش (Saltes) جزيرة يحيط بها البحر من كل ناحية ولكنها قريبة من البر خاصة من الغرب ، وهى قرب لبلة بغرب الأندلس . (الإدريسى، ص ١٧٨ ، ياقوت ، معجم ، م ٣ ، ص ١٥٩ ، الحميرى ، ص ١١٠ ؛ نفح ، جـ ١ ، ص ١٥٧) .

(٥) الإدريسى ، ص ٢٠٧ . وحصن قسنطينه الذى عرف أيضا بقسنطينة الحديد يقع على مسافة ١٩ ميلاً من فرنجولش ، وهو من أعمال كورة إشبيلية . (الإدريسى ، ص ٢٠٧) .

(٦) ابن غالب ، ص ٢٩٠ ، ياقوت ، نفسه ، م ٤ ، ص ٢٥٩ ؛ الحميرى ، ص ١٤٣ ، سالم ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ١٣٥ . وتجدر الاشارة إلى أن من المنطقة الواقعة شمال شرقى قرطبة بلدة صغيرة تعرف إلى اليوم باسمها العربى Almadén أى المعدن ، وفيها مناجم للحديد . أنظر (مؤنس ، تاريخ الجغرافية ، ص ٤٨٩) .

(٧) ابن غالب ، ص ٢٨٣ ؛ القزوينى ، نفسه ، ص ٥٠٢ ؛ ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، نشر أحمد عاصى ، بيروت ١٩٧٨ ، ص ٢٢ .

(٨) ابن غالب ، ص ٢٨٥ ؛ نفح ، جـ ١ ، ص ١٧٠ . وتقع أندة شمالى بلنسية وهى من أعمالها . (ابن غالب ، ص ٢٨٥) .

(٩) مشاهدات ابن الخطيب ، ص ٨٨ . ومدينة وادى آش من أعمال كورة غرناطة . (ياقوت نفسه ، م ١ ص ١٩٨) .

وبجانة [1] وجبل البرانس قرب فحص البلوط [2] وفي جبل إشبيلية قرب الشرف حيث كان يتوفر معدن التراب (التراب الحديدى المعروف فى الأسبانية بـ Acerode Alinde أى الصلب الهندى) وهو تراب حديدى ينبت كما ينبت الطفل بطليطلة على حد قول الزهرى [3] ، وأيضا فى موضع يسمى أوربة [4] بين دانية وشاطبة .

٤ - النحـــاس :

وجدت بعض مناجم للنحاس في أنحاء متفرقة من الأندلس [5] ، ولكن يبدو أن هذه المناجم كانت قليلة العدد ، إذا أن الإشارات التى أوردها الجغرافيون المسلمون حول هذا المعدن نادرة للغاية إذا ما قيس بالمعادن الأخرى .

وقد تركزت مناجم النحاس في شمال الأندلس [6] وجبال الشارات [7] والمرية [8] وكورة غرناطة ، وهناك موضع يسمى المعدن (Almadén) يقع قريبا من منطقة البسيط [9] كان يحصل منه على الصفر وهو النحاس الأصفر الجيد الذى كان يتوفر أيضا في كورة غرناطة [10] (البيرة) ، وهذا الصفر عبارة عن سبيكة أو خليط

---

(١) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٤٣ .

(٢) شيخ الربوة ، نفسه ، ص ٢٤٢ .

(٣) الزهرى ، الجغرافية ، ص ٨٨ ؛ مؤنس ، نفسه ، ص ٣٨٥ ، هـ ٣ .

(٤) المراكشى ، المعجب ، ص ٤٤٩ .

(٥) انظر : البكرى ، جغرافية الأندلس ، ص ١٣٠ ، الحميرى ، ص ١ ؛ ابن الشباط ، وصف الأندلس ، ص ٤ .

(٦) المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٨٦ .

(٧) الإدريسى ، ص ١٨٨ ؛ الحميرى ، ص ١٣٢ .

(٨) الإدريسى ، ص ١٩٧ ؛ المقرى ، نفسه ، ص ١٥٤ ؛ سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، جـ ٢ ، ص ١٣٥ .

(٩) ابن غالب ، ص ٢٨٣ ؛ ص ٢٨٣ ؛ ياقوت ، معجم ، م ١ ، ص ٢٤٤ ؛ الحميرى ، ص٢٤ .

(١٠) أنظر القزوينى : آثار البلاد ، ص ٥٠٢ ،

Vallvé, la industria, p. 215

معدنى من النحاس والزنك والبرونز . وتنبغى الإشارة إلى أن مناجم الصفر والزنك لا تزال تستخدم حتى يومنا هذا فى الموضع المعروف باسم ريوبار (Riopar) بمنطقة البسيط [1] (Albacete) .

٥ - الرصـــاص :

يذكر الجغرافيون المسلمون أن معدن الرصاص كان يوجد بالأندلس [٢] خاصة فى دلاية وبرجة من أعمال المرية [٣] ، وكورة غرناطة [٤] وساحل مرسية [٥] .

وغالبا ما كان الرصاص والفضة يحصل عليهما من منجم واحد بمعنى أن العروق المعدنية للفضة كانت تحوى أيضا معدن الرصاص [٦] . وقد تمكن المسلمون - كما سبقت الإشارة - من فصل الفضة عن الرصاص إما بالصهر أو بإجراء بعض الغسولات المتتالية منها بالمياه الحارة (المعدنية) أو بالخلول أى الأحماض [٧] .

والمعروف أن الرصاص كان يستخدم - أساسا - فى عمل أنابيب لتوصيل المياه إلى قصور الخلفاء والأمراء والخاصة [٨] ، كذلك كان يصنع منه صنوج الموازين ،

---

(١) Vallvé, op. cit, p. 215.

(٢) انظر : ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١١٤ ؛ القزوينى ، نفسه ، ص ٥٠٣ ، ابن الشباط ، وصف الأندلس ، ص ٤ ؛ الحميرى ، ص ١ ، المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٣٩ ، محمد كمال شبانة ، الحالة الاقتصادية فى الأندلس خلال القرن الثامن الهجرى ، مجلة البحث العلمى ، الرباط ، ص ١٤٧ .

(٣) ابن سعيد ، المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٢٨ ؛ المراكشى ، المعجب ، ص ٤٤٨ ؛ نفح ، جـ ١ ، ص ١٤٣ .

(٤) ابن غالب ، ص ٢٨٣ ؛ القزوينى ، ص ٥٠٢ ؛ ابن الخطيب ، الاحاطة ، م ١ ، ص ٩٨ ؛ الحميرى ، ص ٢٤ .

(٥) العذرى ، ص ٢ .

(٦) Vallvé, op. cit, p. 210 & Imamuddin, the economic history, p. 166.

(٧) انظر ابن يوسف الحكيم ، اللوحة المشتبكة ، ص ٣٣ .

(٨) سالم ، قرطبة ، جـ ١ ، ص ١٨٨ ؛ تورس بالباس ، الفن المرابطى والموحدى ، ترجمة د . سيد غازى ، دار المعارف ، ١٩٧١ ، ص ٣٠ ؛

Vallvé, op. cit, p. 210.

وكان يصب أحيانا في أقراص الأعمدة الضخمة لتماسك فيما بينها [1] .

٦ - القصدير :

يبدو أن الأندلس كانت فقيرة في إنتاج معدن القصدير ، إذ لم ترد سوى إشارة مقتضبة عن وجود هذا المعدن في أشكونية [2] تذكر (أحيانا أكشونبة) أوردها المقرى والبكرى وجاء فيها أن بأشكونية « القصدير الذى لا مثيل له يشبه الفضة [3] » .

وكان القصدير يستخدم في طلاء النحاس لتغطية الصدأ ، كما كان يدخل في صناعة الصفيح وهو الحديد المطلى بالقصدير ، فهناك إشارات عديدة إلى أن بعض أبواب مدينة الزهراء كانت من الحديد المطلى بالقصدير [4] ، وهو بذلك يعتبر من المواد الأساسية في أعمال البناء والتشييد .

٧ - الزئبق والزنجفر [5] :

اشتهرت الأندلس بمناجم الزئبق الذى كان يطلب في مختلف أنحاء العالم الإسلامى والمسيحى . وأهم مناجمه كانت تتركز حول قرطبة خاصة في حصن أبال ، « ومنه يتجهز بالزئبق والزنجفر إلى جميع أقطار الأرض [6] » ، كما كان يتوفر

---

(١) السقطى ، آداب الحسبة ، ص ١٢ .

(٢) أشكونية أو أكشونبة Ocsonoba : من أعمال إقليم شلب في منطقة غرب الأندلس . أنظر (مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٤) .

(٣) البكرى ، جغرافية الأندلس وأوربا ، ص ١٢٩ ، المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٣٨ .

(٤) الزنجفر أو الزنجفور : اسمه العلمى سلفيدات أوكبريتور الزئبق الأحمر ، وهو من الأصباغ أنظر . ابن غالب ، فرحة الأنفس ، هـ ٥ ، ص ٢٨٩ ؛ مؤنس ، تاريخ الجغرافية ، ص ٥٤٤ ، هـ ١ ، Vallvé, op. cit, p. 215.

(٥) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١١٤ ؛ القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٥٠٣ ؛ الحميرى ، ص ١ ؛ المقرى ، نفسه ، جـ ١ ، ص ١٣٩ .

(٦) الإدريسى ، ص ٢١٣ ، شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٤٢ ؛ الحميرى ، ص ١٠ ؛ سالم، قرطبة ، جـ ٢ ، ص ١٤١ ، Levi - provençal; Espanaa musul., t.v, p. 174.

في جبل البرانس المسمى بسيراموريتا (Sirra morena أى الجبال السمراء) قرب فحص البلوط إلى الشمال من قرطبة ، وفي ذلك يقول الحميري « ومن هذا الفحص (يقصد فحص البلوط) جبل البرانس ، وفيه معدن الزئبق [1] ومن هناك يحمل إلى الآفاق » ، ويضيف ياقوت بأن البرانس الزنجفر الذى لا نظير له [2] ، كذلك كان الزئبق يتوفر في حصن مسطاسة [3] قرب أوريط [4] وفي بطروش [5] قرب قرطبة .

٨ - الكبريت :

معدن الكبريت نوعان أحدهما أحمر والآخر أصفر [6] ، وكان للكبريت الأصفر مناجم في جبال البرانس [7] ، كما كان للكبريت الأحمر منجم في موضع

---

(١) انظر : صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٤٢ ؛ شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٤٤ .

(٢) معجم البلدان ، م ١ ، ص٤٩٢ ؛ الزهرى ، الجغرافية ، ص٨٧ ؛ ابن غالب ، ص ٢٨٩ ؛ شيخ الربوة ، نفسه ، ص ٢٤٢ .

(٣) انظر ياقوت ، نفسه ، م ٥ ، ص ١٢٦ ؛ المقرى ، نفح ، جـ ٢ ، ص ٤ . ونلاحظ أن موقع مسطاسة ينسب إلى قبيلة من قبائل البربر ، حيث كانت تسكن هذا الحصن ، خاصة وأن منطقة فحص البلوط الواقعة شمال قرطبة كانت معظم سكانها من البربر . أنظر (ياقوت ، نفسه ، م ١ ، ص ٤٩٢) .

(٤) أوريط : من أعمال فحص البلوط ، وتقع بالقرب منه . أنظر (ياقوت ، نفسه ، م ١ ، ص ٤٩٢) . وجدير بالذكر أن الخليفة عبد الرحمن الناصر استخدم الزئبق فى إضفاء جو من المتعة والاثارة بقصر الزهراء ، فقد كان له صهريج مملوء بالزئبق قرب مجلسه ، وكان إذا أراد أن يفزع أحدا أمر بتحريك الزئبق فيظهر فى المجلس نور كلمعان البرق يأخذ بجامع القلوب . انظر (الزهرى ، نفسه ، ص ٨٧ ، سالم ، قرطبة ، جـ ١ ، ص ٢٤١) .

(٥) انظر الزهرى ، ص ٨٧ . وتنبغى الاشارة إلى أنه كان يحصل من معدن الزئبق على الزنجفر أيضا ، الذى يستخدم فى الصباغة باللون الأحمر وفى صناعة الطلاء أو الدهان . انظر (حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية ، هـ ١ ، ص ٥٤٤ ، Vallvé, la industria, p. 215.

(٦) القزوينى ، ص ٥٠٣ ؛ المقرى ، نفسه ، جـ ١ ، ص ١٣٨ .

(٧) البكرى ، جغرافية الأندلس ، ص ١٢٩ .

يسمى بليارش على مسافة ١٢ فرسخا (حوالى ٣٦ ميلا) من مرسية [١]

٩ - الكحـل (الإثمـد) :

يعتبر الكحل من المعادن الهامة التى تدخل فى صناعة العقاقير الطبية [٢] ، وتتركز مناجمه فى جبل يقع من بسطة [٣] وفى طرطوشة [٤] . ويذكر الزهرى أن جبل الكحل يخرج منه فى أوائل الشهر كحل أسود (يسمى علميا كبريتيد الرصاص الأسود) ، وكان يجمع حتى النصف الثانى من الشهر [٥] .

وتنبغى الإشارة إلى أن مناجم الكحل بطرطوشة ، كانت فى غاية الأهمية لأنها من نوع طيب وتمتاز بجودتها ولذا كان كحلها يشبه بالأصفهانى الذى يعتبر أجود أنواع الكحل فى العالم [٦] . ومن الجدير أن بابا من أبواب إشبيلية كان يسمى بباب الكحل ولعله كان يتفتح على منجم أو أحد مصادر الكحل [٧] .

١٠ - التوتيـا والصفَـر :

أشاركت كتب الجغرافية إلى وجود مناجم للتوتيا (إسمها العلمى أكسيد الزنك)

---

(١) الزهرى ، ص ٩٩ .

(٢) الكحل من حجارة الرصاص ، ترابى غلبت عليه الكبريتية ، ويذكر شيخ الربوة أن من خواص الكحل الأصفهانى تقوية العين لأنه يستخدم كغسول لها . أنظر (نخبة الدهر ، ص ٨٤) .

(٣) الزهرى ، ص ٩٦ ، القزوينى ، ص ٥٠٥ ، شيخ الربوة ، نفسه ، ص ٢٤٣ ، الحميرى ، ص ٤٥ .

(٤) البكرى ، نفســه ، ص ١٢٩ - ١٣٠ ؛ القزوينى ، ص ٥٤٥ ؛ شيخ الربوة ، ص ٢٤٥ ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٣٨ .

(٥) الزهرى ، ص ٩٦ ، Vallvé, op. cit, p. 212 .

(٦) من الملاحظ أن مناجم بسطة وطرطوشة لازالت تستغل بأسبانيا حتى الآن . (Vallvé, Idem)

(٧) باب الكحل من الأبواب التى أضيفت إلى أبواب إشبيلية فى عصرى المرابطين والموحدين ، وكان يتفتح فى القطاع الغربى من السور المطل على الوادى . أنظر (عبد العزيز سالم ، قصور بنى عباد بإشبيلية ، مجلة أوراق ، ص ٣٧) .

فى الأندلس [1] ، خاصة فى قرية بطرنة وكان بها منجم التوتيا ، التى فاقت جميع التوتيا طيبا ، وهى أزكى توتيا وأقواها فى صبغ النحاس [2] ، كذلك كانت توجد مناجم لها فى كورة غرناطة وبالتحديد فى حصن شلوبينية [3] (شلوبانية) على ساحل البحر المتوسط قرب المنكب ، وفى جبال قرطبة [4] إلا أنها أقل جودة من توتيا بطرنة . وكان المسلمون يستخدمون التوتيا لصبغ النحاس الأحمر فيتحول إلى أصفر [5] .

أما الصفر (أكسيد الكوبالت) فكان يستخرج من كورة غرناطة [6] ، واستخدمه أهل الأندلس فى كسوة الأوانى الفخارية والخزفية ببريق معدنى أزرق اللون [7] .

١١ - الزاج والشب :

الزاج (بالأسبانية Aceche) حامض كبريتى (يعرف باسم كبريتات النحاس) كان يستخرج بالقرب من النهر الأحمر بمدينة لبلة حيث تنبعث عين بالزاج [8] ، ويذكر الزهرى أنه على مقربة من إشبيلية وعند نهاية جبل الشرف المطل عليها كانت

---

(١) انظر القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٥٠٣ ؛ ابن الشباط ، وصف الأندلس ، ص ٤ ؛ Heyd, Hist., du commerce, t. II, PP. 674 - 675.

(٢) البكرى ، جغرافية الأندلس ، ص ١٢٩ ؛ الإدريسى ، ص ١٩٩ ؛ المقرى ، نفسه ، جـ١ ، ص ١٣٨ .

(٣) ياقوت ، معجم ، م ١ ، ص ٢٤٤ ؛ القزوينى ، ص ٥٠٢ ؛ ابن غالب ، ص ٢٨٣ ؛ الحميرى ، ص ٢٣ .

(٤) البكرى ، ص ١٢٩ ؛ القزوينى ، ص ٥٥٢ ؛ المقرى ، نفسه ، جـ ١ ، ص ١٣٨ .

(٥) المراكشى ، المعجب ، ص ٤٤٨ .

(٦) القزوينى ، ص ٥٠٢ .

(٧) Vallvé, op. cit, p. 217.

(٨) العذرى ، ص ١١٠ ؛ ابن غالب ، ص ٢٩١ ؛ القزوينى ، ص ٥٥٥ ؛ ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٣٩ ؛ مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٦ ؛ المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٨٦ ؛

Imamuddin, the economic hidtory, p. 168 & Vallvé, la industria, p. 216 .

توجد عين تنبعث بالزاج لا تعدو معدنا يخرج من جوف الأرض على شكل تراب وحجارة [١] وكل أهل الأندلس يستخدمون الزاج فى الطب وفى الصباغة ، وامتاز الزاج الأندلسى بجودته ووفرته [٢] .

أما الشب (بالأسبانية Jebe) – ويعرف علميا بإسم ثانى سلفات الألمنيوم والبوتاسيوم – فكانت توجد عين له فى لبلة [٣] ، وقد استخدمه المسلمون فى الطب كقابض كما استخدموه فى الصباغة وتثبيت الألوان [٤] .

١٢ – المغـرة والطفـل والقـار :

المغرة (بالأسبانية Almagre) تراب حديدى أحمر اللون ، وكانت توجد مناجم له فى لورقة [٥] ، وكان يستخدم بصفة خاصة فى الصباغة كمثبت للألوان [٦] ، وورد فى تقويم قرطبة أنه فى اليوم التاسع من شهر مارس من كل عام كان للنصارى بالأندلس عيد يقال له « عيد المغرة » ، وفيه يطلون أبوابهم وقرون بقرهم بالمغرة [٧] .

أما الطفل فيكثر بجبال الشارات خاصة عند قرية مغام قرب طليطلة ، فيذكر الإدريسى أن « جبالها (أى مغام) وترابها الطين المأكول الذى ليس على قرارة الأرض مثله [٨] » ويشير الزهرى إلى أنه بالقرب من إشبيلية يوجد « تراب يخلط فيه الدقيق فلا

---

(١) الزهرى ، الجغرافية ، ص ٨٨ – ٨٩ .

(٢) Vallvé, op. cut, p. 216.

(٣) العذرى ، ص ١١٠ ؛ ابن غالب ، ص ٢٩١ ؛ الحميرى ، ص ١٦٨ ، Imamuddin, op. cit, p. 167 - 168 & Vallvé, op. cit, p. 217.

(٤) Vallvé, Ibid, p. 217.

(٥) انظر : ياقوت ، معجم ، م ٥ ، ص ١٦١ ، الحميرى ، ص ١٧١ .

(٦) Vallvé, la industria, p. 217.

(٧) انظر : قرطبة ، ص ٣٦ .

(٨) صفة المغرب وبلاد السودان ومصر والأندلس ، ص ١٨٨ ؛ ياقوت ، نفسه ، م ٥ ، ص ١٦١ ؛ الحميرى ، ص ١٣٣ ؛ المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٨٧ .

يمتاز فيه بأنسته إياه ، ويعجن منه ويختمر كما يختمر العجين ويطبخ ويؤكل ولا ينكره الآكل [1] » ، كذلك اشتهرت مجريط بتربة أو نوع من الطفل كانت تصنع منه القدور والأواني الفخارية وأنابيب المياه [2] .

كذلك توفر وجود القار (الزفت) في الأندلس ، فيذكر القزويني - نقلا عن العذري - أن بقرية شغنتسة قرب وادى الحجارة جبلاً يطل عليها « إذا كسر حجره يخرج من كسره زفت أسود شبه القار [3] » وكان هذا القار أو الزفت بمثابة النفط ، ويستخدم في الحروب لحرق سفن الأعداء فكان يشبه في وظيفته النار الاغريقية ، كذلك استعمله الأندلسيون في طلاء السواقي (النواعير) حتى لا تتعرض للصدأ [4] ، كما كان يستخدم لقلفطة السفن حتى لا تتعرض ألواحها للتآكل [5] .

١٣ - الملح :

كان الملح يستخرج من أماكن عديدة بالأندلس سواء من البحر (الملح البحرى) أو من البر أى من المناجم (الملح الصخرى [6]) . والنوع الأول وهو الملح

---

(١) انظر : الجغرافية ، ص ٨٩ . والملاحظ أن الطفل كان يستخدم أيضا في غسيل الشعر كمنظف ، وهناك نوع استعمل في علاج التهاب العيون . أنظر :

Vallvé, op. cut, p. 219 .

(٢) الحميرى ، ص ١٧٩ - ١٨٠ ؛ محمود مكي ، مدريد العربية ، ص ٥٩ ، ٨٢ . ومجريط (مدريد الحالية) بناها الأمير عبد الرحمن الأوسط ، وكانت من أعمال وادى الحجارة . أنظر (ياقوت ، نفسه ، م ٥ ، ص ٦١ ؛ الحميرى ، ص ١٧٩ - ١٨٠) .

(٣) انظر : آثار البلاد ، ص ٥٤١ ؛ الأهواني ، ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام ، جـ ٢ ، ص ٣٠٧ - ٣٠٨ .

(٤) الاحاطة في أخبار غرناطة ، م ١ ، ص ٢٠٠ ،

Vlaavé, op. cit, p. 218 .

(٥) انظر : عبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس ، ص ٥٧ .

(٦) الرازى ، وصف الأندلس في :

Levi - provençal, la description, p. 63 & Levi - provencal, Espana musulmana, t. v, p. 175.

البحرى كان يستخرج من جزيرة يابسة (Ibiza) حيث يذكر الحميرى أن « بها ملاحة لا ينفذ ملحها [1] » ، وكذلك من ساحل المرية خاصة عند دلاية [2] ومن قصر أبى دانس [3] بغرب الأندلس ، أما النوع الثانى وهو الملح الصخرى فقد اشتهرت به سرقسطة وكان يوجد بها الملح الذرءانى (أو الذرانى) الأبيض الصافى الأملس ، وهو ملح معدنى متبلور ، ولا يوجد بموضع آخر فى الأندلس مثل هذا النوع من الملح ، كذلك كان الملح [4] يستخرج من منجم فى لوشة فى أعمال غرناطة [5] .

وقد أشار ابن القاسم إلى بعض الملاحات كانت تقوم الدولة بتأجيرها لفرد أو مجموعة من الأفراد لاستغلالها نظير مبلغ معين من المال ووفق عقد بينهما يوضح فيه أيضا موقع الملاحة وحدودها ومرافقها ومدة الإيجار [6] ، ومن ناحية أخرى وجدت ملاحات خاصة بالأفراد ، حيث كانوا يستأجرون لها العمال لاستغلالها فى مقابل أن يقتسم العامل وصاحب الملاحة ما يستخرج من أملاح فيكون للعامل الربع أو الثلث ولصاحب الملاحة الباقى [7] .

ويوضح ابن القاسم أيضا الطريقة التى كان يتبعها الأندلسيون فى الحصول على الملح البحرى ، وذلك بترك كمية من الماء المالح فى أحواض وتعريضها فترة لأشعة

---

(١) انظر . الزهرى ، الجغرافية ، ص ١٢٨ ؛ الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٩٨ .

(٢) مشاهدات ابن الخطيب ، ص ٨٢ . وتقع دلاية على ساحل البحر المتوسط قرب برجة وهى من أعمال المرية . (الإدريسى ، ص ١٩٨) .

(٣) اختصت مدينة قصر أبى دانس أو القصر بتوافر الملح إلى حد أن اسمها البرتغالى Alcaçer do Sal يعنى قصر الملح . (ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق محمود مكى ، طبعة بيروت ، ١٩٧٣ ، هـ ٥٩٩ ، ص ٦٤٦ - ٦٤٧ ؛ الإدريسى ، ص ١٨١) .

(٤) انظر . العذرى ، ص ٢٢ ؛ ابن غالب ، ص ٢٨٧ ؛ ابن الشباط ، ص ٢٤ ؛ المقرى ، نفسه ، جـ ١ ص ١٤٣ .

(٥) مشاهدات ابن الخطيب ، ص ٩٣ .

(٦) انظر : المقصد المحمود فى تلخيص العقود ، مخطوط ، ورقة ٥٢ ب .

(٧) ابن العطار ، الوثائق والسجلات ، ص ٢٠٠ .

الشمس إلى أن تتحول إلى ملح ، ثم ينقل بعد ذلك إلى مكان خاص معد لتخزينه [1] .

١٤ - الأحجار الكريمة :

من الأحجار الكريمة التي كانت تتوفر في الأندلس : اللازورد [2] وكان يتوفر بكثرة في لورقة [3] وجبل شلير [4] بغرناطة ، ومنها أيضا البلور قرب لورقة وفي جبل شجيرات شرقي قبرة [5] وشمالي بطليوس [6] ، وحجر البجادي [7] وكان يستخرج من جبل يقع على مقربة من مدينة أشبونة « يتلألأ فيه ليلا كالسراج [8] » ، كذلك

---

(١) المقصد المحمود ، الوثائق والسجلات ، ص ٢٠٠ .

(٢) اللازورد : يسمى بالفارسية لا زورد وبالرومية أرميناقون ، أما العربية فيسمى العوهق ، وهو حجر رخو رطبي وأجوده السماوي ، ويستعمل في صناعة الحلي مثل فصوص الخواتم وكذلك في الأصباغ . (انظر البيروني ، الجماهير في معرفة الجواهر ، حيدر أباد ، ١٣٥ هـ ، ص ١٩٥ ؛ التيفاشي ، أزهار الأفكار في جواهر الأحجار ، تحقيق محمد يوسف ومحمود بسيوني ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ١٦٨ - ١٧٤ ، أبيفانوس ، رسالة في الأحجار الكريمة ، نشر كوركيس عواد ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، م ١٤ ، سنة ١٩٦٧ ، ص ١١٧ ، هـ ٢ ؛ عبد الرحمن زكي ، الأحجار الكريمة ، سلسلة المكتبة الثقافية رقم ١٠٨ ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ١٢٨) .

(٣) البكري ، جغرافية الأندلس ، ص ١٢٧ ؛ ابن غالب ، ص ٣٠٨ ؛ شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٤٥ ؛ الحميري ، ص ١٧ .

(٤) ابن الخطيب ، الاحاطة ، م ١ ، ص ٩٨ .

(٥) البكري ، ص ١٢٧ ؛ ابن غالب ، ص ٣٠٨ ؛ مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٥ ؛ المقري ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٣٨ .

(٦) الحميري ، ص ٣ .

(٧) البجادي : نسبة إلى معدنه قرب جبل البيجادي بفارس ، وأصله في الفارسية بيجاده ، ويعرف في العربية بالبجادي والبزادي ، وهو يشبه الياقوت ويذكر التيفاشي أنه حجر فيه خمرية تعلوه بنفسجية . أنظر (البيروني ، نفسه ، ص ٨٨ ؛ التيفاشي ، نفسه ، ص ١٠٠ - ١٠٣ ، عبد الرحمن زكي ، نفسه ، ص ١٠٤) .

(٨) البكري ، ص ١٢٨ ؛ القزويني ، ص ٤٩٧ ؛ ابن غالب ، ص ٣٠٨ ؛ شيخ الربوة ، ص ٢٤٥ ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٥ .

كان به معدن الجزع [1] . أما الياقوت الأحمر [2] فتتركز أهم مناطقه في حصن منت ميور [3] بكورة مالقة ولكنه من نوع رديء لصغر حجمه ، كما كان يستخرج من قرية ناشرة الواقعة بالقرب من بجانة ويتميز بأنه حسن اللون صبور على النار [4] . كما كان يوجد حجر يسمى الشاذنة [5] أو الشاذنج بجبال قرطبة [6] ويستعمل في التذهيب ، والحجر اليهودي في حصن البونت [7] وفي غربي شنترين [8] ، وهو يساعد على تفتيت حصى المثانة والكلية ، وحجر المرقشيتا الذهبية في جبل شلير وجبل أبذة [9]

---

(1) الجزع : حجر يشبه العقيق ويذكر البعض أنها حجر واحد ، ويستخدم في جلاء الياقوت ، وتصنع منه العقود والدبابيس وفصوص الخواتم . (أنظر التيفاشي ، ص ١٤٨ – ١٥٠ ؛ فاضل الطائي ، مع البيروني في كتاب الجماهر ، مجلة المجمع العراقي ، م ٢٥ ، سنة ١٩٧٤ ، ص ٥٢) .

(2) الياقوت : اسمه بالفارسية ياكنه ، والياقوت معربة ، وهو عدة أنواع أجودها الأحمر . (البيروني ، نفسه ، ص ٧٤ ، التيفاشي ، ص ٦٧) .

(3) ابن غالب ، ص ٣٠٨ – ٣٠٩ ؛ مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٥ ، المقرى نفح ، جـ ١ ، ص ١٣٨ .

(4) البكرى ، نفسه ، ص ١٢٨ ؛ ابن غالب ، ص ٣٠٩ ؛ المقرى ، نفسه ، جـ ١ ، ص ١٣٨ .

(5) كان حجر الشاذنة يسمى أيضا الحجر الذي يقطع الدم . أنظر (البيروني ، الجماهر ، ص ٢١٧) .

(6) البكرى ، ص ١٢٨ ؛ القزويني ، ص ٥٥٢ ؛ مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٥ ؛ المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٣٨ ؛ عبد العزيز سالم ، مادة قرطبة ، دائرة معارف الشعب ، عدد ٦١ ، ص ١٦ .

(7) البكرى ، ص ١٢٨ ؛ مجهول ، نفسه ، مخطوط ، لوحة ٥ ؛ المقرى ، نفسه ، جـ ١ ، ص ١٣٨ . وتقع البونت (Alpuente) شمال غربي بلنسية ، ويذكر الحميرى أنها قرية من أعمال كورة بلنسية . أنظر (ابن سعيد ، المغرب ، جـ ٢ ، ص ٣٩٥ ؛ الحميرى ص ٥٦) .

(8) انظر . الحميرى ، ص ٣ .

(9) الاحاطة ، م ١ ، ص ٩٨ ؛ مجهول ، نفسه ، لوحة ٥ ؛ المقرى ، نفسه ، جـ ١ ، ص ١٣٨ وتقع مدينة أبذه (Ubeda) إلى الشرق من بياسة وتبعد عنها بحوالى ٧ أميال وهي مدينة صغيرة تقع على مقربة من الوادى الكبير (الإدريسي ، ص ٢٠٣ ، الحميرى ، ص ١١) والملاحظ أن المسلمين استخدموا المرقشيتا في زخرفة سروج الخيل والسيوف وبعض الصناعات المتصلة بالزينة . أنظر : (Imaamuddin, the economic history, p.164) .

ويذكر المقرى أنه « لا نظير لها فى الدنيا [1] » ، وحجر المغناطيس [2] الذى يجذب الحديد فى موضع يعرف بالصنهاجيين فى كورة مرسية [3] ، كما وجد حجر الدهنج [4] بالأندلس . أما المرجان (البسد) فكان يكثر بساحل بيرة من عمل المرية ، وتذكر المصادر أن مالقط منه فى أقل من شهر نحو ثمانين ربعا [5] ، كذلك كان يستخرج من بلش [6] أو بليش من أعمال مالقة .

١٥ - الرخـام والأحجـار :

اشتهرت الأندلس بكثرة مقاطع الرخام والأحجار اللازمة لأغراض البناء والتشييد [7] ، فكان يوجد بحصن فريش مقطع رخام جيد يتميز بأنه « أجلى الرخام بياضا .. وأشده صلابة [8] » ويسمى الرخام الفريشى ، ويذكر المقرى - نقلا عن

---

(١) نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٣٨ .

(٢) المغناطيس : حجر أسود يمتاز بقوة جذبه للحديد ، وهو قابل للصقل الجيد ، وكان يستخدم فى صناعة الحلى والخرز . (البيرونى ، ص ١٢ ؛ التيفاشى ، ص ١٥٢ - ١٥٣ ؛ عبد الرحمن زكى ، نفسه ، ص ١٤٩) .

(٣) البكرى ، ص ١١٢٨ ؛ ابن غالب ، ص ٣٠٩ ، شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٤٥ ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٣٨ .

(٤) الدهنج : أصله من الأحجار النحاسية ، وهو حجر أخضر صلب معدنى ، وأنواعه عديدة ، (البيرونى ، ص ١٩٦ ؛ التيفاشى ، ص ١٦١) وعن وجود الدهنج بالأندلس ، انظر (شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٨٣) .

(٥) البكرى ، ص ١٢٩ ، المقرى ، نفسه ، جـ ١ ، ص ١٣٨ .

(٦) شيخ الربوة ، نفسه ، ص ٢٤٣ .

(٧) انظر . أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٦٧ ؛ المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٨٧ ؛

Vallvé, la industría, p. 218.

(٨) انظر . الرازى ، وصف الأندلس فى :

Levi - prrovençal, la description, p. 83 .

الإدريسى ، ص ٢٠٧ ؛ ابن غالب ، ص ٢٩٠ ، ياقوت ، معجم ، م ٤ ، ص ٢٥٩ ؛ شيخ الربوة ، نفسه ، ص ٢٤٢ ؛ الحميرى ، ص ١٤٣ . ويقع حصن فريش قرب قرمونة ، وهو من أعمال قرطبة (الإدريسى ، ص ٢٠٧) .

الرازى – أنه بجبل قرطبة مقاطع للرخام الأبيض الناصع اللون والخمرى [١] ، كذلك كان الرخام يتوفر فى قرية تاشرة [٢] (قرب بجانة) ، وأماكن متفرقة من كورة غرناطة لاسيما فى باغة [٣] وقسطيلية التى اشتهرت بوجـود مقطع رخام أبيض يسمى الكذان [٤] ، كذلك كان بالمرية مقطع للرخام يسمى الملوكى [٥] . ومن المناطق المعروفة فى الأندلس برخامها جبل من الرخام الأحمر يقع بغربى مرسية [٦] ، وفى بكارش (من أعمال المرية) جبل للمرمر الملون [٧] ، كما وجدت مقاطع أخرى للرخام فى أشكونية [٨] وشلوبينية [٩] وشلب [١٠] وأشبونة [١١] وماردة [١٢] .

أما فيما يتعلق بمقاطع الأحجار ، فكانت تكثر فى مناطق متعددة من الأندلس أهمها فى قرمونة (Carmona) داخل المدينة وفى شمالها [١٣] ، أما مقاطع الجير (الكلس) والجبس (الجص) فكانت متوفرة بالأندلس ، وإن كانت المصادر العربية قد أغفلتها ، فلم ترد فى المصادر سوى إشارة واحدة أوردها الإدريسى ونقلها الحميرى تشير إلى أن سرقسطة كان يكثر بها الجص والجير [١٤] ، وأن الجص كان يكثر ايضا

---

(١) نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٨٧ ؛ عبد العزيز سالم ، مادة قرطبة ، ص ١٦ .

(٢) المقرى ، نفسه ، جـ ١ ، ص ١٨٧ .

(٣) القزوينى ، نفسه ، ص ٥٠٢ ، المقرى ، نفسه ، جـ ١ ، ص ١٨٧ .

(٤) ابن غالب ، ص ٢٨٣ ، والكذان نوع من الرخام الأبيض يتميز بأنه رخو ومسامى . أنظر : Vallvé, op. cit, p. 218.

(٥) ابن الخطيب ، الاحاطة ، م ١ ، ص ٨٢ ؛ المقرى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٢٠٦ .

(٦) الزهرى ، ص ٩٩ .

(٧) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٤٣ .

(٨) مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٣ .

(٩) شيخ الربوة ، نفسه ، ص ٢٤٣ ؛ مجهول ، نفسه ، لوحة ٢٣ .

(١٠) مجهول ، نفسه ، لوحة ٢٣ .

(١١) مجهول ، نفسه ، لوحة ٢٢١ .

(١٢) ياقوت ، معجم ، م ٥ ، ص ٣٩ ؛ الحميرى ، ص ١٧٧ .

(١٣) انظر : الحميرى ، ص ١٥٩ .

(١٤) الإدريسى ، ص ١٩٠ ؛ الحميرى ، ص ٩٦ .

بجبال بجانة قرب المرية [1] .

١٦ - العنـــبر [2]:

كانت السواحل الأندلسية الغربية المطلة على المحيط الأطلسي غنية بالعنبر [3] ، - لاسيما ساحل شنترين وشذونة ، فيذكر الجغرافيون أن « بها (أى شنترين) العنبر الجيد الذى يقذفه البحر إلى ساحله فى بعض الأوقات [4] » ، ويشير الحميرى إلى أن أطيب العنبر الغربى إنما يوجد بساحل شذونة [5] ، كما كان يخرج من شنترة عنبر جيد [6] ، أما أشبونة فكان يوجد بساحلها العنبر الفائق [7] ، وكذلك بكورة أكشونية خاصة بساحل قاعدتها شلب حيث يتوفر بها العنبر الفائق الذى يشبه الهندى [8] .

وكان العنبر يستخدم فى صناعة العطور والطيب ، ويستخدمه النساء - على

---

(١) الإدريسى ، ص ٢٠١ .

(٢) تعددت الروايات فيما يتعلق بأصل العنبر ، فيذكر الحجارى أنه نبات فى قعر البحر ، بينما يرى ابن سعيد وآخرون أنه روث حيوان بحرى . أنظر (الزهرى ، ص ١٦ ، شيخ الربوة ، ص ١٣٤ ؛ القلقشندى ، صبح الاعشى ، جـ ٢ ، ص ١١٨ - ١١٩ ؛ المقرى ، نفسه ، جـ ١ ، ص ١٨٦) والمرجح كما يرى الباحثون الحديثون أنه مادة صمغية تستقر من أشجار بقاع البحر ، وبعد نزولها فى مياه البحر تتحجر وتحملها الأمواج إلى الشاطى .

(Imamuddin, the economic history, p. 171)

(٣) انظر : المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٢٣٩ ؛ ابن الشباط ، وصف الأندلس ، ص ٤ .

(٤) القزوينى ، ص ٥٥٥ ؛ ياقوت ، معجم ، م ٥ ، ص ١٦ .

(٥) صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٠١ ، ١١٣ .

(٦) انظر : الحميرى ، ص ١١٣ .

(٧) القزوينى ، ص ٥٥٥ ؛ ابن غالب ، ص ٢٩١ ؛ ياقوت ، معجم ، م ٥ ، ص ١٦ .

(٨) ابن غالب ، ص ٢٩١ ؛ ياقوت ، نفسه ، م ١ ، ص ٢٤٠ ؛ ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ٣٨٠ .

وجه الخصوص - فى تعطير أجسامهن [1] .

١٧ - المياه المعدنية أو الحارة (الحمات) :

كان الأندلسيون يعرفون فضل المياه الكبريتية الساخنة بالحمات [2] فى علاج بعض الأمراض لاسيما داء المفاصل [3] .

وكثر وجود الحمات فى شرقى بجانة (على مسافة ستة أميال منها) ، وكانت مياهها تتميز بالحرارة العالية ، ولذا كان المرضى يقصدونها من كل جهات الأندلس ، ويقيمون بها إلى أن يتم شفاؤهم ، كما كان يقصدها أهل المرية ونساؤهم وأولادهم ، فكانوا يقضون بها فصل الربيع وينفقون هناك الكثير من الأموال [4] ، ومن الحمات المشهورة حمة شمالى بجانة أغزر من الأولى وأنجح منها فى علاج الأمراض وأصلح للأبدان [5] . كذلك كان بقرب مرسية حمة تسمى حمة بلقوار ، كانت تشتمل على بيتين مقببين أحدهما للرجال والآخر للنساء ، وأصل العين كان فى بيت الرجال [6] ، وما زال الاسم يطلق حاليا على حصن قريب من مرسية يسمى Alhama

---

(١) انظر : القلقشندى ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ١١٨ - ١١٩ ؛
Vallvé, op. cit, pp. 219 - 220; & Heyd, historire du commerct, t. II, p. 574.

(٢) الحمة أو الحامة عين ماء كبريتية ساخنة ، وكانت توجد بالأندلس بعض القرى والحصون التى تحمل هذا الإسم لوجود تلك العين بها . أنظر (الإدريسى ، ص ٢٠٠ ، ياقوت ، معجم ، م ٣ ، ص ١١٦) .

(٣) انظر : ابن بشكوال ، الصلة ، ق ١ ، ص ٦٢ ، رقم ١٣٠ ؛
Vallvé, op. cit, p. 220.

(٤) البكرى ، ص ١٢٩ ؛ الإدريسى ، ص ٢٠٠ ، القزوينى ، ص ٥٠٩ ، ابن الأبار ، المعجم ، ص ١٠٤ رقم ٨٥ ؛ ابن الخطيب ، مشاهدات ، ص ٨٤ ، ٩٢ ؛ الحميرى ، ص ٣٨ .

(٥) انظر ، الحميرى ، ص ٣٩ .

(٦) القزوينى ، ص ٥١٢ ؛ ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، ص ٢٧٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ٣٠ ؛ ابن الابار ، التكملة ، جـ ١ ، ص ٢٢٦ رقم ٧٤٧ . وانظر أيضا عن =

ويذكر القزويني أنه بأشبونة حمة كانت تقع على مقربة من ساحل البحر المحيط [1]، وهناك حمة أخرى كانت تقع قرب مالقة ، كانت تشتمل على بيت لاستحمام الرجال وآخر للنساء [2]، وحمة قرب جبل شلير بغرناطة كان يتداوى بها المرضى [3].

= حمات الأندلس :

Levi - provençal, Espana musul., t. v, p. 175.

(١) آثار البلاد ، ص ٤٩٦ .

(٢) انظر : النباهي المالقي ، المرقبة العليا أو تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٨٢ ، ياقوت ، نفسه ، م ٣ ، ص ١١٦ ؛ ابن بطوطة ، الرحلة ، جـ ٤ ، طبعة باريس ، ص ٣٦٨ ؛ مجهول ، جغرافية الأندلس ، لوحة ٢١ .

(٣) أبو حامد الغرناطي ، المغرب عن بعض عجائب المغرب ، مخطوط ، لوحة ٥ ؛

Levi - provençal, Espana musul., t. v, p. 174. & Vallvé, op. cit, p. 220 .

الفصل الثاني
الصناعات

أولا : الصناعات القائمة على الإنتاج الزراعى والغابى والحيوانى .

(١) صناعة المنسوجات .

(٢) صناعة الزيوت والخنور .

(٣) صناعة الورق .

(٤) طحن الغلال .

(٥) الصناعات الجلدية .

(٦) الصناعات الخشبية .

(٧) صناعة علب العاج .

(٨) صناعات أخرى .

ثانيا : الصناعات القائمة على التعدين .

(١) صناعة الفخار والخزف .

(٢) صناعة البناء والتشييد (فنون العمارة) .

(٣) صناعة معدنية أخرى .

ثالثا : أهم النظم المتعلقة بالصناعة .

أولا : الصناعات القائمة على الانتاج الزراعى والغابى والحيوانى :

١ - صناعة المنسوجات :

ذاعت شهرة الأندلس في العصر الأموى في صناعة النسيج ، وهى صناعة كانت معروفة فى المشرق وترجع أصولها إلى الفن الساسانى والبيزنطى والقبطى [١] ، وقد ازدهرت هذه الصناعة فى عصر الخلافة الأموية وعصر الطوائف ولكنها بلغت تقدما عظيما فى عصر دولة المرابطين بحيث بلغت ذروتها فى التنوع والاتقان ، وقد ساعد على حالة الاستقرار التى سادت الأندلس فترة طويلة بعد انهيار دويلات الطوائف وقيام سلطة قوية بالأندلس حققت نوعا من الاستقرار فى التجارة وبعض الفنون الصناعية ، هذا إلى جانب توفر المواد الخام اللازمة لتلك الصناعة لاسيما القطن والحرير والكتان والصوف ومواد الصباغة [٢] .

ويذكر الإدريسى أن عددا من مدن الأندلس اختصت بصناعة المنسوجات فى عصر المرابطين من أهمها المرية وجنجالة [٣] وحصن بكيران [٤] وقونكة . كما يذكر أن كل مدينة اختصت بنوع معين من النسيج [٥] .

---

(١) انظر : عبد العزيز سالم ، الفنون والصناعات بالأندلس ، دائرة معارف الشعب ، عدد ٦٤ ، سنة ١٩٥٩ م ، ص ١٨٩ . وتجدر الاشارة إلى أن المنسوجات الأندلسية فى الفترة بين القرن ٤ - ٧ هـ (١٠ - ١٣ م) يتضح فيها تأثيرات مشرقية خاصة ساسانية تتمثل فى الزخرفة الحيوانية ، أنظر :
Aleya Al -Enany, Tres telas granadinas; Revista de instituto egipcio, Madrid, 1954, p. 149.

(٢) أنظر : الإدريسى ، صفة المغرب وبلاد السودان ومصر والأندلس ، ص ١٧٤ ؛ الزهرى ، الجغرافية ، ص ٩٣ ؛ ياقوت ، معجم ، م ١ ، ص ١٩٥ ؛ ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨ ؛ الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ٢١ ، ١١٢ ، ١٦٨ ، ١٩٢ ، المقرى نفح ، جـ ١ ، ص ١٥٥ .

(٣) تقع جنجالة (Chinchilla) على مسافة ٥٠ ميلا من مرسية ، ويصفها الإدريسى بأنها متوسطة القدر حصينة القلعة . (الإدريسى ، ص ١٩٥) .

(٤) يقع حصن بكيران جنوبى بلنسية ، على مسافة ٤٠ ميلا من شاطبة . (الإدريسى ، ص ١٩٢) .

(٥) انظر : الإدريسى ، ص ١٩٢ ، ١٩٥ ، ١٩٧ .

أما فى عصر الموحدين فيبدو أن صناعة المنسوجات لم تلق العناية التى كانت تلقاها فى العصور السابقة مما ترتب عليه اضمحلالها لاسيما صناعة المنسوجات الحريرية ، فقد أمر الخليفة يعقوب بالمنصور بإبطال الملابس الحريرية الفاخرة وحرم على النساء التحلى بالوشى الفاخر ، كما أمر ببيع ملابس الحرير والديباج المتراكمة فى مخازن الدولة ، بحيث لم يعد يصنع من المنسوجات فى عصر الموحدين سوى بعض المنسوجات التقليدية البسيطة كالديباج والبسط [1] ، وفى هذا الصدد يذكر ابن خلدون أن الأوائل من خلفاء الموحدين لم يكن لهم شيء من دور الطراز التى تنسج فيها الأقمشة الحريرية المطرزة بالذهب والمخصصة لصنع الثياب الرسمية [2] ، ولعل هذا هو السبب فى توقف هذا الدور عن إنتاج المنسوجات وأروعها خلال سنوات عدة .

وواضح أن السبب فى هذا الموقف السلبى الذى وقفه الموحدين من صناعة النسيج يرجع إلى طبيعة الدعوة الموحدية ، بالإضافة إلى ميل الخلفاء الموحدين الأوائل إلى الزهد والتقشف وتمسكهم بالشرع والسنة .

ونتيجة لهذا تحولت الزخارف التى تزدان بها المنسوجات فى عصر الموحدين من الرسوم الحيوانية إلى زخارف هندسية من تشابكات ومربعات ووريدات وكتابات نسخية ، ومع ذلك فقد أتقنت صناعتها إلى حد كبير [3] ، كما تميزت منسوجات هذا العصر برسوم تمثل معينات بدلا من الدوائر التى كانت تزدان بها المنسوجات السقلاطون [4] .

---

(١) ابن عذارى ، نفسه ، القسم الموحدى ، ص ١٤٥ ؛ توريس بالباس ، الفن المرابطى والموحدى ، ترجمة د . سيد غازى ، ص ٦٣ .

(٢) انظر : مقدمة ابن خلدون ، الطبعة الأزهرية ، القاهرة ، ١٣١١ هـ ، ص ١٥٨ ، عبد العزيز سالم ، الفنون والصناعات ، ص ١٩٢ ؛ بالباس ، نفسه ، ص ٦٣ .

(٣) انظر : عبد العزيز سالم ، الفنون والصناعات ، ص ١٩٢ .

(٤) توريس بالباس ، الفن المرابطى والموحدى ، ص ٦٣ – ٦٤ .

أهم مراكز صناعة المنسوجات :

١ - المريـــة :

كانت المرية مركزا رئيسيا لصناعة المنسوجات - خاصة الحريرية - في العصر المرابطى ، وفى ذلك يقول الإدريسى : ومدينة المرية ، كانت فى أيام الملثم مدينة الإسلام ، وكان بها من طراز الحرير ٨٠٠ طراز ، يعمل بها الحلل والديباج والسقلاطون والأصبهانى والجرجانى والستور الملكية والثياب المعينة والخمر والعتابى والمعاجز وصنوف أنواع الحرير (١) .

ونص الإدريسى على جانب كبير من الأهمية ، إذ يوضح لنا مدى شهرة فى صناعة المنسوجات الحريرية فى عصر المرابطين ، ورواج تلك الصناعة وتقدمها فى هذا العصر ، كما يدلنا على أن أنوال دور الطراز لم تكن تقتصر على نسج الأصناف المحلية من المنسوجات وإنما كانت تنتج أيضا أنواعا شرقية ذاعت شهرتها فى أنحاء العالم الإسلامى وأنواعا أخرى اشتهرت بها بلاد اليونان قديما ، واقتبسها منهم المسلمون كالسقلاطون (٢) .

والحقيقة أن صناعة المنسوجات فى المرية وشهرتها العالمية فى هذا المجال ، كان من أهم أسباب إزدهارها الاقتصادى . ورغم تدهور المرية عقب إنهيار وسقوط دولة المرابطين ، إلا أنها استعادت شهرتها فى العصر الموحدى كمركز أساسى لصناعة المنسوجات فى الأندلس (٣) .

---

(١) أنظر : الإدريسى ، نفسه ، ص ١٩٧ .

(٢) عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية ، ص ١٥٦ - ١٥٧ ،

Joaquin Vallvé, la industría, p. 230 & El - Sayed Abdel Aziz Salem, Algunos aspectos del florecimient, economic de Almería Islamica, p. 21.

(٣) المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٨٧ ،

Salem, op. cit. p. 22 .

٢ - قرطبـــة :

أشار كل من ابن حوقل والرازى إلى شهرة قرطبة فى صناعة المنسوجات منذ عصر الخالفة الأموية ، فيشير ابن حوقل إلى أنها كانت تختص بجيد الثياب والكسى من لين الكتان وجيد الخز والقز (١) ، ويضيف الرازى أن قرطبة كانت تنتج الأقمشة الناعمة والمنسوجات الحريرية السمكية (٢) ، ويذكر ياقوت أن قرطبة كانت من أهم مراكز الوشى والديباج فى الأندلس (٣) ، ولكن يبدو أن تلك الصناعة تدهورت بعض الشيء ، خاصة عقب الفتنة القرطبية وسقوط الخلافة الأموية ، منافستها المرية فى هذا المجال وتفوقت عليها أيضا (٤) .

٣ - مراكز أخـــرى :

اشتهرت بعض مدن الأندلس الأخرى بصناعة النسيج ، فبلنسية اختصت بالنسيج البلنسى الذى يسفر لأقطار المغرب (٥) ، محصن بكيران كانت « تصنع به ثياب بيض تباع بالأثمان الغالية ، ويعمر الثوب منها سنين كثيرة ، وهى من أبدع الثياب عتاقة ورقة ، حتى لا يفرق بينها وبين الكاغد فى الرقة والبياض (٦) » ، كذلك سرقسطة التى كان لأهلها فضل الحكمة فى صناعة السمور والبراعة فيه بلطيف التدبير ، يقوم فى طرزها بكمالها منفردة بالنسيج وهى الثيـاب المعروفـة بالسرقسطية لا تدانى تلك الصنعة ولا تحكى فى أفق من الأفاق (٧) ، وتفوقت مرسية فى صناعة

---

(١) أنظر : صورة الأرض ، ص ١١٠ .

(٢) Levi - provençal, la description de A'Esp., p. 65.

(٣) معجم البلدان ، مجلد ٥ ، ص ١١٩ ؛ سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، جـ٢ ، ص ١٦٤ ، Imamuddin, the economic history, p. 204 & Vallvé, la industría, p. 225.

(٤) سالم ، نفسه ، ص ١٥٤ - ١٥٥ .

(٥) الزهرى ، كتاب الجغرافيا ، ص ١٠٢ ؛ المقرى ، نفح ، جـ ٤ ، ص ٢٠٧ .

(٦) الإدريسى ، نفسه ، ص ١٩٢ .

(٧) انظر ،

Levi - provençal, la description de l'Esp., p. 78 .

العذرى ، ص ٢٢ ؛ ابن غالب ، ص ٨٧ - ٨٨ ؛ المقرى ، جـ ١ ، ص ١٨٤ .

الوشي والديباج والحلل والبسط التنتلية [1] ، كذلك مدينة جنجالة وهي من أعمالها كان « يعمل بها من وطاء الصوف مالا يمكن صنعة في غيرها [2] » ، وقونكة كان يصنع بها الأوطية المتخذة من الصوف كل غريبة [3] ، وأيضا برعت كل من جيان [4] وبطليوس [5] بصناعة المنسوجات الحريرية ، أما مالقة فكان ينسج بها الحللَ الموشية [6] ، وفنيانة كان يصنع بها الديباج [7] وبسطة تنسب إليها المصليات البسطية [8] ، وفرقصة اشتهرت بالأكسية الفرقصية [9] .

أنواع المنسوجات :

كانت دور الطراز الأندلسية تنتج أنواعا متعددة من المنسوجات الحريرية والصوفية والقطنية والكتانية بالأضافة إلى البسط .

١ - المنسوجات الحريرية :

من أهم أنواع المنسوجات الحريرية الحلل الموشية وهي نسيج حريرى يحلى

---

(١) العذرى ، ص ٩ ؛ الحميرى ، ص ١٨٢ ؛ المقرى ، جـ ٤ ، ص ٢٠٧ ، عبد العزيز سالم ، مدينة مرسية موطن الشيخ الزاهد أبو العباس المرسى ، مطبوعات جمعية الآثار ، الاسكندرية ١٩٦٩ ، ص ٢١ ،

Bernhard and Ellen,Arabic Spain, London, 1912, p. 12.

(٢) الادريسى ، ص ١٩٥ ؛ الحميرى ، ص ١١٢ .

(٣) الادريسى ، ص ١٩٥ .

(٤) ابن غالب ، ص ٢٨٤ .

(٥) مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط لوحة ٢٤ .

(٦) ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ٤٢٤ ؛ المقرى ، نفح ، جـ ٤ ، ص ٢٠٦ ، وأيضا
Robles, Malaga musulmana, p. 339 .

(٧) الحميرى ، ص ١٤٤ .

(٨) الحميرى ، ص ٤٥ ؛ جغرافية الأندلس ، مخطوط لوحة ٢٦ .

(٩) ياقوت ، معجم ، مجلد ٤ ، ص ٢٥٥ . وفرقصة حصن من أعمال المرية . أنظر (ياقوت ، نفسه ، م ٤ ، ص ٢٥٥) .

بخيوط ذهبية [١] ، وكانت ينسج خاصة فى المرية وقرطبة ومالقة ومرسية [٢] . والديباج من المنسوجات الحريرية السميكة التى تزدان بالتنميقات الرائعة ، وكانت تتسم بالمتانة والجودة ، ولهذا فقد ارتفعت أثمانه فى الأندلس [٣] ، واختصت به المرية وقرطبة ومرسية [٤] . أما العتابى فتقليد للنسيج الحريرى الذى كان يصنع فى حى العتابية ببغداد [٥] ، واشتهرت به المرية [٦] ، ونلاحظ أن إيطاليا وفرنسا عرفتا صناعته فى العصور الوسطى عن طريق الأندلس ، وانتقل إليهم إسم هذا النوع من المنسوجات فحرف إلى « Tapiz » [٧] . ومن المنسوجات الحريرية المعاجر الشفافة التى كانت تستخدمها النساء لتغطية وجوهن ، كما كان يستعملها الرجال كعمامة لتغطية الرؤوس [٨] ، وكانت مراكز إنتاجه تتركز فى مدينة المرية [٩] . والسقلاطون كان ينسج من الحرير مطرزاً بالذهب [١٠] ، وأما الستور المكللة فأقمشة من الحرير خفيفة

---

(١) أنظر : عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية ، ص ١٥٧ ،

Vallvé, la industria, p. 230.

(٢) الإدريسى ، ص ١٩٧ ؛ ياقوت ، معجم ، م ٥ ، ص ١١٩ ؛ المقرى ، نفح ، جـ ٤ ، ص ٢٠٧ .

(٣) سالم ، نفسه ، ص ١٥٧ ؛

Levi - provençal, hist., de l'Esp., III, p. 427 .

(٤) الإدريسى ، ص ١٩٧ ؛ ابن سعيد ، المغرب ، جـ ٢ ، ص ١٩٣ – ١٩٤ ؛ ياقوت ، نفسه ، م ٥ ، ص ١١٩ .

(٥) سالم ، نفسه ، ص ١٥٨ ؛

Imamuddin, the economic history, p. 210.

(٦) الإدريسى ، ص ١٩٧ ؛ ابن غالب ، ص ٢٨٣ – ٢٨٤ ؛ الحميرى ، ص ١٨٤ ، المقرى ؛ نفح ، جـ ١ ، ص ١٥٤ .

(٧) سالم ، نفسه ، ص ١٥٨ .

(٨) سالم ، نفسه ، ص ١٥٨ ،

Imamuddin, op. cit, p. 210 .

(٩) الإدريسى ، ص ١٩٧ ، ابن غالب ، ص ٢٨٣ – ٢٨٤ .

(١٠) سالم ، نفسه ، ص ١٥٧ .

رقيقة تزدان بزخارف نباتية وأزهار تشبه الأكاليل (١) ، وأما الخمر فأقمشة حريرية كانت النساء يغطين بها رؤوسهن وتنسدل على الوجه فتغطيه (٢) ، بينما كان الأصبهانى والجرجانى نوعاً من النسيج الموشى ذاعت شهرته فى إصبهان وجرجان بفارس (٣) .

٢ - الأقمشــة الصوفيــة :

ساعدت وفرة الصوف وشدة البرودة فى فصل الشتاء فى بلاد الأندلس على إقبال الأغنياء والفقراء على الأقمشة الصوفية التى راجت صناعاتها لاسيما فى غرناطة وبسطة ، فكان يصنع بهما « ثياب اللباس المحررة الصنف الذى يعرف بالمختم ذو الألوان العجيبة (٤) » ، والملبد ثياب مبطنه تشيع الدفء وفى نفس الوقت تتميز بألوانها البديعة (٥) .

ومن المنسوجات الصوفية الثمنية صوف البحر الذى يحصل عليه من دابة بحرية تسمى أبا قلمون ، فيذكر الجغرافيون أن من عجائب مدينة شنترين « ما ذكر أن دابة تخرج من البحر هناك وتحتك بحجارة على ساحل البحر فيسقط منها وبرة على لون الذهب ولين الخز ، وهى قليلــة غزيرة جدا ، فيجمعها الناس وينسج منها الثياب فيحجر عليها ملوكهم ولا تنتقل إلا بالخفية ، وتزيد قيمة الثوب منها على ألف دينا لحسنة وعزته (٦) » .

وكان يصنع من الصوف الأوطية خاصة فى جنجالة ، فيعمل بها منوطاء

---

(١) انظر : عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية ، ص ١٥٨ .

(٢) سالم ، نفسه ، ص ١٥٨ ، الأهوانى ، ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام ، جـ ١ ، ص ٥٦ ،

Levi - provençal, hist. de L'Esp., t. III. p. 424.

(٣) انظر : الزهرى ، الجغرافية ، ص ٥٢ ؛ سالم ، نفسه ، ص ١٥٨ .

(٤) المقرى ، جـ ١ ، ص ١٨٧ .

(٥) Imamuddin, the economic history, p. 211.

(٦) الاصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٥ ؛ المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٢٤٠ – ٢٤١ ، القزوينى ، ص ٥٤٢ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، جـ ٦ ، ص ١٣٧ – ١٣٨ ترجمة ٨١٦ .

الصوف مالا يمكن صنعه في غيرها ، وينتسب إليها الوطاء الجنجالي [1] ، كذلك كان يصنع بمدينة قونكة « من الأوطية المتخذة من الصوف كل غريبة [2] » ، هذا إلى جانب الغفائر الصوفية وهي قلانس كان يلبسها الجند تحت الخوذة ، وانتشرت - خاصة - بين المرابطين والموحدين [3] .

٣ - الأقمشة القطنية والكتانية :

اختصت بعض المناطق بزراعة الكتان والقطن خاصة في إشبيلية وغرناطة وبلنسية ووادي اش [4] ، ولهذا ذاعت شهرتها في صناعة الأقمشة القطنية والكتانية بالأندلس ، ففي بلنسية يذكر الزهري أنه تنسج فيها الثياب الغالية من الكتان [5] ، وفي المرية الثياب المعدنية [6] ، كما كان يصنع من القطن أقمصة تعرف بالدراريع (جمع دراعة) ينتشر لباسها في المناطق الريفية [7] .

---

(١) الإدريسي ، ص ١٩٥ ، الحميري ، ص ١١٢ .

(٥) الادريسي ، ص ١٩٥ .

(٣) أنظر :

Levi - provencal, hist., t. III, p. 424; Imamuddin, the economic history, p. 211 & Dozy, Noms des Vetements. Amsterdam, 1843. p. 314.

ونلاحظ أن خلفاء الموحدين الأوائل اعتادوا أن يتعموا على جندهم قبل الغزو وبعده بالكسوة التامة خاصة من العمائم والغفائر وغيرها ، أنظر على سبيل المثال : (ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، ص ٢٩١ ، ص ٢٩١ ، ٤٣٧) .

(٤) ابن غالب ، ص ٢٨٤ ؛ الحميري ، ص ٢١ ، ٢٤ ، ١٩٢ ؛ الاحاطة ، مجلد ١ ، ص ٩٨ - ٩٩ ، مرزوق ، الفنون الزخرفية ، ص ١٢٢ .

(٥) كتاب الجغرافيا ، ص ١٠٢ .

(٦) وهي نسيج من القطن أو الكتان يزدادان بترابيع صغيرة على شكل معينات . (سالم ، تاريخ مدينة المرية ، ص ١٥٨) .

(٧) أنظر :

Levi - provençal, hist., t. III, p. 424 & Dosy, op, cit, pp. 176 - 177.

كذلك اشتهرت الأندلس بصناعة البسط التى تستخدم فى فرش أرضيات المساجد والدور خاصة عند الأثرياء وتزيين الجدران [1] ، وأهم مراكزها : فى مرسية [2] ، وبسطة التى ينسب إليها المصليات البسيطة [3] ، وتنتالة وبها كانت «تعمل البسط التى يغالى فى ثمنها بالمشرق[4]» .

كذلك كان يصنع من وبر القنلية والسمور معاطف الفراء وهى ضرورية لتجنب برد الأندلس القارس خاصة فى المناطق الشمالية ، واختصت بصنعه سرقسطة [5] وطرطوشة [6] .

وتجدر الإشارة إلى أن كتب الحسبة الأندلسية وكتاب « تقويم قرطبة قد أمدتنا بإشارات قيمة فيما يتعلق بصناعة النسيج فى العصر الأموى ، فيذكر تقويم قرطبة أنه فى شهر مايو « تخرج الكتب فى القرمز والحرير والغاسول للطراز [7] » كذلك فى أغسطس كانت تخرج الكتب فى الحرير والصباغ السماوى للطراز [8] » ، وفى سبتمبر « تخرج الكتب فى الفوه [9] » .

ويتضح لنا مما سبق أن الحكومة الأموية كانت تحتكر بعض المواد الخام اللازمة

---

(١) مرزوق ، الفنون الزخرفية ، ص ١٣٥ ،
Imamuddin, op. cit, p.213.

(٢) الحميرى ، ص ١٨٢ ، المقرى ، جـ ٤ ، ص ٢٠٧ .

(٣) ياقوت ، معجم ، مجلد ١ ، ص ٤٢٢ .

(٤) المقرى ، جـ١ ، ص ١٨٧ . وتنتالة من قرى مرسية (المقرى ، جـ ١ ، ص ١٨٧) .

(٥) العذرى ، ص ٢٢ ؛ ابن غالب ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨ ، المقرى ، جـ ١ ، ص ١٨٤ ؛
Vallvé, la industria, p. 230 .

(٦) القزوينى ، ص ٢٤٥ .

(٧) انظر ، غريب بن سعد ، تقويم قرطبة ، ص ٥٨ .

(٨) تقويم قرطبة ، ص ٨٤ .

(٩) تقويم قرطبة ، ص ٩٢ . والفوه - المذكور بالمتن هى عروق نبات كانت تستخدم فى الصباغة .

لتلك الصناعة الهامة . غير أنه ليس لدينا ما يفيد إستمرار تلك السياسة الاحتكارية فى العصور التالية وإن كنا نرجح إستمرارها نظرا لندرة تلك المواد الخام وأهميتها فى صناعة المنسوجات .

كذلك أوضحت لنا كتب الحسبة ونظم السوق بعض الأمور المتعلقة بصناعة المنسوجات بدءا بغزل الخيوط ونسجها حتى صبغ الأقمشة . كما تشير إلى عملية حلج أو تمشيط النسيج ، وبعض أنواع الغش المحتمل فى صنعها وبيعها [١] ، فيقول السقطى : « ويحفز على عملة اللبود ألا تعمل من صوف الميتة ، ويعلم ذلك بتغير رائحته ولا من صوف الرووس ، ويعلم ذلك من خشونته ، ويجاد عمله ويسقى الصمغ دون نشا [٢] » ، ويضيف ابن عبدون إلى ذلك بأن اللبادين « يؤمرون بتحسين عملهم فإنما يعملونها محلولة قليلة الصوف لا ينتفع بها [٣] » كما أشار ابن عبد الرؤوف إلى منع « الكتانيين عن رش الكتان بالماء وعن جعله فى المواضع الندية ليكتسب بذلك رطوبة ويثقل عند الوزن وذلك من الغش ، وكذلك يؤمر بائعو الغزل بتيبيس الغزل للشمس لأن النساء يدلكنه عند تمام غزله بالماء ليحتسن وجهه ويزيد فى وزنه [٤] » ومن ناحية أخرى يذكر السقطى أنه يجب منع الصباغيين من صناعة المنسوجات الحمراء بالبقم فإنه لا يثبت [٥] » .

وتبين مما سبق أن صناعة المنسوجات فى الأندلس فى عصرى المرابطين والموحدين كانت مزدهرة إلى حد كبير حتى أن أعيان قشتالة وأرغون كانوا يتخذون

---

(١) أنظر :

Vallvé, op; cit, p. 231 & pedro Chalmeta, ElSenor del zoco en Espana, p. 189.

(٢) آداب الحسبة ، ص ٦٨ .

(٣) ثلاث رسائل أندلسية فى الحسبة ، ص ٥٠ .

(٤) ثلاث رسائل أندلسية فى الحسبة ، ص ٨٧ .

(٥) السقطى ، آداب الحسبة ، ص ٦٣ .

ثيابهم من الأقمشة الأندلسية الإسلامية ، ومن ذلك أن ثوب القداس الذى كان يرتديه القديس خوان دى أورتيخا ويحمل إسم أمير المرابطين على بن يوسف وتحتفظ به إحدى كنائس مدينة برغش يدعونا إلى الظن أن الثوب قد نسج بمصانع النسيج الأندلسية ، ومن المحتمل أن هذا الثوب وغيره من المنسوجات المحفوظة بكاتدرائية شلمنقة وشغونسة قد صنعت بالمرية[1] . كذلك وصلت إلينا أمثلة كثيرة من صناعة المنسوجات فى عصر الموحدين عثر عليها فى مقابر المسيحيين ، مثل أكفان دون رودريجودى رادا والأمير دون فيليب وزوجته وأنسجة كاتدارئية لاردة[2] .

ولعل أروع أمثلة المنسوجات الموحدية العلم الموحدى الذى غنمه النصارى من وقعة العقاب سنة ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م وهى الوقعة التى انهزم فيها الخليفة الموحدى محمد الناصر ، ويحتفظ به دير لاس إويلجاس بمدينة برغش ، وهذا العلم منسوج من الديباج المحلى بخيوط الذهب ، وألوانه حمراء وزرقاء وبيضاء وخضراء وصفراء ، ويحيط بالعلم شريطان من الكتابة النسخية ، ويقال إن هذا العلم سجادة خيمة الخليفة الناصر[3] .

٢ - صناعة الزيوت والخمور :

كان الزيتون والكتان من أهم مصادر إستخراج الزيوت فى الأندلس ، وقد اشتهرت كثير من المناطق بإستخراج الزيوت خاصة إشبيلية[4] وغرناطة[5] وبلنسية[6]

---

(١) جومث مورينو ، الفن الاسلامى فى أسبانيا ، ترجمة د . عبد العزيز سالم ، د . لطفى عبد البديع ، ص ٤١٩ ؛ توريس بالباس ، الفن المرابطى والموحدى ، ص ٦٢ - ٦٣ .

(٢) سالم ، الفنون والصناعات ، ص ١٩٢ .

(٣) سالم ، نفسه ، ص ١٩٢ .

(٤) انظر : العذرى ، ص ٩٥ ، الادريسى ، ص ١٧٨ ؛ ابن غالب ، ص ٢٩٢ .

(٥) ابن غالب ، ص ٢٨٤ ؛ الزهرى ، ص ٩٦ ، الحميرى ، ص ٢٤ ، ١١٢ .

(٦) ابن غالب ، ص ٢٨٥ ؛ الحميرى ، ص ١٨٠ .

ولبلة [1] وشريش [2] وقرمونة [3] وميورقة [4] ودانية [5] وقبره [6] .

وكان المسلمون في الأندلس يمتلكون العديد من معاصر الزيوت ، التي تدار بقوة تيار الماء أو بالدواب ، وتمكنوا من تطوير الأسلوب الفني الخاص باستخلاص الزيت من الزيتون الأندلسي الذي امتاز بجودته ، وكان من السلع الأندلسية الهامة التي يكثر عليها الطلب في بلاد المشرق والمغرب [7] .

ويشير الرازي إلى أن قلمرية كانت تنتج أجود أنواع الزيوت [8] ، بينما يذكر الحميري أن زيت منطقة الشرف بإشبيلية « أطيب الزيوت ، كثير الريع عند العصر لا يتغير على طول الدهر [9] » ويضيف العذري بأن زيتون شرق إشبيلية يمتاز بغزارة إنتاجه من الزيت عند اعتصاره ، وأنه يبقى برقته وغذويته أعواما لا يتغير طعمه ولا يؤثر فيه مكث [10] . ويشير الحميري أيضا إلى أن قرية شوذر – من أعمال جيان – كانت تعرف بغدير الزيت لكثرة زيوتها [11] .

أما زيت الكتان فالغالب أن كورة غرناطة وبلنسية وميورقة كانت من أهم مناطق

---

(١) ابن غالب ، ص ٢٩٢ ؛ الحميري ، ص ١٩ .
(٢) الإدريسي ، ص ٢٠٦ ؛ الحميري ، ص ١٠٢ .
(٣) ابن غالب ، ص ٢٩٣ .
(٤) الزهري ، ١٢٩ .
(٥) ابن غالب ، ص ٢٨٥ .
(٦) ابن غالب ، ص ٢٨٢ .
(٧) Levi - provençal, Espana musul. t. v, P. 156 .
(٨) أنظر: الرازي ، وصف الأندلس في :
La description de l'Esp., p. 89.
(٩) صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٩ ، ١٠١ .
(١٠) نصوص من ترصيع الأخبار ، ص ٩٥ ؛ الزهري ، ص ٨٩ ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٥٠ ، Pedro Martinez, Islamy cristiandad en la economía mediterranea, Moscu, 1970. p. 10.
(١١) صفة جزيرة الأندلس ، ص ١١٧ .

إنتاجه في الأندلس خاصة وأنه كان يزرع هناك بكثرة [١] .

ويتضح من كتب الحسبة والفقه أنه كانت توجد ثلاثة أنواع متمايزة من زيت الزيتون تبعا لطرق استخلاصها وهي : زيت الماء وهو أفضل الأنواع ثم زيت المعصرة وأخيرا الزيت المطبوخ [٢] . ويذكر ابن عبد الرؤوف أنه لا يوجد تفاضل بين زيت الماء وزيت المعصرة لأنهما من صنف واحد أي من الزيتون ، غير أنهما يختلفان عن أصناف أخرى من زيت الزيتون المخلوط بزيت الكتان أو الجلجلان (السمسم) أو الجوز سواء في النوع أو الاستخدام [٣] .

ويشير تقويم قرطبة إلى أنه في شهر سبتمبر يبدأ بعض الزيتون ويستخرج الزيت

---

(١) ابن غالب ، ص ٢٨٥ ؛ الحميري ، ص ٢٤ ، ١١٢ .

(٢) انظر: ابن العطار ، الوثائق والسجلات ، ص ٤٧ ؛ ابن عبد الرؤوف ، رسالة في الحسبة ، ص ١٠٥ ،

Levi - provençal, Espana musul., t. v, P. 157 .

(٣) ابن عبد الرؤوف ، نفسه ، ص ١٠٥ ، المعروف أن بذور الكتان يستخرج منها الزيت المعروف بالحار ، أما السمسم فيعرف زيته بالسيرج ، ويذكر الباحث الأسباني خواكين باليي أن الزيتون الغير كامل النضج يطحن ويسلق بإضافة ماء إليه وذلك للحصول على الزيت المعروف بزيت الماء . وأحيانا يطحن الزيتون في طاحونة الزيت ثم يؤخذ المعجون الصافي في قفف من الحلفاء مثقوبة من الوسط وهذه القفف توضع في المعصرة ، ثم تعصر فينسكب الزيت بغزارة ويقع في قناة (مجرى) معدة لذلك ثم يوضع بعد ذلك في جرات ، ويسمى هذا النوع بزيت المعصرة ، وقد يضاف إليه الماء ثم تمرر فضلات هذا الزيت البكر في المعصرة مرة ثانية ليحصل على الزيت المعروف بالمطبوخ . انظر :

Vallvé, la agricultura, p. 27.

ويذكر ابن عبد الله القرطبي نوعا آخر من الزيوت يسمى زيت السودان أو زيت الهرجا ، ويضيف بأنه المعروف في المغرب والأندلس بزيت أرجان ، وأرجان نوع من الشجر يستخرج من لبه هذا الزيت . أنظر (شرح أسماء العقار ، ص ١٨) ، ومن ناحية أخرى تجدر الاشارة إلى أن الأندلسيين قد قاموا بصناعة الصابون من الزيوت ، فيذكر القاضي عياض أن عبد الله ابن محمد الصابوني المعروف بان بركة (ت ٣٧٨ هـ) كان له دكاكين يصنع فيها عمالة الصابون . أنظر (ترتيب المدارك ، مجلد ٢ و تحقيق أحمد بكير ، بيروت ١٩٦٥ و ص ٦٨٢) .

الجديد [1] . ويذكر ابن العوام أن الأندلسيين عرفوا طرق اختزان الزيت ، ويضيف بأنه ينبغي اختزانه في أوانٍ نظيفة توضع في مواضع ذات برودة ويبوسة ، ويجعل معه قليل من ملح أو بورق وورق زيتون غصن مدقوق وورق أترج ورند ، ويحرك حتى يختلط ذلك به ، ويوضع في الظل ، فهذا يحفظه من التغير ويطيب رائحته [2] .

والملاحظ أن ولاة الحسبة في الأندلس حذروا الزياتين كثيراً من أعمال الغش والتدليس فيقول السقطي : « ويمنع معاصر الزيتون أن يعصر فيها زريعة الكتان لئلا تعلق رائحته بالزيت [3] » ، ويضيف ابن عبد الرؤوف بأن الزياتين يجب أن يؤمروا بعدم خلط الزيت الرديء بالطيب [4] .

أما صناعة الخمور فرغم تحريم الإسلام لها ، رلا أن هذا لم يؤد إلى منع شربها في الأندلس بين الخاصة والعامة شأن غيرها من بلدان الإسلام [5] . فتجد أن دولة المرابطين وهي دولة مجاهدة قامت على أسس دينية لم تستطع منع الخمور ، ويتضح لنا ذلك فيما ذكره ابن عبدون الإشبيلي ـ الذي عاش في العصر المرابطي — من أنه يجب على المحتسب تجريد الناس من السلاح قبل بداية الشرب في إحتفالات الأعراس [6] .

وفي عهد الأمير تاشفين بن علي حاول المرابطون وضع حد لانتشار تعاطي

---

(1) عريب بن سعد ، تقويم قرطبة ، ص ٩١ ؛ مجهول ، تقويم غرناطي ، ص ٣٥ — ٣٦ .

(2) انظر . كتاب الفلاحة ، جـ ١ ، ص ٦٧٨ .

(3) اداب الحسبة ، ص ٦٨ . وتلاحظ أن معاصر الزيتون كانت تقع غالبا قرب الميناء لسهولة نقله وتصديره . انظر (سالم ، تاريخ مدينة المرية ، ص ١٢٦ — ١٢٧) .

(4) انظر ، رسالة في الحسبة ، ص ١٠٥ .

(5) انشر سعد زغلول عبد الحميد ، الحياة الدينية في المدينة الاسلامية ، مجلة عالم الفكر ، مجلد ١١ ، العدد الأول ، الكويت ١٩٨٠ ، ص ٤١ — ٤٢ .

(6) أنظر رسالة في الحسبة ، ص ٥٤ . وفي عهد أمير المسلمين علي بن يوسف نجد أن بعض المسلمين كانوا يشترون الخمور بحجة أنها لخدمهم من النصارى . أنظر (ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٩٣) .

الخمور في الأندلس ، ولذا بعث أمير المسلمين تاشفين رسائل إلى عماله في مدن الأندلس يأمرهم بتعقب صناعها من المسلمين وإراقة دنانها حيث وجدت [1] .

أما في عصر الموحدين فعلى الرغم من غلبة الشعور الديني وتمسك الموحدين بالسنة لم يتشددوا في منع المسكرات ، فكان يسمح بشربها ، فابن عذارى يذكر أنها كانت تقدم في الاحتفالات ، كما كان إيذانا بتعاطيها بين السادة من بني عبد المؤمن وغيرهم من الرعية ، ولكن بخلافة يعقوب المنصور تشدد الموحدون في مسألة الخمور ، فأمر الخليفة بإراقة المسكرات ، وقطعها والتهديد بقتل من يقدم على تعاطيها [2] ، غير أنه من المرجح أن الأمور لم تلبث أن عادت إلى حالتها الأولى بتأثير ظروف التدهور والانهيار وانتشار الفتن -- خاصة -- عقب وفاة الخليفة محمد الناصر في سنة ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م وبداية النهاية للدولة الموحدية .

ومهما يكن من أمر فقد استخدم الأندلسيون العنب والتين في صناعة الخمور ، وكان خمر العنب يتعاطى على نطاق واسع في الأندلس [3] ، واتبع المسلمون سياسة التسامح من أهل الذمة في هذا المجال فيقول ابن عبد الرؤوف : « وإذا اشترى مسلم من نصراني خمرا كسر من وجدت بيده منها ، فإذا كان النصراني قد قبض الثمن ترك له وإن كسر مسلم خمر النصراني عوقب [4] » .

ومن أهم مراكز صناعة الخمور في الأندلس مالقة حيث يذكر الشقندي أنها

---

(١) حسين مؤنس ، نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين ، ص ١١٣ .

(٢) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، ص ١٧٤ - ١٧٥ ؛ المراكشي ، المعجب ، ص ٣٠٦ ؛ البيان المغرب ، القسم الموحدي ، ص ٩١ .

(٣) ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ١٨٦ رقم ١١٩ ؛ أرشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد عيسى ، القاهرة ، ١٦٠ م ، ص ٢٥٩ ، - وتجدر الاشارة إلى أن الأندلسيين كانت لديهم معرفة بصناعة الخل من العنب . أنظر (أبو الخير ، الفلاحة ، ص ٥٦) .

(٤) أنظر : رسالة في الحسبة ، ص ٩٥ .

خصت بطيب الشراب الحلال والحرام [1] ، كذلك باغة وبلنسية ومرسية ولقنت وإشبيلية وميورقة [2] .

٣ - صناعـــة الورق :

يعتبر الصينيون أول الشعوب التى صنعت الورق من شرانق الحرير ، ثم انتقلت تلك الصناعة إلى العرب بعد اتصالهم بالصين خلال القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) وبالتحديد فى أوائل العصر العباسى [3] .

ويرجع الفضل للمسلمين فى أنهم استبدلوا الحرير فى صناعة الورق بمواد أخرى أكثر توافراً وأيسر منالاً مثل الكتان والقنب والقطن [4] .

ويبدو أن الأندلسيون عرفوا صناعة الورق فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى إذ يذكر المقدسى أن أهل الأندلس كانوا أحذق الناس فى صناعة الوراقة [5] ، وإلى جانب الورق استخدموا الرق أيضا للكتابة خاصة جلد الظباء والغزلان [6] ،

(١) ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ٤٢٤ . المقرى ، نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٢) ابن عبدون ، نفسه ، ص ٤٥ ؛ ابن سعيد ، المغرب ، جـ ٢ ، ص ١٥٤ ، ٢٧٤ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، القسم الثانى ، ص ٣١٧ ؛ مؤنس ، نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين ، ص ١١٣ ؛ عز الدين موسى ، النشاط الاقتصادى فى المغرب الاسلامى ، ص ٢٤٢ .

(٣) أنظر : سعيد عاشور ، المدينة الاسلامية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ١٨٥ ؛ طه الحاجرى ، الورق والوراقة فى الحضارة الإسلامية ، مجلة المجمع العلمى العراق ، مجلد ١٢ سنة ١٩٦٥ ، ص ٨٦ .

Imamuddin, the economic history, p. 217 .

(٤) عاشور ، نفسه ، ص ١٨٥ ؛ طه الحاجرى ، نفسه ، مجلد ١٣ ، سنة ١٩٦٦ ، ص ٨٦ - ٨٧ .

(٥) أحسن التقاسيم ، ص ٢٣٩ .

(٦) انظر ، تقويم قرطبة ، ص ٦٦ ؛

Vallvé, la industría, p. 237.

والضأن ، فيقول ابن عبدون « يجب أن لا يعمل رق إلا مبشورا ولا يصنع من الضأن المهزول [1] » .

ومع بداية القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) ازدهرت صناعة الكاغد [2] فى الأندلس خاصة فى شاطبة حيث كان يصنع فيها أجود أنواع الورق ، مما لا يوجد له نظير بمعمور الأرض ، ويعم المشارق والمغارب [3] على حد قول الإدريسى .

ونستنتج من إشارة الإدريسى أن مصنع الورق بشاطبة كان يعمل قبل القرن السادس الهجرى بدليل أنه أصبح فى القرن السادس ينتج أكثر من إحتياجات الإستهلاك المحلى [4] .

وتنبغى الإشارة إلى أنه عن طريق الأندلس انتقلت صناعة الورق إلى غرب أوربا ، ففى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) أدخل الفونسو العاشر صناعته إلى مملكة قشتالة ، ومنها إنتقلت إلى فرنسا فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى [5] .

---

(١) رسالة فى الحسبة ، ص ٥٩ .

(٢) الكاغد : كلمة فارسية لعلها من أصل صينى ، وتدل على ذلك النوع من الورق المصنوع من الألياف والحشائش ، انظر (طه الحاجرة ، الورق والوراقة ، مجلد ١٢ ، سنة ١٩٦٥ ، ص ١٣٤) .

(٣) الإدريسى ، ص ١٩٢ ، ياقوت ، معجم ، مجلد ٣ ، ص ٣٠٩ ، المقرى ، جـ ١ ، ص ١٥٦ ، المنونى العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ، ص ٢٥٦ ، مختار العبادى ، من مظاهر الحياة الاقتصادية فى المدينة الاسلامية ، مجلد عالم الفكر ، مجلد ١١ ، العدد الأول ، الكويت ١٩٨٠ ص ١٥٣ ؛

Bernard and Ellen, Arabic Spain, p. 12.

(٤) أنظر :

Imamuddin, op. cit, pp. 218 - 219 .

(٥) سعد زغلول ، علوم العرب القديمة ، مجلة عالم الفكر ، م ٨ ، الكويت ١٩٧٧ ، ص ١٧٤ ،

Imamudin, Ibid, p. 219.

ولم يلبث الكاغد أن انفرد بفنون الكتابة فى الغرب الإسلامى كما حدث فى المشرق تماما ، وذلك بعد اختفاء استخدام الرق فى الكتابة [1] ، والمرجح أن شهرة شاطبة بالكاغد ترجع إلى توفر الكتان الجيد بأراضيها [2] .

وكان يحصل على الورق من معجون الكتان والقنب ، الذى ينقع فى ماء الجير (الكلس) ثم يمرر فى طاحونة (رحى) مع استخدام الغرا والنشا ومزجها من المعجون ، ويسوى بعد ذلك ويلمس بإستخدام القالب (القرميد) حتى يصل إلى لوح الورق المناسب ، وأخيرا تجرى عملية التجفيف [3] .

ويتصل بتلك الصناعة « فن الوراقة » ، ويقصد به ما تتحلى به المصاحف والكتب من فنون تتعلق بأسلوب الخط الذى كتب به وبالزخارف التى تزين صفحاتها ، وما يتعلق بذلك من طرق التجليد أو التفسير كما كان يسمى فى المغرب والأندلس [4] .

وفى الأندلس برز الكثير من الوراقين الذى اتخذوا من هذه الحرفة وسيلة لكسبهم ومعيشتهم ، وامتاز بحسن الخط والبراعة فى التذهيب والوراقة بصفة عامة [5] ، وازدهرت صناعة التفسير فى الأندلس خلال العصر الموحدى ، وألف أحدهم كتابا

---

(١) طه الحاجرى ، نفسه ، مجلد ١٣ ، ص ٨٨ .

(٢) Imamuddin, op. cit, p. 219.

(٣) أنظر ، الجرسيفى ، رسالة فى الحسبة ، ص ١٢٤ ، Vallvé, la industria; pp. 237 - 238.

(٤) مرزوق ، الفنون الزخرفية ، ص ٢١٣ .

(٥) انظر : التكملة ، جـ ١ ، ترجمة رقم ٢٠٧ ، ٣٩١ ، ابن سعيد ، المغرب ، جـ ٢ ، ص ٣٢١ ترجمة ٥٦٤ ؛ ابن عبد الله المراكشى ، والذيل والتكملة ، السفر الخامس ق ١ ، ترجمة رقم ٣٩٤ ، ٤٥٧ ، السفر الخامس ، ق ٢ ، رقم ١١٦٦ ، ٣٢٣٩ ؛ ابن الزبير ، صلة الصلة ، ترجمة رقم ٣٥٨ . ولعل فن التذهيب والتجليد الموحدى يتضح لنا فى مصحف الخليفة عثمان الذى حضر من قرطبة إلى مراكش . أنظر فى ذلك (المن بالامامة ، ص ٤٣٩ – ٤٤٠ ، المنونى ، نفسه ، ص ٢٦٢ ، ٢٦٧ – ٢٦٨ ، علام ، الدولة الموحدية ، ص ٣٨٦ – ٣٨٧) .

فى صناعة التسفير للخليفة الموحدى يعقوب المنصور يشتح منه أن الأندلسيين عرفوا طرق وأدوات التسفير المختلفة وطرق التسوية والحبك واستخدام الغراء وحماية الكتب من الأرضة [١] .

٤ – طحن الغلال :

ذكر الجغرافيون المسلمون أنه كان يوجد العديد من الطواحين أو الأرحاء فى الأندلس وخاصة على نهر قرطبة حيث يشير الإدريسى إلى وجود ثلاث بيوت أرحاء فى كل بيت منها أربعة مطاحن [٢] ، وفى طلبيرة وجدت أرحاء كثيرة على نهر تاجة [٣] ، كما وجدت على نهر مربلة فى بيانة [٤] وعلى وادى بجانة [٥] وفى شلب [٦] وقلمرية [٧] ووادى آش [٨] وباغة [٩] وقبرة [١٠] وغرناطة [١١] ، واشتهرت جيان بأرحائها الكثيرة ، فيذكر الإدريسى أن الأرحاء الطاحنة على أبواب المنازل بجيان [١٢] .

---

(١) انظر . بكر بن ابراهيم الاشبيلى ، التيسير فى صناعة التسفير ، نشر عبد الله كنون ، مجلة المعهد المصرى بمدريد سنة ٥٩ – ١٩٦٠ ، ص ١٠ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٧ .

(٢) انظر: الإدريسى ، ص ٢١٢ ، الحميرى ، ص ١٥٨ .

(٣) الادريسى ، ص ١٨٧ ؛ الحميرى ، ص ١٢٨ .

(٤) الحميرى ، ص ٥٩ . وتقع بيانة (بالأسبانية Baena) قرب قبرة ، وهى من أعمال قرطبة (الحميرى ، ص ٥٩) .

(٥) الادريسى ، ص ١٩٧ .

(٦) الإدريسى ، ص ١٨٠ ، الحميرى ، ص ١٠٦ .

(٧) الادريسى ، ص ١٨٣ ، الحميرى ، ص ١٦٤ .

(٨) الحميرى ، ص ١٩٢ .

(٩) الإدريسى ، ص ٢٠٤ .

(١٠) الحميرى ، ص ١٤٩ .

(١١) ابن سعيد ، بسط الأرض فى الطول والعرض ، نشر بيرنيت ، ص ١٠٠ ، القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢١٥ ، المقرى ، نفح ، جـ ٤ ، ص ٢٠٤ .

(١٢) الادريسى ، ص ٢٠٢ ، الحميرى ، ص ٧٠ – ٧١ .

ومن ناحية أخرى كانت هناك أرحاء متنقلة على مراكب ، فيقول الحميرى أن مرسية « لها أرحاء طاحنة فى مراكب تنتقل من موضع إلى موضع [(١)] » ، وهذا النوع من الأرحاء كان يوجد أيضا فى طرطوشة [(٢)] وسرقسطة [(٣)] وذلك لإراحة العملاء .

وكانت هذه الأرحاء تدار إما بقوة تيار الماء أو بالحيوانات أو بالريح ، ويشير ابن صاحب الصلاة إلى أن المهندس الحاج يعيش المالقى صنع فى أعلى مدينة جبل طارق رحى تطحن الأقوات بالريح [(٤)] .

ويذكر الفهرى أنه فى حالة قيام شخص بإنشاء طاحونة فى أرض مملوكة للغير وفق عقد بينهما ، فإنه يصبح لكل منهما الحق فى إستخدام الطاحونة ، ويضيف بأنه إذا سمح بإقامة طاحونة على أرض شخص آخر فقد يشترط فى العقد أنه بعد استخدام الطاحونة لسنوات معينة تؤول ملكيتها بعد ذلك لمالك الأرض [(٥)] .

ونلاحظ إلى جانب الأرحاء الخاصة وجود أرحاء عامة يمتلكها طحانون محترفون يطحنون الغلال للناس نظير أجر معين [(٦)] . وهؤلاء الطحانون — كما أشارت كتب الحسبة الأندلسية — كانوا يلجأون إلى بعض أنواع الغش مثل سقى القمح بالماء

---

(١) الإدريسى ، ص ١٩٤ ؛ الحميرى ، ص ١٨٢ — ١٨٣ .

(٢) القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٥٤٥ .

(٣) الادريسى ، ص ١٩٤ ،

Levi - provençal, Espana musul., t. v, p. 154 .

(٤) أنظر : المن بالامامة ، ص ١٤١ . وجدير بالذكر أنه كانت توجد أرحاء أخرى بمدينة طركونة تدار بالريح (الحميرى ، ص ١٢٦) .

(٥) الفهرى ، السفر الثانى من وثائق العقود ، مخطوط ، لوحة ٩٩ أ . ومن ناحية أخرى أشار ابن العطار إلى أن بعض الأرحاء كانت تؤجر لمدة معينة نظير مبلغ يحدد فى العقد . انظر (الوثائق والسجلات ، ص ١—٢) .

(٦) السقطى ، آداب الحسبة ، ص ١٦ ، ٢٤ . وتجدر الاشارة إلى أن ابن عبدون قد ذكر أن الدولة المرابطية كانت تمتلك بعض الأرحاء تقوم بتأجيرها للافراد وفق عقد يحدد فيه قيمة الكراء أى الإيجار (رسالة فى الحسبة ، ص ٣١) .

والاستثار بما يعادله وزنه قمحا أو يخلطوا القمح بالتراب الأبيض ويقتطعوا لأنفسهم ما يعادل وزنه قمحا كما كان يحدث في مالقه [1].

ويتضح لنا من كتب الحسبة أنه كان يوجد صبيان لدى الطحانين يساعدونهم في العمل نظير أجر معين، وكانوا يعلمونهم أيضا أساليب الغش والخداع في تلك الحرفة [2]. كما وجد ما يسمى بالميار [3] وهو الشخص الذى يشترى القمح ثم يقوم بطحنه لدى الطحانين، ويبيعه بعد ذلك دقيقا في أماكن مخصصة لذلك [4].

وكان باعة الدقيق يلجأون إلى كثير من ضروب الخدع وأنواع الغش منها أنهم يخلطون الطيب مع اللطيف وهو أقل جودة من الأول ويبيعون الجميع بثمن الطيب الذى يقدر المحتسب، كما أن منهم من كان يخلط فيه النخال أو يخلط الردىء مع الطيب [5].

٥ - الصناعات الجلدية :

اشتهرت بعض مدن الأندلس بدبغ الجلود مثل باجة التى كان لمائها خاصية في دباغ الأدم لا يبلغه دباغ [6]، كذلك اختصت لبلة بالأديم الأحمر

---

(١) انظر . السقطى، آداب الحسبة، ص ٢١، ٢٢ .

(٢) أنظر . السقطى، آداب الحسبة، ص ٢٤ - ٢٥ .

(٣) يقصد بالميار - أحيانا - الشخص الذى يقوم بنقل السلع والبضائع من مكان لآخر .

(٤) السقطى، ص ٢٤ . والقمح الأندلسى نوعان : أحدهما الدرمك ويعطى دقيقا ناصع البياض والآخر يسمى المدهون وهو أقل جودة وبياضا من الأول . أنظر : السقطى، ص ٢٦،
Levi - provençal, Espana mussul., i. v, p. 154 & Vallvé, la Agricultura, p. 23.

(٥) السقطى، ص ٢٠، ٢١، ٢٧ . ونلاحظ أنه كان يوجد العديد من أنواع الدقيق أهمها دقيق القمح والشعير والذرة علاوة على دقيق الأرز والعدس والحمص والجلبان وكذلك الفول الذى كان يستخدم في تخمير وجه الخبز، أما دقيق الحمص والأرز فهما يثقلانه وينفخانه . (أنظر السقطى ص ٢٩) ويضيف ابن وافد أن الخبز كان يصنع أحيانا من دقيق الشعير المضاف إليه زيت وملح وكزبرة يابسة،
Vallicrosa, tratado, p. 314.

(٦) ابن غالب، ص ٢٩٠، ابن سعيد، المغرب، جـ ١، ص ٤٠٣ .

الفاضل البديع [1] .

وكان دبغ الجلود يتم عادة خارج أبواب المدينة حتى لا تؤذى السكان رائحتها الكريهة كما هو الحال فى قرطبة وغرناطة وطليطلة [2] .

وقد تقدمت الصناعات الجلدية فى الأندلس ، فقد اختصت مالقة بصناعة الجلود [3] ، فكانت تصنع من جلود الحيوانات المتوفرة بالأندلس [4] مثل الغزلان والأيل وحمار الوحش الكثير من النعال والأقراق وهى خفاف تصنع من الجلد والفلين وتلبس صيفا [5] . وقد احتفظت بعض المدن الأندلسية بهذه الحرف بهد حركة الاسترداد المسيحى ، ففى وثائق تقسيم إشبيلية (المعروف فى الأسبانية بـ El Repar-timiento يرد ذكر لشوراع تسمى Chapines أى الأحذية النسائية [6] .

وتنص كتب الحسبة الأندلسية على ضرورة مراقبة العاملين بصناعة الجلود ودبغها ، فابن عبد الرؤوف يذكر أنه من واجبات المحتسب منع الجلادين من بيع جلود الميتة نية ، وأنه لابد من بيعها مدبوغة للانتعال والطحين عليها ، كما يشترط أن تكون نعال الأقراق من الجلد البقرى المبلول بالغراء [7] ، كذلك يشدد السقطى المالقى على

---

(1) ابن غالب ، ص ٢٩٢ .

(2) انظر: العـذرى ، ص ١٢٢ ؛ ابن بشكوال ، الصلة ، ق ٢ ، ص ٤٦٠ ، رقم ٩٨٣ ؛ ابن الكردبوس تاريخ الأندلس ، ص ١١٨ ؛ ليفى بروفنسال ، الاسلام فى المغرب والأندلس ، ص ٦٦ .

(3) الزهرى ، الجغرافيا ، ص ٩٣ ؛ صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢١٩ .. وتجدر الاشارة إلى أن مالقة اشتهرت أيضا بجلد السفن ، وهو جلد خشن غليظ كجلود التماسيح كانت تتخذ منه مقابض السيوف . أنظر (الاصطخرى ، المسالك ، ص ٣٥) .

(4) ابن عبد الرؤوف ، رسالة فى الحسبة ، ص ١٠٣ ، السقطى ، ص ٦٣ ، ابو الفدا ، تقويم البلدان ص ١٦٧ ، المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٨٤ – ١٨٥ .

(5) السقطى ، ص ٦٣ – ٦٤ ، محمود مكى ، مدريد العربية ، ص ٨٤ ،

Levi - provençal, hist., del'Esp., t. III, p. 424.

(6) Pedro Chalmeta, El Senor del Zoco en Espana, Madrid; p. 189.

(7) انظر : ابن عبد الرؤوف ، ص ١٠٢–١٠٣ . والملاحظ أن إسم القراقين قد ورد أيضا فى=

عدم خلط جلد العنز مع جلد الشاه في قرق أو جراب [1] .

٦ - الصناعات الخشبية :

تعتبر صناعة السفن من أهم الصناعات الخشبية التي ازدهرت في الأندلس . وكانت السفن تنشأ في دار الصناعة التي سميت أيضا بدار صناعة القطائع أو دار صناعة الأسطول ، ومهمتها صناعة السفن وإصلاحها ، وتحوى أيضا كل الآلات والأدوات اللازمة للملاحة كالألواح والحبال والمراسى (الأناجر الحديدية) والسلاسل والقرايا [2] .

وقد تعددت دور الصناعة في الأندلس في عصر دولتي المرابطين والموحدين ,أهمها دار صناعة المرية التي كانت تؤوى في هذا العصر مالا يقل عن مائة جفن على حد قول الزهرى الذى عاش في العصر المرابطى [3] . وكانت مدينة المرية في

بعض الوثائق المحفوظة بكاتدرائية وشقة . أنظر :

(Boch Vila, los documentos arabes del archivo Catedral de Huesca, Revista dil insti tuto egipcio, Madrid, 1957, ppp 24 - 25 , N. I)

(١) السقطى ، ص ٦٣ . وتنبغى الاشارة إلى أنه مع بداية العصر المرابطى في الأندلس بدأ يصنع أيضا إلى جانب الأحذية والاقراق الدرق اللمطية التي كانت تصنع من جلود حيوان اللمط ، وهو من الحيوانات التي كانت تجلب من بلاد المغرب والسودان .

(٢) انشر . عبد العزيز سالم ، العمارة المدنية بالأندلس ، دائرة معارف الشعب ، عدد ٦٤ ، ص ١٤٦ .

Torres Balbas, Atarazanas hispano - musulmanas, Al - Andalus, Fasc. I, vol. XI 1946, p. 176 & Robles, Malaga musulmana,p 327.

ونلحظ أن الكلمة الأسبانية Atarzaana مشتقة عن العربية « دار الصناعة » .

(٣) الزهرى ، الجغرافية ، ص ١٠١ ، المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٥٣ . أما كلمة الجفن (الجمع أجفان) — والتي وردت بالمتن — فكانت تطلق في الأندلس على السفن عامة أى يقصد بها قطع الأسطول على اختلاف أنواعها . أنظر (درويش النخيلى ، السفن الاسلامية على حروف المعجم الطبعة الثانية ، دار المعارف ، ١٩٧٩ م ، ص ٢٣ — ٢٥) .

عصر المرابطين من أهم قواعد البحرية فى الأندلس ، ووجه المرابطون للأساطيل عناية كبيرة ، واستعانوا بالخبراء الأندلسيين فى هذا المجال ، وبذلك تمكنوا من حماية سواحل الأندلس من الخطر المسيحي الأسبانى ، والسيطرة البحرية على منطقة غرب البحر المتوسط ، وشن الغارات البحرية على السواحل الأوربية المسيحية (١) .

ومن بين دور الصناعة التى أقيمت منذ عصر الخلافة فى الأندلس دور صناعة الجزيرة الخضراء (٢) وشلب (٣) ودانية التى كان ينشأ بها السفن الكبار والمراكب الصغار (٤) ، ولقنت التى اشتهرت بصناعة المراكب السفرية والحراريق (٥) ، وطرطوشة التى اختصت بالمراكب الكبار المصنوعة من خشب الصنوبر الذى ينمو بجبالها (٦) ، وكذلك قصر أبي دانس (٧) وشنتمرية الغرب (٨) وشلطيش (٩) ، كما أنشئت دار لصناعة السفن بإشبيلية منذ عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط وتجددت فى عهد الخليفة الموحدى يوسف بن عبد المؤمن سنة٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م (١٠) ،

---

(١) عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية ، ص ٤٩ - ٥٠ ، مختارالعبادى ، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٢١ ؛

H. Miranda, Hist., musul., de Valencia, t. III, p. 114 .

(٢) الإدريسى ، ص ١٧٦ ؛ الحميرى ، ص ٧٤ ،

VallvEé, la industria, p. 222.

(٣) الادريسى ، ص ١٨٠ ، الحميرى ، ص ١٠٦ .

(٤) الإدريسى ، ص ١٩٢ ؛ الحميرى ، ص ٧٦ ،

H . Miranda, op. cit , t. III. p. 115 .

(٥) الإدريسى ، ص ١٩٣ ، الحميرى ، ص ١٧٠ .

(٦) الإدريسى ، ص ١٩٠ ؛ الزهرى ، ص ١٠٣ ، الحميرى ، ص ١٢٤ .

(٧) الحميرى ، ص ١٦١ .

(٨) الحميرى ، ص ١١٥ .

(٩) الحميرى ، ص ١١١ .

(١٠) ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص ٤٨١ ؛ عبد العزيز سالم ، العمارة المدنية ، ص ١٤٦ .

كذلك وجدت دور صناعة فى مالقة [1] وفى جزيرتى يابسة وميورقة [2] . وقد واصلت صناعة السفن ازدهارها فى صعر دولة الموحدين ، فيذكر ابن خلدون أنه « لما استفحلت دولة الموحدين فى المائة السادسة وملكوا العدوتين أقاموا خطة هذا الأسطول على أتم ما عرف وأعظم ما عهد وانتهت أساطيل المسلمين على عهده (يقصد عبد المؤمن) فى الكثرة والاستجادة إلى ما لم تبلغه من قبل ولا بعد فيما عهدناه [3] » .

ويشير ابن أبى زرع أيضا إلى اهتمام الخليفة عبد المؤمن بتلك الصناعة فيذكر أنه فى سنة ٥٥٧ هـ / ١١٦٢ م أمر الخليفة بإنشاء الأساطيل فى جميع سواحل بلاده لجهاد النصارى ، وبنى أربعمائة سفينة منها ثمانون صنعت بالأندلس [4] . وفى عهد الخليفة يعقوب المنصور بلغ من قوة الأسطول الموحدى أن طلب الناصر صلاح الدين يوسف من الخليفة المنصور إعانته بالأساطيل لمنع وصول إمدادات الصليبيين إلى مدنهم بساحل الشام [5] .

---

(١) يذكر الباحث الاسبانى روبلس أن دار الصناعة بمالقة كانت تقع عند السوق الحالى ، وأنه ما زال إسمها يطلق على أحد المواضع بالمدينة . ومن ناحية أخرى يرجح الدكتور عبد العزيز سالم أن دار صناعة مالقة ترجع إلى عصر بنى الأحمر ملوك غرناطة . (سالم ، مادة مالقة ، دائرة معارف الشعب ، عدد ٦٤ ؛

Robles, Malaga musul., p. 327.

(٢) الحميرى ، ص ١٩٨ ؛

T. Balbas, Atarzanas, p. 186.

(٣) انظر : مقدمة ابن خلدون ، ص ١٥١ ؛ المنونى ، العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين ص ٢٥٣ – ٢٥٤ .

(٤) روض القرطاس ، ص ١٤١ ، السلاوى ، الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٢٨ .

(٥) انظر . مجهول ، الاستبصار فى عجائب الأمصار ، نشر د . سعد زغلول عبد الحميد ، الاسكندرية ، ١٩٥٨ ، ص ١٠٧ ، عبد العزيز سالم ومختار العبادى ، تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والأندلس ، الاسكندرية ، ١٩٨١ ، ص ٢٧٨ – ٢٧٩ ، سعد زغلول عبد الحميد ، العلاقة بين صلاح الدين ويعقوب المنصور ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، م ٦ – ٧ سنة ٥٢ – ١٩٥٣ ، ص ٩١ ؛ أرشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارية ، ص ٣٩٩ .

وتورد المصادر العربية العديد من أنواع السفن التي كانت تنشأ بدور الصناعة الأندلسية في عصر المرابطين والموحدين ومنها الأغربة [(١)] والشواني [(٢)] والطرائد [(٣)] والحراقات [(٤)] والقوارب [(٥)] والمراكب الحمالة [(٦)] .

وتجدر الإشارة إلى أن صناعة السفن حظيت بإهتمام ولاة الحسبة الأندلسيين ، فيذكر السقطي أن بناء سفينة كبيرة كان يحتاج إلى أربعين ربعا من المسامير ذات الأنواع المختلفة وثلاثين ربعا من البياض أى القار وتسعة أرباع من الكتان (٧) ، علاوة على أخشاب الصنوبر الجيدة اللازمة لتلك الصناعة .

ومن الصناعات الخشبية الهامة صناعة أدوات البناء مثل الأبواب والشبابيك والسماوات والجوائز الخشبية اللازمة لأسقف المنازل والشراجيب والكوابيل ، هذا

---

(١) المن بالامامة ، ص ٢٥٢ ، ابن عذارى ، نفسه ، القسم الموحدى ، ص ١٠٩ ، والغربان أو الأغربة (مفردها غراب) سميت كذلك لأنها كانت تطلي بالقار ، وهي من المراكب الحربية التي تسير بالقلع والمجاديف ومنها الصغير والكبير . أنظر (عبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية الاسلامية فى مصر والشام ، جـ ١ ، ص ١٣٢ ؛ درويش النخيلي ، السفن الاسلامية ، ص ١٠٤) .

(٢) ابن سعيد ، المغرب ، جـ ٢ ، ص ٣٠١ رقم ٥٥٠ . والشواني (مفردها شيني) هى السفن الحربية الكبيرة . ويعتبر الشيني هو الأصل الذى يتفرع منه أسماء السفن الحربية الأخرى . أنظر (سالم ، نفسه ، ص ١٣٢ ؛ النخيلي ، نفسه ، ص ٨٣) .

(٣)المقرى ، نفح ، جـ ٦ ، ص ٢١٢ . والطرائد (مفردها طريدة وطرادة وتطريدة) كانت تستعمل فى المغرب والأندلس لتكون هى سفينة القائد الزعلي فى الأسطول الحربي . كما استخدمت فى التجارة البحرية . أنظر (النخيلي ، نفسه ، ص ٨٩ – ٩١) .

(٤) الحراقات أو الحرايق نوع من السفن الحربية والتي تقوم بإحراق سفن العدو بالنفط . أنظر (الإدريسي ، ص ١٩٣ ، سالم ، نفسه ، جـ ١ ، ص ١٣٤ ؛ النخيلي ، نفسه ، ص ٣٢ – ٣٣) .

(٥) القوارب من السفن الصغيرة التي استخدمت في الأنهار للنزهة والصيد . أنظر (ابن عذارى ، نفسه ، القسم الموحدى ، ص ١١١ ؛ النخيلي ، نفسه ، ص ٥٩) .

(٦) الادريسي ، ص ١٧٩ . والمراكب الحمالة – وتعرف فى المشرق بالمسطحات (جمع مسطح) كانت تحمل الأسلحة للأسطول . (سالم والعبادى ، تاريخ البحرية ، جـ ١ ، ص ١٣٦) .

(٧) أنظر : السقطي ، آداب الحسبة ، ص ٧٢ ؛

Vallvé, la industria, p. 223.

بالإضافة إلى صناعة الأثاث مثل الأسرة والصناديق والأرائك وغير ذلك من الأثاث الخشبي الذى كان يطعم أحيانا بالعاج أو يرصع بالذهب والأحجار الكريمة خاصة لدى الطبقات المترفة . وقد اختصت المرية بصناعة الآثاث (١) ، بينما اشتهرت مرسية بصناعة الأسرة المرصعة وآلات العروس (٢) ، أما حصن قيشاطة فكان يصنع به الأطباق والقصاع الخشبية (٣) ، كما استخدم الخشب المجلوب من حصن قلصة قرب قونكة فى صناعة أسقف المنازل بيلنسية (٤) ، كما صنعوا القسى من خشب الطخش المتوفر بجبل شقورة بكورة جيان (٥) .

كذلك كان يصنع من الخشب مقابض الآلات الحربية كالفؤوس والسهام والنشاب ، هذا بالإضافة إلى أدوات الحصار مثل السلاليم التى كانت تستخدم عند إقدام المسلمين على حصار المدن (٦) .

ومن التحف المصنوعة من الخشب بعض أثاث المسجد كصناعة المنابر التى اختصت بها قرطبة وكراس المصاحف والمقاصير مشرفة الذروة (٧) ، ويذكر ابن صاحب الصلاة أن منبر جامع إشبيلية صنع من أكرم الخشب مفصلا منقوشا مرقشا محكما بأنواع الصنعة والحكمة فى ذلك ، مرصعا بالصندل مجزعا بالعاج والأبنوس يتلألأ كالجمر بالشعل وبصفائح من الذهب والفضة ، كما صنعت المقصورة من

---

(١) الزهرى ، ص ١٠٢ ،

Levi - provencal, hist. de l'Esp., t. III, p. 415.

(٢) المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٨٧ .

(٣) الإدريسى ، ص٢٠٣ . وحصن قيشاطة من أعمال كورة جيان . (الحميرى ، ص ١٦٥) .

(٤)الإدريسى ، ص ١٩٥ .

(٥) انظر . الحميرى ، ص ١٩٥ .

(٦) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ١٣٤ . وتجدر الاشارة إلى أن الموحدين استخدموا السلاليم أثناء غزوة شنترين سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م فى عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن . أنظر (ابن عذارى ، نفسه ، ص ١٣٤) .

(٧) عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، جـ ٢ ، ص ١٤٦ - ١٤٧ .

أجود أنواع الأخشاب [1] .

٧ - صناعة علب العاج :

برع الأندلسيون في فن صناعة العلب والصناديق العاجية ، فالعلب لحفظ الطيوب كالمسك والعنبر ، الصناديق لصيانة حلى نساء طبقة الخاصة في مجتمع الأندلس أمثال أمهات أولاد الخلفاء والأمراء وجواريهم ونساء الوزراء والقادة وكبار رجال الدولة [2] .

والملاحظ أن معظم هذه التحف العاجية تحمل نصوصا تاريخية تتضمن إسم من صنعت له التحفة وتاريخ صنعها وإسم الصناع وأحيانا المكان الذى صنعت فيه ، وهي تكشف لنا في الحقيقة بأشكالها وزخارفها الدقيقة عن روعة الفن الإسلامي في الأندلس [3] .

وتتخذ التحف العاجية سواء أكانت صناديق مستطيلة الشكل ذات أغطية مسطحة أو على شكل هرم ناقص أو علب اسطوانية ذات غطاء مقبب قطاعا عرضياً من ناب الفيل [4] .

ولا تزال بعض علب العاج محفوظة بكارتدرائيات أسبانيا ، فمن عصر الموحدين : صندوق من الخشب المغطى بصفيحة رقيقة من العاج - كانت تحتفظ به كنيسة سان إسيدورو في ليون ، وانتقل الآن إلى متحف الآثار الأهلي بمدريد ، وعلى

---

(١) المن بالامامة ، ص ٤٧٨ ؛ سالم ، الفنون والصناعات ، ص ١٧٨ - ١٨٠ ؛ توريس بالباس الفن المرابطي والموحدي ، ص ٥٩ ؛

Vallvé, la industria, p. 224.

(٢) سالم ، الفنون والصناعات ، ص ١٨٢ ؛ جومث مورينو ، الفن الاسلامي في أسبانيا ، ص ٣٥٥ .

(٣) عبد العزيز سالم ، الفنون والصناعات ، ص ١٨٢ ، عبد العزيز مرزوق ، التحف المصنوعة من العاج ، مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة ، مجلد ١٧ ، جـ ٢ ، ص ١٩٥٥ م ، ص ١ - ٢ .

(٤) مورينو ، الفن الاسلامي ، ص ٣٥٥ ، سالم ، نفسه ، ص ١٨٢ ؛ مرزوق ، نفسه ، ص ٢ .

الصندوق نقش نسخي يتضمن اسم الصانع وهو محمد بن السراج ، واسم الشخص الذى له وهو أبو الحسن [1] . وهناك أيضا صندوق كاتدرائية طرطوشة وهما متماثلان فى الصناعة ، ولكن الزخارف تتألف من رسوم داخل دوائر ، ويتشابهان مع التحف العاجية بقرطبة فى أن الزخارف الحيوانية والآدمية تنحصر داخل هذه الدوائر كما يتشابهان فى موضوعات الزخرفية ، ولم يستخدم العاج فى ترصيع زخرفة هذين الصندوقين وإنما استعمل العظم الملون . أما النقش الكتابى فيقتصر فى الصندوق الأول علـى كلـمتى اليمن والإقبال ، وفى الثانى على كلمات « شكل بديع ، مسكنى دار » وكذلك « العز ، الخلافة [2] » . كما يوجد صندوق آخر فى كاتدرائية ليون مصنوع من خشب الصنوبر ومرصع بقشرة من العاج ويرجع إلى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى [3]) .

٨ - صناعات أخرى :

وجدت بالأندلس صناعات أخرى قوامها الثروة الزراعية والغابية والحيوانية منها ما يلى :

(أ) صناعة تجفيف الفاكهة :

اشتهرت بتجفيف العنب وعمل الزبيب كل من إشبيلية والمنكب وقرية شاط (قرب المنكب) ويابسة [4] ، بينما اختصت سرقسطة بتجفيف التين والإجاص

---

(١) سالم ، نفسه ، ص ١٨٤ ،

José Ferrandis, Marfiles Arabes de occidente, t. II, Madrid, 1940. pp. 258 - 259.

(٢) عبد العزيز سالم ، الفنون والصناعات ، ص ١٨٤ ،

Ferrandis, op . cit , pp. 260 - 261,.

(٣) Ferrandis, op. cit. 264 .

(٤) انظر ، الإدريسى ، ص ١٩٩ ، الزهرى ، الجغرافية ، ص ١٢٨ - ١٢٩ ؛ نفح ، جـ ١ ، ص ١٨٦ ، جـ ٤ ، ص ٢٠٦ .

والخوج والعنب وحب الملوك [١] ، وبرع أهل مالقة وشلب فى تجفيف التين [٢] .

ب - صناعة الحصر :

عرفت الأندلس الحصر التى تكسو الحيطان أو تفرش على الأرض بالمنازل والمساجد ، فيذكر الشقندى أن مرسية اختصت بالحصر الفتانة المبهجة للنظر [٣] ، كما برع أهل مجريط فى تلك الصناعة التى كانت تعتمد على نبات الحلفاء [٤] .

جـ - صناعة الخل :

عرف أهل الأندلس صناعة الخل للطبخ وغيره من أمور الصيدلة ، وكان الخل الأبيض يصنع من العنب الأبيض المتناهى فى الحلاوة الخالص الذى لم يدخله ماء ، مما يساعد على إكساب الأطعمة مذاقياً طيباً يستلذ به [٥] .

وبالإضافة إلى ما سبق كانت هناك صناعة الأدوات الموسيقية فى إشبيلية [٧] ، وصناعة الطيب من الآس والنرجس والورد والمسك وغيره [٧] ، وصناعة الشموع من الشحم أو شمع العسل وذلك لأغراض الإضاءة [٨] ، كما برع الأندلسيون فى صناعة

---

(١) الزهرى ، ص ٨١ ،
René Basset, Description de l'Espagne, p. 628.

(٢) الإدريسى ، ص ١٨٠ ، ٢٠٠ ؛ الحميرى ، ص ١٧٨ ؛ المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٤٥ ، جـ ٤ ، ص ٢٠٥ .

(٣) المقرى ، نفح ، جـ ٤ ، ص ٢٠٧ . وتذكر كتب الحسبة أن الحصر كانت تصنع من الحلفاء الطويلة . أنظر (ابن عبد الرؤوف ، رسالة فى الحسبة ، ص ١٠٢ ؛ السقطى ، آداب الحسبة ، ص ٦٤) .

(٤) الحميرى ، ص ١٠١ ، محمود مكى ، مدريد العربية ، ص ٨٣ ،
Levi - provençal, histoire, t. III, p. 414.

(٥) مجهول ، كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس فى عصر الموحدين ، ص ٨٢ .

(٦) المقرى ، نفح ، جـ ٤ ، ص ٢٠٠ .

(٧) ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ١٠٧ ترجمة رقم ٤٢ ، المقرى ، نفسة ، جـ ١ ، ص ١٨٥ .

(٨) Levi - provencal, histoire, t. III, p. 416.

الحلوى والمجبنات [1] خاصة في شريش ومالقة وقرطبة وإشبيلية [2] ، كذلك اشتهرت المنكب وغرناطة وإشبيلية بصناعة السكر [3] .

ثانيا : الصناعات القائمة على التعدين :

١ - صناعة الفخار والخزف :

من المعروف أن التحف الفخارية تتخذ عادة من طينة معينة ولا تكسى قط بطبقة زجاجية ، والفخار أقدم وجوداً من الخزف الذى يصنع أيضا من الطين ولكنه يزجج أى يغطى بطبقة من مادة الزجاج الذائب [4] .

وقد اشتهرت الأندلس بهذه الصناعة وتقدمت تقدماً تشهد به جودة إنتاج التحف الفخارية والخزفية وكثرته وتوافرها فى شتى أنحاء البلاد ، من ذلك أندراش بكورة غرناطة التى يذكر القلقشندى عنها أنها تختص بالفخار لجودة تربتها ويضيف بأنه « ليس فى الدنيا مثل فخارها للطبخ [5] ، وكذلك يشير الحميرى إلى أن مجريط كان بها « تربة يصنع منها البرام (أى القدور الفخارية) وتستعمل على النار عشرين سنة لا تنكسر ، وما طبخ فيها لا يكاد يتغير فى حر الهواء [6] » كما كان يصنع بمجريط أنابيب المياه الفخارية التى اشتهرت بها [7] ، كذلك برع أهل مالقة فى

---

(١) المجبنات نوع من الفطائر أو القطائف المحشوة بالجبن ، وكانت تقلى فى الزيت . أنظر (السقطى ، ص ٣٦ - ٣٧ ؛ مجهول ، الطبيخ ، ص ١٩٩) .

(٢) مجهول ، نفسه ، ص ٢٠٠ ، المقرى ، نفسه ، جـ ١ ، ص ١٧٢ .

(٣) الحميرى ، ص ٢١ ، ٢٤ ؛ القلقشندى ، صبح الاعشى ، جـ ٥ ، ص ٢١٨ .

(٤) انظر : عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الاسلامية فى المغرب والأندلس ، طبعة بيروت ، بدون تاريخ ، ص ١٠٠ .

(٥) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٢١ .

(٦) الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس من الروض المعطار ، ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(٧) محمود مكى ، مدريد العربية ، ص ٨٢ . وقد أشار مهندسو القنوات الجوفية فى مدريد خلال القرن ١٨ م إلى تميز هذه الأنابيب الفخارية بأنه لا يصيبها الفساد ولا يلحقها الطحلب الذى يمكن أن يغير طعم الماء أو يشوب نقاءه . (مكى ، نفسه ، ص ٥٩ - ٦٠) .

صناعة الأوانى الفخارية [1] .

ونلاحظ كثرة ورود لفظة « الفخارين » فى طبوغرافية مدن الأندلس ، ويقصد بالفخارين حومة (حى) تخصص أهلها فى صناعة الفخار ، وكانت تقع عادة بعيداً عن قلب المدينة أى عند الأبواب ، لأن صناع الفخار يحتاجون بحكم طبيعة عملهم إلى مكان فسيح ، كما فى قرطبة وغرناطة ومالقة وإشبيلية [2] .

وكان المحتسبون يهتمون بمراقبة الفخارين ، فيذكر ابن عبد الرؤوف ضرورة أن « يؤمر الفخارين بتسييل ترابهم وتطييبه وأن يقللوا فيه من الرمل [3] » ويضيف السقطى « ويتفقد بائعى الفخار ألا يرموا المعيب إلا ببياض ومسحوق الخزف والجيار والرماد فإن منهم من يدلس ويعمل ذلك بادم ، ويأمر عملته أن يوسعوا أفواه أقداح الوضوء ليتمكن من أغتراف الماء منها ، ويوسعوا قيعان القلال ويوطئوها لئلا تقع [4] » .

أما صناعة الخزف فقد ازدهرت كذلك فى الأندلس وتعددت مواطنها ويؤكد ذلك الروايات التاريخية والحفائر الأثرية ، فالإدريسى يشير إلى أن قلعة أيوب كان يصنع بها الغضار المذهب ، وتصدره إلى جميع الأنحاء [5] ، كما كان يصنع بمالقة الفخار

---

(١) المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٨٧ ؛

Robles, Malaga musul., p. 340 .

(٢) ابن بشكوال ، الصلة ، ق ١ ، ص ٣٠٦ ترجمة ٦٧٥ ، ق ٢ ، ص ٣٤ ترجمة ٩٣٠ ؛ ابن الابار ، التكملة ، جـ ٢ ، ص ٤٢٤ ترجمة ١٢١٦ ؛ السقطى ، ص ٦٧ ؛ بروفنسال ، الاسلام فى المغرب والأندلس ، ص ٦٦ ؛

Robles, Malaga musul ., p. 340. & Chalmeta, El Senor del zoco, p. 163.

وقد ذكر روبلس أنه عثر بمالقة عند سور ربض فنتالة على بقايا كثيرة من القدور الإسلامية . انظر (Robles, Idem) .

(٣) ابن عبد الرؤوف ، رسالة فى الحسبة ، ص ١١٢ .

(٤) السقطى ، كتاب آداب الحسبة ، ص ٦٧ .

(٥) الإدريسى ، ص ١٨٩ ؛ الحميرى ، ص ١٦٣ .

المذهب العجيب الذى يجلب منها إلى أقاصي البلاد [1] ، كذلك اختصت مرسية والمرية بصناعة الخزف المذهب [2] .

وقد أمدتنا الحفائر الأثرية بعد أنواع من الخزف الأندلسى نذكر منها : الخزف ذا الزخارف البارزة ، ومثال ذلك جرة تحمل زخارف وآيات قرآنية وأسماء خاصة ، عثر عليها فى سوق بلنسية المركزى فى سنة ١٩١٩ م [3] ، كما عثر على قصعات وجرة كاملة وجزء كبير من إبريق وكلها ترجع إلى الفترة من القرن الخامس إلى السابع الهجرى (١١ - ١٣ م [4]) ، والنوع الثانى هو الخزف الذى يزدان بزخارف مدهونة بأكسيد المنجنيز [5] ، والثالث خزف مطلى بالإنجوبى وهى مواد ترابية تذوب فى الماء ولا تتحول إلى زجاج بفعل النار ، إنما تفيد فى إكساب اللون الأصفر والأخضر بريقا [6] ، والرابع هو الخزف المطلى بأكسيد الرصاص ، وكان معروفا فى أسبانيا فى العصر الرومانى ، وكان يحصل على هذا الطلاء من كبريتيد الرصاص [7] ، وهناك نوع خامس يسمى الخزف ذا الفواصل الجافة ، وقد اختصت به الأندلس ، وترسم الزخارف فيه تحت الطلاء الزجاجى ، وقوامها العناصر النباتية أو الطيور أو العناصر الهندسية أو الكتابات العربية ، ويمتاز بطريقة مبتكرة فى التزجيج لم يعرفها الشرق

---

(١) ابن سعيد ، المغرب ، جـ١ ، ص ٤٢٤ ؛ ابن بطوطة ، الرحلة المسماة تحفه النظار ، جـ٤ ، طبعة باريس ، ص ٣٦٧ ؛ المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٨٧ .

(٢) نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٨٧ .

(٣) انظر :

Gonzalez Marti, Ceramica del Levante esanol, Barcelona 1944 pp. 40 - 41 ; Felipe Mateuy llopes, Hallazgos Ceramicos en Valencia, Al - Andalus, vol., XVI, Madrid, 1951, p. 166.

(٤) Felipe Mateu, op. cit., p. 166.

(٥) G. Marti, op. cit., p. 41.

(٦) مورينو ، الفن الإسلامى ، ص ٣٦٩ - ٣٧١ ؛

G. Marti, Ibid, p. 42.

(٧) G. Marti, Ibid, p. 45.

الإسلامي وتعرف إصطلاحا باسم « طريقة الفواصل الجافة » (في الأسبانية Cuer da Seca) وهي تعني أن الإناء بعد تشكيله لم يكن يزجج كله مرة واحدة بلون واحد ، بل كان يقسم رلى أقسام يزجج كل منها بلون خاصة ويفصل كل لون عن الآخر حز عميق ثم يسوى في الفرن بعد عملية الترجيج [١] . والنوع السادس الخزف المطلى بالإنجوبي الأبيض وتعلوه زخارف ملونة باللونين الأخضر والبنفسجي وتكسوه طبقة زجاجيـة [٢] ، والسابع خزف ذو طلاء قصديرى [٣] ، والثامن خزف مطلى باليشب (اليصب [٤]) .

وقد أسفرت الحفائر الأثرية في بعض المدن الأندلسية عن أنواع مختلفة من الخزف الأندلسي يرجع تاريخها إلى عصر دولتي المرابطين والموحدين ، ففي مدينة طلبيرة عثر بجوار دير سـان أغسطين ، (San Agustin) غير بعيد من القصبة القديمة ، على مجموعات من الخزف رومانية وإسلامية ، وبالنسبة للخزف الإسلامي عثر على أمثلة منه على عمق ١٨٠ سم من سطح الأرض ، وهي قطع تختلف فيما بينهـما من حيث الأسلوب الفني ، ويمكن ارجاعها إلى عصر الخلافة وعصر دولة المرابطين [٥] . كما عثر في مالقة على قطع من أوانٍ خزفيـة تزدان بزخارف وترجع إلى عصـر دولة المرابطين ، وقـطع أخرى من الخزف المحزوز ترجع إلى عصـر دولة الموحدين [٦] .

---

(١) انظر : مرزوق ، الفنون الزخرفية ، ص ١٠٥ ؛ مورينو ، الفن الإسلامي ، ص ٣٨٤ .

(٢) C. Marti, Ceramica del Levante, 53.

(٣) Marti, op. cit, p. 56.

(٤) Marti, ibid, p. 56.

واليشب أو اليصب (Jaspe) من الأحجار الكريمة وهو نوعان : أبيض وأزرق . أنظر (أبيقانوس، رسالة في الزحجار الكريمة ، ص ١١٧ ؛ عبد الرحمن زكي ، الأحجار الكريمة ، ص ١١٤) .

(٥) Basilio Pavon, Cermeíca islamica en talavera de la Reina, Al - Qantara, vol, Madrid, 1980. p. 401.

(٦) بالباس ، الفن المرابطي والموحدى ، ص ٦١

وكانت بطرنه ومنتيشة (أنيشة) من أهم مراكز صناعة الخزف فى منطقة بلنسية خاصة والأندلس بصفة عامة ، فقد عثر فى بطرنة على أنواع مختلفة من الخزف يمتاز من بينهما نوع نوع ذو زخارف مرسوعة بالأخضر والبنى الأرجوانى القاتم على أرضية بيضاء اللون ، وتتكون زخارف خزف بطرنة من رسوم تجريدية لحيوانات وطيور ترجع إلى القرن ١٣ م / ٧ هـ ، ١٤ م / ٨ هـ . أما منتيشة فقد امتازت بإنتاج الأوانى والطيافير والقدور البرميلية [١] .

وتبغى الإشارة إلى أن صناعة الخزف ظلت مستمرة فى منطقة بلنسية بعد خروج المسلمين منها فبعد أن استولى خايمى الأول ملك أرغون على المدينة أصدر قانونا سنة ٦٤٦ هـ . ١٢٤٨ م يمنح فيه المسلمين من صناع الخزف فى مدينة شاطبة حق الاستمرار فى مزاولة أعمالهم ، مما يوضح مدى إزدهار تلك الصناعة وأهميتها ، الأمر الذى دفع الملك إلى رعايتها [٢] .

والحقيقة أن الإقبال على إقتناء خزف بلنسية كان عظيما فى العصور الوسطى ، ويؤكد هذا ما عثر عليه من أمثلة عديدة منه فى مواضع مختلفة من أوربا والشرق وصلت إليها عن طريق التجارة أو الإهداء [٣] .

٢ - فنون العمارة أو صناعة البناء :

اهتمت كتب الحسبة الأندلسية بفنون البناء لأهميتها بالنسبة لحياة الناس ، وأوضحت أنه يجب تحصينها وحفظها والنظر فى كل ما تحتاجه من العديد ومواد البناء من الأخشاب والآجر والقراميد والجير والجبس والمسامير وغير ذلك . فيذكر ابن

---

(١) انظر : ديماند ، الفنون الاسلامية ، ترجمة أحمد عيسى ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، ١٩٥٨ ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ ؛

G. Marti, op. cit, p. 99.

(٢) مرزوق ، الفنون الزخرفية ، ص ١٠٨ .

(٣) مرزوق ، نفسه ، ص ١١١ .

عبدون – الذى عاش فى العصر المرابطى – ضرورة الاهتمام بالحوائط ، وأن تكون الأخشاب المستخدمة من النوى الغليظ القوى « وأن تكون الآجر وافرة » ، وأوضح ضرورة صنع القراميد والآجر خارج أبواب المدينة وأن يجاد طبخها ، وألا يستعمل الطوب حتى يبيض ، كما نصت كتب الحسبة على ضرورة قيام المحتسب وعرفاء البناء بمراقبة أعمال البناء والتشييد [1] .

وبفضل الحفائر الأثرية أمكننا التعرف على شكل الدار الأندلسية فى عصر المرابطين ، وذلك بفضل بقايا الدور التى عثر عليها عند قصبة مالقة ، والغالب أن هذه الدور كان يشغلها حراس القصر وخدمه ، وكان لكل دار دهليز وصحن صغير مربع عثر فيه بإحداها على بقايا مرحاض بداخله مصطبة وبلوعة ومسارب ، قد أحسن اختيار مكانه بجعله مصاقبا للدرب ، وروعى عزله عن سائر الدار بوضعه فى نهاية ممر ، هذا فضلا عن مجارٍ تمتد بأسفل البلوعات لتصريف مياه الأمطار المتساقطة فى الصحون [2] .

ونظرا لاصطباغ دولة المرابطين منذ قيامها بالصبغة الدينية فقد اهتم أمراؤها بالأبنية الدينية لاسيما المساجد ، فيشير ابن عبدون إلى أنه « يجب أن يكون له (أى للمسجد) بناء راتب يبحث عن إصلاح ما فيه أبدا ، إذا وهى بنايه يبنيه [3] » ، كما اهتموا ببناء الأسوار حول المدن الأندلسية خاصة بعد غزوة ألفونسو المحارب ملك أرغون

---

(١) ابن عبدون ، رسالة فى القضاء والحسبة ، ص ٣٤ – ٣٥ . وتجدر الاشارة إلى أن ابن العطار قد أوضح أن الأندلسيين استخدموا منذ العصر الأموى الطوب والطوابى فى أعمال البناء ، (الوثائق ، ص ١١٧) ، ويذكر ليفى بروفنسال – نقلا عن مخطوط الاعلام بأحكام البنيان لابن الرامى الأندلسى الأصل والتونسى الموطن – أن فن البناء كان يحتاج إلى بنائين من ذوى الخبرة والتجربة ، كما يحتاج إلى نجارين مهرة ، ويضيف بأنه كان يوجد فى المغرب والأندلس فى العصر الاسلامى أفران لباعة الجير (الكلس) والجص (الجبس) . أنظر :

Levi - provençal, Espana musulmana, t. v, p. 182.

(٢) انظر : توريس بالباس ، الفن المرابطى والموحدى ، ص ٣٤ .

(٣) ابن عبدون ، رسالة فى القضاء والحسبة ، ص ٢١ .

وغارته التخريبية على المدن الشرقية والجنوبية الشرقية سنة ٥١٩ - ٥٢٠ هـ / ١١٢٥ - ١١٢٦ م فى عهد أمير المسلمين على بن يوسف المرابطى ، إذ اضطر المرابطون على أثرها إلى فرض ضريبة على مدن الأندلس الهامة تعرف بالتعتيب أو التعطيب كان يخصص دخلها لإقامة أسوار جديدة وترميم الأسوار القديمة (١) .

وكان لبناء الأسوار أهمية كبيرة لحماية المدن من الغارات النصرانية المفاجئة وكذلك لوقايتها من السيول الجارفة إذا كانت تقع على الأنهار مثل إشبيلية . وكانت مواد البناء تتكون عادة من الحجارة والآجر وملاط من الجير والكلس (٢) .

ومن ناحية أخرى اهتم المرابطون - وخاصة الأمراء - ببناء القصور بالأندلس ومن ذلك منية الزبير بن عمر (٣) المرابطى فى قرطبة ، وكانت لا تعدو وقصرا تحيط به البساتين ، وكانت هذه المنية مكاناً للراحة والاستجمام والتمتع بجمال الطبيعة (٤) .

وفاق الموحدون أسلافهم المرابطين فى ولعهم بالبناء والتشييد فقد ازدهر هذا الفن على أيديهم ، ففى عهد الخليفة عبد المؤمن بن على تم بناء مدينة جبل طارق فى سنة ٥٥٥ هـ . ١١٦٠ م وأشرف على أعمال البناء الحاج يعيش المالقى المهندس والعريف أحمد بن باسه ، واستفرا لهذا العمل « جميع الفعلة من البنائين والجيارين والنجارين والعرفاء من جميع بلاد الأندلس التى تحت نظر الموحدين » ، ولم يستغرق البناء سوى ثمانية أشهر ، إذا كمل بناؤه فى نفس العام (٥) .

وأنشأ الموحدون العديد من القصور منها قصر السيد أبى يحيى بن يوسف بن

---

(١) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ٢٠٧ ، ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٧٣ - ٧٤ ؛ عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ص ٧٤٠ - ٧٤١ .

(٢) T. Balbas, Ciudades hispano musulmanas, Madrid, t. II, p. 551.

(٣)هو أبو محمد الزبير بن عمر ، كان من أعظم قواد المرابطين فى الأندلس ، اشترك فى وقعة إفراغة التى انتصر فيها المرابطون على جيش الفونسو الأول (المحارب) ملك أرغون ، وتولى قرطبة وغرناطة سنة ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م . انظر (ابن القطان ، نفسه ، هـ ١ ، ص ٢٤٤ ، ٢٤٥) .

(٤) المقرى ، نفح ، جـ ٢ ، ص ١٨ ؛ عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، جـ ١ ، ص ٢٢٨ .

(٥) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، ص ١٣٩ - ١٤٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٩ ، =

عبد المؤمن خارج قرطبة على متن نهرها ، وكانت تحمله الأقواس ، وقصر السيد إسحاق بن يوسف على نهر شنيل خارج غرناطة ، وقصر السيد المأمون بن يعقوب المنصور وبناءه بمالقة حين كان والياً عليها ، كما ابتنوا في إشبيلية العديد من القصور تحت اشراف الحاج يعيش المالقي[1] ، بينما قام ابن باسه بإعادة تعمير قرطبة وتجديد قصورها [2] .

وتجدر الإشارة إلى أنه قد اجريت حفائر بمنطقة مرسية أسفرت عن كشف بعض أطلال قصر محصن بنى بأعلى تل سهل منحدر ثم أتى عليه الخراب في القرن ٧ هـ / ١٣ م ، ولعله قصر الأمير محمد بن سعد بن مردنيش ، وجدران القصر مبنية بقوالب متينة من الطوابى ، وبعض أجزائه الداخلية مبنية بالآخر ، كما عثر على آثار أنابيب من الرصاص ومسارب تحمل على الظن بأن الماء كان يرفع إلى القصر من سقاية الصهريج بأسفل التل بواسطة ناعورة ما يزال بئرها قائماً [3] .

ومن أهم أعمال الموحدين المعمارية في الأندلس بناء المسجد الجامع بإشبيلية ، المعروف بجامع القصبة ، وقد شرع في بنائه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن سنة ٥٦٧هـ / ١١٧٢ م ، وعهد بذلك إلى شيخ العرفاء أحمد بن باسه وأصحابه العرفاءوالبنائين من أهل إشبيلية والأندلس ، ومعهم عرفاء البنائين من أهل مراكش

= ص ٧٧ ؛ الحلل الموشية ، ص ١١٨ ؛ السلاوى ، الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٢٥ ؛

T. Balbas, Arquitectos andaluces de las epocas Almoravide y Almohade, Al - Andalus, Vol, XI, Madrid, 1946, p. 116.

والحاج يعيش أصله من مالقة ويعتبر من أشهر المهندسين المعماريين الذين تألق نجمهم في عصر الموحدين ، أما أحمد بن باسه فيبدو من اسمه أنه من أسرة مستعربة كانت بطليطلة انظر (بالباس ، الفن المرابطي ، والموحدى ، ص ٨٣ ؛ سالم ، التأثيرات المعمارية في الأندلس ، دائرة معارف الشعب ، العدد ٦٤ سنة ٥٩ ، ص ١٦٤) .

(١) المقرى ، جـ ٢ ، ص ١٦ – ١٧ ؛ سالم ، قرطبة ، جـ ١ ، ص ٢٢٨ ؛ المنونى ، العلوم والآداب والفنون ، ص ٢٤٦ – ٢٤٧ .

(٢) ابن صاحب الصلاة ، ص ٢٠٦ ؛ سالم ، التأثيرات المعمارية في الأندلس ، ص ١٦٥ – ١٦٦ .

(٣) انظر : توريس بالباس ، الفن المرابطي والموحدى ، ص ٢٩ – ٣٠ .

وفاس ، وحفر البناؤون والمهندسون أساسه من الآجر والجيار والجص والأحجار ، واتصل العمل نحو أربع سنوات دون انقطاع ، إلى أن كمل بالتسقيف ، وجاء في أبهى منظر ، وقارب جامع قرطبة في الاتساع [١] .

ويذكر ابن صاحب الصلاة أن العرفاء قاموا أيضا ببناء قبة المحراب ، وتأنقوا في بنائها ، كما صنعوا للجامع منبراً من أجود أنواع الأخشاب [٢] .

أما صومعة جامع اشبيلية (المسماة الآن الخيرالدا La Jiralda) فقد شرع في بنائها الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ، ثم توقف البناء بموته سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م عقب غزوة شنترين ، فأستأنف العمل ابنه الخليفة يعقوب المنصور بعد وصوله إلى إشبيلية سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م - ١١٨٩ م ، وأشرف على البناء العريف علي الغماري ، وفي سنة ٥٩٤ هـ / ١١٩٨ م احتفل بوضع اربعة تفافيح مطلية بالذهب ، وروفعها بأعلى الصومعة ، وافتحت الصومعة في هذا اليوم الحافل . وأشار ابن صاحب الصلاة إلى أن الصومعة بنيت بالآجر وحجر الكذان ، وأن عدد الذهب الذي طليت به هذه التفافيح سبعة آلاف مثقال كبار يعقوبية ، عملها الصناع بين أيدي أمير المؤمنين [٣] .

كذلك ينسب للخليفة يعقوب المنصور ترميم مسجد ابن عديس ، وهو المسجد الجامع الأول الذي أقيم في إشبيلية في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط عندما علم بتصدعه من الداخل والخارج ، فقد أمر البنائين والعرفاء بترميمه واصلاحه

---

(١) ابن صاحب الصلاة ، ص ٤٧٤ - ٤٧٦ ؛ روض القرطاس ، ص ١٤٩ ؛ الحلل الموشية ، ص ١١٩ - ١٢ ؛ البيان المغرب ، القسم الموحدي ، ص ٩٦ ؛ الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٣٥ ، سالم ، العمارة الدينية بالأندلس ، دائرة معارف الشعب ، العدد ٦١ سنة ١٩٥٩ ، ص ١١٤ ؛ المغرب الكبير ، ص ٨٣٦ - ٨٣٧ ، ٨٥٤ - ٨٥٧ ، بالباس ، الفن المرابطي والموحدي ، ص ٨٠ .

(٢) المن بالإمامة ، ص ٤٧٧ - ٤٧٨ ؛ سالم ، العمارة الدينية ، ص ١١٤ ، وأنظر أيضا حول بناء جامع اشبيلية ،

Isidro de las cogigas, Sevilla Almohade, Madrid, 1951, pp. 15 - 16 .

(٣) المن بالإمامة ، ص ٤٨٠ - ٤٨٤ ؛ البيان المغرب ، القسم الموحدي ، ص ٩٦ ؛ الاستقصاء جـ ٢ ، ص ١٧٤ ؛ سالم ، المغرب الكبير ، ص ٨٣٧ ، ٨٥٧ - ٨٥٨ ؛ بالباس ، الفن المرابطي =

وذلك بالجبس والجير والأخشاب ، وتم ذلك سنة ٥٩٢ هـ / ١١٩٥ م [١] ويشير صاحب روض القرطاس إلى أن الخليفة يعقوب قام أيضا ببناء العديد من المساجد والمدارس فى بلاد المغرب والأندلس ، وبنى المارستانات للمرضى والمجانين ، وكذلك الصوامه والقناطر والجباب والصهاريج لحفظ مياه الأمطار [٢] .

٣ ـ صناعات معدنية أخرى :

عرفت الأندلس أنواعا عديدة من الصناعات المعدنية من أهمها صناعة الأدوات الحديدية التى اشتهرت بها المرية [٣] وكذلك شلطيش التى اختصت بصناعة المراسى الحديدية لرسو السفن [٤] ، وبرع أهل مالقة ومرسية فى صناعة السكاكين والأمقاص [٥] ، أما وشقة فقد برزت فى صناعة الدروع والبيضات ، وكانت بها دار لصناعة الحديد [٦] ، كذلك اشتهرت إشبيلية بصناعة الفولاذ [٧] ، وقرطبة بصناعة الآلات الحديدية [٨] ، هذا إلى جانب أنه كان يصنع بالأندلس ـ كما ذكر ابن سعيد ـ آلات الحرب من التروس والرماح والدروع وغيرها [٩] .

= ولموحدى ، ص ٢٥ ؛ جومث مورينو ، الفن الإسلامى ، ص ٣٥٢ ،

Henri Terrasse, Histoire du Maroc; p. 333., Cagigas, Sevilla Almohade, p. 17 .

وتبغى الإشارة إلى أن جامع إشبيلية قد هدم فى القرن ١٦ م ، وأقيمت مكانه الكتدرائية التى اتخذت المنارة (الصومعة) برجاً لنا قوسها ، ولم يبق من بناء الجامع إلا الصحن ومدخله الشمالى المعروف حاليا بباب الغفران (بالأسبانية Puetra del perdon أنظر Abd Al - Aziz Salem, La puerta de) (del Perdon, Al - Andalus, 1978, p. 201

(١) المن بالإمامة ، ص ٤٨٦ – ٤٨٧ .

(٢) ابن أبى زرع ، ص ١٥٣ . كذلك ينسب للمنصور بناء حصن الفرج على نهر اشبيلية (الوادى الكبير) (المراكشى ، المعجب ، ص ٣٧٠) .

(٣) انظر الإدريسى ، ص ١٩٧ ، الحميرى ، ص ١٨٤ .

(٤) الإدريسى ، ص ١٧٩ ؛ الحميرى ، ص ١١٠ .

(٥) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢١٩ ؛ المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٨٧ .

(٦) الزهرى ، الجغرافيا ، ص ٨٢ ؛

René Basset, Description de l' Esp., p. 630 .

(٧) المقرى ، نفسه ، جـ ١ ، ص ١٨٨ .

(٨) عبد العزيز سالم ، قرطبة ، جـ ٢ ، ص ١٣٥ .

(٩) المقرى ، نفسه ، جـ ١ ، ص ١٨٨

أما النحاس والبرنز فنجد أنه كان يصنع من النحاس المقالى التى يستخدمها القلاؤون وبائعو الحلوى ، ويذكر السقطى أن المحتسب يجب أن يلزم القلائين بتبييض المقلاة لأجل الكبريتية التى فى النحاس ، كما كان يصنع منه القدور والأكيال وصنوج الموازين [1] . كذلك استخدم النحاس والبرنز فى أعمال البناء ، فالمعروف أن باب الغفران (بالأسبانية La Puerta del Perdon) بكاتدرائية اشبيلية ، وهو الباب الرئيسى للجامع كان يؤدى إلى صحنه ، كانت له مطرقتان مصنوعتان من النحاس المخروم بالنقوش النباتية [2] ، أما الصفائح البرونزية التى تكسو باب جامع اشبيلية فكانت مزينة بخطوط متقاطعة تؤلف أشكالاً سداسية ، كذلك تعتبر ضبتا الباب من أروع التحف البرنزية فى عصر الموحدين ، إذ تتخذ كل منها شكل ورقة نباتية أطرافها على شكل حنيات متصلة ، وبداخلها أوراق صغيرة مخرمة مزودة بأطراف مدببة وأخرى ملتفة ، ويحيط بالضبتين كتابة نسخية نصها فى الضبة اليمنى : « بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على محمد . فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، ويسبح له فيها بالغدو والآصال ورجال لا تليهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة » وفى الضبة اليسرى « بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على محمد . ادخلوها بسلام آمنين . ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين . لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين » صدق الله العظيم . وترجع هاتان الضبتان إلى عهد الخليفة الموحدى أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن [3] .

ومن ناحية أخرى عثر على أمثلة عديدة من التحف النحاسية والبرنزية فى المدن الأندلسية ، فهناك ثلاثة أسطال من النحاس لها مقابض أكبر محفوظ فى كاتدرائية طليطلة ، كما عثر بقرطبة على آنية من النحاس صغيرة الحجم لا تزال تحتفظ برقبتها

---

(١) ابن عبدون ، ص ٤٥ ؛ السقطى ، ص ١٢ ، ١٥ . وقد اشتهرت كل من المرية ووشقة بصناعة الآلات النحاسية . أنظر (الإدريسى ، ص ١٩٧) .

(٢) أنظر توريس بالباس ، الفن المرابطى والموحدى ، ص ٩٤ – ٩٥ .

(٣) عبد العزيز سالم ، الفنون والصناعات ، ص ١٨٨ ،

Salem, La puerta del Perdon, pp. 203 - 205.

وزخرفتها من غزلان وأزهار وكلمه « بركة » وهى محفوظة الآن بتحف قرطبة الأثرى [1] . أما التحف المصنوعة من البرنز ، فقد عثر على أمثلة منها خاصة فى غرناطة ، حيث عثر على مبخرة أسطوانية الشكل تقوم على ثلاثة أرجل ، وغطاؤها يكاد يكون مخروطى الشكل ، ويعلو المبخرة طائر منقاره معقوف [2] ، كما عثر فى ميورقة على مجموعة من التحف البرنزية وهى محفوظة الآن فى جمعية لوليانا (Luli-ana) الأثرية بمدينة بلمة Palma، وتتألف من حامل برونزى مزود بثلاثة قوائم وقنديل وجرة مستديرة الشكل ومهراس صغير أسطوانى الشكل غير كامل ومزود بأربعة مقابض . والملاحظ أن هذه القطع البرنزية لها ما يشبهها فى قرطبة ، مما يدل على أن صناع ميورقة قد تأثروا بالأساليب الفنية القرطبية فى هذا المجال وهذه القطع يمكن تأريخها بالقرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) لأنها تختلف فى الشكل عن القطع البرنزية التى ترجع إلى عصر الخلافة أى الرابع الهجرى (العاشر الميلادى [3]) .

كذلك عثر فى أطلال جامع البيرة (غرناطة) على عدة مصابيح برنزية وعدد من المباخر والقناديل والأوعية والأسطال البرنزية التى تحتفظ بها متاحف اسبانيا [4] .

أما صناعة الزجاج فقد تركزت فى مرسية ومالقة والمرية ، كما كان لصناع الزجاج فى قرطبة حومة خاصة تنسب إليهم وهى الزجاجين [5] . وكان الزجاج يصنع من نوع معين من الرمل يسمى « السيلكا » اختصت به طرطوشة [6] . وقد

---

(١) انظر : جومث مورينو ، الفن الإسلامى ، ص ٤٠١ .

(٢) عبد العزيز سالم ، الفنون والصناعات ، ص ١٨٧ .

(٣) Guillermo Rossello, Bronces Arabes de Mallorca, Al - Andalus, Fasc, I, vol, XXXVII, Madrid, 1962, PP. 229 - 232.

(٤) مورينو ، نفسه ، ص ٣٨٦ .

(٥) انظر : ابن بشكوال ، الصلة ق ١ ، ص ١٧٢ ، رقم ٣٩١ ، عبد العزيز سالم ، قرطبة ، جـ ٢ ، ص ١٤٩ .

(٦) القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٥٤٥ . وجدير بالذكر أن الزجاج كان يصنع من السيلكا=

نصت كتب الحسبة الأندلسية على منع الزجاجين من إخراج الزجاج من فرن التبريد إلا بعد يوم وليلة بحيث تبقى فى الأفران مدة أربع وعشرين ساعة حتى تبرد فلا تتعرض للشروخ والتهشم في حالة التعجيل بإخراجها قبل ذلك ، ويضيف السقطى أنه لابد من اختبار الرماد على أصحاب الأفران (معامل الزجاج) « لئلا يسطوا التراب في مستوقداتها ويوقدوا عليها النار . وذلك دلس . ووجه اختباره أن يوضع فى الماء فيرسب التراب ويطفو الرماد [1] » بمعنى ضرورة إلزام أصحاب معامل الزجاج باستخدام وقود الفحم (الكربون) وعدم خلطه بالتراب .

كذلك اختصت المرية بفن صناعة التحف الرخامية ، فيذكر ابن الخطيب أن المرية بلد الرخام [2] ، وكان لتوفر المواد الخام أثره فى ازدهار تلك الصناعة بها ، فكان يصنع منه فى عصر المرابطين الأحواض والتوابيت وشواهد القبور ، وتمتاز توابيت المرية التى اكتشفت فى المقابر الأندلسية بأنها مصنوعة كلها من الرخام الأبيض ، كذلك اشتهرت المرية بصناعة الأحواض الرخامية والفوارات التى عثر على بقايا منها فى أطلال قصر القصبة [3] ، كما برعت قسطيلية (من أعمال غرناطة) فى صناعة الأقداح والأكواب والأسطال والحقاق من الرخام الذى يشبه الكذان [4] .

ثالثا : أهم النظم المتعلقة بالصناعة :

مما سبق عرضه نستطيع أن نستخلص حقيقة هامة هى أن الفنون الصناعية

= وكربونات الصوديوم والكالسيوم ، ويلون بأكاسيد النحاس أو المنجنيز ، أنظر (فاضل الطائى ، مع البيرونى فى كتابه الجماهر ، مجلة المجمع العلمى العراقى ، ص ٧٢ - ٧٣) .

(١) السقطى ، آداب الحسبة ، ص ٦٧ .

(٢) مشاهدات ابن الخطيب ، ص ٨٢ .

(٣) عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، ص ١٦٣ - ١٦٥ ؛ عبد العزيز مرزوق الفنون الزخرفية ، ص ١٤٦ ؛ محمد أبو الفضل ، تاريخ مدينة المرية ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ ؛ Salem, Algunos aspectos del Florecimiento economico de Almería islamica, pp. 18 19 .

(٤) انظر . ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٢٨٣ .

تقدمت فى الأندلس تقدماً مذهلاً ساعد عليه بطبيعة الحال توفر المواد الخام سواء كانت زراعية أو حيوانية أو معدنية ، ووجود الأيدى العاملة الماهرة التى أشاد بها ابن غالب بقوله : « وهم أصبر الناس على مطاولة التعب فى تجويد الأعمال ومقاساة النصب فى تحسين الصنائع [1] » ، كما أن كثرة الأسواق الأندلسية والنشاط التجارى بين موانى المغرب والأندلس فى عصر دولتى المرابطين والموحدين ساعد بدوره على رواج الصناعة ، فأصبح من الميسور تسويقها وتصديرها إلى أسواق الإستهلاك فى الخارج ، فأقبل الصناع على مضاعفة الإنتاج والتفنن فى صنائعهم وتجويدها كذلك ساعد على هذا التقدم استتباب الأمن والنظام وقلة الضرائب التى كثيراً ما عانى الصناع من فداحتها فى عصر دويلات الطوائف [2] .

وفى عصر يوسف بن تاشفين – بصفة خاصة – تدفق صناع الأندلس على مراكش الحاضرة التى شبهت ببغداد عاصمة العباسيين [3] ، كما ازداد نزوح الأندلسيين إلى المغرب عقب نشوب الفتنة بالأندلس قرب زوال نفوذ المرابطين عنها ، فيذكر ابن سعيد « أن حضرة مراكش هى بغداد المغرب ، وهى أعظم ما فى بر العدوة وأكثر مصانعها ومبانيها الجليلة وبساتينها إنما ظهرت فى مدة بنى عبد المؤمن ، وكانوا يجلبون لها صناع الأندلس من جزيرتهم [4] » .

وبلغ من حذق الأندلسيين لصنائعهم أن فاقوا أهل العدوة المغربية وقطعوا معاشهم وأخملوا أعمالهم وصيروهم أتباعاً لهم ومتصرفين بين أيديهم ، ويضيف ابن غالب أن الأندلسيين « متى دخلوا فى شغل عملوه فى أقرب مدة وأفرغوا فيه من أنواع الحذق والتجويد ما يميلون به النفوس إليهم ويصير الذكر لهم [5] » .

---

(١) المقرى ، نفح ، جـ ٤ ، ص ١٤٧ .

(٢) حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٤٠٦ .

(٣) المراكشى ، المعجب ، ص ٢٢٧ .

(٤) المقرى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ١٤٩ .

(٥) المقرى ، جـ ٤ ، ص ١٤٨ . ونلاحظ أن قول ابن غالب – الذى نقله المقرى – يدل على مدى خبرة الأندلسيين الصناعية وتفوقهم فى هذا المجال .

وكان عهد يوسف بن عبد المؤمن الموحدى وابنه يعقوب المنصور من أزهى عصور المغرب والأندلس ، حيث تميز باستتباب الأمن وانتشار العدل وكثرة الأرزاق واتساع المعايش ، ولم ير أهل الغرب الإسلامي أياماً قط مثلها منذ عصر الخلافة الأموية [1] .

وبلغ من اهتمام الخليفة يعقوب المنصور بالصناعة والتجارة أنه كان يجتمع بأمناء الصناعات والأسواق مرتين فى كل شهر ، ليعرف أحوال الأسواق والأسعار والعمال [2] .

وتبغى الإشارة إلى أن كل صنعة كان لها سوق أو حى خاص بها مثل سوق العطارين والوراقين والفخارين والكتانيين والزجاجين والجلادين والقراقين والحصارين وغير ذلك كثير ، وكانوا يخضعون لمراقبة المحتسب [3] .

وكان لكل حرفة رئيس أو شيخ يسمى فى الأندلس « الأمين » وهو لقب ظل راسخاً فى اللغة الأسبانية حتى يومنا هذا (Al - Amin) ، ويتم تعيينه بالاختيار أو الانتخاب وبموافقة المحتسب ، وكان الأمين أشبه بنقيب يمثل المهن الصناعية ، وكان مسئولاً عن أهل الحرفة وضرائبهم أما الدولة ، كما كان يعتبر بمثابة الخبير الفنى فى الخلافات التى قد تقع بين أهل الحرف وعملائهم حول سلعة من السلع ، وكان رأيه مقبولا لدى القاضى أو المحتسب ، كما يقوم بإبلاغ المحتسب رأى طائفة حول تكاليف السلع التى يصنعونها وتحديد ثمن بيعها [4] ، وقد أشار السقطى إلى أهمية

---

(١) المراكشى ، المعجب ، ص ٣٣٠ .

(٢) المراكشى ، نفسه ، ص ٣٦٢ .

(٣) ابن عبدون ، ص ٤٣ ، ٥٠ ؛ السقطى ، ص ٦٢ – ٦٣ ، عز الدين موسى ، النشاط الإقتصادى فى المغرب ، ص ٢١٦ ؛

Imamuddin, the economic history, p. 179.

(٤) أنظر : ابن بسام ، الذخيرة ، ق١ ، م١ ، طبعة القاهرة ، ١٩٣٩ ، ص٢٠٠ ، ابن عبدون ، ص ٢٤ ؛ السقطى ، ص ٩ ؛ ليفى بروفنسال ، سلسلة محاضرات عامة فى أدب الأندلس وتاريخها ، =

أمين الصنعة بقوله : « ويقدم (أى المحتسب) من ثقات أهل السوق ووجوه أرباب الصنائع من تعرف ثقته وينفع المسلمين نصحه ومعرفته ، يستظهر بهم على سائرهم ويطلعونه على خفى أسرارهم .. فيزول مكرهم ويرتفع عن المسلمين غشهم وضرهم [1] » .

وقد ظهر من بين الصناع أفراد مهرة نبغوا فى صناعاتهم ، أطلق عليهم لقب العرفاء ، وكان لهم رئيس يسمى عريف العرفاء (أو شيخ العرفاء) مثل ابن باسة الذى برع فى صناعة البناء وكذلك العريف على الغمارى [2] . وقد انتقل لفظ العريف إلى لاتينية أهل الأندلس (الرومانسية) فى صورة (Alharif) ومنها إلى القشتالية (El - Alarife) ، ثم اقتصر معناه بعد ذلك على رؤساء البنائين ، ولا يزال اللفظ باقيا فى الأسبانية إلى اليوم [3] .

وقد جرت العادة على أن يتدرج الفرد فى الحرفة من صبى إلى صانع مدرب إلى عريف إلى أن يرتقى إلى عريف العرفاء . وفى الغالب كان يساعد الصانع عمال وصبيان ، فتشير كتب المسائل الفقهية الأندلسية إلى أن بعض النساجين كانوا

= ترجمة عبد الهادى شعيرة ، الاسكندرية ، ١٩٥١ ، ص ٨٩ ؛ حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٤٦٤ ؛ مختار العبادى ، من مظاهر الحياة الإقتصادية فى المدينة الإسلامية ، مجلة عالم الفكر ، ص ١٣٦ .

(١) آداب الحسبة ، ص ٩ . ونلاحظ أن وظيفة الأمين ظلت مستمرة فى عصر مملكة غرناطة آخر العصور الإسلامية بالأندلس ، انظر (مختار العبادى ، مقامة العيد لأبى محمد عبد الله الأزدى ، مجلة المعهد المصرى بمدريد ، ١٩٥٤ م ، ص ١٦٧ ، ١٧١) .

(٢) انظر : ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص ١٣٩ - ١٤٠ ، ٢٠٦ ، ٤٧٤ ، ٤٨٢ ؛ حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٤٦٤ . وتجدر الإشارة إلى أنه نظراً لخبرة الأندلسيين الصناعية - وفى مجال البناء على وجه الخصوص - فقد استعان على بن يوسف المرابطى بصناع اندلسيين لانشاء قنطرة على نهر تانسيفت قرب مراكش . انظر (الإدريسى ، ص ٦٩) .

(٣) مؤنس ، نفسة ، ص ٤٦٤ .

يستأجرون العمال لنسج الحرير والكتان لمدة معينة ونظير أجر محدد [1] ، كذلك كان الطحانون يستعينون بصبيان لمساعدتهم [2] . ومن ناحية أخرى نلاحظ أن الحرف كانت تتوارث بمعنى أن الأب كان يحرص على أن يخلفه ابنه فى صنعته [3] .

وكان الصناع أحيانا يؤسسون شركة فى صناعة معينة ، فقد يشترك اثنان من الصناع فى حانوت واحد يختص بصناعة معينة ، ويساهم كل منهما برأس مالى مساوٍ للآخر لمواجهة ما تحتاجه هذه الصناعة من نفقات ، وتكون الأرباح مناصفة بين الطرفين [4] .

---

(١) ابن عبد الواحد الفهرى ، السفر الثانى من الوثائق ، مخطوط ، لوحة ٩٠ - ٩١ ؛ ابن القاسم ، المقصد المحمود ، مخطوط ، لوحة ٥٦ أ .

(٢) السقطى ، آداب الحسبة ، ص ٢٤ - ٢٥ .

(٣) ابن عبد الملك المراكشى ، الذيل التكملة ، السفر الخامس ، القسم الأول ، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ رقم ٤٥٤ .

(٤) الفهرى ، السفر الثانى من الوثائق ، لوحة ١٣١ ؛ ابن القاسم ، المقصد المحمود ، مخطوط ، لوحة ٦٠ ب .

البــاب الثــالث

المــوارد التجاريــة

الفصل الأول
التجارة الداخلية

أولا – طرق التجارة الداخلية ووسائل النقل .

ثانيا – أهم النظم المتعلقة بالتجارة الداخلية .

ثالثا – الأسواق .

رابعا – القيساريات .

خامسا – الفنادق .

سادسا – الإشراف على الأسواق (نظام الحسبة) .

سابعا – النظام النقدى والمكاييل والموازين والمقاييس .

أولا – طرق التجارة الداخلية ووسائل النقل :

(أ) الطرق البرية :

كان من الطبيعي لتصريف المنتجات التجارية سواء أكانت محاصيل زراعية أو إنتاجا صناعيا وكذلك المواد المعدنية الخام أن تنقل من موضع إلى آخر بهدف تسويقها داخليا أو تصديرها إلى الخارج عن طريق الموانى الأندلسية ، وكانت عملية نقل هذه السلع والمنتجات تتم عبر طرق برية أو بواسطة النقل النهرى ، وكانت الطرق البرية أكثر استخداما لاسيما فى أوقات الاستقرار السياسى وفى ظل الأمن الذى كان يفرضه المرابطون والموحدون – ، نظرا لأن معظم الأنهار الأندلسية كانت فى بعض أجزائها غير صالحة للملاحة . وعلى هذا النحو تكونت شبكة واسعة من الطرق البرية فى طول البلاد وعرضها أنشىء معظمها فى العصر الرومانى ، وبعضها اقامه المسلمون (١) .

وامتازت الطرق البرية بتعدد المراحل التى يتوقف عندها التجار سواء للراحة أو قضاء الليل ، وكان ذلك يتم فى الفنادق التى كانت تخصص لنزولهم ، وكانت هذه المنازل تقع • غالبا – على الطرق الرئيسية ، فالزهرى يذكر أن المسافر فى الأندلس كان لا يحتاج إلى الماء والزاد نظرا لتوفره فى جميع المنازل على الطريق (٢) ، ويؤكد ذلك ابن الشباط بقوله : « لا يتزود أحد فيها (أى الأندلس) ماء حيث سلك ولاية قصد ، لكثرة أنهارها وعيونها وآبارها ، وربما لقى المسافر فيها فى اليوم الواحد أربعة مداين ، ومن المعاقل والقرى ما لا يحصى (٣) » .

ويورد العذرى والإدريسى بعض المنازل (المحطات) التى كانت تقع على الطرق

---

(١) Imamuddin, The economic history of spain, p. 255.

(٢) أنظر الجغرافية ، ص ٨٠ ، وأيضا :

René Basset, Decription de l'esp., p. 623 & levi - provencal, Esspana musul., t. v, p. 189.

(٣) انظر . وصف الأندلس ، قطعة من كتاب صلة السمط ، تحقيق د . مختار العبادى ، ص ٢ .

التجارية فى الأندلس ، ومنها منزل ابان على الطريق بين قرطبة وإشبيلية [1] ، وعلى نفس هذا الطريق كان يقع منزل بحصن مراد [2] وحصن القليعة [3] ، ومنزل آخر بقرية عيلة [4] وتقع على الطريق الممتد من بين المرية ومالقة وغرناطة ، ومنزل بحصن متد وجربين المرية وغرناطة وفيه كان يتوفر للمسافر الخبز والسمك وجميع الفواكه [5] ، ومن الجدير بالذكر أن منازل عديدة كانت تكثر فى الطريق الذى يصل بين إشبيلية والجزيرة الخضراء [6] .

ويشير العذرى إلى عدة طرق هامة فى الأندلس منها طريق يخرج من قرطبة إلى مرسية مارا ببعض المدن أهمها جيان ووادى آش ولورقة [7] ، وطريق آخر من قرطبة إلى إشبيلية مارا بقرمونة [8] ، وطريق يتجه من قرطبة إلى وادى آش ومنها إلى بجانة ثم إلى المرية [9] ، وهناك طريق يبدأ من قرطبة إلى سرقسطة ويمر بقلعة رباح وأقليش وشنتبرية وقونكة ودروقة [10] ، وطريق يشرع من قرطاجنة إلى مرسية ثم إلى طليطلة [11] ، كما وجد طريق ساحلى يربط بين مرسية وبلنسية مارا بأوريولة وقرية عصف وشاطبة وشقر [12] ، وطريق يصل بين إشبيلية ولبلة ويمر بطلياطة [13] ، وآخر يصل

---

(١) العذرى ، نصوص من ترصيع الأخبار ، ص ١٠٩ ، الإدريسى ، ص ٢٠٨ .
(٢) الإدريسى ، ص ٢٠٧ .
(٣) الإدريسى ، ص ٢٠٦ .
(٤) الإدريسى ، ص ٢٠١ .
(٥) الإدريسى ، ص ٢٠١ ، الحميرى ، ص ١٨٥ .
(٦) الإدريسى ، ص ١٧٧ – ١٧٨ .
(٧) العذرى ، ص ٣ .
(٨) العذرى ، ص ١٠٨ – ١٠٩ .
(٩) العذرى ، ص ٨٩ .
(١٠) العذرى ، ص ٢١ .
(١١) العذرى ، ص ٣ .
(١٢) العذرى ، ص ١٧ .
(١٣) العذرى ، ص ١٠ .

بين قلسانة والجزيرة الخضراء مارا بيليش [1] .

ويعتبر الإدريسي أكثر جغرافي الأندلس تفصيلا في ذكر الطرق المتصلة بمدن الأندلس زمن المرابطين ، فيشير إلى وجود طريق بين سرقسطة وطرطوشة ثم إلى بريانة فمربيطر ومنها إلى بلنسية [2] ، وطريق من بلنسية إلى دانية ثم مرسية [3] ، وآخر يتجه من قرطاجنة الحلفاء إلى مرسية [4] ، ويذكر أن هناك طريقان من المرية إلى مالقة أحدهما برى ويستغرق سبعة أيام والآخر بحرى ومسافته ١٨٠ ميلا [5] ، وطريق آخر يخرج من المرية إلى غرناطة [6] ، كما يذكر أن طريقا كان يربط مالقة بالجزيرة الخضراء مرورا بمربلة [7] ، ومن الغريب أن هذا الطريق ما زال حتى يومنا هذا الطريق الوحيد الذى يسلكه المسافر من مالقة إلى الجزيرة الخضراء ويمر بمربلة وأشطبونة والجزيرة الخضراء وينتهي بجبل طارق . كذلك يذكر الإدريسي طريقا يتجه من إستجة إلى قرمونة مسافته ٤٥ ميلا [8] ، ويقدر الإدريسي المسافة من جزيرة طريف إلى الجزيرة الخضراء بـ ١٨ ميلا [9] ومن شنتمرية الغرب إلى شلب بـ ٢٨ ميلا [10] ، ثم من شلب إلى القصر (قصر أبي دانس) بأربع مراحل [11] ، ومن القصر إلى يبورة (يابرة) بمرحلتين [12] ، ومن أشبونة إلى شنترين بالطريق

---

(١) العذرى ، ص ١١٧ .

(٢) انظر . صفة المغرب وبلاد السودان ومصر والأندلس ، ص ١٩٠ .

(٣) الادريسى ، ص ١٩٢ .

(٤) الادريسى ، ص ١٩٤ .

(٥) الاصطخرى ، المسالك ، ص ٣٨ ؛ الادريسى ، ص ١٩٨ .

(٦) الادريسى ، ص ٢٠٠ .

(٧) الاصطخرى ، المسالك ، ص ٣٨ ؛ الادريسى ، ص ٢٠٤ .

(٨) الادريسى ، ص ٢٠٦ .

(٩) الادريسى ، ص ١٧٦ .

(١٠) الادريسى ، ص ١٧٩ .

(١١) الادريسى ، ص ١٨١ .

(١٢) الادريسى ، ص ١٨١ .

البرى ٨٠ ميلا [١] ، ومن شنترين إلى بطليوس بأربع مراحل [٢] ، ومن طليطلة إلى وادى الحجارة ٥٠ ميلاد وهى مرحلتان [٣] ، ومن وادى الحجارة إلى مدينة سالم ٥٠ ميلا [٤] ومن مدينة سالم إلى قلعة أيوب . ٥٠ ميلا [٥]، ومن قلعة أيوب إلى دروقة ١٨ ميلا [٦] ، ومن دروقة إلى سرقسطة ٥٠ ميلا [٧] ، كذلك بقدر المسافة من قرطبة إلى إشبيلية بثلاث مراحل [٨] .

ويذكر كل من الاصطخرى وابن بشكوال عدة طرق هامة كانت تتفرع من قرطبة فى إتجاهات مختلفة أهمها طريق يمتد من قرطبة إلى إشبيلية مسافته ثلاث مراحل ، وهو نفس الطريق الذى ذكره الادريسى فيما سبق ، كما يذكر طريق يربط بين قرطبة وطليطلة ، وطريق بين قرطبة ومكناسة ، وآخر من قرطبة إلى قورية ، وطريق خامس من قرطبة إلى لبلة ، وطريق سادس من قرطبة إلى قرمونة ، وسابع من قرطبة إلى بجانة ، وثامن من قرطبة إلى مرسية ، هذا بالآضافة إلى طريق يربط بين قرطبة وبلنسية ومنها إلى طرطوشة ثم سرقسطة [٩] .

وتجدر الاشارة إلى أن كل هذه الطرق – سالفة الذكر – كان لها فروع عديدة

(١) الادريسى ، ص ١٨٥ .

(٢) الادريسى ، ص ١٨٥ .

(٣) الاصطخرى ، ص ٣٨ ؛ الإدريسى ، ص ١٨٨ – ١٨٩ .

(٤) الادريسى ، ص ١٩٤ .

(٥) الادريسى ، ص ١٨٩ .

(٦) الادريسى ، ص ١٨٩ .

(٧) الادريسى ، ص ١٨٩ .

(٨) الادريسى ، ص ٢٠٦ – ٢٠٧ .

(٩) انظر . الاصطخرى المسالك ، ص ٣٨ ؛ المقرى ، نفح ، جـ ٢ ، ص ١٣ ؛ حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية ، ص ٢٨٧ – ٢٨٩ ؛

M. Ocana jimenez, las puertas de la medina, de cordoba, al - Andalus, vol. III, Madrid, 1953, pp. 144 - 150 & levi - provençal, Esp., musul., t.v, p. 191.

ثانوية ألمح إليها الجغرافيون المسلمون [١] ، وكان الجند يحرسون تلك الطرق الرئيسية وفروعها لحماية المسافرين والتجار من سطو اللصوص وقطاع الطرق [٢] ، كما أن المنازل أو المحطات التى كانت تقع على الطرق كانت مزودة بأسواق وفنادق لقضاء حاجات التجار والمسافرين والمبيت بها إذا فاجأهم الليل [٣] .

(ب) الطـرق النهريـة :

أهتم الأندلسيون أيضا بالملاحة النهرية لكثرة أنهار الأندلس وتشعبها فى داخل البلاد وسهولة نقل السلع التجارية عبر هذا الطريق [٤] ، لوقوع معظم مدن الأندلس الهامة على الأنهار مثل قرطبة وإشبيلية وماردة وبطليوس وجيان وإستجة وسرقسطة وبلنسية وشقر وغرناطة وغيرها .

ومن الأنهار التى استخدمت لنقل أخشاب الصنوبر نهر شقر ، حيث يذكر الادريسى أن بحصن قلصة (قرب قونكة) جبال كثيرة غنية بأشجار الصنوبر ، وهناك يتم قطع الأخشاب ثن تلقى فى نهر شقر ، ويجرفها تيار النهر حتى تصل إلى جزيرة شقر ومنها إلى حصن قليبرة (جنوب بلنسية) حيث تفرغ هناك [٥] . وتذكر المصادر الجغرافية أن الوادى الكبير كان صالحا للملاحة وتصعد فيه سفن كثيرا [٦] ، كما أن واد يانة كان يصلح للملاحة النهرية فى معظم أجزائه [٧] ، كذلك كان نهر

---

(١) الاصطخرى ، ص ٣٨ ، الإدريسى ، ص ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٠ .

(٢) Imamuddin, The economic history, p. 261.

(٣) الادريسى ، ص ٢٠١ ؛

Imamuddin, op. cit, p. 263 .

(٤) انظر . ابن الشباط ، وصف الأندلس ، ص ٢ ؛

Levi - Provençal, Esp. musul. p. 163.

(٥) وصف المغرب وبلاد السودان ومصر والأندلس ، ص ١٩٥ .

(٦) ياقوت ، معجم ، م ١ ، ص ١٩٥ ؛ ابن الشباط ، ص ١٣ ؛ المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٥٠ ، ١٩٣ .

(٧) الادريسى ، ص ١٨١ ؛ الحميرى ، ص ٤٦ .

بلنسية (نهر طورية Turia) ونهر مرسية (النهر الأبيض أو نهر شقورة) ينتفع بهما في النقل النهري [1] ، يضاف إلى ذلك استخدام بعض الأنهار الثانوية ، يتوفر الماء في بعضها طوال العام بينما تقتصر الملاحة النهرية في بعضها الآخر في فصلي الشتاء والربيع ويجف بقية العام [2] . ومن الأنهار الأندلسية التي استخدمها الأندلسيون في الملاحة نهر ابره ، وكانت ضفتاه مسرجة مسيرة مائة ميل وذلك من تطيله إلى مكانسة ثم أقليش فطرطوشة [3] ، كما أن نهر شطوبر الذي تقع عليه مدينة قصر أبي دانس كانت تسير في المراكب السفرية [4] .

وكان لهذه الأنهار مراسي تسهل الاتصال والتبادل التجاري بين مدن الأندلس أهمها في مرسية التي كان بها مراسي نهري قرب ساحل البحر المتوسط [5] ، وكان لإشبيلية مرسى يزخر بالنشاط والحركة التجارية خاصة وأن نهرها يربط بين قرطبة وإشبيلية وشذونة [6] ، كما كان لطرطوشة مرسى على نهر إبره [7] ، ويذكر الحميري أن بلنسية تقع على نهر جار ينتفع به ، وأن المراكب كانت تدخل نهرها [8] ، كذلك وجدت مراسي نهرية أخرى في شلب [9] وطلياطة [10] .

---

(١) الادريسي ، ص ١٩١ ، ١٩٣ ؛ الحميري ، ص ٤٧ ، ٨١ .

(٢) انظر الادريسي ، ص ٢٠٠ ، ٢٠٢ ؛ الحميري ، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

(٣) René Basset, Description de l'Esp., pp. 630 - 631 .

(٤) الادريس ، ص ١٨١ ؛ الحميري ، ص ١٦١ .

(٥) الادريسي ، ص ١٩٣ ، ١٩٤ ؛ الحميري ، ص ١٨١ .

(٦) ابن سهل الأندلسي ، الأحكام الكبرى ، مخطوط ، لوحة ١٨٦ ؛ ابن عبدون ، رسالة في الحسبة ، ص ٢٩ ، ٤٧ ؛ ياقوت ، معجم ، م ١ ، ص ١٩٥ ؛ ابن سعيد ، بسط الأرض في الطول والعرض ، ص ١٠٠ ؛ المقري ، نفح جـ ١ ، ص ١٩٣ .

(٧) الادريسي ، ص ١٠٩ ، الحميري ، ص ١٢٤ ،
Imamuddin, The economic, p. 281.

(٨) صفة جزيرة الأندلس ، ص ٣٧ . وعن مراسي الأندلس أنظر أيضا :
Levi - Provencal, Espana musul., t.v, 193.

(٩) الادريسي ، ص ١٨٠ ، الحميري ، ص ١٠٦ .

(١٠) ابن عذاري ، البيان المغرب و، القسم الموحدي ، ص ١٠٩ ، وتقع طلياطة (بالأسبانية Tejada) على مسافة عشرين ميلا من إشبيلية وهي من أعمالها . (العذري ، ص ١١٠) .

وكانت تقام على هذه الأنهار القناطر والجسور لربط ضفتي النهر وتسهيل انتقال الناس ، فيذكر ابن أبي زرع أن الخليفة الموحدى يوسف بن عبد المؤمن أمر فى سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١م بإقامة جسر على وادى إشبيلية بالقوارب [١] ، وهذا الجسر كان يصل بين إشبيلية وطريانه الواقعة على الضفة الأخرى من النهر [٢] ، ويذكر الادريسى أن لمدينة أوريولة قنطرة على قوارب [٣] ، كذلك يشير الحميرى إلى أن جزيرة ، شقر كان يحيط بها الوادى وأن المدخل إليها فى الشتاء على المراكب ، وفى الصيف على مخاضة [٤] كذلك كان على نهر تاجة [٥] ، ونهر قرطبة [٦] ونهر بلنسية [٧] ونهر مرسية [٨] قناطر وجسور تربط بين ضفتي النهر وتربط المدن بأرباضها وقراها المجاورة .

(جـ) أهم وسائل النقل الداخلى :

من المعروف أن بلاد الأندلس يغلب عليها الطابع الجبلى الوعر ، وكان التنقل فى العصور الوسطى صعبا ومكلفا خاصة وأن معظم الأنهار الأندلسية لم يكن يصلح للملاحة وذلك لأن الكثير منها يجف فى فصل الصيف ، ولذا اعتمد أهل الأندلس – إلى حد كبير – على الطرق البرية .

---

(١) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٤٩ ، المقرى ، نفح ، جـ١ ، ص ١٥٠ السلاوى ، الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٣٥ .

(٢) ابو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٦٧ .

(٣) صفة المغرب بلاد السودان ومصر والأندلس ، ص ١٩٣ .

(٤) الحميرى ، ص ١٠٢ .

(٥) الحميرى ، ص ٦٢ .

(٦) ابن بشكوال ، الصلة ، ق ٢ ، ص ٣٣٢ ، رقم ٧٠٦ ، الحميرى ، ص ١٥٦ ، ابن الشباط ، ص ١٦ ؛ المقرى ، نفح ، جـ٢ ، ص ٢٦ ، عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، جـ١ ، ص ١٧٢ .

(٧) العذرى ، ص ١٨ ؛ ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٣ ، ص ١٦٣ ، المقرى ، نفسه ، جـ ١ ، ص ١٦٢ .

(٨) الادريسى ، ص ١٩٣ ، ١٩٤ ؛ الحميرى ، ص ٣٤ .

ولنقل السلع والبضائع بالطريق البرى استخدم الأندلسيون بعض الحيوانات التى تتحمل الأثقال مثل البغال والحمير والجمال والخيول والثيران ، كما استخدموا أحيانا العربات التى تجرها الثيران أو الأبقار [1] .

ويشير ابن حوقل إلى أن الأندلس اختصت بالبغال القره ، وأنهم كانوا يعتمدون عليها فى تنقلاتهم [2] ، ويذكر المقرى أن البغال الأندلسية كانت فارهة ، وخيلها ضخمة الأجسام ، ولذا استخدمت فى حمل الدروع وثقل السلاح وفى الحرب لسرعة عدوها [3] ، ويذكر ابن حيان أيضا أنه أثناء بناء مدينة الزهراء استخدم ألف وأربعمائة بغل ، منها أربعمائة بغل من ممتلكات الخليفة وألف من ذوات الأكرياء (أى طريق الاستئجار [4]) .

وهناك أمثلة عديدة فى كتب العقود لاكتراء الدواب واستخدامها فى النقل وحمل البضائع وكان يوضح فى العقد اسم المؤجر والمستأجر والثمن وينص عادة على خلوها من العيوب وميعاد سفره بها ، والوزن الذى تحمله وصنفه والجهة المقصودة والطريق المستخدم[5] .

والملاحظ أن الجمال كانت قليلة فى الأندلس ، وكانت ترد من بلاد المغرب ، إلى أن دخل المرابطون الأندلس وبدأوا يستخدمونها على نطاق واسع فى حروبهم وتنقلاتهم هناك . كذلك استخدم الحمير فى نقل الأحمال العادية ، وكانت أكثر شيوعا من الخيل فى نقل السلع والمتاع لجلدها وقوة تحملها وقدرتها على السير

---

(١) Imamuddin, Some aspects of socio - economico, p. 118 .

(٢) انظر صورة الأرض ، ص ١١٤ ؛ ياقوت ، معجم ، م ٤ ، ص ٤ ، ص ٣٢٤ .

(٣) نفح ، جـ ١ ، ص ١٨٥ .

(٤) ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٣٠٠ .

(٥) الفهرى ، السفر الثانى من الوثائق ، مخطوط ، ورقة ٨٨ أ ، ابن سهل الأندلسى ، الأحكام الكبرى ، مخطوط ، لوحة ٩٦ .

فى الطرق الجبلية المتعرجة [1] .

ونظرا لأن الدواب كانت وسيلة النقل البرى فقد صدرت أحكام وتنظيمات لحمل البضائع والأثقال ولحماية الدواب ، فلم يكن يسمح بالأحمال الثقيلة ، بأى حال ، وكان كل من يخالف ذلك يتعرض لعقاب المحتسب [2] .

أما بالنسبة للنقل النهرى فقد كانت تستخدم قوارب وفلك تسير فى الأنهار [3] وقد اهتم ولاة الحسبة بالنقل النهرى ، فيذكر ابن عبدون أنه « يجب أن يؤمر المعدون أن يخففوا الأشحان فإن ذلك موضع غرر وهلاك لا سيما فى يوم عاصف من الريح ، ويضيف قائلا : يجب أن يؤمر المعدون فى المراسى أن لا يجوز أحدا بفاحشة من خمر أو غيرها [4] » .

وتجدر الاشارة إلى أن السفن والقوارب كانت تكترى ، وأن هذا من الأمور الشائعة فى المغرب والأندلس ، كما كانوا يكتبون العقود لتنظيم ذلك [5] .

ثانيا – أهم النظم المتعلقة بالتجارة الداخلية :

ازدهرت التجارة الداخلية ازدهارا كبيرا فى عهد يوسف بن تاشفين وفى النصف

---

(1) Imamuddin, The economic history , p. 283 .

(2) ابن عبدون ، رسالة فى الحسبة ، ص ٤١ .

(3) ابن بشكوال ، الصلة ، ق ٢ ، ص ٣٣٢ رقم ٧٠٦ ؛ ابن عذارى ، نفسه ، القسم الموحدى، ص ١٠٩ ، ١١١ .

(4) ابن عبدون ، ص ٢٩ . وعن الاهتمام بمراقبة مراسى الوادى الكبير . انظر . ابن سهل ، الأحكام الكبرى مخطوط ، لوحة ١٨٦ .

(5) انظر . ابن أبى فراس ، أكريات السفن ، مخطوط بالاسكوريال تحت رقم ١١٥٥ ، ورقة ٤٣ أ . ويذكر ابن أبى فراس بأن صاحب القارب أو السفينة قد يطلب مقدما جزءا من أجرة النقل من التاجر الذى ينقل بضائعه من مدينة لأخرى . انظر (أكريات السفن ، مخطوط ، ورقة ٤٣ ب) ويضيف أنه إذا تحطم المراكب أو القارب فعلى التجار أن يدفعوا لصاحبه ثمن الكراء بحسب ما انتفعوا به (اكريات السفن، ورقة ٤٥ أ) . ونلاحظ أن الدولة المرابطية كانت تقوم بتأجير القوارب لمن أراد مقابل دفع مبلغ معين يحدد فى العقد انظر (ابن عبدون ، ص ٣١) .

الأول من عهد ابنه علي ويرجع ذلك إلى عدة عوامل منها أن الدولة المرابطية بعد أن وجدت بين العدوتين المغربية والأندلسية ، تمكنت من إقرار الأمن والنظام ونشر الطمأنينة فى ربوع البلاد وحماية الطرق وتأمين المسالك ، مما أدى إلى شعور التجار بالأمن ، فأقبلوا بتجارتهم على أسواق البلاد فى طمأنينة وثقة خاصة وأن أمراء المسلمين من المرابطين عرفوا بالرفق بالرعية وتحروا العدل وأحكام الدين واهتموا بالجهاد والذب عن ثغور المسلمين فى الأندلس [1] ، كما أن اتساع رقعة الدولة المرابطية أفسح المجال للحركة التجارية بين مدن المغرب والأندلس وشجع التجار الذين كانوا يخضعون فى هذه المناطق لحكومة واحدة على التنقل بحرية تامة مما ساعد على تنشيط حركة التجارة من بيع وشراء وتبادل منتجات [2] . وهناك عامل أخر كان له أثره فى تشجيع التجارة الداخلية وهو الغاء المكوس والمغارم وغيرها من الضرائب غير الشرعية التى كانت تفرض على التجار فى عصر الطوائف وتثقل كاهل أهل الأندلس ، وأصبح بامكان التاجر أن يحمل تجارته من مدينة إلى أخرى وينتقل من إقليم إلى آخر دون أن يخشى إرهاقا ولا عسفا ما دام يؤدى عن أرباحه ما يفرضه الدين من زكاة ، مما ساعد على التخفيف عن كاهل التجار وتشجيعهم على إرتياد الأسواق ، كما أن إنتشار الأمن ووجود سلطة سياسية قوية وشيوع الاستقرار أدى إلى انصراف أصحاب الحرف المختلفة إلى الأنتاج وهذا بدوره ساعد على رفع المستوى المادى للأفراد وانعكست آثاره على الازدهار التجارى الذى شهدته الأسواق ، كذلك

---

(١) انظر . ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٤٦ ، حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٤٠٢ ، وتجدر الاشارة إلى أن على بن يوسف المرابطى قد التزم أيضا بسياسة أبيه فى الحرص على الرفق بالرعية والتزام العدل وتحذير العمال والولاة فى الأندلس من أى ظلم أو إجحاف والتزام العدل وتحذير العمال والولاة فى الأندلس من أى ظلم أو إجحاف قد يقع بالرعية ، فمن رسالته إلى ابن فاطمة عاملة على إشبيلية « ووطىء للرعية – حاطها الله – أكنافك وابذل لها إنصافك . ومن تثبت عليه من عمالك زيادة أو خرق فى أمرها عادة أو غير رسما أو بدل حكما أو أخذ لنفسه درهما ظلما فاعزله من عمله وعاقبته فى بدنه والزمه رد ما أخذ تعديا إلى أهله واجعله نكالا لغيره » (ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٦٣) .

(٢) انظر . حسن علي حسن ، الحضارة الاسلامية فى المغرب والأندلس ص ٢٦٦ .

كان لإزدهار الزراعة والصناعة فى النصف الأول من عصر المرابطين أعظم الأثر فى نشاط التجارة الداخلية ورواجها [1] .

ومنذ النصف الثانى من عهد على بن يوسف المرابطى وبالتحديد منذ ظهور الحركة الموحدية فى المغرب سنة ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م ونشوب الصراع بين المرابطين والموحدين ، وفى نفس الوقت الذى ازداد فيه خطر النصارى على مدن الأندلس المتأخمة وقيامهم بغارات مخربة على تلك المدن تعرضت الحركة التجارية لنكسة واضحة المعالم ، فقد تأثرت الأسواق التجارية بكل هذه الاضطرابات وساعد على اختلال الحركة التجارية إزدياد الضرائب وتنوع مسمياتها لمواجهة الأعباء العديدة التى وقعت على كاهل حكام المرابطين ، ويذكر صاحب الحلل الموشية « أنه لما أضطربت عليه (يقصد على بن يوسف) من لدى ظهور المهدى وعبد المؤمن بعده ، فلم يستقم له أمر ، والموحدون فى أثناء ذلك تنمو أحوالهم ويعظم شأنهم وتأججت نار الفتنة بالمغرب وبسبب هذه الفتنة اتصلت الحروب وغلت الأسعار وتوالت الفتن وقلت المجابى وكثر على أهل الاسلام المحن بالعدوتين [2] » .

ولكن الوضع لم يلبث أن استقام بعد قيام دولة الموحدين وانضواء الأندلس فى فلكها ، فقد أعاد الموحدون للتجارة سابق انتعاشها ونشاطها بالانجازات العظمى التى حققها خلفاؤهم الثلاثة الأول من بناء الأسواق والجسور على الأنهار لتسهيل سبل الانتقال [3] ، ونشر الأمن فى ربوع البلاد ، وشيوع الاستقرار فى الطرق التجارية خاصة بعد طاعة ابن همشك للموحدين سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م ، ثم وفاة ابن

---

(١) انظر مذكرات الأمير عبد الله الزيرى ، ص ١٢٠ .

(٢) انظر . ابن سماك العاملى ، الحلل الموشية ، ص ٨٨ – ٨٩ ، البيان المغرب جـ ٤ ، ص ١٠٢ – ١٠٣ .

(٣) المن بالامامة ، ص ٤٨٥ – ٤٨٦ ، روض القرطاس ، ص ١٤٩ ، الاستقصا جـ ٢ ، ص ١٣٥ .

مردنيش سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م [١] ، هذا بالاضافة إلى تطبيق العدالة وحماية الطرق والتجار من اللصوص [٢] ، وإلغاء المكوس والقبالات التى فرضت منذ أواخر العصر المرابطى [٣] ، ونستدل على ذلك من قول ابن أبى زرع أن يوسف بن عبد المؤمن كان يجبى إليه خراج إفريقية والمغرب والأندلس دون مكس ولا جور ، فكثرت الأموال فى أيامه وتأمنت الطرق وضبطت الثغور وصلح أمر الناس فى البادية والحاضرة ، ويضيف بأن عهد ابنه يعقوب المنصور كان يمتاز بالدعة والأمن والرخاء [٤] .

غير أن هذا الإزدهار التجارى لم يلبث أن قضى عليه فى أعقاب هزيمة المسلمين فى وقعة العقاب (٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م) ، فقد تعرضت الحركة التجارية فى الأندلس للانتكاس بسبب إنهيار سلطان الموحدين وتجرؤ المماليك المسيحية فى أسبانيا على مهاجمة قواعد الأندلس والإستيلاء عليها الواحدة بعد الأخرى ، مما ترتب عليه إختلال الأمن وإنقطاع الطرق التجارية وتوقف التجارة الداخلية والخارجية بسبب الجيوش القشتالية والبرتغالية والليونية والأرغونية التى أخذت تتوسع بضم أراضى الأندلس وفقا لخطة موضوعة متفق عليها بين ملوك المسيحية فى أسبانيا .

وأيا ما كان الأمر فيمكننا القول بأن التجارة الداخلية نشطت خلال فترات طويلة فى عصر دولتى المرابطين والموحدين ، وقد تكونت فى فترة الازدهار التجارى شركات تجارية فى الأندلس ، مما يدل بوضوح على إستقرار الحركة التجارية فى البلاد فى ظل حكومة قوية استطاعت أن توفر الأمن والسلام وتحمى الطرق من بعضهم البعض فى العمليات التجارية ويؤلفون شركة برأس مال متساوٍ حسب شروط يتفق عليها فيما بينهم ، ويوضح فى العقد حقوق وواجبات كل منهم [٥] . وقد شاركت الدولة

---

(١) البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ٨٢ ، ٩٥ .

(٢) المن بالامة ، ص ٣٥٥ – ٣٥٦ ، البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ١٤٤ .

(٣) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ ، روض القرطاس ص ١٤٥ .

(٤) روض القرطاس ، ص ١٤٥ ، ١٥٣ ،

(٥) انظر . الفهرى ، السفر الثانى من الوثائق ، مخطوط ، لوحة ١٢٨ – ١٢٩ ، ابن القاسم ، =

المرابطية فى النهوض بالحركة التجارية ، فقد شاع فى هذا العصر أن تقوم الدولة بتأجير الحوانيت التى بالأسواق للتجار والباعة نظير مبلغ معين من المال يوضح فى العقد [1] . وهذه العقود كان يتولى إبرامها فقهاء متخصصون فى ذلك يرجع إليهم فى حوانيت بالسوق أو القيسارية ، فتشير كتب التراجم الأندلسية إلى أن بعض الفقهاء كانوا يكسبون زرقهم من عقد الشروط [2] .

ومما تجدر ملاحظته فى الأسواق الأندلسية ظاهرة الاعلان عن السلعة بطريقة الصياح ، فقد يشترك إثنان من التجار فى إكتراء أحد الاشخاص ليعلن لهما عن سلعتهما أو بضاعتهما نظير دفع أجرة الكراء مناصفة [3] ويضاف إلى المنادين الصائحين فئة يقال لها الجلاسون ، وهم أشخاص لهم حوانيت للتجارة ويستعينون بدلالين (سماسرة) يقسمون معهم ربح ما يبعون ، فيذكر السقطى المالقى أن بعض الجلاسين « يجلس للنجش [4] ، ويصل التجار المسافرون فينزلون بين أيديهم والدلال

= المقصد المحمود ، مخطوط ، ورقة ٦٠ ب ، الونشريشى ، المعيار ، جـ٨ ، ص ١١٣ – ١١٤ . وتجدر الإشارة إلى أنه فى حالة تكوين شركة تجارية بين شخصين برأس مال متساو فإنه من الممكن حل تلك الشركة إذا رغب أحدهما فى ذلك . انظر (الفهرى ، نفسه ، لوحة ١٣٤) .

(١) ابن عبدون ، رسالة فى الحسبة ، ص ٣١ . ويذكر ابن عبدون أنه يجب على من إكترى حانوتا من السلطان أن يجرى حكمه فى ذلك على ما توجبه السنة ولا يقبل عليه زيادة ولا ينقص عقده الذى انعقد بالكراء . (رسالة فى الحسبة ، ص ٣١) .

(٢) ابن عبد الملك المراكشى ، الذيل والتكملة ، بقية السفر الرابع ص ٦٣ ، رقم ١٥٥ ، ص٦٧ ، رقم ١٥٨ ، ص ١٢٤ ، رقم ٢٣٠ ، وقد أشار السقطى إلى أنه إذا باع أحد الأشخاص جارية فلابد من كتابة عقد يوضح فيه إسم البائع والمشترى ويشهد على إستبراء الجارية ثقة من النساء ، ويضيف بأنه يلزم كتابة عقد أيضا فى حالة بيع دابة ، وإذا كان البائع غير معلوم العين فإن النخاس يضمنه . أنظر (آداب الحسبة ص ٤٧ ، ٦٥ – ٦٦) .

(٣) الفهرى ، السفر الثانى من الوثائق ، مخطوط ، لوحة ١٣٣ .

(٤) النجش هو الزيادة فى السلعة ، وقد نهى الرسول عليه الصلاة والسلام عن النجش فى البيع . قال أبو عبيدة : النجش هو أن يزيد الرجل ثمن السلعة وهو لا يريد شراءها ليسمعه غيره فيزيد بزيادته . أنظر (لسان العرب ، ص ٤٣٥٣) .

بين أيديهم ، فيأخذ الجلاس السلعة وينظر إلى الشراء الذى فيها برشم التاجر (أى ثمن السلعة الذى حدده التاجر) ثم يمحوه ويزيد عليه عددا (١) ، وهذه الزيادة على السعر الذى كان يطلبه التاجر كانت تقسم بين الجلاس والدلال . وفى بعض الأحيان كان الجلاس يشترى من التاجر الغريب السلع الرخيصة إلى أجل ، وبعد أن يقوم ببيعها ويربح فيها يرد ما عليه من دين لهذا التاجر (٢) وقد أشار السقطى إلى ضرورة منع الجلاسين من دخول الأسواق وذلك درءا لشرهم وفسادهم واستغلالهم (٣) .

ونلاحظ فى الأسواق أيضا ظاهرة البيع بالنقد والنسيئة ، حيث كان البعض يبيع بالنسيئة أى بتأخير (لأجل معين) ، ويكسبون من وراء ذلك أموالا تعتبر من الربا (٤) . كذلك شاع فى الأندلس ظاهرة إيداع بعض المال عند أحد الأشخاص الأمناء الموثوق بهم وذلك على سبيل الحرز والأمانة ، ويكتب بينهما عقد يشهد عليه بعض الشهود (٥) ، كما شاع الإقراض لأجل معين ، وهذا الاقراض كان إما نقداً أو عيناً فى شكل كمية محددة من القمح أو الشعير أو ما شابه ذلك (٦) ، ومن ناحية أخرى عرف الأندلسيون نظام الحوالة ، وكثيرا ما استخدمه التجار فى أسواق قرطبة (٧) .

---

(١) أنظر . السقطى ، أداب الحسبة ، ص ٥٨ .

(٢) السقطى ، ص ٥٩ .

(٣) السقطى ، ص ٦٠ - ٦١ .

(٤) السقطى ، ص ٦١ .

(٥) ابن العطار ، الوثائق والسجلات ، نشر بدور شالميتا ص ١٢٤ .

(٦) ابن العطار ، نفسه ، ص ١٤٠ . والملاحظ أنه عند سداد الدين أو القرض كان لابد من كتابة وثيقة براءة منه . أنظر (ابن العطار ، ص ١٦٣) .

(٧) ابن العطار ، الوثائق والسجلات ، ص ١٥٠ . ومن الجدير بالذكر أن ابن العطار قد أوضح أيضا نظام الحوالة المتبع فى بلده الأندلس بقوله : « ويجرى بين التجار فى الأسواق عندنا بقرطبة أن يقول الغريم لغريمه « أنزلك بمالك على فلان فإن لى عليه مثل ذلك أو اكثر فيأتيه فيقول له « أنزلت عليه هذا بدينه وهو كهذا فادفعه إليه مما لى عندك « انظر (الوثائق و ص ١٥٣) .

وتجدر الاشارة إلى أن بعض الفقهاء اشتغل بالتجارة ، وكان يديرها بنفسه [1] ، والبعض الاخر كان يستعين بوكيل له يقوم بالتجارة فى أمواله وبضائعه نظير أجر معين متفق عليه أو تقسيم الأرباح مناصفة ، ويكتب عقد بينهما فى ذلك [2] .

أما عن تحديد أسعار البيع والشراء فى الأسواق أو ما يسمى بالتسعير ، فكان من سلطة المحتسب ، فالسقطى يذكر « أن باعة الخبز يضطرون المحتسب إلى أن يقيم لهم القيمة بمحضر الشهود » ، يمعنى أن يحدد المحتسب تبعا لنظره نسبة ربح معينة لهم [3] ، كما أوضحت كتب الحسبة الأندلسية ضرورة منع الشخص من شراء أكثر من كمية محددة ومرة واحدة فقط من سلعة ما حتى لا تتاح الفرصة للمحتكرين لزيادة السعر ، كذلك كان هناك التزام بأن تكون الصفقات علنية ، فيقول ابن عبدون : « لا يباع من الحنطة ممن يعرف أنه محتكر أكثر من قفيز ، فإنهم يتفقون مع الدلالين فى سوم الشراء ، وينهضون لمنازلهم ولا يحضرون كيلا ولا غير ذلك ، والدلال بكيل ويرسل لهم الجملة كلها . ومن هذا يغلى السوم والسعر أيضا [4] » وينص السقطى أيضا على أن المحتسب لابد له من معرفة « ما فى بلده من الطعام المختزن لوقت الحاجة إليه ، وكذلك ما يحتاج إليه بلده من الطعام فى كل يوم وما يرد عليه من الطعام ويعمل فيه من الدقيق ويجلب منه أيضا إليه ، ليتوصل بذلك إلى زيادة السعر ونقصه [5] » .

ويتضح من النصوص السابقة أن البضائع أو السلع كانت تباع بأسعار محددة لها ،

---

(1) المراكشى ، الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، ق ١ ، ص ١٢٠ رقم ٢٣٤ ، ص ٣٢١ رقم ٦٣٥ .

(2) ابن القاسم ، المقصد المحمود ، مخطوط ، ورقة ٣٣ ب ، ٣٨ أ ، الونشريشى ، المعيار ، جـ ٨ ، ص ٢٠٧ ، جـ ٩ ، ص ٥٢ .

(3) السقطى ، آداب الحسبة ، ص ٢٣ ،

Chalmeta, El Senor del zoco, en ospana, p. 136.

(4) ابن عبدون ، رسالة فى الحسبة ، ص ٤٢ ؛

Chalmeta, El Senor del zoco, p.135.

(5) آداب الحسبة ، ص ١١ .

وكانت هناك قوائم بتلك الأسعار معلقة بالحوانيت كي يستطيع أي فرد أن يشترى السلعة طبقا لسعر السوق دون زيادة أو استغلال [1] .

ثالثا : الأســواق :

اشتهرت مدن الأندلس وقراها بكثرة أسواقها الثابتة والاسبوعية والموسمية . ومما لاشك فيه أن سوق المدينة تعتبر المرآة التى تعكس حياتها الاقتصادية عامة ونشاطها التجارى والصناعى بصفة خاصة [2] .

وكان فى الأندلس ثلاثة أنواع من الأسواق هى :

أ – الأسواق المدنية التى تقام بصفة مستمرة فى المدن .

ب – الأسواق الريفية الأسبوعية التى تقام فى القرى فى يوم معين من الأسبوع.

ج – الأسواق المشهورة أو الموسمية التى تقام فى وقت معين بصفة دورية ولكن على فترات متباعدة [3] .

(أ) الأســواق المدنيــة :

فى الحقيقة أن كلمة « سوق » لا تعنى موضعاً محدداً بحدود ثابتة ، وإنما يقصد بها المواضع التى يتجمع فيها التجار والباعة وتقام فيها الحوانيت للبيع والشراء على نحو متواصل ، فالسوق قد يكون فى عديد من الشوارع أو فى ميدان (رحبة) أو

---

(١) المقرى ، نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٢٠٢ ؛
Imaamuddin, Some aspects of socio - economico, p. 124 .

(٢) انظر . أحمد مختار العبادى ، من مظاهر الحياة الاقتصادية فى المدينة الاسلامية ، عالم الفكر ، ص ١٥٧ .

(٣) Chalmeta, El Senor del Zoco, pp. 88, 103 & Levi - Provencal, Espana musul., t. v, p. 177.

فى الأرباض قرب أبواب المدينة [1] .

وكانت المدن الأندلسية عامة عامرة بالأسواق التجارية بحيث لا يمكننا أن نجد مدينة واحدة تخلو من سوق وربما كان لها سوقان أو أكثر فى آن واحد ، فالإدريسى يذكر أن تجار قرطبة « مياسير لهم أموال كثيرة وهى فى ذاتها مدن يتلو بعضها بعضا وفى كل مدينة ما يكفيها من الأسواق والفنادق [2] » ، كما كان لإشبيلية عدة أسواق وسويقات منها سوق العطارين وسوق البزازين وسوق المرابطين وسوق الخياطين [3] ، كذلك وجد العديد من الأسواق الزاخرة بمختلف أنواع السلع والمنتجات خاصة فى طرطوشة [4] وبلنسية [5] ومرسية [6] وشقر [7] ولورقة [8] ولقنت [9] وأوريولة [10] ومالقة [11] وطريف [12] وإستجة [13] وبياسة [14] وبسطة [15] ولبلة [16] وشلب [17] وغيرها .

---

(1) Torres Balbas, Ciudades hispano - musul., t. I, p. 301.

(٢) انظر . صفة المغرب والسودان ومصر والأندلس ، ص٢٠٨ ؛ الحميرى صفة جزيرة الأندلس، ص ١٥٣ .

(٣) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، ص ٤٨٥ – ٤٨٦ .

(٤) الادريسى ، ص ١٩٠ ، الحميرى ، ص ١٢٤ .

(٥) الادريسى ، ص ١٩١ ؛ الحميرى ، ص ٤٧ .

(٦) الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٨١ .

(٧) الحميرى ، ص ١٠٢ .

(٨) الادريسى ، ص ١٩٦ ؛ الحميرى ، ١٧١ .

(٩) الادريسى ، ص ١٩٣ ؛ الحميرى ، ص ١٧٠ .

(١٠) الادريسى ، ص ١٩٣ ؛ الحميرى ، ص ٣٤ .

(١١) ابن غالب ، ص ٢٨٣ ؛ الحميرى ، ص ١٨٣ – ١٨٤ .

(١٢) الادريسى ، ص ٢٠٠ ؛ الحميرى ، ص ١٧٨ – ١٧٩ .

(١٣) الادريسى ، ص ١٧٦ .

(١٤) الادريسى ، ص ٢٠٥ ، الحميرى ، ص ١٥ .

(١٥) الادريسى ، ص ٢٠٣ ، الحميرى ، ص ٥٧ .

(١٦) الادريسى ، ص ٢٠٢ ؛ الحميرى ، ص ٤٥ .

(١٧) الادريسى ، ص ١٧٨ ؛ مجهول ، جغرافية الأندلس مخطوط ، لوحة ٢٧ .

وقد تشابهت أسواق الأندلس مع غيرها من أسواق المدن الإسلامية فى مظهرها العام تقريبا ، فأغلبها مسقوف كى لا تتعرض لعوامل الطبيعة والبعض الآخر مكشوف ، كما أن لكل سوق اختصاص بتجارة أو سلعة معينة (١) .

ففى مالقة يذكر السقطى أنه كان يوجد بسوقها العطارون الذين يقومون ببيع مختلف أنواع العطارة والطيب والعقاقير (٢) ، كذلك كانت هناك أسواق للعطارين تقع قرب أبواب المدن ، وقد تسمت أبواب بعض المدن بهذا الاسم كما هو الحال فى باب العطارين بقرطبة (٣) ، وهناك سوق آخر للعطر فى لورقة (٤) وأيضا فى بلنسية ، وسمى بعد الاسترداد المسيحى لبلنسية فى ٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م بإسم Calle de los Alatares أى شارع العطارين (٥) .

وهناك أسواق أخرى للبزازين والصباغين والرفائين والغرائين وباعة الأحذية والأسماك والحلوى والخبز والطباخين الذين كانت لهم حوانيت لبيع الوجبات الغذائية للصناع والتجار (٦) مثل سوق الهراسيين أو باعة الهريسة (وهى تصنع من دقيق ولحم ودهن (٧)) ، ويذكر السقطى أن الطباخين « لا يتركون يطبخون بالليل ولا فى السحر ولا فى الديار الخالية والمواضع الغابية ، وليطبخوا فى حوانيت مجصصة

---

(١) مختار العبادى ، من مظاهر الحياة الاقتصادية ، ص ١٥٧ .

(٢) آداب الحسبة ، ص ٤١ – ٤٤ .

(٣) العذرى ، ص ١٢٢ ؛ سالم ، قرطبة ، جـ ١ ، ص ١٨٢ ، ٢٠٦ ، ليفى بروفنسال ، الاسلام فى المغرب والأندلس ص ٦٥ ١.

(٤) الادريسى ، ص ١٩٦ ؛ الحميرى ، ص ١٧١ .

(٥) ابن الابار ، التكملة ، جـ ١ ، ص ٣٣٣ ، رقم ٩٧٦ ، Torres Balbas, Ciudades, t, I, p. 307.

(٦) انظر . السقطى ، آداب الحسبة ، ص ٢٠ ، ٣٧ ، ابن عبد الرؤوف ص ٩٧ – ٩٨ ؛ Levi - Provencal, Esp. musul. p. 181 .

(٧) السقطى ، ص ٣٦ – ٣٨ ؛ ليفى بروفنسال ، سلسلة محاضرات عامة فى آداب الاندلس ، ص ٩١ .

مسطحة يمكن غلسلها في كل الأوقات [1] ، كذلك كانت للكتب سوق يقال له الكتبية أو الوراقة كالشأن في قرطبة ، وسيتدل على ذلك من رواية أوردها ابن سعيد جاء فيها أن ابن رشد الحفيد ذكر أنه إذا مات عالم بإشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها ، وإذا مات مطرب بقرطبة فأريد بيع تركته حملت إلى إشبيلية [2] ، ويؤكد ذلك رواية للمقرى جاء فيها أن أبا يحيى الحضرمى أقام مرة بقرطبة ولازم سوق كتبها مدة يترقب كتابا بعينه إلى أن عثر عليه [3] .

وتشير المصادر العربية والأسبانية إلى وجود سوق للدواب في كثير من المدن خارج الأسوار من بينها سوق للدواب بمرسية وسوق آخر في طليطلة ما زال اسمه معروفا حتى الآن بإسم Zoco dover أي سوق الدواب ، كما كان بإشبيلية سوق للدواب ورد ذكره في كتاب الحسبة لابن عبدون في سياق حديثه عن ضرورة وجود أمين في سوق الدواب « يرجع إلى قوله عند الاختلاف بين الأشياء [4] كذلك كان بمالقه سوق للدواب حيث كان يوجد بها نخاسون لبيع الدواب ، وحذرهم السقطى من بيع دواب تجار غير معروفى الشخصية أو الموطن وأنه في حالة كونه « غير معلوم العين وقبله النخاس صار ضامنا يضمنه » وذلك خوفا من أعمال الغش والتدليس لأنهم قد يأخذون رشوة من البائع كي يبيعون له دوابه التي بها بعض العيوب المستترة [5] وتشير وثائق تقسيم بلنسية (تعرف في الاسبانية بإسم (Repartimiento de Valencia) إلى وجود سوق للدواب في شاطبة ، بالإضافة إلى أسواق الدواب الشهيرة في قرطبة وكانت تقام خارج الأسوار [6] .

---

(١) آداب الحسبة ، ص ٣٥ .

(٢) انظر . المقرى ، نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ١١ .

(٣) المقرى ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ١١ .

(٤) انظر . ابن عبدون ، رسالة في الحسبة ، ص ٥٣ .

(٥) السقطى ، آداب الحسبة ، ص ٦٥ – ٦٦ .

(٦) المقرى ، نفح ، جـ ٢ ، ص ١٦٢ ؛ عبد العزيز سالم ، قرطبة ، جـ ١ ، ص ١٨٢ ، T. Balbas, Plazas zocos y tiendas de las ciudades hispaso - musul., al - Andalus, XII, 1947, p. 448 & p. Chalmeta, El Senor del zoco, p. 148; 155.

والملاحظ أن القصابين (باعة اللحم) كانوا يشترون الدواب حية من سوق الدواب أو من تجار الماشية ، وكانت ماشية الذبح تذبح - عادة - فى المذابح المقامة خارج المدينة ثم تحمل إلى حوانيت القصابين بالسوق ، وكان المحتسب يأمر بعدم خلط الضأن مع لحم الماعز أو المهزول مع السمين والمصران والكرشى مع اللحم [1] .

وإلى جانب الأسواق سالفة الذكر كانت تقام فى معظم المدن الأندلسية فى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) أى فى عصر دولتى المرابطين والموحدين أسواق للنخاسة أو الرقيق ، وكان التعامل فيها يتم عن طريق السماسرة والنخاسين الذين يجلبون الرقيق من أوربا المسيحية أو من جليقية أو من بلاد السودان [2] . وتذكر كتب الحسبة أن قرطبة والثغر الأعلى (سرقسطة) كانتا من أهم مراكز تجارة الرقيق فى الأندلس [3] ، ونستدل مما أورده السقطى على أن تجار الرقيق فى مالقة كانوا يعمدون إلى كثير من وسائل الغش من ذلك أنهم كانوا « ينصبون بسوقهم إمرأة يسمونها الأمينة توافق فى التكرمذهبهم وتشهد فى استبراء الخدم بمقتضى مرادهم وبحسب ما يعطى مشترين ، ويقصد التعجيل بالاجتماع بهن [4] » ، كذلك كانوا يلجأون إلى تحمير الخدود ودهن وجوه السودان وأطرافهم وتسويد الشعر وذلك بإستخدام بعض الأصباغ والأدهان والطيب [5] ، ويضيف السقطى أنه ينبغى

---

(١) السقطى ، آداب الحسبة ، ص ٣٣ ؛ ليفى بروفنسال ، سلسلة محاضرات عامة ، ص ٩٠ .

(٢) انظر . ليفى بروفنسال ، سلسلة محاضرات عامة ، ص ٩٣ .

(٣) آداب الحسبة ، ص ٤٧ - ٤٨ ، ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ١٦٠ ؛
Levi - Provencal, Esp., musul., p. 187 .

(٤) السقطى ، ص ٤٨ . ومن الملاحظ أنه عند بيع وشراء الرقيق كان لابد من كتابة عقد بين البائع والمشترى يشهد عليه بعض الأشخاص الثقات وذلك بمحضر المملوكة أو المملوك والاقرار بالرق للبائع . أنظر (أبن العطار الوثائق والسجلات ، ص ٣٣ - ٣٤) .

(٥) السقطى ص ٥٠ - ٥١ . وتجدر الاشارة إلى أنه كان يوجد بالأندلس نوعان من الرقيق الاناث أحدهما يسمى العلية أو المرتفعات وهذا أعلى ثمنا والآخر يسمى الوخش ، ويذكر ابن العطار أن العلية من الرقيق يبلغ ثمنها من خمسين إلى ستين دينار (الوثائق ، ص ٣٦) .

على « المحتسب مع هؤلاء (أى تجار الرقيق) أن يقدم أمينة من ثقات المسلمين الخيار أهل الدين والمروءات ، يؤمن عليها مكر ذلك الصنف من النخاسين [1] .

ومن الجدير بالذكر أن الرحبة التى تقام أمام الجامع كان يشغلها أيضا التجار عدا وقت صلاة الجمعة ، فيذكر ابن عبدون أن الباعة يجب أن يأمروا بكنس رحاب الجامع صبيحة يوم الجمعة ، ولا يشغلوا رحابه بالسلع حتى تنقضى الصلاة [2] .

وقد تعرضت بعض الأسواق لنشوب الحرائق بها كما فى سوق قرطبة فى عصر الخلافة الأموية والفتنة القرطبية وكذلك فى عصر المرابطين ، حيث يذكر ابن القطان أنه فى سنة ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م وقع حريق بسوق الكتانين بقرطبة واتصل بسوق البز ، وسرقت أموال الناس أثناء ذلك [3] .

وتحتفظ بعض مدن أسبانيا بعدة أسماء ذات صفة تجارية بمعنى أنها توضع نوعية السلع والمنتجات التى كانت تباع فى بعض الشوارع والأماكن ، فقد أشارت الوثائق القشتالية وخريطة قرطبة التى ترجع إلى سنة ١٨١١ م إلى أسماء شوارع لأسواق مختلفة منها شارع القصابين (Carniceros) وشارع الخياطين (Calle de los Alfayates) والخلالين (Vinagreros) والوراقين (Libreros) [4] وفى وثائق تقسيم إشبيلية نلحظ وجود إسم « باب الفحم » (Puerta del carbon) ، وبالقرب منه كان يقع الموضع الذى يباع فيه الفحم النباتى خارج السور ، كما نجد بها ميدان

---

(١) السقطى ، ص ٥٦ ؛ ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ١٦٠ .

(٢) انظر ، رسالة فى الحسبة ، ص ٢٣ ،

Balbas, Ciudades, t, I, p. 295.

(٣) نظم الجمان ، ص ١٩٠ - ١٩١ . وعن سوق الكتان بقرطبة أنظر (عياض ترتيب المدارك ، جـ ٤ ، ص ٤٢٤) وانظر أيضا عن حرائق أسواق قرطبة فى عصر الخلافة . (ابن حيان ، المقتبس ، جـ ٥ ، نشر شالميتا ، ص ١٤٢ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٠٧) .

(٤) انظر . عبد العزيز سالم ، قرطبة ، جـ ١ ، ص ١٨١ .

Levi - Provencaal, Histoire de l'Esp., t. III, pp. 371 - 372 .

(أو رحبة) يسمى Plaza de la Alfalfa أى ميدان الفصفصة ، وشارع المكانس Calle de los escobus [1] ، كذلك ورد فى كتب الأحباس الخاصة بغرناطة شارع الخبز وباب الفحم وحى الفخارين ، كما تشير وثائق تقسيم بلنسية إلى وجود بعض الحرف التجارية مثل تجار الحرير الخام والخياطين وتجار الفراء والفحم والقطن والحنطة وغيرها . وتشير الوثائق المسيحية الأسبانية لسنة ١٤٩٣ م إلى وجود أماكن بالمدن تحمل إسم « السوق » ، ففى شقوبية (Segovia) يوجد موضع يسمى Plaza del Azoguejo أى ميدان السوق ، وفى سرقسطة شارع يسمى Calle de Azoque أى شارع السوق ، وفى مرسية نجد مكاناً خلوياً يسمى Rambla del Cuerno لا زال يحتفظ بكلمة « سوق Zoco » [2] .

وإلى جانب الأسواق وجدت بالمدن بعض الأماكن التى تحمل إسم السويقة ، ويبدو أن صغار التجار كانوا يتجمعون فيها ، وتقع – غالبا خارج أسوار المدن [3] كما فى سويقة ابن نصير وابن أبى سفيان فى قرطبة ، وسويقات بلنسية وميورقة وقونكة وبطليوس وطليطلة وسويقة المسمار قرب جامع إشبيلية [4] .

(ب) الأسواق الريفية الأسبوعية :

هناك إشارات عديدة فى كتب الجغرافية أسواق أسبوعية كانت تقام فى أرباض

---

(١) Chalmeta, El Senor del zoco, pp. 149 -150 .

أما كلمة الفصفصة التى وردت بالمتن فيذكر علماء النبات أنه يوجد بجهة شلونة وشريش عشب تسمن عليه الخيل يسمى بالعربية فصفصة وبالأندلسية سلة وبالرومانسية ميلقة « Milca » أنظر :

(Asín pala cios, Glosario de Voces romamces, p. 181)

(٢) Chalemeta, op. cit, pp. 147; 155 - 157; 189.

(٣) Balbas, Ciudades, t. I, p. 295 & Chalmeta, op. cit , pp. 148 ; 195 - 197.

(٤) ابن بشكوال ، الصلة ، ق ١ ، ص ١٩٧ ، رقم ٤٤٤ ، وانظر حول السويقات :

Balbas , op. cit, t. I, p. 304; Levi - Provencal, Histoire, t. III, N. 2, 383.

المدن خارج الأسوار وفى القرى المحيطة بها ، منها سوق الخميس فى ربض مالقة وقبرة وقرمونة [1] ، وسوق الثلاثاء فى شوذر [2] (بكورة جيان) ، كذلك وجدت أسواق أسبوعية أخرى فى قرى كورة جيان [3] وربض لورقة [4] وبيانة [5] .

وفى هذه الأسواق الريفية كان يجتمع الناس فى يوم معين من أيام الأسبوع ، ويقصدونها من القرى المجاورة ، ورغم أنها أسواق جامعة – كما يذكر الحميرى – إلا أنها لا تصل فى ازدهارها ونشاطها التجارى إلى مرتبة أسواق المدن [6] .

وقد احتفظت طبوغرافية المدن الأسبانية بعد حركة الإسترداد المسيحى بأسماء مواضع تحمل بعض أيام الأسبوع ، فنجد مكانا بمنطقة وشقة Huesca يطلق عليه إسم « سوق الثلاثاء » وأخر فى بطليوس يسمى « سوق الأحد » [7] .

(جـ) الأسواق المشهودة (الموسمية) :

بالإضافة إلى ما سبق وجد نوع من الأسواق الأندلسية كان يسمى بالأسواق المشهودة ، كان يقام دوريا بانتظام وعلى فترات متباعدة ويقصده تجار من

---

(١) الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٤٩ ، ١٥٩ ، ١٧٨ ؛
Chalmeta, op. cit, pp. 88 - 89 .

(٢) الحميرى ، ص ١١٧ ؛
Levi - Provencal, Espana musul . t. ,v, p. 177, & Chalmeta, op. cit, p. 89 .

(٣) الحميرى ، ص ٧١ .

(٤)الحميرى ، ص ٩٦ ؛
Chalmeta, Tbid, p. 89 .

(٥) الحميرى ، ص ٥٩ ، وتجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من الأسواق الأسبوعية وجد أيضا بالمغرب فيذكر صاحب كتاب الاستبصار أن مدينة درعة بالمغرب الأقصى كانت بها أسواق تقام يوم الجمعة . أنظر (مجهول ، الاستبصار فى عجائب الأمصار ، نشر وتحقيق د. سعد زغلول عبد الحميد ، ص ٢٠٦ ،

(٦) الحميرى ، ص ١٤٩ ، ١٧٨ ؛
Chalmeta. Ibid, p. 92 .

(٧) Chalmeta. Ibid, pp. 96 - 97 .

مناطق بعيدة [1] والحقيقة أن المصادر لم تذكر لنا أية تفصيلات حول تلك الأسواق غير إشارات مقتضبة أوردها الادريسى تفيد بوجود هذا النوع من الأسواق المشهودة فى حصن أشر [2] وحصن بكيران [3] وحصن القبذاق [4] .

رابعـا - القيساريات :

كانت القيسارات الأندلسية تتألف غالبا من شكبة من الطرقات الضيقة المسقوفة أو من ممرات تدور حول بهو فسيح تنفتح عليها الحوانيت [5] .

ويذكر ابن الابار أنه كان ببلنسية قيسارية ، ويضيف بأن ابن متيال الوراق (ت ٦١١ هـ) كان له دكان بتلك القيارية يقعد فيه للتجارة وبيع الكتب [6] ، ويبدو أن قيسارية بلنسية كانت تقع قرب الباب المسمى بباب القيسارية فى الجنوب الغربى من السور [7] ويشير العذرى إلى قيسارية بالمرية كانت تقع فى الجانب الغربى من المدينة [8] . وكانت بمدينة مالقة قيسارية ، يذكر الباحث الأسبانى رويلس أنها كانت مثل الأسواق الشرقية تتكون من مجموعة من الحوانيت ، ويضيف أنه من الصعب أن نحدد

---

(1) Chalmeta, El Senor del Zoco, p. 103 .

وتجدر الإشارة إلى أن البكرى قد ألمح إلى وجود هذا النوع من الأسواق المشهودة فى مدينة أصيلة بالمغرب الأقصى ، فيذكر أنه كانت تقام بها سوق جامعة ثلاث مرات فى السنة (المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ١١٢) .

(٢) الادريسى ، ص ٢٠٤ . ويقع حصن أشر على مسافة ٢٠ ميلا من أرشذونة ، وهو من أعمال مالقة (الادريسى ، ص ٢٠٤) .

(٣) الادريسى ، ص ١٩٢ .

(٤) الادريسى ، ص ٢٠٥ . وحصن القبذاق من أعمال جيان ويقع على مقربة من باغة (الادريسى ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥) .

(٥) عبد العزيز سالم ، العمارة المدنية فى الأندلس ، ص ١٤٥ ؛

Levi - provencal, Espana musul. t. v, p. 178 .

(٦) انظر . التكملة ، جـ ٢ ، ص ٥٠٦ ، رقم ، ١٤٢٣ .

(٧) العذرى ، نصوص من ترصيع الاخبار ، ص ١٨ .

(٨) نصوص من ترصيع الاخبار ، ص ٨٦ .

بدقة حدود قيسارية مالقة ولكن يبدو أنها كانت تمتد من نهاية شارع المخازن (Calle de Almacens) إلى ما يعرف اليوم بإسم الدير (El Conventico) وما حوله . وكانت تتكون من عديد من الممرات والحوانيت ، ويمكن دخولها عن طريق بوابة معقودة بعقد وكان لهذه القيسارية حتى عام ١٤٩٠ م عدة أبواب أحدهما ينفتح على شارع النجارين (Calle del los Carpinteros) وآخر ينفتح على شارع السرو (Cipres) [١] .

ومن أهم القيساريات الأندلسية أيضا قيسارية إشبيلية ، التى كانت قائمة وعامرة حتى عهد الخليفة يعقوب المنصور ، فيذكر ابن صاحب الصلاة أن المنصور الموحدى أمر فى سنة ٥٩٢ هـ / ١١٩٥ م بهدم الديار والحوانيت والفنادق التى كانت تحيط مساحة المسجد الجامع ، وبناء قيسارية حوله تأنق فى بنائها وجعل لها أربعة أبواب ضخمة تحوطها من جوانبها الأربعة ، ولما كمل بناؤها بحوانيتها نقلت إليها أسواق العطارين والبرازين والمرابطين (أى سوق الثياب المستعملة) والخياطين ، وتزاحم الناس فى المزايدة فى كرائها [٢] والملاحظ أن إشبيلية ما زالت تحتفظ إلى اليوم بشارع يعرف « بشارع القيسارية » يقع بجوار كنيسة سان سلفادور نسبة إلى السوق الذى كان يحيط بجامع ابن عدبس وكانت هذه القيسارية تضم سوق الثياب وسوق الخياطين (يسمى اليوم Los Alfayates) والصياغين والسقاطين وسوق العطارين وغيرها [٣] .

وكانت قرطبة تحتفظ حتى وقت قريب بميدان مستطيل الشكل يعرف

---

(١) أحمد الطوخى ، القيساريات الاسلامية ، فصلة من مجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية ، عدد ٢٨ سنة ١٩٨١ ، ص ٩٢ - ٩٣ ،

Robles, Malaga musul., p. 308,

(٢) المن بالامامة ، ص ٤٨٥ - ٤٨٦ ؛ سالم ، العمارة المدنية ، ص ١٤٥ ،

Torres Balbas, Alcoicerias, al - Andolus, Xiv, 1949, p. 434.

(٣) سالم ، العمارة المدنية ، ص ١٤٥ ؛ أحمد الطوخى ، نفسه ، ص ٨٤ ؛

Balbas, op. cut, p. 435.

بالقيسارية (Alcaicaia) تقع إلى الجنوب الشرقى من المسجد الجامع [1] ، وكانت هذه القيسارية تعرف زمن الخلافة بإسم السوق العظمى وقد تعرضت لحريق هائل فى سنة ٣٢٤ هـ / ١٩٣٦ م دمرها ، الأمر الذى دعا الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى المبادرة بإعادة بنائها ، ثم اتخذها ابنه الحكم المستنصر قيسارية للتجار توسعت بها السوق ونقل البرد منها إلى الدار التى اتخذها بالمصارة ، وأعيدت فى هذا الوقت السوق أحسن ما كانت عليه ، جعل بها سقف الخشب المقرمدة ، فاكتملت بذلك محاسن سوق قرطبة [2] .

أما قيسارية غرناطة فقد ظلت تحتفظ بالنظام العام للقيسارية الإسلامية حتى دمرها حريق فى عام ١٨٤٣ م ، ولم يبق منها سوى طريق واحد من الطرق الكثيرة التى كانت متشبعة داخلها ، وتصطف على كلا جانبى هذا الطريق حوانيت كانت تباع فيها المصنوعات القيمة والمنتجات الثمينة [3] .

وكان يباع بحوانيت تلك القيساريات السلع والمنتجات القيمة والثمينة التى قد لا تتوفر بالأسواق الصغيرة فى الأرباض أو القرى ، وكانت الحوانيت صغيرة وضيقة ولذا فإن البائع لا يحتاج لأن يتحرك من مكانه لاحضار السلع من مواضعها وكان للحانوت باب واحد يفتح مباشرة على الشارع أو الممر ، وهذا الباب يتكون من ألواح خشبية متحركة ، وعند فتحه تكون على هيئة مظلة تحمى البائع والمشترى من أشعة

---

(١) سالم ، العمارة المدنية ، ص ١٤٥ ؛ الطوخى ، القيسارات الاسلامية ص ٨٣ ،
L; Provencal, Hist., t. III, pp. 371 - 372 , Garcia Gomez, Notas sobre la topografia cordobesa en los anales de Al - Hakam II, por Isa Razi, al - Andolus, vol XXX, 1965. p. 348 & Balbas, Alcaicerias, p. 433.

(٢) انظر : ابن حيان ، المقتبس ، قطعة خاصة بعصر عبد الرحمن الناصر نشر بدرو شالميتا ، ص ٣٨٣ ، وعن قيسارية قرطبة ، انظر أيضا : ابن الأبار ، التكملة ، جـ ١ ، ص ٢٩٦ ، رقم ٩٧ .

(٣) سالم ، نفسه ، ص ١٤٦ ؛ الطوخى ، نفسه ، ص ٨٧ ؛ ليفى بروفنسال سلسلة محاضرات عامة فى أدب الأندلس وتاريخها ، ص ٦٧ ؛
Balbas, op. cit, p. 439 .

الشمس والمطر [1] .

وإلى جانب الأسواق والقيساريات شهدت مدن الأندلس الباعة الجائلين الذين كانوا يتنقلون بعرباتهم الصغيرة في الحارات والأزقة الضيقة لعرض منتجاتهم ، فيشير ابن عبد الملك المراكشى إلى أن بعض العطارين كانوا يتجولون فى شوارع وحارات المدن لبيع مختلف أنواع العطارة [2] .

خامسـا – الفنادق :

يشغل الفندق [3] فى الأندلس (يسمى فى المشرق بالخان) مكانة هامة فى العمران الاقتصادى وكانت تلك الفنادق تكثر بصفة خاصة فى مركز المدينة أى حول المسجد الجامع [4] وكان الفندق فى الأندلس يتألف من صحن مستطيل أو مربع الشكل يتوسطه حوض لسقيا الدواب ، وتدور بالصحن ممرات تطل عليه ، وتتوزع وراء هذه الممرات مخازن لحفظ السلع المراد بيعها بالجملة واصطبلات لاقامة الدواب ، ويشغل الطابق العلوى غرف مخصصة لمبيت النزلاء [5] .

وهكذا كان الفندق بناء يجمع بين الصفة الاقتصادية والاجتماعية ، ففيه كان يقضى التجار الغرباء لياليهم ، وتحفظ فيه سلعتهم لتباع بالجملة ، وكانت هذه

---

(1) Huici Miranda, Hist., musul. de valencia, t. I, p. 65.

(2) ابن عبد الملك المراكشى ، الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، ص ١ ، ص ٤٠٢ ، ترجمة رقم ٦٧٤ ؛

H. Miranda, Ibid, t. I, p. 66.

(3) تجدر الاشارة إلى أن الفندق الاسلامى في الاندلس ظل معروفا فى أسبانيا المسيحية وسمى Alfondiga أو Alhondiga ومنها أشتقت اليوم كلمة Fonda وتعنى بالأسبانية فندقا يأكل فيه النزلاء وينامون . أنظر (سالم ، العمارة المدنية ، ص ١٤٣) .

(4) سالم ، العمارة المدنية ، ص ١٤٣ .

(5) سالم ، العمارة المدنية ، ص ١٤٤ ؛

Balbas, Alhondigas, al - Andalus, Xi, 1946, pp. 458 - 459 .

الفنادق تتسمى بأسماء ما يباع فيها من بضائع أو سلع كالحبوب والكتان والخضروات والقراميد والتين وما إلى ذلك ، أو كانت تتسمى بأسماء أصحابها كفندق زايدة بغرناطة ، وأحيانا تتسمى بمن ينزل بها من التجار مثل الجنوية والشامية [1] .

وقد وجد العديد من الفنادق في المدن الأندلسية فيذكر الادريسي أن المرية في عهد على بن يوسف المرابطي كان بها ما يقرب من ٩٧٠ فندقا [2] كما كان هناك فنادق كثيرة أخرى في قرطبة [3] ومالقة [4] وقرية بزليانة [5] (من أعمال مالقة) وطريف [6] وحصن قيشاطة [7] وقرية عذرة [8] (من عمل المرية) وإستجة [9] ومارِدة [10] وشقر [11] ، وتشير وثائق تقسيم بلنسية إلى عدد من الفنادق كانت مقامة بها [12] .

وتنبغي الاشارة إلى أن إسم الفندق ما يزال يطلق اليوم على أحد شوارع إشبيلية (Calle de la Alfondiga) ، ويعتبر فندق الفحم بغرناطة (بالأسبانية Corral del

---

(١) سالم نفسه ، ص ١٤٣ ؛
Levi - Provencal, Espana musul., t. v, p. 179.

(٢) الادريسي ، ص ١٩٧ - ١٩٨ ؛ ابن غالب ، ص ٢٨٣ ؛ الحميرى ، ص ١٨٣ - ١٨٤ .

(٣) ابن حوقل ، ص ١١١ ؛ الادريسي ، ص ٢٠٨ ؛ ابن القطان ، ص ٢٠٨ ؛ المقرى نفح ، جـ ٢ ، ص ٨ .

(٤) الادريسي ، ص ٢٠٤ ؛ الحميرى ، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

(٥) الادريسي ، ص ٢٠٠ ، الحميرى ، ص ٤٤ .

(٦) الادريسي ، ص ١٧٦ .

(٧) الادريسي ، ص ٢٠٣ ، الحميرى ، ص ١٦٥ .

(٨) الادريسي ، ص ١٩٨ .

(٩) الحميرى ، ص ١٥ .

(١٠) مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٥ .

(١١) الادريسي ، ص ١٠٢ .

(١٢) Chalmeta, op. cit, p. 155.

Carbon) أروع أمثلة الفنادق الاسلامية الأندلسية فى القرن ١٤ م (٨ هـ) [1] .

سادسا - الاشراف على الأسواق (نظام الحسبة أو ولاية السوق) :

عرف خطة الحسبة فى الأندلس بإسم ولاية السوق أو أحكام السوق وكان متوليها يدعى صاحب السوق [2] ، وهو إصطلاح انتقل إلى أسبانيا المسيحية محرفا فى صورة « Zabazoque » ، أما لفظ المحتسب الذى كان شائع الاستخدام فى المشرق فقد انتقل إلى الأندلس فى فترة متأخرة يمكن تاريخها بأواخر عصر المرابطين أو اوائل عصر الموحدين ، وذلك بناء على الاشارات التى أوردتها كتب التراجم فى هذا الصدد [3] .

ويعتبر المحتسب المنظم الحقيقى للحياة الاقتصادية عامة فى المدينة وللحياة التجارية والصناعية على وجه الخصوص ، ولذا فإن نظام الحسبة كان من أوائل النظم الاسلامية ظهوراً ، وكانت الحسبة عملاً دينياً فى بدايته يقوم على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ويتولاه المحتسب ، ثم لم تلبث أن تحولت ولاية الحسبة عن الرقابة الاخلاقية إلى كثير من شئون الحياة العامة إلى أن اقتصرت وظيفتها فى الأساس على تتبع المخالفات التجارية فى المدن الاسلامية والتعزير أو تنفيذ العقوبة والمعروف أن هذا الاساس لا يخرج بمهمة المحتسب عن صبغتها الدينية فى شيء وذلك لأن نظرة الاسلام إلى التجارة تقضى بإعتبار المعاملات مهما تكن طبيعتها خاضعة لمجموعة من

---

(١) انظر : سالم ، العمارة المدنية ، ص ١٤٤ ،
Balbas, los Alhondigas, p. 460.

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، نشر محمود مكى ، طبعة بيروت ١٩٧٣ م ، ص ١٨٦ ، هـ ٣٦٠ ص ٥٤٨ ؛ ابن بشكوال ، الصلة ، ق ١ ، ص ٣٠٧ ، رقم ٦٧٨ ، العبادى ، من مظاهر الحياة الاقتصادية فى المدينة الاسلامية ، مجلة عالم الفكر ، ص ١٥٩ .

(٣) أنظر : التكملة ، جـ ١ ، ص ٨٤ رقم ٢٧٨ ؛ السلفى ، أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر ، تحقيق إحسان عباس ، ص ٧٦ ، رقم ٤٧ ؛ ابن الزبير ، صلة الصلة ، ص ١٨٢ ، رقم ٣٥٨ ؛ العبادى ، نفسه ص ١٥٩ .

القواعد مقررة بالسنة [1] .

وكان المحتسب في عصر المرابطين يعين عن طريق القاضي وبموافقة الوالي [2] ، ويذكر ابن عبدون أنه ينبغي « أن يكون المحتسب رجلا عفيفا خيرا وربما عالما غنيا نبيلا عارفا بالأمور محنكا فطنا لا يميل ولا يرتشي فتسقط هيبته » ويضيف بأن المحتسب يعتبر نائب القاضي فإن اعتذر القاضي فهو يحكم مكانه فيما يليق به وبخطته ، ويأمر له القاضي براتب يصرف من بيت المال ليستعين به على معيشته وأنه على القاضي أيضا أن يعضده ويحميه ويمضي أحكامه [3] .

وكان للمحتسب اختصاصات إقتصادية وإجتماعية متعددة ، يهمنا منها ما يتعلق بالحياة الاقتصادية ، التي يمكن حصرها في الاشراف على التجار والصناع وكل من يصح أن يخدع عملاءه بأي صفة كانت مما يؤدي إلى الأضرار بالجماعة الاسلامية ، كما كان عليه مراقبة الموازين والمكاييل والتأكد من سلامتها ومراقبة العملة المتداولة في البلدة فإن رأى فيها زيفا فعليه أن يتعقب المزيفين ويعاقبهم بكل قسوة ، كذلك النظر في القضايا وخاصة منكرات السوق مثل بيع الخمور وسائر المحرمات والمبيعات المغشوشة وغير ذلك من المعاملات الجارية في الأسواق [4] .

وكان يساعد المحتسب في مهمته مجموعة من الأمناء (أمناء السوق) حيث كان يوجد أمين (في الأسبانية Alamin) لكل حرفة يتميز بالأمانة والخلق

---

(1) ليفي بروفنسال ، سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها ، ص ٨٤ – ٨٥ ، العبادي ، من مظاهر الحياة الاقتصادية ، ص ١٥٨ .

(2) ابن عبدون ، رسالة في الحسبة ، ص ٢٠ ،

Chalmeta, op. cit. p. 413.

(3) ابن عبدون ، رسالة في الحسبة ، ص ٢٠ ؛ السقطي ، كتاب آداب الحسبة ، ص ٥ .

(4) انظر : يحيى بن عمر الأندلسي ، أحكام السوق ، نشر د . محمود مكي صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية ، مجلد ٤ مدريد ١٩٥٦ م ، ص ١٠٠ – ١٠٣ ، الجرسيفي ، رسالة الحسبة ، ص ١٢٠ .

والتقوى ، فيذكر السقطي أنه على المحتسب الاستعانة بالثقات من أهل الأسواق ووجوه أرباب الصنائع ممن ينتفع المسلمون بنصحهم ليستظهر بهم على سائرهم ويطلعونه على خفي أسرارهم وذلك لمنه وسائل الغش والتدليس التي يلجأون إليها [١] .

ويشير المقرى إلى أن المحتسب فى الأندلس كان يخرج إلى الأسواق وبصحبته الأعوان أو أمناء الأسواق ، ومعه ميزانه الذى يزن به الخبز في يد أحد الأعوان لأن الخبز معلوم الأوزان ، كذلك اللحم له سعر محدد يباع به ، ولكي يختبر المحتسب أمانة البائع كان يدس أحد الصبيان جارية لشراء السلعة ، فإذا وجد نقصا فى الميزان أو زيادة فى السعر المقرر عاقب البائع [٢] .

وكانت العقوبات التى ينزلها المحتسب بالغشاشين والمدلسين من الباعة هى الزجر والتوبيخ أو السجن أو الضرب أو التشهير ، فإن لم يتب فالنفى أو الاخراج من السوق وهى أقصى عقوبة يمكن أن تنزل بالبائع [٣] .

والملاحظ أن نظام الحسبة أستمر فى المغرب والأندلس بدون إنقطاع طوال العصور الوسطى ، ومما يوضح أهمية وظيفة المحتسب فى الأندلس أن ملوك النصارى الأسبان بعد حركة الاسترداد أبقوا على تلك الوظيفة ، ولذا نجد لفظ المحتسب يدخل فى اللغة الأسبانية في صورتى Almotasaf Almotacén ويطلق على الشخص المكلف بمراقبة وضبط الموازين والمكاييل [٤] .

وقد أوردت كتب التراجم ذكر بعض الشخصيات التى تولت خطة الحسبة

---

(١) ابن عبدون ، ص ٥٣ ؛ السقطى ، آداب الحسبة ، ص ٩ ، ٣٣ ؛
. H. provencal, Esp., musul., v. p. 178.

(٢) نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٢٠٣ ؛
Imamuddin, Some aspects, p. 125.

(٣) السقطى ، ص ٩ ؛ المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ٢٠٤ .

(٤) المقتبس ، نشر محمود مكى ، ص ٥٤٨ – ٥٤٩ هـ ٣٦٠ ؛ بروفنسال سلسلة محاضرات عامة ، ص ٨٨ ؛ العبادى ، نفسه ، ص ١٥٩ .

(ولاية السوق) فى العصر المرابطى والموحدى ، ومنهم أحمد بن محمد بن العريف الصنهاجي ، الذى تولى الحسبة فى بلنسية فى عصر المرابطين ، وتوفى بمراكش سنة ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م [١] ، ومحمد بن مروان يونس المعروف بابن الأديب ، ولاه القاضى مروان بن عبد العزيز خطة السوق بلنسية ، وتوفى بها سنة ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م [٢] ، ويحيى بن محمد بن على القيسى المعروف بابن الاشبيلى ، تولى الحسبة بقرطبة أواخر العصر المرابطى [٣] .

ويبدو أن ولاة الحسبة الأندلسيين فى العصر المرابطى إما أنهم لم يكونوا يؤدون واجبهم على الوجه الاكمل أو أن اختلال الذم وسقوط القيم الاخلاقية كان أقوى من القائمين بهذا العمل المكلفين بأدائه ، وهذا يفسر إنتشار الكثير من وسائل الغش والتدليس فى الأسواق على النحو الذى تصوره كتب الحسبة التى وصلت إلينا من هذا العصر [٤] .

أما فى عصر الموحدين فنلحظ أنهم أولوا خطة الحسبة عنايتهم ، وحرصوا على تعيين أمناء للأسواق لمساعدة المحتسب فى مهمته [٥] ، وكان الخلفاء يستمعون لآرائهم، فيذكر المراكشى أن يعقوب المنصور أمر أن يدخل عليه أمناء الأسواق فى كل شهر مرتين يسألهم عن أسواقهم وأسعارهم وحكامهم [٦] .

---

(١) ابن الابار ، المعجم فى أصحاب أبى على الصدفى ، ص ١٦ ، رقم ١٤ .

(٢) ابن الابار ، التكملة ، جـ ١ ، ص ١٨٧ ، رقم ٦٥١ ،

Chalmeta, El senor del zoco, p. 414.

(٣) ابن الزبير ، صلة الصلة ، ص ١٨٢ ، رقم ٣٥٨ ؛

Chalmeta, Ibid, p. 414.

(٤) انظر على سبيل المثال : ابن عبدون ، ص ٤١ - ٤٢ ؛ السقطى ، ص ١٢ - ١٣ ، ١٤ - ١٦ ؛ عز الدين موسى ، النشاط الاقتصادى فى المغرب ص ٢٩٥ .

(٥) السقطى ، ص ٩ ، وعن أمين السوق ، أنظر أيضا : ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ١٨٠ .

(٦) المعجب ، ص ٣٦٢ .

وهناك إشارات إلى بعض من نوع الحسبة في عصر الموحدين ، ومنهم عبد المنعم بن الفرس ، وكان يتولى القضاء في غرناطة ثم جعل إليه النظر في الحسبة والشرطة ، وقام بكل هذه الأعمال خير قيام ، توفي سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م [١] ، وفي دانية تولى الحسبة بها في عصر الخليفة محمد الناصر الموحدي عمر بن محمد بن عبد الرحمن بن بييش ، وتوفي سنة ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ [٢] .

والمرجح أنه حدث تطور في نظام الحسبة في العصر الموحدي ، فنجد أن ابن الابار وابن عبد الملك المراكشي يستخدمان مصطلحين يتعلقا بالمحتسب أحدهما ، « حسبة السوق » والآخر « خطط السوق » وأوضحا أن الأشخاص الذين تولوا خطط السوق كانوا في العصر الموحدي ، مما يجعلنا نميل إلى أنه خطط السوق أكثر تخصصاً من حسبة السوق بمعنى أن وظيفة خطط السوق تركز فحسب على النواحي الاقتصادية مثل تلك الخطة التي ظهرت بالكوفة وكانت تسمى « حسبة المكاييل والموازين [٣] » ، كما أننا يمكن أن نستنتج من خلال كتب الحسبة التي ألفت في العصر المرابطي أن اختصاصات المحتسب في الغرب الإسلامي كانت أكثر تحديدا منها في المشرق [٤] .

---

(١) انظر : النباهي ، المرقبة العليا ، ص ١١٠ ؛ ابن الزبير ، صلة الصلة ص ١٩ ، ترجمة رقم ٢٨ ؛

Chlmeta, op; cit, p. 427 .

(٢) ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل والتكملة ، السفر الخامس – القسم الثاني ، ص ٤٦٠ رقم ، ٨٠٢ ؛

Chalmetaa, Ibid, p. 428.

(٣) انظر . ابن الابار ، المعجم ، رقم ٦٥١ ص ١٨٧ ؛ المراكشي نفسه ، ص ٤٦ رقم ٨٠٢ ،

Chalmeta, Ibid, p. 425.

(٤) ليفي بروفنسال ، سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها ، ص ٨٧ .

سابعا – النظام النقدى والمكاييل والموازين والمقاييس :

أولا : النظام النقدى :

١ – العملة المرابطية :

كان التعامل النقدى فى الأندلس فى عصر دولتى المرابطين والموحدين يقوم على أساس الدينار الذهبى والدرهم الفضى وكسوره ، ومن المعروف أن المرابطين لم يشرعوا فى سك أول عملة لهم فى الأندلس إلا منذ عام ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م ، حيث عثر على نماذج من العملات المرابطية التى سكت فى قرطبة فى تلك السنة وهناك عملات أخرى سكت فى شاطبة تحمل تاريخ سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٥ م وفى إشبيلية سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٧م وفى المرية سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ م وفى غرناطة سنة ٤٩٣ هـ ١٠٩٩ م وفى مالقة سنة ٤٩٤ هـ / ١١١٠٠ م وفى بلنسية سنة ٤٩٦ هـ / ١١٠٢ م وفى دانية سنة ٤٩٧ هـ / ١١٠٣ م [١] .

ومعظم هذه العملات المرابطية التى عثر عليها دنانير ذهبية كان يطلق عليها أحيانا أسم المثاقيل الذهبية ، وكانت تتمتع بثقة تجار الغرب الأوربى والمشرقى الإسلامى ، ولذا لقى الدينار المرابطى إقبالا شديدا عليه مما كان له أثره فى ارتفاع قيمة هذه العملة الذهبية ورواج التجارة الخارجية [٢] .

وظل الدينار المرابطى مستخدما لعدة قرون كأهم عملة ذهبية فى المغرب ، وكان يعرف باسمهم ، فأطلق نصارى اسبانيا – خاصة فى مملكة قشتالة – على الدينار المستخدم ببلادهم اسم Morabiti ، مما يدل على انتشار الدينار المرابطى وشهرته وتأثر

---

(١) Codera, Decadencia Y desaparicion de los Almoravides, p. 372.

(٢) انظر - ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم ، ص ١٢ ؛ حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٤٠٣ ؛
Casto Ma, del Rivero, la moneda arabigo - esppanola, Madridd, 1933, p. 35.

الممالك المسيحية فى أسبانيا بالنظام النقدى لدى المرابطى [1] .

ويبدو أن المرابطين أدخلوا تغييرا فى النظام النقدى وذلك فى عصر على بن يوسف ، فعلى الرغم من أن الوحدة الذهبية للدينار استمرت فى عهده ، كما كان الحال فى الفترة السابقة إلا أن إطلاق عبارة « وزن قديم » على الدنانير التى سكها على بن يوسف فى غرناطة فى أعوام ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ هـ تؤكد بما لا يدع مجالا للشك فى أن تغييرا ما طرأ على وزن العملة ، ربما لا زالة الخلل فى التداول النقدى الذى بدأ يظهر فى وزن العملة منذ توليه الامارة [2] .

أما العملة الفضية المرابطية فقد طرأ عليها تطورا واضح المعالم ، فظهرت أجزاء أو كسور للدرهم مثل النصف درهم والربع والثمن ، كما ضربت من الدرهم وحدات تسمى القراريط ، وكان القيراط يساوى نصف درهم [3] ، كذلك ضربت من القيراط (أو نصف الدرهم) أجزاء هى $\frac{١}{٢}$ قيراط ، $\frac{١}{٤}$ ، $\frac{١}{٨}$ ، $\frac{١}{١٦}$ من القيراط وذلك تسهيلا لعمليات البيع والشراء فى الأسواق .

ومن أمثلة العملات المرابطية التى ضربت فى الأندلس : دينار مرابطى سك بمدينة المرية يحمل تاريخ سنة ٤٩٤ هـ ، وأخر سك بقرطبة يحمل تاريخ سنة ٤٩٥ هـ كما عثر على درهم من الفضة سك فى قرطبة ويحمل تاريخ سنة ٥٠٢ هـ وقد نقش على أحد الوجهين : « بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، وعلى الوجه الآخر : « أمير المسلمين على ، قرطبة » ، وفى الوسط (المركز)

---

(١) انظر . أرشيبالد لديس ، القوى البحرية ، ص ٣٨٧

Codera, op. cit, p. 400, Caasto Ma del Rivero, la monda, p; 35 & J. Gaautiier Dall-ché, Monnaie et economie dans L' Esppagne, Hessperis, Vol, HII, 19962, p. 37.

(٢) A. Prieto Y vives, Indicacion del valor en las monedas arabigo - espanollas, en " Homenaje a F. Codera" zaragoza, 1904, p. 516.

(٣) Codera, op. cit, p. 372 & vives, op. cit, p. 517.

والملاحظ أن الدرهم المرابطى كان يزن حوالى ٢ جرام وهو ضعف وزن القيراط .

« بسم الله ضرب هذا الدرهم عام اثنين وخمسمائة » ، وعثر أيضا على قيراط سك في قرطبة نقش عليه « الأمير يوسف ، الأمير على ، قرطبة ، وقيراط آخر سك في قرطبة » نقش على أحد الوجهين : « محمد عبده ورسوله لا إله إلا الله وحده لا شريك له » ، وعلى الوجه الآخر : « أمير المسلمين وناصر الدين على بن يوسف ، قرطبة » ، ودرهم سك في جيان نقش على أحد الوجهتين : « لا إله إلا الله محمد رسول الله ، بسم الله الرحمن الرحيم ولى العهد الأمير تاشفين » ، ونقش على الوجه الاخر : أمير المسلمين وناصر الدين على بن يوسف ، ضرب هذا الدرهم بجيان عام ست وثلاثين وخمسمائة ودرهم آخر سك في غرناطة ولا يحمل تاريخا نقش عليه : « لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا وإليك المصير » ، وعلى الوجه الآخر : « أمير المسلمين على بن يوسف ، بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة غرناطة » كذلك عثر على عملات ترجع إلى عهد الأمير تاشفين بن على ، منها دينار ضرب في المرية ونقش عليه : « لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أمير المسلمين وناصر الدين تاشفين بن على ، ولى عهده الأمير ابراهيم » ، ونقش على الوجه الآخر : « الامام عبد الله أمير المؤمنين العباسى ، بسم الله الرحمن الرحيم ، ضرب هذا الدينار بالمرية سنة تسع وثلاثين وخمسمائة » ، وهناك دينار آخر ضرب في إشبيلية في عهد الأمير اسحاق بن على ، ونقش عليه : « لا إله إلا الله محمد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم تسليما ، أمير المسلمين اسحاق بن على بن يوسف » ونقش على الوجه الاخر : « الامام عبد الله أمير المؤمنين العباسى ، بسم الله الرحمن الرحيم ، ضرب هذا الدينار بإشبيلية عام احدى وأربعين وخمسمائة [١] كما عثر على أمثلة كثيرة من القراريط وأجزائها كالنصف والربع والثمن قيراط – التي ترجع إلى عهد الأمير تاشفين وأخيه اسحاق بن على ، منها قيراط سك بقرطبة لا يحمل تاريخا ، ونطالع عليه النقش الآتى « لا إله إلا الله محمد رسول الله ، رطبة »، وعلى

---

(١) Codera, op. cit, p. 384 & Rivero, op . cit , pp. 162 - 163 .

الوجه الآخر نقش : « أمير المسلمين وناصر الدين اسحاق بن على [1] » .

ونلاحظ على العملات السابقة أن أمراء المرابطين كانوا يذكرون دائما أسمائهم مصحوبة باسم العائلة ، وأحيانا يذكرون اسم الجد كما هو الحال بالنسبة للأمير اسحاق بن على بن يوسف ، كما استخدموا لقب أمير المسلمين وناصر الدين ، لذلك كانوا ينقشون دائما على عملتهم عبارة « الامام عبد الله أمير المؤمنين العباسى » ، وعلى الوجه الآخر : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » واسم أمير المسلمين ، وفى الدائرة (المركز) : ينقشون الآية « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » وكذلك تاريخ الضرب ومكانه [2] .

وعندما انهار سلطان المرابطين فى الأندلس وقامت الثورات عليهم فى الغرب أولا ، ثم فى موسطة الأندلس والشرق ، واستقل كل أمير بناحية ، قاموا بسك عملات لهم على غرار الدنانير المرابطية ولكنها تحمل أسماء هؤلاء المنتزين الذين كانوا يتلقبون بالامارة ، ومع ذلك فقد بدأت تظهر فى تلك الفترة تأثيرات موحدية على عملات الثورات ، فنجد على سبيل المثال – أن بعض العملات الفضية التى سكت فى ميرتلة بغرب الأندلس تحمل اسم « المهدى [3] » .

ومن أمثلة تلك العملات التى سكها الأمراء المنتزين فى نهاية العصر المرابطى : دينار ضربه ابن حمدين فى قرطبة ، نقش على أحد الوجهين « لا إله إلا الله المنصور بالله أمير المسلمين حمدين بن محمد بن حمدين » ، وعلى الوجه الآخر : « بسم

---

(1) Codera, Ibid, p. 385; Rivero, Ibid, p. 164 & Vives, Indicacion del valor en las monedas, p. 519.

(2) ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٤٦ ؛ السلاوى ، الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٥٤ ، Rivero, Ibid, p. 35.

وتجدر الاشارة إلى أن عملة المرابطين كانت مدورة على عكس عملة الموحدين التى كانت مربعة . انظر (البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٢٢) .

(3) Rivero, Ibid, pp. 41 - 42 .

الله ضرب هذا الدينار بقرطبة عام أربعين وخمس مائة » ، وضرب ابن قسى عملة له (نص قيراط) في ميرتلة (مارتلة) لا تحمل تاريخا ، نقش على أحد الوجهين : « الله ربنا ومحمد نبينا والمهدى إمامنا » ، وعلى الوجه الأخر : « الامام القايم بأمر الله أحمد بن قسى ، عبد الله ، مارتلة » . وضرب ابن هود بمرسية عملة له (قيراطا) نقش عليها : لا إله إلا الله محمد رسول الله أيده الله ، أمير المؤمنين عبد الرحمن ابن هود » . كذلك ضرب ابن مردنيش دينارا في بلنسية ومرسية عرف بالدينار المردنيشى ، وكان لعملاته وزن يختلف عن عملات وزن المرابطين والموحدين ، كما سك القراريط وأجزائها [1] . أما النقش المسجل على دينار ابن مردنيش فنطالع فيه ما يلى : « لا إله إلا الله محمد رسول الله ، الأمير محمد بن سعد » ، وعلى الوجه الآخر : « الامام عبد الله أمير المؤمنين » ، وفي الوسط أو المركز : « بسم الله ضرب هذا الدينار بمرسية عام ثلاث وأربعين وخمسمائة » كما عثر على دينار سك في بلنسية يحمل النقش التالى : « لا إله إلا الله محمد رسول الله ، الأمير محمد بن سعد » ، وعلى الوجه الاخر : « الامام عبد الله امير المؤمنين » ، وفي الوسط : « بسم الله ضرب هذا الدينار ببلنسية عام أربعة وأربعين وخمسماية [2] » .

ومما تجدر الاشارة إليه أن مدينة بياسة سلمت إلى الفونسو السابع ملك قشتالة في سنة ٥٤٢ هـ / ١١٤٧م ، ومع ذلك ظل يسك بها عملة عربية على غرار العملة المرابطية ، فقد عثر على دينار يحمل النقش التـالى : « لا إله إلا الله محمد رسول الله ، الله ولي الذين آمنوا ، وعلى الوجه الآخر : « بسم الله ضرب هذا الدينار ببياسة عام ثمانية وأربعين وخمس ماية » ، وفي الوسط نقش نفس العبارة التى تنقش على العملة المرابطية [3] .

---

(١) Codera, Decadencia, pp. 387 - 395; Vives, Indicacion, del Valor en las monedas, p. 519 & Rivero, La moneda, pp. 165 - 168.

(٢) Codera, op. cit, pp. 392 - 395 & Rivero, op . cit, pp. 167 - 168 .

(٣) Codera, Ibid, p. 395.

٢ - العملة الموحدية :

أما العملات التى سكها الموحدون فكانت تختلف فى شكلها عن مجموعة العملات الإسلامية ، حيث أن الدنانير والدراهم الموحدية امتازت بشكلها المربع أو المركن ، وكانت تختلف أيضا فى الوزن عن العملات المرابطية ، كما أن العبارات الدينية التى نقشوها على عملاتهم كانت قليلة للغاية (١) ومن ناحية أخرى نلحظ أنه ظهرت فى عصرهم دار سكة جديدة فى منورقة (٢) .

وكان الدينار الموحدى يزن ٢,٣٢ جرام ، ولكن هذا الوزن لم يلبث أن تغير بعد الاصلاح النقدى الذى أحدثه الخليفة يعقوب المنصور فتضاعف وزن الدينار الموحدى وأصبح حوالى ٤,٦٤ جراما ، ولذا عرف الدينار الموحدى عند النصارى الأسبان « دبلة Dobla (٣) » ويشير ابن عذارى إلى ذلك بقوله : « فرأى (أى الخليفة المنصور) أن الدينار القديم يصغر عن رأى ما ظهر بالمملكة من المنازل العالية وأن جرمه يقل عما عارضه من المناظر الفخمة بالجارية ، فعظم جرمه ورفع قدره بالتضعيف رسومه ، فجاء من النتائج الملوكية والاختراعات السرية جامعا بين الفخامة والنماء (٤) » ، ولاشك أن هذا الاجراء المالى الهام كان له أثره فى دعم قيمة الدينار مما كان له أثره فى تحسين الحالة الاقتصادية فى المغرب والأندلس بصفة عامة (٥) . كذلك قام الموحدين فى عهد الخليفة المنصور بسك نصف دينار يزن دينارا عاديا أى نصف دبلة Dobal ولدينا أمثلة لعملات ترجع إلى عهد يعقوب المنصور وابنه

---

(١) انظر . ابن يوسف الحكيم ، الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة ص ٥١ ؛ سيكودى لوثينا ، وثائق عربية غرناطة ، منشورات المعهد المصرى بمدريد ، ١٩٦١ م ، ص ١٧ ؛

Rivero, op. cit, p. 50.

(٢) Rivero, Ibid, p. 50.

(٣) Vives, Indicacion del valor en las monedas, p. 220.

(٤) البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ١٥٤ ؛ الدوحة المشتبكة ، هـ ١ ، ص ٥١ .

(٥) انظر . عبد الله عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، ق ٢ ، ص ٦٢٦ .

محمد الناصر منها دينار مضاعف (دبلـة Dobla) ، $\frac{1}{2}$ ، $\frac{1}{4}$ دبلـة [1] وكان ينقش عادة على تلك العملة عبارة : « الله ربنا ، محمد رسولنا ، المهدى إمامنا » وعلى الوجه الاخر : « لا إله إلا الله ، الأمر كله لله ، لا قوة إلا بالله » وكذلك كان ينقش عليها اسم الخليفة [2] .

ومن أمثلة العملات الموحدية التي عثر عليها : نصف دينار موحدى سك بإشبيلية ونقش على أحد الوجهين : « لا إله إلا الله محمد رسول الله ، بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين » ، وعلى الوجـه الآخر : « المهدى امام الامة ، القايم بأمر الله أبو محمد عبد المؤمن بن على ، أمير المؤمنين ، الحمد لله رب العالمين ، إشبيليـة » . وعثر على نصف دينار مضاعف آخر (نصف دبلة Dobla) يرجع إلى عهـد الخليفة يوسف بن عبـد المؤمن إلا أنه لا يحمل تاريخا ولا مكان الضرب ، ونقش عليه : « بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله ، المهدى إمام الأمة ، والهكم إله واحد لا إله إلا هـو الرحمن الرحيم » ، وعلى الوجه الآخر نقش : « القايم بأمر الله الخليفة أبو محمد عبد المؤمن بن على أمير المؤنين ، أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف ابن أمير المؤمنين [3] » . وعثر أيضا على دينار مضاعف (Dobla) يرجع إلى عهد الخليفة يعقوب المنصور نقش على أحد الوجهين : « بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله وحده ، لا إله إلا الله محمد رسول الله ، المهدى امام الامة والهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، وما يكن من نعمة فمن الله وما توفيقي إلا بالله ، وعلى الوجه الآخر: « القايم بأمر الله الخليفة أبو محمد عبد المؤمن بن على أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف أمير المؤمنين أبو

---

(١) الدوحة المشتبكة ، هـ ١ ، ص ٥١ ؛

Vives, op. cit, p. 220.

(٢) Rivero, op. cit, pp. 52 - 55; Vives, Ibid, p. 221 & Alfred Bel, contribution á l'etude des dirhems de l'epoque Almohade, Hesperis, t. Xvl, 1933. p. 17 .

(٣) Rivero, Ibid, pp. 173 - 174.

يوسف يعقوب بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين [1] . كذلك عثر في إقليم لارده في شمال شرق أسبانيا على دنانير موحدية مختلفة ، منها دينار مضاعف سك في عهد الخليفة يوسف الثانى المستنصر بن الناصر (٦١٠ - ٦٢٠ هـ / ١٢١٣ - ١٢٢٤ م) [2] .

أما الدرهم الموحدى فكان يتميز أيضا بشكله المربع (المركن) ودقة سكه وما في رسمه من زخرفة ، وكان الدرهم الموحدى من الفضة ويزن ١,٥٠ جراما ، أما نصف الدرهم فكان يزن ٠,٧٥ جراما . وينسب البعض ابتكار هذا الشكل للدرهم إلى المهدى بن تومرت . غير أننا نستبعد أن يكون المهدى قد سك نقودا على الاطلاق ، فالثابت أن عبد المؤمن بن على هو صاحب هذه الثروة النقدية وهو أول من ضرب عملة موحدية مربعة ، وكتب اسم المهدى على عملته ، وظلت تلك الصيغة مستعملة في العملة الموحدية حتى عهد إدريس المأمون تاسع خلفاء الموحدين الذى أنكر امامة المهدى وأمر بإزالة اسمه من العملة واسقاط اسمه من الخطبة في سنة ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م ، فأزال من السكة عبارة « المهدى إمامنا » وأحل مكانها « القرآن إمامنا » وعبارة « العباسى إمامنا [3] » . وجدير بالذكر أنه قد عثر على مجموعة من الدراهم الموحدية تحمل نقوشا تشير إلى أنها ضربت في مالقة ومرسية وقرطبة [4] . كذلك عثر على دراهم سكت في مالقة أيام المتوكل بن هود الذى استقل بتلك المنطقة في فترة انهيار سلطان الموحدين في الأندلس ، ويحمل أحدهما في أحد الوجهين النقش التالى : « المتوكل على الله أمير المؤمنين محمد بن يوسف بن هود » ،

---

(١) Rivero, Ibid, p. 174.

(٢) Maten Y llopis, Hallazzgos numismaticos musulmanes, al - Andalus, Fasc, 1- 2, Madrid, 1947, p. 483.

(٣) الدوحة المشتبكة ، ص ٥١ ، ٨٥ ؛ الاحاطة في أخبار غرناطة ، مجلد ١ ص ١٣٧ ؛ Rivero, op. cit, p. 51.

(٤) Alfred Bel, op. cit , p. 30 .

وعلى الوجه الآخر : « لا إله إلا الله محمد رسول الله ، العباسى امام الامة ، مالقة » ، ويبدو أنها سكت فيما بين عامى ٦٢٥ ، ٦٣٥ هـ (١٢٢٧ و ١٢٣٧ م [١]) .

ثانيا : الموازين والمكاييل والمقاييس :

(أ) الموازين والمكاييل :

تعددت الموازين والمكاييل فى الأندلس كغيرها من بلدان العالم الإسلامى ، واختلف مقاديرها من منطقة لأخرى . وكانت الوحدة الشائعة فى الوزن هى الرطل ، وكان يزن ١٦ أوقية (أى نحو ٥٠٤ جرام) ، فى حين كانت الأوقية ٢٠ درهما [٢] ، ومتوسط وزنها حوالى ٣٠ جراما [٣] .

ولوزن المعادن الثمينة كالعملة الذهبية والفضية وبعض السلع والمواد النادرة كالتوابل استخدم المثقال (لوزن الذهب) والدرهم (لوزن الفضة) ، وكان الوزن الشرعى للمثقال ٤,٧٢ جراما تقريبا ، أما وزن الدرهم فيبلغ نحو ٣,١٤٨ جراماً ،

---

(١) Robles, Malaga musulmana, p. 265.

وتجدر الاشارة إلى أنه قد عثر على دراهم فى إشبيلية وجيان ومرسية ولكنها كانت مثلثة بمعنى أنها سكت تقليدا لعملة الموحدين ، وكان يقوم بهذا العمل دور السكة فى ميورقة ومرسيليا وبيزة وغيرها . أنظر : (Rivero, Ibid, p. 56) .

(٢) أنظر . السقطى ، آداب الحسبة ، ص ١٣ . وتنبغى الاشارة إلى أن مقادير الأوزان لم تكن ثابتة فى المدن الإسلامية سوء بالمشرق أو المغرب ، فيذكر ابن أبى أصيبعة أن الرطل الإشبيلى فى العصر الموحدى كان من ستة عشر أوقية غير أن كل أوقية كانت من عشرة دراهم فقط . أنظر (طبقات الأطباء، ص ٥٢١) وتشير كتب الحسبة الأندلسية إلى أن الباعة كانوا يستخدمون بالأندلس ميزانا ذى كفتين يرفع من علاقة تتوسط قصبته العليا ، وكان ولاة الحسبة يأمرهم بعمل الصنوج من الحديد أو من الحجارة ، أما الكفات فكانت من الحديد أو النحاس . أنظر (ابن عبد الرؤوف ، رسالة فى الحسبة ص ١٠٦ - ١٠٧ ؛ السقطى ، ص ١٨) .

(٣) انظر . يحيى بن عمر ، أحكام السوق ، نشر د . محمود مكى ، هـ ٣ ، ص ١٠٤ ، Levi - provençal, Espana musul., t.v, P; 137 & Alvarez De Moreno, Pesos Y medidas en un manuscriitoo arabe, Cuadernos, Crandada, 1975, 1970, p. 165.

فى حين أن القيراط كان يعادل نصف درهم وحبة شعير [١] .

ويعرض ابن الجياب فى كتاب « التقريب والتيسير » أهم المكاييل والموازين التى كانت تستخدم فى المغرب والأندلس خلال عصره (القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى) ، ويمكننا حصرها فيما يلى :

١ – المد [٢] (بالأسبانية Almud) :

المد نوعان ، المد الشرعى (مد النبى) والمد الكبير الذى كان يساوى أربعة أضعاف المد النبوى ، أما المد النبوى (الشرعى) فإن فقهاء المسلمين فى العصور الوسطى لم يتفقوا على تحديد الوزن الدقيق له بالنسبة للدرهم والأوقية والرطل ، فالبعض يذكر أنه لا ينبغى أن يكون أكثر من رطل ونصف ولا أقل من رطل وربع ، والبعض الآخر يجتهد فى تحديد الضريبة الشرعية (الزكاة أو الصدقة) فيذكر أن المد النبوى يزن نحو رطل وثلث ولما كان الرطل التقليدى الرومانى الأصل يساوى ١٢ أوقية، فإن المد النبوى يساوى ١٦ أوقية [٣] ، ولعل ذلك هو السبب فى أن الرطل فى الأندلس كان يزن ١٦ أوقية ، وقد انتشر بعد ذلك بنفس القيمة فى إسبانيا المسيحية وهكذا فإن المد النبوى كان يعادل رطلا واحدا ولكن من ستة عشر أوقية وعلى هذا فإن الرطل والمد اصطلاحان مترادفان للاشارة إلى نفس وحدة وزن وكيل [٤] .

---

(١) السقطى ، ص ٤٠ ،

Levi - Provençal, op. cit, p. 137 & Alvarez De Moreno, op. cit, p. 165.

(٢) من المرجح أن كلمة المد مشتقة من اللاتينية Modius ثم انتقلت إلى الأندلس عن طريق الممالك المسيحية الأسبانية انظر (ابن عمر ، أحكام السوق ، نشر د . محمود مكى ، هـ ١ ، ص١٠٤) .

(٣) انظر . ابن الجياب ، التقريب والتيسير لافادة المبتدىء بصناعة مساحة السطوح ، مخطوط بالاسكوريال برقم ٩٢٩ ، برنبورج ، ورقة ٩ اللوحة المشتبكة ، ص ٨٣ ، ٨٦ ،

Vallvé, Notas de metrologiaa hipano - arabe, medidas de Capaciddad, al - Andalus, vol, XL, 1977, p. 74.

(٤) Vallvé, op. cit, p. 74.

ويذكر المقدسى والبكرى أن القفيز القيروانى كان يساوى ١٩٢ مدا (من المد الكبير الذى هو أوفى من المد النبوى) ، ويضيف بأن القفيز القيروانى خمسة أقفزة قرطبية إلا ستة أمداد ، وأن القفيز القرطبى ٤٢ مدا نبويا وعلى هذا فإن القفيز القيروانى كان يساوى ٢٠٤ مدا نبويا [١] .

ونلاحظ أن أربعة امداد شرعية (نبوية) كان تعادل صاعا نبويا ، الصاع خمسة أرطال وثلث أما الوسق فكان يساوى ٦٠ صاعا ، وكان خمسة أو ساق أو ١٢٠٠ مدا نبويا ، وهم يزنوا ١٦٠٠ رطلا (على أساس أن المد يساوى رطلا وثلث) يمثل مقدار الضريبة الشرعية وهى زكاة المحصول (أو الصدقة) السارية فى الأندلس [٢] .

٢ - المدى (بالأسبانية Almudí) :

كان المدى فى عصر الخلافة الأموية بقرطبة يشتمل على ١٢ قفيزا ويزن ٨ قنطارا ، ويعبر ابن غالب عن ذلك بقوله : « وهذا المدى القرطبى زنته ثمانية قناطير ، والستة أقفزة هى نصف مدى زنتة أربعة قناطير [٣] » .

وإذا كان القفيز القرطبى ٤٨ مدا نبويا ويزن ٦٤ رطلا ، ففى هذه الحالة يصبح وزن المدى ٧٦٨ رطلا [٤] . ولما كانت الفنيقة القرطبية تساوى نصف قفيزوتزن ٣٠ رطلا، فإن المدى يزن قياسا على ذلك ٢٤فنيقة [٥] . وتجدر الاشارة هنا الى أن

---

(١) انظر . المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٢٤٠ ؛ البكرى ، المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك ، طبعة بغداد ، ص ٢٦ - ٢٧ . ونلاحظ أن القفيز القرطبى كان يشتمل احيانا اما على ٤٢ مدا نبويا أو ٤٨ . أنظر :
(Vallvé, op. cit, p. 75) .

(٢) ابن الجياب ، التقريب والتيسير ، مخطوط ، ورقة ٨ ، الدوحة المشتبكة ، ص ٨٦ ،
Vallvé, Idem.

(٣) فرحة الأنفس ، ص ٣٠١ ، ياقوت ، معجم ، م ٣ ، ص ١٦١ .

(٤) Vallvé, Medidas de capcidad, p. 80 .

(٥) انظر . المقدسى ، احسن التقاسم ، ص ٢٤٠ ؛
Levi - Provencal, Esp., musul., p. 138.

المدى كان يستخدم فى مقاطعة تيرويل (Teruel) بشرق الاندلس خلال القرن ١٤م (٨ هـ) فى وزن الجص ، وكان يساوى ٢٤ فنيقة [١] .

٣ - الكيل (بالأسبانية Alquer) :

كانت كلمة « كيل » تعنى فى الأندلس مكيال أو معيار معين ، وكان الكيل يستخدم فى وزن السوائل والأشياء الصلبة إلى جانب كيل الحبوب ويتردد ذكر الكيل فى النصوص الأندلسية على أنه مكيال محدد ، فيذكر ابن غالب أن جملة ما أنفقه الخليفة عبد الرحمن الناصر فى بناء مدينة الزهراء من الدراهم القاسمية بالكيل القرطبى ثمانون مديا وستة أقفزة وزائد أكيال [٢] ، كذلك يشير ابن عذارى إلى أن ما أنفقه الناصر فى منارة المسجد واصلاحاتها وبناء الواجهة وأحد عشر رواقا بلغ سبعة أمداد (جمع مدى) وكيلين ونصف كيل من الدراهم القاسمية [٣] .

وكان الكيل القرطبى فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى ٦ مد نبوى ، ويزن ٦ رطل ، ولكنه أصبح يشتمل فى الفترة المتأخرة على ٦ مد كبير ويزن ٣٢ رطلا ، ففى القرن ٧ هـ / ١٣ م يذكر ابن الجياب أن القدح أيضا يعادل ٦ مد كبير ويزن ٣٤ رطلا . ويمكننا أن نتصور بناء على ذلك القدح كان فى وقت ما يعادل الكيل ، كما يؤكد ذلك ابن عبدون عندما يشير إلى أن كيل الطعام (الحنطة) يماثل القدح [٤] ، ويضيف بأن القدح ينبغى أن يكون وزنه ربعا ورطلين ، ويحدد السقطى ربع الحديد بأنه يزن ٢٤ رطلا [٥] .

---

(١) Vallvé, op. cit, pp. 80 - 81 .

(٢) فرحة الأنفس ، ص ٣٠١ ، ياقوت ، معجم البلدان ، م ٣ ، ص ١٦١ .

(٣) البيان المغرب ، جـ ٢ ، نشر دوزى ، طبعة صادر ، بيروت ، ١٩٥٠ ، ص ٣٤٤ .

(٤) انظر . ابن الجياب ، التقريب والتيسير ، مخطوط ، ورقة ٥ ؛ ابن عبدون رسالة فى الحسبة ، ص ٣٩ ؛ السقطى ، آداب الحسبة ، ص ١١ ؛

Vallvé, op. cit, pp. 81 - 82 .

(٥) ابن عبدون ، ص ٣٩ ؛ السقطى ، ص٧٠ . وينبغى الاشارة إلى أن الأرباع كانت تختلف =

٤ - القسط [(١)] (بالأسبانية Alquez) :

ورد فى نص المعاهدة التى عقدت بين عبد العزيز بن موسى بن نصير وتيودميرو صاحب أوريولة وتدمير سنة ٩٤ هـ / ٧١٣ م ما يشير إلى الإتفاق على أن يدفع تيودميرو ورعيته من الأحرار الجزية كل عام وهى دينار وأربعة أمداد شعير وأربعة امداد قمح وأربعة أقساط خل وقسطا عسل وقسط زيت ، وعلى كل عبد نصف ذلك [(٢)] . ويذكر العذرى أنه فى عهد الأمير الحكم الأول (الربضى) وابنه عبد الرحمن الاوسط كان يجبى من كورة إلبيرة (غرناطة) ١٢٠٠ قسط زيت [(٣)] .

ويتضح لنا مما سبق أن القسط كان يستخدم فى وزن العسل والزيت والخل أو السائل بوجه عام . غير أن السقطي يشير إلى أن ثمن الربع كان هو الشائع فى بلده مالقة لوزن العسل الطيب ، وهو يزن فى الغالب ثلاثة أرطال ونصف [(٤)] . فى حين كان ربع العسل ٢٨ رطلا مثل الربع الأرغونى الحالى (يسمى الآن Arroba) . ونلاحظ أنه يستخدم فى أرغون (Aragón) حاليا مكيال يسمى Alquez أى القسط وهو يساوى ١٢ ربعا من الخمر (حوالى ١١٨,٩٢ لتر) ، وكل ربع أرغونى يزن ٢٨ رطلا [(٥)] .

٥ - الثمن (بالأسبانية Azumbre) :

كانت لكلمة « الثمن » ثلاثة معانٍ مختلفة فى العربية : فالثمن قد نعنى به

=حسب نوعية السلعة ، فيما يذكر السقطى أن ربع الحديد يزن ٢٤ رطلا ، نجد أن ابن عبدون يحدد ربع البطيخ بأنه لا يقل عن ١٥ رطلا انظر (ابن عبدون ، رسالة فى الحسبة ، ص ٤٠) .

(١) القسط كلمة مشتقة من اليونانية Xestes أو اللاتينية Sextarius وهو أحد مكاييل السعة . انظر :

(Vallvé, Ibid, p. 84)

(٢) العذرى ، نصوص من ترصيع الأخبار ، ص ٥ .

(٣) نصوص من ترصيع الأخبار ، ص ٩٣ .

(٤) أنظر . السقطى ، ص ١٣ .

(٥) Vallvé, op. cit, p. 85.

ثمن جزء أى $\frac{1}{8}$ الربع الذى تكتال به السوائل فى مالقة ، ونعنى به أحيانا ثمن جزء أو $\frac{1}{8}$ من الدرهم الفضة أو الدينار الذهب ، وكان يزن ١٢ حبة شعير ، كما قد يقصد به مكيال سعة للحبوب (١) .

وهناك إشارات عديدة فى كتب الحسبة إلى ثمن الربع الذى تكتال به السوائل ، فيذكر ابن عبدون أن لكيل اللبن ينبغى أن يكون الثمن العادى من ثمن ونصف ولا يباع بكيل الزيت ويضيف بأن قلة الزيت يجب أن تكون من اثنى عشر ثمنا أى ما يعادل ربعا ونصف (٢) . أما السقطى فيزودنا بمعلومات أكثر دقة وتحديدا عن الثمن فيقول أن « ثمن الربع الجارى بمالقة فى الكيل يصدق من العسل الطيب الأندلس فى الغالب ثلاثة أرطال ونصف ، ومن الطيب العدوى (أى المغربى) ثلاثة أرطال وست أواق إلى ثلاثة أرطال (٣) ، ويضيف بأن ثمن الزيت رطلين وربع رطل وثمن الخل يتراوح ما بين رطلين ونصف إلى ثلاثة أرطال إلا ربع رطل ، وثمن لبن الغنم (الضأن) ثلاثة أرطال وربع ، ومن لبن الماعز ثلاثة أرطال وثلاث أواق (٤) .

ومن الجدير بالذكر أن أحد المكاييل القشتالة ويسمى المويو (El moyo) يعد أكبر مكيال للخمر وهو يعادل ستة عشر ربعا (أو ١٢٨ ثمنا) ، والربع يعادل ٨ ثمن ويزن ٣٤ رطلا ، أما الثمن فهو أربعة أرطال وأربع أواق (٥) .

٦ – القفيز (بالأسبانية Cahíz) :

نلحظ فى المصادر الأندلسية أنواعا عديدة للقفيز ، فهناك مخطوط مجهول

---

(١) Vallvé, Ibid, p. 86.

(٢) ابن عبدون ، رسالة فى الحسبة ، ص ٤٠ – ٤١ .

(٣) آداب الحسبة ، ص ١٣ .

(٤) السقطى ، ص ١٣ ،

Levi - Provençal, Espana musul., t. v, p. 139.

(٥) Vallvé, op. cit, pp. 88 - 89.

المؤلف والعنوان [١] يشير إلى أن الضريبة الشرعية (الزكاة) خمسة أوسق أو ألف ومائتا مد نبوى ، أى ما يقابل بالكيل القرطبى ٢٥ قفيزا ، على أن كل قفيز من ٤٨ مدا ، وهذا القفيز القرطبى كان يزن ٦٤ رطلا ، وسعته التقريبية ٣٣ لترا . وهذا القفيز القرطبى يماثل البلنسى الذى كان يعادل أيضا ٤٨ مدا [٢] .

وكان القفيز المكيال الرسمى لقرطبة الخلافية استنادا للمعلومات التى أوردها ابن غالب الذى يشير إلى أن ١٢ قفيزا تعادل مديا من ٧٦٨ رطل أو ٧ قنطار من ٩٦ رطل [٣] . ويضيف المولف المجهول أن بعض علماء الفقه بقرطبة ذكروا أن القفيز المستخدم قديما فى حاضرة الأندلس كان يعادل ٤٢ مدا نبويا وأحيانا ٤٨ ، وهو نفس ما ذكره البكرى عن القفيز القيروانى [٤] ويمكن أن نحصل على عدة نتائج هامة من المعلومات التى أوردها البكرى منها أن هذا المكيال القيروانى (القفيز) كان يساوى ١٩٢ مدا محليا أو ٢٠٤ مدا شرعيا (نبويا) ، وهو ما يماثل خمسة أقفزة قرطبية إلا ستة أمداد . ومن هـذا يتضح لنا أن الرطـل القيروانى كان يشتمل على ١٧ أوقية بينما القرطبى ١٦ أوقية وأن هذا القفيز القرطبى كان يضم ٤٢ مدا وسعته التقريبية ٢٨ لترا [٥] .

ويذكر ابن الجياب أن قفيز عصره (القرن ٧ هـ / ١٣ م) يعادل عشرين

---

(١) هذا المخطوط محفوظ بمدرسة الدراسات العربية بمدريد (حاليا تعرف بمعهد ميجيل آسين بلاسيوس) ، وهو فى مجموعة تعرف باسم La Junta ويحمل رقم ٤٨ .

(٢) انظر . مجهول ، مخطوط مجهول العنوان ، مجهول لاخونتا la Junta ورقة ١٣٥ ؛ Vallvé, op. cit, p. 89.

(٣) فرحة الأنفس ، ص ٣٠١ ؛ معجم البلدان ، م ٣ ، ص ١٦١ .

(٤) البكرى ، المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ٢٦ – ٢٧ ، مجهول ، مخطوط العنوان ، ورقة ١٣٥ .

(٥) Levi - Provençal, Espana musul., t. v, p. 138 & Vallvé, op. cit, pp. 89 - 90

قدحا أى ما يماثل القفيز الجارى بالأندلس وهو القفيز الإشبيلى ، وكان القدح ستة أمداد من المد الكبير الذى يزن ٣٢ رطلا ، وعلى هذا فإن كل قفيز يساوى ١٢٠ مدا كبيرا أو ٤٨٠ مدا نبويا[١] .

كذلك يذكر ابن الجياب أن القفيز السبتى ٤٠ قدحا أى أنه ضعف القفيز الإشبيلى (الأندلسى) سالف الذكر . ويضيف ابن عبدون أن القفيز الإشبيلى أو حمل من الكلس يتبغى أن يكون من ٢٥ قدح بسبب الأحجار والجص التى يحويها[٢] .

ومن الجدير بالذكر أن الكلمة العربية « قفيز » انتقلت إلى أسبانيا المسيحية تحت اسم " Cahíz "[٣] .

٧ – **القدح (بالأسبانية La Cantara) :**

يذكر ابن الجياب أن القدح فى عصره كان أكبر مكيال للحبوب ، وهو ما يعادل ستة أمداد من خمسة أرطال وثلث لكل مد . أما القفيز فكان يعادل ٢٠ قدحا، ويضيف بأن الوسق ١٠ أقداح وأن ٥٠ قدحا فى عصره تعادل خمسة أوساق أى ١٢٠٠ مدا نبويا وهو مقدار الضريبة الشرعية فى البلاد الإسلامية . وكان القدح فى القرن ٧ هـ / ١٣ م يساوى ٢٤ مدا نبويا ويزن ٣٢ رطلا ، ويعادل الفنيقة أو نصف قفيز قرطبى من القفيز الذى يزن ٦٤ رطلا[٤] .

---

(١) انظر . التقريب والتيسير ، مخطوط ، ورقة ٥ ، ٩ .

(٢) انظر . رسالة فى الحسبة ، ص ٣٧ .

(٣) Vallvé, op. cit, p. 91 .

(٤) فرحة الأنفس ، ص ٣٠١ ، ابن الجياب ، نفسه ، مخطوط ، ورقة ٥ ، ٨ ، Levi - Provençal, Espana musul., t. v, p. 138 & Vallvé, op. cit, pp. 95 - 69 .

٨ – الفنيقة [١] (بالأسبانية La Fanega) :

أوضح البكرى أن الفنيقة القرطبية كانت تساوى ٢٠ مدا نبويا [٢] ، ويذكر المقدسى أنها تزن نصف قفيز من ٦٠ رطلا أى أنها تزن ٣٠ رطلا [٣] .

وإذا كان القفيز القرطبى يعادل ٤٢ مدا نبويا أو ٥٦ رطلا فى الوزن فإن الفنيقة ينبغي أن تعادل ٢١ مدا أو ٢٨ رطلا ، وهى مقادير قريبة بشكل ملحوظ من تلك التى ذكرها البكرى والمقدسى ، وإذا كان القفيز القرطبى يشتمل على ٤٨ مدا أو ٦٤ رطلا فى الوزن ، فإن الفنيقة تشتمل فى هذه الحالة على ٢٤ مدا ويصبح وزنها ٣٢ رطلا [٤] .

وعلى أية حال فإننا نجد أن الفنيقة كانت تتماثل مع الأرباع الشائعة فى الأندلس ، والتى كان وزنها يتراوح ما بين ٢٧ ، ٣٢ رطلا [٥] .

٨ – المكيلة (بالأسبانية Maquila) :

وردت كلمة « مكيلة Maquila » فى وثائق مجلس ليون الذى عقد فى سنة ٤١١ هـ / ١٠٢٠ م ، وفى الأعراف المتعلقة بطرطوشة (Costumbres de Tortosa) إبان القرن ٧ هـ / ١٣ م الأمر الذى يؤكد أن هذا النوع من المكاييل انتقل إلى أسبانيا المسيحية . وكان القدح بطرطوشة يعادل ٨ مكيلة والمكيلة ٨ أوقية [٦] .

ويورد ابن عبدون فى أوائل القرن ٦ هـ / ١٢ م إشارة فى غاية الأهمية ،

---

(١) الفنيقة : تطلق على مكيال للحبوب يختلف حجمه بإختلاف الأقاليم انظر (الأهوانى ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام ، مجلة معهد المخطوطات ، جـ ٢ ، ص ٣٠٣) .

(٢) انظر . المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص ١١٢ – ١١٣ .

(٣) أحسن التقاسيم ، ص ٢٤٠ ،

Levi - Porvençal, Espana musul., t., 138 .

(٤) Vallvé, op. cit. pp. 100 - 101.

(٥) Vallvé, Ibid, p. 101 .

(٦) Vallvé, op. cit. p. 106 .

فيذكر أنه فى طواحين الماء لا يأخذ الطحان أكثر من عشرة أرطال عن حمل من الحنطة [1] ، وهذا الحمل يمكن افتراض أنه يماثل قفيزاً من عشرين قدحا ويزن ٦٤٠ رطلا حسب الاستعمال الشائع فى الأندلس فى عصر ابن عبدون والسقطى وابن الجياب أى إبان القرنين السادس والسابع الهجرى (الثانى عشر والثالث عشر الميلادى [2] . وإذا كان يجب على الطحان أخذ عشرة أرطال عن قفيز يزن ٦٤٠ رطلا ، فيمكن القول أنه على كل ٦٤ رطلا يأخذ الطحان رطلاً واحدا ، ويأخذ نصف رطل عن كل قدح . والمعروف أن هذا القدر وهو نصف الرطل كان يساوى ثمانية أواق مثل مكيلة طرطوشة – كما سبقت الاشارة – وعلى هذا فالمكيلة نصف رطل [3] .

ب – المقـاييس :

يوضح ابن الجياب أن ذراع اليد كان المقياس الشائع استخدمه فى الغرب الإسلامى خاصة فى أسواق الأقمشة [4] . ومع ذلك فقد وجدت للذراع استخدامات أخرى لقياس الأطوال فى أسبانيا الإسلامية والمسيحية وأهمها :

١ – الـذراع العـادى :

وهو قدم ونصف ، ويعادل الذراع اليدوى الذى أشار إليه ابن الجياب ، وهو ست قبضات كل منها أربعة أصابع ، ويساوى ٤١٨ مليمتر (٤١,٨ سم) [5] .

---

(١) انظر . رسالة فى الحسبة ، ص ٥٣ .

(٢) ابن عبدون ، ص ٣٧ ؛ ابن الجياب ، نفسه ، مخطوط ، ورقة ٩ ؛
Vallvé, op. cit, 107.

(٣) Vallvé, Idem.

(٤) انظر . التقريب والتيسير ، مخطوط ، ورقة ٥ . والملاحظ أن الذراع كان وحدة الطول فى الأندلس مثل غيرها من البلدان الاسلامية . انظر (البكرى المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ٢٤ ،
Levi - Provençal, Espana musl., p. 139 .

(٥) انظر . التقريب والتيسير ، مخطوط ، ورقة ٥ ،
Vallvé, El codo en la Espana musulmana, al - Andalus, Vol, XLi, Madrid, 1976, pp. 342 - 343 .

ويذكر الحميرى – نقلا عن ابن حيان – أنه عثر بخندق خارج سور مجريط على قبر به جيفة حيوان طولها احدى وخمسين ذراعا ، وتعادل مائة شبر وشبران من قمة رأسه حتى طرف قدميه . ويمكن أن نستنتج من ذلك أن الذراع قد يكون شبران كبيران [1] .

ويشير ابن غالب – في سياق حديثه عن جامع قرطبة ومدينة الزهراء – إلى الذراع الرشاشى [2] كمقياس يعادل ١ ١/٣ من الذراع العادى (اليدوى) ، لأن الذراع العادى يقابل ٣/٤ الذراع الرسمى (الرشاشى) الذى كان من ٣٢ إصبع [3] .

٢ – الـذراع الكبيـر :

ويعادل ٣٢ بوصة أو ٧٤٣ مليمتر (حوالى ٧٤,٣ سم) ، ويشير الحميرى – أثناء وصفه لبرج قادس – إلى أن الذراع الكبير هو ثلاثة أشبار ونصف [4] .

٣ – الذراع المتوسط :

ويعادل ٢٤ بوصة قشتالة أو ٣٢ إصبع ، ويماثل الذراع الرسمي في الأندلس المعروف بالرشاشي الذى كان يشتمل على ٣٢ اصبعا أيضا أى حوالي من ٥٥ إلى ٥٦ سم [5] .

---

(١) صفة جزيرة الأندلس من الروض المعطار ، ص ١٨٠ .

(٢) ينسب الذراع الرشاشي إلى محمد بن الفرج القياس المعروف بالرشاشي ، الذى حمل إلى الأندلس في العصر الأموى مقياسا مبنى على الذراع الهشامي الذى كان من ٣٢ إصبع وكان يستخدم في مصر لقياس منسوب مياه النيل ، وعرف هذا المقياس وفي الأندلس بالرشاشي وقد أثبت محمد بن الفرج قياسه هنا على أحد أعمدة جامع قرطبة ، أنظر (ابن الجياب ، نفسه ، مخطوط ورقة ٦٤) .

(٣) انظر . فرحة الأنفس ، ص ٣٠٠ .

(٤) انظر . صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٤٦ ،

Vallvé, El codo, p. 344.

(٥) انظر . حسين مؤنس ، وصف جديد لقرطبة الاسلامية ، مجلة المعهد المصرى بمدريد ، هـ ١ ، ص ١٧٥ ،

Levi - Provençal, Espana musul., t. v, p. 139, & Vallvé, Ibid, p. 345.

كذلك استخدم الحبل في المقاييس ، وكان يساوى ٤٠ ذراعا رشاشيا (أى حوالى ٤٨ ذراع يدوى) . وكان أهل شرق الأندلس يستخدمون مقياسا يسمى « الطويلة » وهو حبل أطول من المرجع ، وكان المرجع (بالأسبانية Margal) ٤٠ ذراعا رشاشيا ، وهو مقياس للأرض يعدل نحو ٥٠٠ مترا مربعا . كما أستخدمت « العارضة » في مناطق أخرى من الأندلس ، وتقابل ١٠ أذرع رشاشية ، وهناك أيضا الذراع الوادى آتنى ويماثل الذراع الرشاشي وهو ٣٠ أصبع . أما الباع فكان ٤ ذراعا واستخدم والمرجع في شرق وجنوب شرق الأندلس خاصة لقياس الأراضى الزراعية[1] .

---

(١) Vallvé, Ibid, pp. 345 - 346 .

وتجدر الاشارة إلى أن ابن صاحب الصلاة قد أوضح أن المرجع كان يستخدم في قياس الأراضى الزراعية بإشبيلية في عصر الموحدين . انظر (المن بالامامة ، ص ٤٦٦) .

الفصل الثانى

التجارة الخارجية

أولا – عوامل ازدهار التجارة الخارجية فى عصر دولتى المرابطين والموحدين .

ثانيا – العلاقات التجارية بين الأندلس والبلدان الأخرى .

ثالثا – الصادرات الأندلسية .

رابعا – الواردات .

خامسا – طرق التجارة الخارجية وأهم المراكز والموانىء التجارجية الأندلسية .

أولا - عوامل ازدهار التجارة الخارجية في عصر دولتي المرابطين والموحدين :

كان للانتعاش الذى أصابته التجارة الداخلية فى المغرب والأندلس فى معظم فترات عصر دولتى المرابطين والموحدين أثره البعيد فى تنشيط حركة التجارة الخارجية .

وبالإضافة إلى ذلك هناك عدة عوامل ساعدت على نشاط التجارة الخارجية منها اتساع رقعة دولتى المرابطين والموحدين ، وخضوع المغرب والأندلس لحكومة مركزية قوية تمكنت من اقرار الأمن والنظام فى البلاد وحماية طرق القوافل من اللصوص والعابثين بالأمن (١) .

كما أن استيلاء المرابطين ثم الموحدين على الأندلس أدى إلى فتح أسواق الأندلس أمام تجارة السودان التى أخذت تتدفق على الأندلس فى ظل حماية الدولة وتشجيعها . ومن ناحية أخرى فإن فتح أسواق الأندلس أمام تجارة السودان كان يعنى تمهيد الطريق إلى أسواق أوربا عن طريق موانىء شرق الأندلس ، إذا أصبح بمقدور السفن الأوربية أن تتردد على موانىء الشرق الأندلسى وتحمل ما تحتاج إليه من سلع ومنتجات بلاد المغرب والسودان (٢) .

وساعد على ازدهار تلك التجارة أيضا نمو البحرية المرابطية وظهورها ظهورا مشرفا فى ميدان الصراع الدولى فى غرب البحر المتوسط بحيث أصبحت تنافس المدن الايطالية والنورمان ، وقد نجح المرابطون بعد استيلائهم على منطقة شرق الأندلس وموانيها وجزر البليار (الجزر الشرقية) - فى بسط نفوذهم على جميع النصف الغربى من حوض البحر المتوسط ، وازدادت البحرية المغربية والأندلسية قوة فى عصر الموحدين ، ولعب الأسطول الموحدى دورا هاما فى تأمين تجارة المغرب الصادرة إلى الأندلس أو إلى الأسواق العالمية الأخرى سواء فى غرب أوربا أو فى منطقة البحر

---

(١) انظر . ابن عذارى ، البيان ، جـ٤ ، ص ٤٦ ؛ حسن على حسن ، الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس ، ص ٢٧٥ .

(٢) حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٤٠٠ ؛ حسن على حسن ، نفسه ، ص ٢٨٦ .

المتوسط أو المشرق الاسلامى ، ذلك أن البحرية القوية تستطع حماية السفن التجارية من خطر القراصنة ، وتأمين الطرق البحرية والسهر على حراستها [1] .

وتجدر الاشارة إلى أنه نتيجة للصراع بين الاسلام والمسيحية فى العصور الوسطى لم تنشأ علاقات تجارية متطورة بين العالم الاسلامى والغرب الأوربى المسيحى ، وانعكس هذا بالتالى على التطور الاقتصادى بشكل عام . [2] غير أنه يمكن القول بأن العداء السياسى لم يؤثر بدرجة كبيرة على التجارة الخارجية ذلك أنه بعد استيلاء المرابطين على الأندلس ازداد حجم التجارة بين ممتلكات المرابطين وبين سائر بلدان الغرب الأوربى ، ولم تنقطع تلك التجارة رغم غارات الايطاليين على السواحل الاسلامية فى الغرب [3] .

ومن الجدير بالملاحظة أن المستعربين واليهود قاموا بدور الوسيط التجارى بين أسبانيا الإسلامية ، وبين أسبانيا المسيحية وأقاليم البحر المتوسط وبيزنطة والغرب الأوربى من جهة وبينها وبين المشرق الإسلامى من جهة أخرى كما أن اليهود - بصفة خاصة - لعبوا دورا هاما فى التجارة العالمية فى العصور الوسطى ، إذا كان لهم النصيب الأوفر فى التبادل التجارى بين الشرق والغرب [4] .

ثانيا - العلاقات التجارية بين الأندلس والبلدان الأخرى :

كان للأندلس وخاصة فى عصر الموحدين علاقات تجارية وثيقة مع المدن الايطالية ، ففى سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٩ م عقد محمد بن سعد بن مردنيش صاحب شرق الأندلس معاهدة لمدة عشر سنوات مع جمهورية بيزة وأخرى مع جنوة

---

(١) عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية ، ص ٤٩ - ٥٠ ؛ مختار العبادى دراسات ، ص ٣٢١، حسن محمود ، نفسه ، ص ٤٠١ .

(٢) Gautier Dalché, Monnaie et economie dans l'Espagne, p.

(٣) ارشيالد لويس ، القوى البحرية والتجارية ، ص ٣٨٧ .

(٤) Henri peres, la poésie Andalouse en arabe classique au xie mediterranean world, New York, 1955, p. 29.

تعهد فيها أن يقدم لتجارة جنوة النازلين ببلنسية ودانية فندقا يقيمون به ويخزنون فيه بضائعهم ، ومنه غيرهم من النزول فيه ، كما التزم الجنوية من جانبهم بعدم الاضرار برعايا ابن مردنيش فى طرطوشة والمرية [(١)] .

وفى عهد الخليفة عبد المؤمن بن على تم عقد اتفاقية هامة بين الموحدين والجنوية فى سنة ٥٥٧ هـ / ١١٦١ م ، وجددت بعد ذلك وظلت مستمرة طوال القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) كما حضر فى نفس العام (٥٥٧ هـ) مبعوث من جنوة إلى مقر الخليفة الموحدى عبد المؤمن بالمغرب ، حيث تلقى كثيرا من ضروب الحفاوة والتكريم ، وتم عقد السلم بينهما لمدة خمسة عشر عاما ، وتعهد الموحدون بتأمين التجار الجنوية وبضائعهم فى البر والبحر [(٢)] .

ومنذ عقد هذه الاتفاقية (٥٥٧ هـ / ١١٦١ م) وحتى نهاية القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) كانت العلاقات الجنوية الموحدية تتسم بالود والصداقة ، ففى عهد الخليفة يعقوب المنصور وبالتحديد فى سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م تم منح الجمهوريات التجارية الأخرى مثل بيزة والبندقية حق التجارة فى موانىء دولته فى المغرب والأندلس [(٣)] .

أما العلاقات الاقتصادية بين المغرب الإسلامى وبلاد المشرق فقد أخذت تنمو

---

(١) Codera, Decadencia, p; 122, H. Miranda, Historia musulmana Valencia, t. III, p. 132; Michele Amari, Diplomi aradi de archivio Fiorentio, Firenzzee, 1863, p. 239.

(٢) Kruger, Cenose trade with northwest Africa in the twelfth century, in " Speculum ", A Journal of mediaeval studies, vol, vIII, N. 3, July, 1933, p. 379 .

(٣) انظر . ليفى بروفنسال ، سلسلة محاضرات عامة ، ص ١٠٩ ،

Amari, op. cit, pp. 17 - 22 & Lopez, Medieval trade, p. 74.

وجدير بالذكر أن اسحق بن محمد بن على بن غانية قد عقد أيضا معاهدة صداقة وسلام مع بيزة وأعطى تجارها تسهيلات تجارية فى أملاكه بالجزائر الشرقية (جزر البليار) . أنظر :

(Amari, Ibid, pp. 230 - 236) .

مع الزمن نموا ملحوظا ، وكانت الأساطيل التجارية فى الموانىء الأندلسية مثل المرية ودانية ومالقة وغيرها تعمل بين كل مدن البحر المتوسط وتحمل سلع الأندلس الصادرة منها إلى المشرق سواء أكانت زراعية أم صناعية ، وكانت تعود محملة بمنتجات المشرق التى يفتقر اليها الغرب الإسلامى (١) .

وكانت العلاقات التجارية بين الأندلس ومصر متواصلة ومستمرة خاصة منذ القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) ، ويؤكد ذلك النقوش العربية التى عثر عليها فى الأندلس ، فقد عثر فى مدينة المرية على شاهد قبر يحمل اسم تاجر من مدينة الاسكندرية توفى فى هذا الميناء الأندلسى سنة ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م أى فى عهد على بن يوسف المرابطى (٢) ، حيث كانت المرية أيام المرابطين - وكما يذكر الادريسى - « مدينة الإسلام ، وكان بها من كل الصناعات كل غريبة (٣) » ، كما تشير كتب التراجم إلى وجود تجار أندلسيين فى الاسكندرية ، فقد ألمح السلفى إلى وجود تاجر شاطبى كان يمارس تجارته فى ميناء الاسكندرية فى عصر المرابطين والموحدين (٤) ، بل أن بعض تجار الأندلس وصل فى تجواله حتى بلاد الصين (٥) .

ومن ناحية أخرى وفد إلى الأندلس خلال القرنين الخامس والسادس الهجرى العديد من التجار المشارقة خاصة من مصر ودمشق وبيت المقدس واليمن والبصرة وخراسان، حيث كانت الأندلس فى ذلك الوقت تنعم بالاستقرار والازدهار التجارى تحت حكم المرابطين ثم الموحدين (٦) .

---

(١) ليفى بروفنسال ، الحضارة العربية فى أسبانيا ، ترجمة د. الطاهر مكى ، ص ٧٦ .

(٢) انظر . عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية ، ص ١٦٩ ،

Levi - Provençal, Inscriptions arabes d'espagne, Paris, 1931. p. 116 - 117 .

(٣) انظر . صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ١٩٧ .

(٤) أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفى ، نشر أحسان عباس ، بيروت ١٩٦٣ ، ص ٢١ رقم ٧ .

(٥) ابن عبد الملك المراكشى ، الذيل والتكملة ، بقية السفر الرابع ، ص ١٦ رقم ٤٣ .

(٦) انظر . ابن بشكوال ، الصلة ، ق ١ ، ص ١٠٦ ، رقم ٢٤٧ ، ص ١١١ ، رقم ٢٦٤ ، =

ويشير صاحب الحلل الموشية إلى قيام علاقات تجارية وثيقة بين الأندلس والشام في أوائل العصر المرابطي ، فيقول : « وكان (أى المستعين بن هود صاحب سرقسطة) يتحف أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ويهاديه مما يحل بيده من نفيس الذخائر واليواقيت والجواهر ، اتصل إليه ذلك من الشام ، وذلك أن الشام كانت بها مجاعة كبيرة ، وكانت بلاد ابن هود بشرق الأندلس كثيرة الخصب ، فكان يبعث للشام أجفانا مشحونة بالزرع فتعود إليه بكل ذخيرة وتحفة خطيرة [(١)] » .

وتجدر الاشارة هنا إلى أن رحلة الحج إلى الأراضي المقدسة لم تكن دينية فحسب بل كانت لها أيضا فائدة في تحقيق التعارف بين المسلمين وتبادل المنتجات ، ولم يكن بالامر المستغرب أن يحمل حجاج الاندلس تجارات بلدهم إلى المشرق الاسلامي ، خاصة وأن الموقع الجغرافي للاندلس من ناحية امتداد سواحلها قد جعل من الأندلسيين ملاحين ذوى جرأة ، وشجعهم ذلك على الرحلة لدوافع التجارة أو لطلب العلم أو لأداء فريضة الحج [(٢)] .

ثالثا – الصادرات الأندلسية :

عرفت بلاد الأندلس بثرائها الكبير في الانتاج الزراعي والصناعي والمعدني الذى كان يفيض عن حاجات أهلها ، فكانت تتولى تصدير العديد من ذلك الانتاج كالزعفران الذى كان يطلب في جميع الافاق وكانت أهم مناطق تصديره بلنسية وبسطة وبياسة [(٣)] . ومن الانتاج الزراعي أيضا الذى اختصت الأندلس بتصديره التين

= ص ١٢١ ، رقم ٢٨٥ ، ص ٢٣٢ رقم ٥٢٩ ، ق ٢ ، ص ٤٣٣ ، رقم ٩٢٧ .

(١) انظر : ابن سماك العاملي ، الحلل الموشية ، ص ٥٣ .

(٢) Mahmud Ali Makki, Ensayo Sobre las aportaciones orientales en la España musulmana, Revista del instituto Egipcio, vol, IX - X, Madrid, 1961 - 1962, pp. 75 - 76.

(٣) انظر . الادريسى ، ص ١٨٩ ، الحميرى ، ص ١٩٣ ؛ المقرى ، نفح ، جـ ٤ ، ص ٢٠٤ ،
Heyd, Hist., du Commerce, t., II, pp. 668 - 669.

المجفف الذى أشتهرت به أشبيلية وشلب ومالقة ، وكان يصدر إلى بلاد المغرب ومصر والشام والعراق وربما وصل الى الهند ، وكان التين الأندلسين لاسيما تين مالقة يمتاز بطيبه وعذويته [١] ولذلك كان من الصادرات الأندلسية التى لقيت رواجا كبيرا فى مختلف الأنحاء . كذلك كان اللوز المالقى يصدر إلى بلاد الروم وإفريقية ومصر [٢] . أما الزبيب فقد أختصت به إلش وقرية شاط (قرب المنكب) ومالقة ، وكان يتجهز به إلى جميع البلاد الأندلسية بل ومناطق أخرى من العالم ، إذا كان من خاصيته أنه يحفظ لمدة طويلة دون أن يطرأ عليه أن تغيير [٣] .

ويدخل فى نطاق الصادرات الأندلسية مواد الصباغة مثل العصفر الإشبيلى واللبلى الذى لا نظير له فى الافاق [٤] ، كما كان القرمز الأندلسى يحمل إلى جهات عديدة لجودته [٥] .

ومن المواد الخام الأولية التى كانت تصدرها الأندلس القطن الإشبيلى الذى كانت تعتمد عليه مدن أفريقية فى صناعة المنسوجات [٦] ، وحرير فحص غرناطة (البيرة) الذى كان يصدر إلى كل بلدان المشرق [٧] ونبات الحلفاء الذى اشتهرت به

---

(١) الادريسى ، ص ١٨٠ ، ٢٠٠ ؛ الحميرى ، ص ١٠٦ ؛ المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٤٤ ؛

Robles, Malaga musulmana, p. 292.

(٢) الزهرى ، الجغرافية ، ص ٩٣ .

(٣) انظر . الرازى ، وصف الأندلس فى :

Levi - Provençal, Description, p. 98.

الادريسى ، ص ١٩٩ .

(٤) انظر . العذرى ، نصوص من ترصيع الأخبار ، ص ٩٦ ، القزوينى آثار البلاد ، ص ٥٥٥ ؛ مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٨ .

(٥) البكرى ، جغرافية الأندلس وأوربا ، ص ١٢٧ ؛ ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٣٠٨ .

(٦) العذرى ، ص ٩٦ ؛ ابن غالب ، ص ٢٩٣ ؛ ياقوت ، معجم ، م ١ ، ص ١٩٥ .

(٧) انظر . الرازى ، وصف الأندلس فى :

Levi - Provençal, Description, p. 68 .

لقنت وقرطاجنة الحلفاء [1] .

واشتهرت الأندلس أيضا بالنباتات الطبية وخاصة الجنطيانا ، وهو عقار رفيع كان يتوفر فى لبلة ويحمل من الأندلس إلى جميع الافاق [2] كما كانت المواد التى تدخل فى الطيب مثل الميعة [3] والمصطكى [4] من أهم الصادرات الأندلسية إلى المشرق [5] .

وكانت أخشاب طرطوشة من الصنوبر والبقس من الأخشاب التى لاقت شهرة عالمية [6] ، فيذكر صاحب جغرافية الأندلس « أن منها (أى طرطوشة) يجلب البقس إلى جميع بلاد الأندلس والمغرب [7] » ، كذلك كان يجلب من يابسة الأخشاب إلى إفريقية [8] .

وكانت منطقة جبل الشارات بوسط الأندلس غنية بثروتها الحيوانية ، فقد ألمح الادريسى إلى توفر الأغنام والأبقار بهذا الجبل ، والتى يتجهز بها الجلابون إلى مناطق عديدة وخاصة إلى بلاد المغرب[9] واختصت الأندلس أيضا بنوع جيد من البغال امتاز بحسن منظره وضخامته وقوة تحمله ، وكانت ميورقة من أهم مراكز تصديره ، ويذكر

---

(١) الادريسى ، ص ١٩٣ ؛ الحميرى ، ص ١٧٠ .

(٢) ياقوت ، نفسه ، م ٥ ، ص ١٠ ، مجهول ، جغرافية الأندلس مخطوط ، لوحة ٤ .

(٣) الميعة : صمغ يسيل من بعض الأشجار ، ويذكر ابن عبد الله القرطبى أن الميعة منها سائلة وجامدة . أنظر (شرح أسماء العقار ، نشر مايرهوف ، ص ٢٦) .

(٤) المصطكى : نبات يدخل فى صناعة الطيب ويسمى أيضا الكية وعلك الروم انظر (ابن عبد الله القرطبى ، شرح اسماء العقار ، ص ٢٦) .

(٥) انظر ، ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص ٨٤ .

(٦) انظر . الرازى ، وصف الأندلس فى :

Levi - Provençal, Description, p. 72 .

(٧) مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٤ .

(٨) الزهرى ، الجغرافية ، ص ١٢٨ .

(٩) صفة المغرب وبلادالسودان ومصر والأندلس ، ص ١٨٨ ، الحميرى ص ١٣٢ .

ابن حوقل أنه رأى « منها غير بغل بيع بخمس مائة دينار [١] ، ومن ناحية أخرى يشير ابن الفقيه إلى أن الجلود والصوف خاصة وبر السمور كان من الصادرات الأندلسية [٢] ، ويذكر الزهرى أن الأندلس كانت تصدر أيضا جلود القنليات وجلود الثعالب إلى بلاد الديلم بفارس لأن بلادهم شديدة البرد [٣] .

ومن بين المعادن التى تصدرها الأندلس الزئبق والزنجفر اللذان يستخرجان من جص أبال قرب قرطبة [٤] ، كما يشير البكرى إلى أن المرقشيتا الذهبية كانت تصدر إلى جميع الأنحاء [٥] ، وكذلك الملح الأندلسى الذى يستخرج من يابسة وقصر أبى دانس وكان يجلب إلى بلاد المغرب والسودان [٦] ، ويضاف إلى ذلك الكحل الذى كان يصدر إلى سائر البلاد [٧] ، والكبريت الأحمر كان يصل إلى بلاد الهند [٨] .

وكانت للمنسوجات الأندلسية شهرة كبيرة فى جميع أنحاء العالم فى العصور الوسطى ، فكان يجلب من الأندلس الديباج والأقمشة الكتانية التى تصل حتى مصر واليمن ومكة [٩] ، كما اختصت بلنسية بالنسيج البلنسى الذى كان يصدر لأقطار المغرب [١٠] ، وبرزت المرية ومرسية ومالقة كأهم مراكز لتصدير الحلل الموشية التى لقيت رواجا كبيرا فى الاسكندرية والشام والهند [١١] ، واشتهرت مرسية أيضا بالبسط

---

(١) انظر . صورة الأرض ، ص ١١٤ ؛ الاصطخرى ، المسالك ، ص ٣٢ .

(٢) مختصر كتاب البلدان ، ص ٨٤ .

(٣) انظر . الجغرافية ، ص ٦٦ .

(٤) الادريسى ، ص ٢١٣ – ٢١٤ ؛ ابن غالب ، ص ٢٨٩ ؛ الزهرى ، ص ٣١ ، ٨٧ .

(٥) البكرى ، جغرافية الأندلس وأوربا ، ص ١٢٨ .

(٦) الزهرى ، ص ١٢٨ ، الحميرى ، ص ١٩٨ .

(٧) ياقوت ، معجم ، م ٣ ، ص ٣٦٠ .

(٨) الزهرى ، ص ٣١ .

(٩) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١١٤ .

(١٠) انظر . المقرى ، نفح ، جـ ٤ ، ص ٢٠٧ .

(١١) الادريسى ، ص ١٩٧ ؛ الزهرى ، ص ٣١ ؛ المقرى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٢٠٧ .

التنتلية التى كانت تسفر لبلاد المشرق [1] ، ويذكر الزهرى أن الثياب المرسية كانت تصل حتى بلاد الحبشة [2] .

وعلاوة على ذلك كان هناك بعض الصناعات التى نالت رواجا وشهرة كبيرة فى بلادالمغرب وغيرها مثل الأسرة المرصعة والحصر الفتانة المصنعة وآلات الصفر والحديد من السكاكين والأمقاص المذهبية وغيرها من آلات العروس والجندى ، وجميعها من الصناعات الهامة التى اختصت بها مرسية والتى كانت تصدر إلى بلاد إفريقيا وغيرها [3] . ويذكر المقرى ـ نقلا عن ابن بطوطة ـ أن مالقة اشتهرت بصناعة الفخار المذهب العجيب الذى كان يجلب منها إلى أقاصى البلاد [4] . وكان الكاغد الذى اختصت بصناعته شاطبة من الصادرات الأندلسية التى كان لها سوق نافقة فى المشرق والمغرب على حد قول الادريسى [5] ، وكان التجار يتجهزون من شاطبة أيضا بالأمتعة إلى المغرب وبلاد السودان وغانة [6] ، كذلك كان السكر يحمل من المنكب إلى بلدان عديدة [7] كما اختص حصن قيشاطة (من أعمال جيان) بتصدير بعض المصنوعات الخشبية – كالقصاع والخوابى والأطباق – إلى بلاد المغرب [8] .

وكان لتجارة الزيت أهمية كبيرة فى بلاد حوض البحر المتوسط ، وكانت الأندلس تنتج كميات ضخمة منه تفى بحاجة الاستهلاك المحلى ويبقى فائض كبير تصدره إلى الخارج خاصة إلى مدن البحر المتوسط مثل الاسكندرية وجزيرة اقريطش

(1) نفح ، جـ ٤ ، ص ٢٠٧ .
(2) الجغرافية ، ص ٢٠٧ .
(3) نفح ، جـ ١ ، ص ١٨٧ .
(4) نفح ، جـ ١ ، ص ١٤٥ .
(5) انظر . صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ١٩٢ ؛ ياقوت معجم ، م ٣ ، ص ٣٠٩ .
(6) العذرى ، ص ١٨ ، الزهرى ، ص ١١٤ ،
(7) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢١٨ .
(8) الادريسى ، ص ٢٠٣ ، الحميرى ، ص ١٦٥ .

وإفريقية والمغرب والممالك المسيحية الأسبانية وبلاد الروم ، والملاحظ أن تجارة جنوية وبيزة احتكروا نقل تجارة الزيت ، فكانوا يقومون بنقله من إشبيلية إلى ميناء المرية ثم إلى المدن المطلة على ساحل البحر المتوسط [1] .

رابعا – الـــواردات :

كانت الأندلس تستورد نوع جيد من الحديد من أسبانيا المسيحية ، فيذكر الزهرى أن الحديد المعروف بالشلق كان يجلب للأندلس من مملكة قشتالة ، وهو حديد أسود كانت تصنع منه الآلات الحربية [2] .

كذلك كانت الحنطة المغربية من بين الواردات ، فيشير الادريسي إلى أن تجار إشبيلية كانوا يقصدون إلى سلا في المغرب الأقصى بالزيت ثم يتجهزون منها بالطعام (الحنطة) إلى سائر بلاد الأندلس الساحلية [3] . ويبدو أن الأندلس كانت تستورد أيضا من المغرب الأقصى معدن النحاس الذى اشتهرت به مدينة داى والسوس الأقصى ، وقد أوضح الادريسي أن هذا المعدن كان يحمل إلى بلدان كثيرة ، وكان يمتاز بجودته وتحمله للطرق [4] . كذلك كانت الأندلس تستورد من السوس الأقصى السكر السوسى والذهب وأنياب الفيلة (العاج) والجلود ودرق اللمط [5] ، أما من تلمسان فكان يجلب إلى الأندلس الصوف [6] ، ومن المغرب الأوسط وإفريقية

---

(1) الادريسي ، ص ١٧٨ ؛ الزهرى ، ص ٨٩ ، ١٣٢ ، الحميرى ، ص ١٩ ؛ ١٠١ ، المقرى ، نفح ، جـ ٤ ، ص ١٩٩ ، سالم ، تاريخ مدينة المرية ، ص ١٢٧ ؛

p. Martinez, Islam Y Cristiandad en la Econmía mediterranea de la baja edad media, Moscu. 1970. p. 10 .

(2) الزهرى ، ص ١٠٤ .

(3) انظر . صفة المغرب وبلاد السودان ومصر والأندلس ، ص ٧٣ .

(4) الادريسي ، ص ٧٤ – ٧٥ ؛ الزهرى ، ص ١١٧ – ١١٨ .

(5) الزهرى ، ص ١١٧ – ١١٨ ؛ مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار ص ٢١٢ – ٢١٣ ، ٢١٦ .

(6) الزهرى ، ص ١١٣ – ١١٤ .

كان يجلب جلود الفنك والزرنيخ [1] .

وكانت الاسكندرية باب المغرب والأندلس إلى الشرق ، وعن طريقها كانت تجلب إلى الأندلس منتجات الهند والسند والعراق خاصة من الطيب والتوابل والجوهر [2] .

ومن النوبة والحبشة والسودان كانت الأندلس تستورد الذهب وأنياب الفيلة [3] ، وعن طريق الأندلس كان ذهب السودان يصل إلى أسبانيا المسيحية والمدن الإيطالية [4].

ويذكر الزهرى أن مكة كان يجلب منها إلى الغرب الإسلامى كل ما يخرج من بلاد الهند خاصة والعود والمسك [5] كذلك كانت الأندلس تستورد التوابل من الشرق وذلك عن طريق التجار الأوربيين من بيزة وجنوة والبندقية [6] .

ولم تقتصر علاقات الأندلس التجارية على بلاد المشرق ، بل امتدت حتى شرق أاوربا ، فكان يجلب من فنلندة [7] ثياب الملف حتى اختصت بها ؛ وهى ثياب حسنة العمل من الصوف غير أنهم يتقنون صنعها حتى تباهى ثياب الخز [8] ؛ .

---

(1) الزهرى ، ص ١٠٨ .

(2) الزهرى ، ص ٥٠ ؛ عبد العزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى ، الاسكندرية ، ١٩٨٢ ، ص ٢٥٨ .

(3) الزهرى ، ص ١٢٢ ، ١٢٤ ، ارشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارية ، ص ٢٦٠ .

(4) P. Martinoz, Islam. Y Cristiandad, p. 8.

(5) الزهرى ، ص ٣٦ .

(6) Heyd, Hist., du commerce, t. II, pp. 616 - 617.

(7) فنلندة : أشار الزهرى إلى أن هذه المدينة كان يسكنها أقوام من الفرغ عرفوا بالملف ، وأضاف بأن بلادهم من أعظم بلاد الفرغ وكانت تقع قرب بلاد أرمينية على مقربة من البحر الرومى بعشرين فرسخا . أنظر (كتاب الجغرافية ، ص ٧٦) .

(8) الجغرافية ، ص ٧٦ . وثياب الملف نسيج رفيع كانت تتخذ منه القفاطين انظر (محمود مكى ، عرض ونقد لكتاب العز والصولة لابن زيدان ، مجلة المعهد المصرى بمدريد ، م ٩ - ١٠ سنة ٦١ - ١٩٦٢ م ، ص ١٠٠) وتنبغى الاشارة إلى أن ابن حيان قد ألمح مجيء التجار الملقبين (أى الذين =

ومن بين الواردات التجارية إلى الأندلس الرقيق خاصة الرقيق الأبيض الصقالبة وافرنجة وجليقية ، والرقيق الأسود من السوس الأقصى وبلاد السودان (١) . وكان يتحكم فى أسواق النخاسة التجار اليهود الذين استقروا بمدينة اليسانة Lucena قرب بجانة ، فقد أشار المقدسى إلى أن الصقالبة كانوا يحملون إلى مدينة خلف بجانة فيخصونهم ، وكان لمدينة اليسانة دور هام فى التجارة الأندلسية منذ العصر الأموى واستمر ذلك فى العصر المرابطى (٢) . وكان تجار الأندلس اليهود يرحلون إلى براغ لشراء الرقيق الصقالبة ويخصونهم فى فردان (Verdun) بفرنسا أو فى اليسانة ثم يبيعونهم فى الأندلس أو فى مدن حوض البحر المتوسط والمشرق (٣) .

والحقيقة أن حركة التجارة الخارجية سواء كانت تتعلق بالتصدير أو الاستيراد قد ساعدت إلى حد كبير على ازدهار الاقتصاد الأندلسى فى عصر دولتى المرابطين والموحدين خاصة فى تلك الفترات التى نعمت فيها الأندلس بالأمن والاستقرار فى

= أشتهروا بصناعة الملف) إلى قرطبة فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر طلبا للتجارة بما لديهم من القماش المعروف بالملف – انظر (ابن حيان ، المقتبس ، جـ ٥ ، نشر شالميتا ، ص ٤٧٨) .

(١) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١١٠ ؛ الاصطخرى ، المسالك ، ص ٣٤ – ٣٥ ، ابن العطار ، الوثائق ، ص ٣٥ ، الزهرى ، ص ١١٨ ، ابن عذارى البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣ ، مختار العبادى ، الصقالبة فى أسبانيا ، منشورات المعهد المصرى بمدريد ، ١٩٥٣ ، ص ٧ ،
Lovi

(٢) انظر . المقدسى) أحسن التقاسيم ، ص ٢٤٤ ؛ الحلل الموشية ، ص ٥٨ ، المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٤٠ ، كيليا سارنللى مجاهد العامرى ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٢ – ٤ ،
José Amador, Historía de los Judios de Espana, t.I, Madrid, 1875, p. 293; José M. Lacalle, los Judios espanoles, Barcelonaa, 1961, p.55 & Mahmud Makki, Ensayo, p. 78.

(٣) انظر . مختار العبادى ، الصقالبة ، ص ٨ – ١٠ ، خوان بيرنيت ، هل هناك أصل عربى لفن الخرائط الملاحية ، ترجمة مختار العبادى ، مجلة المعهد المصرى بمدريد ، ١٩٥٣ ، ص ٧٥ ،
Dozy, Historie musul., de l'Espagne, t, II, p. 154 & levi - Provençal, la Civilizacion araabe, p. 57 .

ظل سلطة مركزية قوية هابها نصارى أسبانيا والدويلات المسيحية فى الغرب الأوربى .

وتجدر الاشارة هنا إلى أن بعض الوثائق الايطالية ألمحت إلى توطد العلاقات بين تجار بيزة وجنوة وبين تجار الغرب الإسلامى ، وأن هذه العلاقات التجارية كانت تقوم على الثقة المتبادلة . وأحيانا كثيرة اتبع بينهما طريقة البيع لأجل أو أن يدفع المشترى جزءا من الثمن ويتعهد بدفع الباقى بعد مدة معينة ، وأحيانا أخرى كان أحد التجار المسلمين الموثوق بهم يضمن زميله التاجر الأجنبى فى عملية السداد (١) .

خامسا – طرق التجارة الخارجية وأهم المراكز والموانى التجارية الأندلسية :

١ – الطرق البرية للمشرق :

أشارت كتب الجغرافية إلى الطريق البرى الذى كان يربط الغرب الإسلامى ببلاد المشرق ، فيذكر الادريسى أن الأندلسيين فى رحلاتهم البرية للمشرق كانوا يعبرون المضيق أولا إلى قصر مصمودة بالمغرب الأقصى على ساحل البحر (٢) ، ومنه يتجهون إلى سبتة أو فاس ، ويضيف الاصطخرى أن المسافة بين فاس وتاهرت ٥٠ مرحلة ، ومن تاهرت إلى القيروان ٣٦ مرحلة ، ومن القيروان إلى مصر ٦٠ مرحلة (٣) ، ومنها كان المرء يتجه إلى الشام والعراق والأراضى المقدسة بالحجاز .

٢ – الطرق البحريـة :

توضح رحلة ابن جبير فى سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م الطريق البحرى الذى كان يربط الأندلس بالمشرق ، فقد عبر المضيق من جزيرة طريف إلى قصر مصمودة ، ومنه إلى سبتة ، حيث أقلع من هناك فى مركب رومى (من جنوة) يقصد

---

(١) Amari, I diplomi arabi, pp. 48 - 49 .

(٢) انظر . صفة المغرب وبلاد السودان ومصر الأندلس ، ص ١٦٨ .

(٣) انظر . المسالك والممالك ، ص ٣٧ ،

Levi - Provençal, España musul., t. v, p. 193 Imamuddin. The economic history, p. 266.

الاسكندرية ، فسار بمحاذاة الساحل الشرقي للأندلس حتى دانية ، ثم اتجه ناحية جزيرة يابسة ، وبعد ذلك ميورقة ثم منورقة فسر دانية ثم صقلية فاقريطش (كريت) ومنها إلى الاسكندرية ثم زار الأراضي المقدسة وذلك بعد أن استقل مركبا من ميناء عيذاب على البحر الأحمر إلى جدة [1] .

وكان الأندلسيون بعد وصولهم إلى اقريطش يتجهون في بعض الأحيان إلى قبرص ثم عكا ، ومنها يأخذون الطريق البرى إلى مدينة الرسول عليه السلام [2] .

وعلى أية حال فقد كان هذا الطريق البحرى محفوفا بالأخطار ، فكثيرا ما كانت السفن تتعرض للعواصف العاتية التي تنتهي بتحطيمها ويهلك ركابها غرقا ، ولهذا كان الرحالة البحريون يلتمسون طريقا طويلا ولكنه أكثر أمانا ، فكانت سفنهم تخرج من موانى الأندلس إلى ساحل المغرب الأوسط أو ساحل العدوة (المغرب الأقصى) ، ومن هناك تسير بحذاء الساحل الافريقي وترسو عند ثغوره المطلة على بحر المغرب حتى تصل إلى خليج سرت ، ومن هناك تتابع الساحل الليبي وبرقة حتى تصل إلى الاسكندرية [3] .

والملاحظ أن البحر كان الطريق العادى للرحلة إلى المشرق ، وكان يسلكه عدد كبير من الحجاج المغاربة والأندلسيين ، وقد اعتاد هؤلاء الحجاج استغلال هذه الرحلة في التجارة أيضا . وكان ميناء الاسكندرية هو المرسى الطبيعي الكبير لنزول التجار والمسافرين من أهل الأندلس والمغرب خاصة وأنه كان يوجد خط ملاحى منتظم يصل

---

(١) انظر . رحلة ابن جبير ، تحقيق حسين نصار ، القاهرة ، ١٩٥٥ م ، ص ١ - ٦ ، ٤٦ ، خوان بيرنيت ، هل هناك أصل عربي أسباني لفن الخرائط الملاحية ، ص ٧٥ .

(٢) ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل والتكملة ، السفر الخامس - القسم الثاني ، ص ٦٨٩ - ٦٩٠ ترجمة - رقم ١٢٩٨ .

(٣) انظر . عبد العزيز سالم ومختار العبادى ، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ، ص ٦٠ - ٦١ .

بين المرية والاسكندرية [1] . أما فى حالة رغبة هؤلاء التجار السفر نحو المحيط الهندى فإنه يتعين عليهم فى هذه الحالةالسير بحرا حتى ميناء الفرما ، ومنه يعبرون الصحراء إلى القلزم ثم يبحرون من جديد نحو مسقط فى عمان حيث يمكن مواصلة السفر على ظهر أى مركب إلى بلاد الهند والصين [2] .

والواقع أن الرحلات البحرية فى العصور الوسطى كانت شاقة وخطيرة للغاية حتى بالنسبة للطرق البحرية والمألوفة فى حوض البحر المتوسط لاسيما أن السفن كانت تفرض عليها رسوم باهظة فى الموانى التى ترسو بها للتزود بالوقود أو لاصلاح أى عطب بالسفينة [3] .

وكانت سهولة الرحلة البحرية أو صعوبتها تتوقف على زمن الابحار أو على الرياح المواتية للابحار ، فيذكر صاحب تقويم غرناطة أن شهر مايو يحل فيه ركوب البحر [4] ، ويضيف عريب بن سعد أن اليوم الثالث عشر من ابريل غير صالح للملاحة وذلك بسبب الرياح الآتية من المشرق ، كذلك فى اليوم السابع عشر من نوفمبر يكون نؤخذ نديس فينغلق البحر وترفع السفن [5] ، كذلك كان الابحار فى الشتاء يمثل خطورة بسبب العواصف والأنواء الشديدة ، علاوة على احتمال تعرض السفينة لمهاجمة سفن الأعداء أو القراصنة البحريين [6] .

وتجدر الاشارة فى هذا الصدد إلى أن السفن كانت تكترى بمعنى أن يقوم أحد التجار (أو بعضهم) بإستئجار سفينة من صاحبها بمبلغ محدد نظير قيامه بتوصيل

---

(١) سالم ، تاريخ مدينة المرية ، ص ٨٩ ، خوان بيرنيت ، نفسه ، ص ٧٥ .

(٢) بيرنيت ، نفسه ، ص ٧٥ .

(٣) حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، ص ٤٢٠ - ٤٢١ ،
Imamuddin, The economic history, p. 270.

(٤) مجهول ، تقويم غرناطى ، ص ٣٣ .

(٥) تقويم قرطبة ، ص ٤٥ ، ١٠٦ .

(٦) ابن أبى فراس ، أكريات السفن ، مخطوط ، ورقة ٤٢ ب ، ٤٨ ب .

التاجر وسلعه إلى ميناء معين ، ويتم هذا الكراء عن طريق عقد يبرم بينهما يشهد عليه بعض الشهود ، ويحدد فيه نوع السلع أو البضائع ووزنها أو كيلها ، واسم صاحب السفينة والمكترى أى المستأجر والطريق البحرى الذى ستسلكه السفينة [1] .

والمعروف أن المدن الايطالية مثل جنوة وبيزة والبندقية احتكرت النقل البحرى فى غرب البحر المتوسط فى عصر دولتى المرابطين والموحدين ، وكان لتلك المدن التجارية الأثر الكبير على سير التجارة الأوربية عامة ، وكان تجار هذه المدن يتولون نقل بضائع الشرق خاصة التوابل والمنسوجات إلى الغرب مما ساعد على انتعاش الحياة الاقتصادية فى الغرب الأوربى ومن ضمنه الأندلس .

٣ - أهم المراكز والموانىء التجارية فى الأندلس :

أشتهرت الأندلس بتعدد موانيها ومراكزها التجارية سواء على البحر المتوسط أو المحيط الأطلسى ، وهذا شجع على رسو السفن التجارية بها ما كان له أثره فى انتعاش حركة التجارة الخارجية .

وأهم تلك المراكز والموانىء التجارية ما يلى :

(أ) المريـــة :

كانت المرية من أهم مراكز التجارة البحرية فى الأندلس منذ عصر الخلافة الأموية ، وبلغت ذروة ازدهارها التجارى فى عصر المرابطين وكانت- كما يذكر الرازى - باب الشرق ومفتاح الرزق [2] ، ويضيف الادريسى أنه « كانت تقصدها مراكب البحر من الاسكندرية والشام وأنه لم يكن بالأندلس كلها أيسر من أهلها مالا ولا أتجر منهم فى الصناعات وأصناف التجارات تصريفا وأدخاراً [3] .

---

(١) ابن القاسم ، المقصد المحمود فى تلخيص العقود ، مخطوط ، ورقة ٥٣ ب .

(٢) انظر . ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، جـ ٢ ، ص ١٩٣ ، أبو الفدا تقويم البلدان ، ص ١٧٧ .

(٣) صفة المغرب وبلاد السودان ومصر والأندلس ، ص ١٩٧ ؛ ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٢٨٣ ؛ الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٨٣ - ١٨٤ .

ومما يدل على ازدهار الحركة التجارية بها فى عصر المرابطين أن عدد فنادقها بلغ وقتذاك ٩٧٠ فندقا ، وهو رقم كبير يشير إلى وفرة متاجرها وكثرة النزلاء فيها من تجار الأندلس والمغرب وبلاد المشرق والنصارى [١] .

وقد استمر نشاط المرية التجاري في عصر الموحدين ، فيذكر الشقندى أنها كانت محط مراكب النصاري ومجتمع ديونهم ومنها كانت توزع بضائعهم على سائر الأنحاء ، وفيها كانت تشحن البضائع التى تصلح لهم . وقد عادت تلك الامتيازات الممنوحة للنصارى بالنفع على الدولة ، إذ كانت تفرض على تجارة هؤلاء النصارى ضريبة العشور [٢] . ومن ناحية أخرى فإن نشاط حركة الصادر والوارد ووجود ديوان للنصارى استلزم اقامة فنادق ووكالات تجارية لهم فى المرية ، وكل هذا ساعد على ثراء المدينة وتمتع أهلها بالرخاء والترف [٣] ، فيذكر الادريسى أن « أهلها مياسر، ولم يكن في بلاد أهل الأندلس أحضر من أهلها نقدا ولا أوسع منهم أحوالا [٤] » .

ولعل هذا الاتجاه البحري للمرية يمكن تفسيره بقلة أمطارها وبالتالى فقرها فى الانتاج الزراعى واحاطة الجبال بها وصعوبة اتصالها البرى بالمدن الداخلية الأندلسية ، مما جعل السكان يعتمدون – أساسا – على البحر كوسيلة للنقل التجارى [٥] .

وكانت للمرية علاقات تجارية مزدهرة بمختلف مناطق العالم خاصة الاسكندرية وبلاد المشرق وإيطاليا وفرنسا وقطلونية ، إذ كانت تصدر المنسوجات الحريرية

---

(١) الإدريسى ، ص ١٩٨ ؛ الحميرى ، ص ١٨٣ – ١٨٤ ؛ عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية ، ص ١٦٩ .

(٢) المقرى ، نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ٢٠٦ – ٢٠٧ .

(٣) سالم ، نفسه ، ص ١٧٠ – ١٧١ .

(٤) صفة المغرب وبلاد السودان ومصر والأندلس ، ص ١٩٧ – ١٩٨ ، الحميرى ، ص ١٨٣ – ١٨٤ .

(٥) Abdel Aziz salem, Algunos aspectos del floreci miento economico de Almeria, p. II.

وزيت الزيتون ،الأواني الخزفية [1] ، بينما كان يجلب اليها الحنطة من المغرب [2] .

ب - مالقــة :

كانت مالقة من بين الثغور الاندلسية الهامة المطلة على البحر المتوسط ابان القرنين السادس والسابع للهجرى (الثانى عشر والثالث عشر الميلادى) وذلك لموقعها الجغرافى الممتاز على طرق المواصلات البحرية ولكونها من القواعد التجارية الرئيسية ، وأهم المحطات البحرية سواء لشحن السفن أو تفريغها أو لاصلاح ما تتعرض من أعطاب، وكذلك لوفرة انتاجها الزراعى ونشاطها التجارى والصناعى [3] ، ولذا يذكر ياقوت أنها من المدن التى تقصدها المراكب والتجار بكثرة [4] ، لاسيما من المغرب ، والمشرق الاسلامى أو المدن الايطالية وبلاد أفرنجة واسبانيا المسيحية ، ويؤكد ذلك قول الشقندى أن ساحل مالقة فى عصر الموحدين كان محط تجار المسلمين والنصارى [5] .

ومما يدل على أهمية مالقة فى مجال التجارة البحرية أن تجار جنوة أقاموا بها فندقا رحبا لسكانهم ، وذلك لكثرة مصالحهم وتجاراتهم فى هذا الميناء التجارى النشط [6] ،

---

(١) ياقوت ، معجم ، م ٥ ، ص ١١٩ ؛ نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٨٧ ؛ سالم تاريخ مدينة المرية ، ص ٨٩ ، ١٧١ . وتجدر الاشارة الى أن ازدهار المرية التجارى وتوثق علاقاتها التجارية بغرب أوربا قد استمر أيضا فى عصر بنى الاحمر ملوك غرناطة . أنظر تفاصيل ذلك فى :
(Alarcon, Los documentos arabes diplomaticos del archivo de Aragón, Madrid, 1940, pp. 119 - 122) .

(٢) القلقشندى ، صبح الاعشى ، جـ ٥ ، ص ٢١٧ .

(٣) Robles, Malaga, p. 337.

(٤) معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٤٣ .

(٥) نفح الطيب ، جـ ، ص ٢٠٦ .

(٦) Robles, op. cit, pp. 326 - 338.

وعن استمرار أهمية مالقة التجارية فى عصر مملكة غرناطة أنظر :
(رحلة طافور) ترجمة حسن حبش ، دار المعارف ، ١٩٦٨ ، ص ٦ - ٧) وجدير بالذكر أن هناك أدلة كثيرة لأهمية مالقة التجارية منها الخزف المالقى والمرناطى الذى كان يرد إلى الإسكندرية عن طريق البحر والذى تم كشف قطع عديدة منه فى حفائر كوم الدكة .

والذى كانت تنقل منه منتجات مالقة من التين واللوز والحلل الموشية والخزف إلى بلاد المشرق والدول المسيحية فى غرب أوربا [1] .

جـ إشبيليـــة :

بلغت إشبيلية ذروة ازدهارها فى عصر الموحدين ، حيث كانوا يفضلونها على بقية مدن الأندلس واتخذوها حاضرة لهم فى الأندلس وذلك منذ تبعية الأندلس لدولتهم ، ويعتبر يوسف بن عبد المؤمن أول من أهتم بتجميلها وتعميرها وتحصينها من خلفاء الموحدين ، فزودها بالعديد من المنشآت مثل القصبة الكبرى ومسجدها الجامع وقصور البحيرة وقصور السادة من بنى عبد المؤمن ، وأجرى اليها المياه من قلعة جابر على جسور أنشأها امتداداً لجسر قرمونة [2] .

وكان مرسى إشبيلية يزخر بحركة تجارية دائبة ، حيث أن موقعها الجغرافى على الوادى الكبير ساعد على دخول السفن التجارية القادمة من بلاد الفرنج ورسوها بإشبيلية [3] ، ثم تعود تلك السفن محملة بمنتجات اشبيلية خاصة الزيوت التى كانت تصدر الى كل البلدان المسيحية والاسلامية [4] .

ومن ناحية أخرى كانت إشبيلية من أهم مراكز تجارة الرقيق فى عصر دولة

---

(١) الادريسى ، ص ٢٠٠ ؛ الزهرى ، الجغرافية ، ص ٩٣ ؛ الحميرى ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ ؛ المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٤٤ - ١٤٥ ،

Robles, op. cit, p. 292 .

(٢) انظر . المن بالامامة ، ص ٤٧٤ - ٤٧٦ ؛ نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ١٦ - ١٧ ؛ عبد العزيز سالم ، قصور بنى عباد بإشبيلية ، مجلة أوراق ، ص ٣٥ - ٣٦ ؛ قرطبة حاضرة الخلافة ، جـ ١ ، ص ٢٢٨ ؛ ليفى بروفنسال ، سلسلة محاضرات عامة ، ص ١٠٣ .

(٣) ياقوت ، معجم ، م ١ ، ص ١٩٥ ؛ ابن سعيد ، بسط الأرض ، ص ١٠٠ ؛ أبو حامد الغرناطى ، المغرب من بعض عجائب المغرب ، مخطوط ، لوحة ١٣٦ .

(٤) الادريسى ، ص ١٧٨ ، الحميرى ، ص ١٩ ، ١٠١ ؛ مجهول ، جغرافية الأندلس ، مخطوط ، لوحة ٢٨ ، المقرى ، نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ١٩٩ ، سالم ، تاريخ مدينة المرية ، ص ١٢٧ .

الموحدين ، حيث كان يباع بها السبى من النصارى الذى يحصل عليه الموحدون عقب غزواتهم وانتصاراتهم [1] ، إذ كانت إشبيلية سوقا تجارية هامة فى هذا العصر ، ويؤكد ذلك قول الادريسى أنها ذات « أسواق وبيع وشراء وأهلها مياسير [2] » .

د - مرسيـــة :

ازدهرت مرسية منذ عصر الخلافة الأموية واستمر هذا الازدهار يلازمها طوال عصر دولتى المرابطين والموحدين ، عدا تلك الفترات التى أستقل فيها ابن مردنيش بمنطقة شرق الأندلس ، فأصبحت مسرحاً للصراع بينه وبين الموحدين .

وعلى أية حال كانت مرسية فى عصر الموحدين - كما يذكر الشقندى - حاضرة شرق الأندلس ، واشتهرت بوفرة منتجاتها الزراعية وتعدد صناعاتها التى لقيت رواجا كبيرا في مختلف الأنحاء خاصة صناعة الحلل الموشية والبسط والحصر التى تغلف بها الحيطان [3] .

وكان لمرسية فرضتان أو مرسيان يطلان على البحر المتوسط وتعتمد عليهما فى حركة الصادر والوارد ، أحدهما قرطاجنة الحلفاء وكان مرسى ترسو به السفن الكبيرة والصغيرة والآخر مرسى لقنت الذى يجوز منه التجار إلى إفريقية ، كما كان يتجهز منه بالحلفاء إلى مختلف البلدان الواقعة على سواحل البحر المتوسط [4] .

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ١١٧ .

(٢) صفة المغرب وبلاد السودان ومصر والأندلس ، ص ١٧٨ .

(٣) انظر . نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ٢٠٧ .

(٤) الادريسى ، ص ١٩٣ - ١٩٤ ؛ الحميرى ، ص ١٥١ - ١٧٠ ؛ عبد العزيز سالم ، مدينة مرسية موطن الشيخ أبو العباس المرسى ص ٥ .

الفصـــل الثـالــث

الموارد المالية وأوجه الانفاق

أولا – الادارة المالية فى عصر دولتى المرابطين والموحدين .

ثانيا – أهم مصادر بين المال فى عصر دولتى المرابطين والموحدين

ثالثا – أوجه الانفاق .

أولا - الادارة المالية فى عصر دولتى المرابطين والموحدين :

كان للنظام المالى المحكم الذى انتهجه المرابطون والموحدون أثره الفعال فى تدعيم الاقتصاد الاندلسى واستقراره . فالنظام المالى وما أشتمل عليه من ادارة مالية حازمة وسياسة مالية حكيمة تتعلق بتنمية الموارد المالية للدولة وموازنة ذلك بالنفقات المختلفة كانت من أهم العومل التى ساعدت على الازدهار الاقتصادى للبلاد . فمن الطبيعى أن تنظيم علاقه السكان بولاة الامر خاصة من الناحية المالية ، ومعرفة كل مواطن حقوقه واجباته انما يبعث الثقة والطمأنينة فى النفوس وبالتالى يدفعها للعمل والانتاج فى ظل مبادئ وقوانين يخضع لها الجميع وذلك طبقاً لما أجازته أحكام الشريعة [١] .

وقد اهتم المرابطون ثم الموحدون منذ قيام دولتيهما فى المغرب وامتداد نفوذهما الى الاندلس بتنظيم الشؤن المالية للدولة وذلك بانشاء الدواوين المالية التى يتولاها موظفون أو كتاب أكفاء من ذوى الخبرة والدراية بشئون المال وذلك لضبط الموارد المالية للدولة وأوجه الانفاق المختلفة فيها . وكان معظم المختصين بالشئون المالية وجباية الضرائب فى عصر الدولة المرابطية ـ وبالتحديد فى عهد على بن يوسف ـ من النصارى لخبرتهم فى هذا المجال ولدقتهم المتناهية فى جمع الاموال والجبايات [٢]، كما أن أهل الذمة كانو يخافون ولاة الامر ويخشون العاقبة ويترددون طويلا قبل أن يقدموا على التلاعب فى هذه الجبايات أو يفرطوا فى أداء الواجب [٣] .

ويبدو أن المرابطين ومن بعدهم الموحدين راقبوا عما لهم المختصين بالشئون المالية مراقبة دقيقة وحاسبوهم محاسبة عسيرة خاصة عند اعتزالهم الخدمة ، فكانو لا يترددون فى مصادرة أموالهم وعقاب من يتهم منهم بالتلاعب أو التقصير فى أداء العمل بالسجن ، كما كانوا يحاسبون ورثة العامل المتوفى ويثقلون عليهم ويصادرون

---

(١) أنظر . حسن على حسن ، الحضارة الاسلامية فى المغرب والاندلس ص ١٨٤ .

(٢) ابن سماك العاملى ، الحلل الموشية ، ٦١.

(٣) أنظر . حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٤١١ .

تركة المتوفى اذا لزم الامر . والغالب أن الخوف من هذا الحساب العسير ـ خاصة فى عهد يوسف بن تاشفين ـ هو الذى دفع مؤمل ـ عبد أمير المسلمين يوسف وجابى مستخلصة (أى الاملاك السلطانية) ـ حين حضرته الوفاة الى أن يجيء بما عنده من المال المستخلص ويشهد الحاضرين على دفعه ثم يبرئ جميع كتابه ، ولم يقتصر الامر على ذلك بل أنه لم يتردد فى ارسال رجال من صنعائه الى أمير المسلمين يوسف بجملة من أموال الخاصة ، وذلك ليوضح لامير المسلمين أن هذا المال هو جميع ما اكتسبه فى أيام خدمته وأن بيت المال أولى به وكل هذا لأن مؤملاً كان يخشى أن يصيب ورثته مكروه اذا مات دون أن يبرئ ذمته [1] ولعل ذلك يعبر بوضوح عن تلك الادارة المالية الحازمة للمرابطين ، وعن تلك الروح الجديدة التى تفشت بين العمال خاصة فى أوائل عصر المرابطين .

وفى عصر دولة الموحدين كان الوزراء والكتاب يشتغلون بالأعمال المالية ، يعاونهم فى ذلك مجموعة من الامناء ، ثم حدث تطور فى الوظائف المالية وصار هناك وزير مسئول عن الشئون المالية فى الدولة عرف فى الاندلس باسم صاحب الاشغال الخارجية [2] ، وكان يعاونه رؤساء الدواوين المالية بالدولة وهم :

١ـ صاحب ديوان الاعمال أو الاشغال المخزنية : وهو الذى كان يتولى مراقبة ايرادات الدولة ويشرف على الدخل والمتصرف ويراقب العمال والمشرفين ويحاسبهم ، وكان يعاونه المشرفون . وكان المشرف هو المسئول عن الجباية الحافظ للأموال المجتمعة منها ، والصارف لها فى وجهها ويحاسب العمال القائمين عليها،

---

(١) أنظر . مذكرات الميرعبد الله الزيرى ، ص ٢١٣ ـ ٢١٤ ؛ حسن محمود نفسه ، ص ٤١١ ـ ٤١٢ . وتجدر الاشارة الى أبى عبد الملك بن زهر كان صاحب المستخلص وأملاك السلطان فى إشبيلية ويبدو أنه قصر فى أداء الواجب فاعتقل بمراكش مدة وذلك فى عهد أمير المسلمين على ابن يوسف . أنظر . (البيان المغرب ، جـ٤ ، ص ٦٣ ـ ٦٤ ، هـ١ ، ص ٦٥)

(٢) المقرى ، نفح ، جـ١ ، ص ٢٠٢ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين (القسم الثانى) ، ص ٦٢٣ ؛ حسن على حسن ، الحضارة الاسلامية فى المغرب الاندلس ، ص ١٨٦ ـ ١٨٧ .

وكانت دار الاشراف مركزهذا العمل ، وكان يعاون المشرف مجموعة من العمال أهمهم خازن المال وخازن الطعام الذى يتولى الاشراف على حركة الصادر والوارد بالمخازن العامة [1] . وقد يكون من اختصاصات المشرف ـ أحيانا ـ الرقابة على تقييد المجابى . والملاحظ أن المشرفين على الاموال العامة كانو يتحملون مسئوليات خطيرة ، ولذلك فقد كانو يتعرضون كثيرا للمساءلات والاتهامات والمصادرات [2] .

٢ ـ متولى المجابى : وهو المسئول عن تحصيل الضرائب والجزيات على مختلف أنواعها وله العديد من العمال فى مختلف المدن والقرى [3] .

٣ ـ متولى المستخلص : وهو المشرف على أموال وممتلكات الخليفة والمحافظة عليها ، وتحصيل ما يتعلق بها من مختلف أبواب الدخل . فيذكر ابن عذارى أن الكاتب يوسف بن عمر – بعد اعتزال خدمة السادات بنى السيد أبى حفص بن عبد المؤمن – فى سنة ٩٣ هـ / ٩٦ (ام اى فى عهد الخليفة يعقوب المنصور ، تولى الاشراف على المستخلص بالشرف ومدينة لبلة [4] .

وقد اتبع الموحدون نفس السياسة المرابطية فيما يتعلق بالتشدد مع عمالهم المشتغلين بالشئون المالية ومراقبتهم ومحاسبتهم . ونلحظ ذلك فى الرسالة التى وجهها الخليفة عبد المؤمن بن على إلى الطلبة والاشياخ بالأندلس والتى يأمرهم فيها بمعاقبة العمال والجباة الذين يفرضون على الناس المغارم والمكوس ويدعون أنها للمخزن (أى بيت المال) فيقول : « ولئن نقل الينا – والله المشاهد – أن نوعا من هذه الأنواع

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ١٣١ – ٢٢٧ ، عنان نفسه ، ص ٦٢٣ ؛ حسن على حسن ، نفسه ، ص ١٨٧ .

(٢) عنان ، نفسه ، ص ٦٢٣ .

(٣) البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ٢٠٤ ؛ عنان ، نفسه ، ص ٦٢٣ .

(٤) انظر . البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ٢٠١ ، عنان ، نفسه ص ٦٢٤ .

المخرقة أو صنفا من تلك الأصناف المظلمة يتولاه أحد هنالك من البشر أو يأمر بشيء من ذلك الفعل المستنكر المظلمة يتولاه أحد هنالك من البشر أو يأمر بشيء من ذلك الفعل المستنكر لنعاقبنه بمحو أثره عقابا يبقى عظة لمن اتعظ » كما أنه هدد في رسالته العمال والجباة المتلاعبين أو المقصرين في أداء واجبهم ، وحذر الشيوخ والطلبة من التهاون في محاسبتهم ومعاقبتهم [1] .

وسار خلفاء عبد المؤمن على نفس سياسته في محاسبة العمال والمشرفين على سوء تصرفهم في النواحي المالية ، ففي سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م أمر الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بعزل ومحاسبة ابن المعلم [2] ، المشرف وصاحب المخزن بإشبيليه [3] ، وفي سنة ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م أمر الخليفة يوسف ايضا بنكبة محمد بن عيسى مشرف اشبيليه ، وتولى تثقيف حاله للمخزن يلول بن جلداسن [4] واستصفى ما كان عنده من المال والعقار ثم عذب وضرب حتى مات [5] كما صودرت أموال ابن المعلم في ٥٧٤ هـ / ١١٧٨ م والذى كان مشرفا باشبيليه من قبل فيذكر ابن عذارى أنه « انتقدت عليه أخبار شنيعة وأحوال فضيحة فأمر بسجنه وأخذ ما بيده [6] » وفي عهد الخليفة يعقوب المنصور ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م عوقب ابن رجا مشرف اشبيليه ، وطلب منه احضار الجبايات وأزمتها ، وانتهى أمره بالسجن والتعذيب حتى مات [7] . ويتضح مما سبق أن المشتغلين بالشئون المالية كانوا يقعون تحت المراقبة الدائمة للدولة ،

---

(١) انظر نص الرسالة في : ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ١٥٠ – ١٦٣ .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد الايلاتي المعروف بابن المعلم ، كان صاحب المخزن باشبيليه في عهد عبد المؤمن ومعظم عهد ابن يوسف . انظر (المن بالامامة ، ص ٢٠٧ ، ٢٥٣) .

(٣) انظر : ابن عذارى البيان المغرب ، القسم الخاص بالموحدين ، ص ٩٤ .

(٤) كان ابن جلداسن هذا هو الذى تولى وظيفة المشرف باشبيليه بعد عزل ابن المعلم سنة ٥٦٦هـ / ١١٧٠ م . انظر (ابن عذارى) نفسه ، القسم الخاص بالموحدين ، ص ٩٤) .

(٥) البيان المغرب ، القسم الخاص بالموحدين ، ص ١٠٨ .

(٦) البيان المغرب ، القسم الخاص بالموحدين ، ص ١١٢ .

(٧) ابن عذارى ، نفسه القسم الخاص بالموحدين ، ص ١٧٢ – ١٧٣ . وانظر أيضا محاسبة العمال والجباة (البيان المغرب والقسم الخاص بالموحدين ، ص ٢٠١) .

وكان من حاد منهم عن طريق الحق والصواب والعدل يتعرض للمصادرة والتعذيب والنكال ، ونتج عن تلك السياسة المالية الحازمة وتعدد الدواوين المالية أن انتظمت الشئون المالية ، للبلاد مما كان له أثره على الازدهار الاقتصادى لدولة الموحدين والاستقرار الذى نعمت به خاصة حتى نهاية عهد الخليفة محمد الناصر ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م .

ثانيا - أهم مصادر بيت المال في عصر دولتى المرابطين والموحدين :

اصطبغت الدولة المرابطية منذ قيامها بالصبغة الدينية ، ومن هنا حرصت على التزام أحكام الشرع والسنة فى مجال السياسة الضريبية والمالية بصفة عامة (١) . ونتج عن ذلك إلغاء ما لم يرد به نص وفى كتاب الله أو سنة نبيّه ، خاصة وأن المجتمع الأندلسى فى عصر الطوائف كان يحفل قبل مجيئهم بالعديد من المغارم والمكوس والضرائب غير الشرعية التى لا تقرها أحكام الدين ، وكان ملوك الطوائف يتفننون فى فرض الضرائب عن طريق الحيف والجور ، ولاذوا - حفاظا على عروشهم - بالجزيات يدفعونها إلى ملوك أسبانيا المسيحية ، كما كانوا ينفقون على أنفسهم عن سعة فى أوجه الترف وشهوات النفس ، وأرهقوا بهذه السياسة الهوجاء رعيتهم بالضرائب والمغارم لسد احتياجاتهم ونفقاتهم الباهظة (٢) .

وبعد أن تمكن المرابطون من اخضاع الأندلس لسلطانهم ونادوا بإلغاء هذه الضرائب الجائرة ، كان لعملهم هذا وقع عظيم وصدى بعيد الأثر فى الحياة الاقتصادية بصفة خاصة ، إذ ساعد على رواج التجارة الداخلية وانتعاش الصناعة وازدهارها وذلك بعد أن تخلص الأندلسيون من تلك الأعباء المالية الثقيلة التى استنزفت أموالهم مما أدى إلى اعلاء شأن المرابطين فى كل أنحاء الأندلس (٣) .

---

(١) انظر . مذكرات الأمير عبد الله ، ص ١٢٠ ، السلاوى ، الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٥٤ .

(٢) مذكرات الامير عبد الله ، ص ١٢٠ ، ١٢٧ ، محمد بن عبود ، معركة الزلاقة ص ٦٠ - ٦١ .

(٣) انظر . حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٤٠٨ .

وهكذا نلحظ أن المرابطين خاصة في عهد يوسف بن تاشفين لم يفرضوا على أهل الأندلس إلا ما أمر الله تعالى به وأوجبه حكم الكتاب والسنة من الزكاة والأعشار وجزية أهل الذمة علاوة على أخماس غنائم المشركين [1] . إلا أن هذه الجبايات أو الموارد المالية لم تف بحاجة الدولة ومسئولياتها الجسام خاصة بعد ضم الأندلس إلى أملاك الدولة المرابطية واتساع نطاق أعمال الجهاد في الأندلس لمواجهة خطر نصارى الشمال الأسباني ، ولذا اضطر يوسف تاشفين إلى تحصيل بعض الأموال من اليهود الذين تركزوا في مدينة اليسانة بولاية غرناطة [2] ، كما أرسل إلى عماله بجميع كور الأندلس يطلب منهم ضرورة فرض ضريبة تسمى المعونة لمواجهة نفقات الجهاد ، إلا أن قاضي المرية أبا عبد الله محمد بن يحيى المعروف بابن الفراء عارضه في ذلك وأبلغه بأنها غير جائزة ما دام بيت مال المسلمين فيه ما يكفي للانفاق على الحملات العسكرية الموجهة ضد النصارى [3] .

وعلى أية حال فالغالب أن يوسف بن تاشفين لم يفرض على الأندلس إلا الزكاة والعشر ، وأنه رغم ابطال المغارم والضرائب غير المشروعة في عهده إلا أن الأموال تضاعفت وتدفقت على بيت المال ، وكثرت الخيرات وعمَّ اليسر أيام حكمه وتشير الرواية إلى أنه وجد في بيت مال عند وفاته « ثلاثة عشر ألف ربع من الورق وخمسة آلاف وأربعين ربعا من مطبوع الذهب (الدنانير الذهب [4]) »

ولعل كثرة الدخل المرابطي رغم اقتصار الضرائب على الزكاة والعشر - خاصة طوال عهد أمير المسلمين يوسف وحتى أوائل عهد ابنه علّي - يمكن ارجاعه - كما

---

(1) مذكرات الأمير عبد الله ، ص ١٢٠ ، روض القرطاس ، ص ١١٦ ، الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٥٤ .

(2) الحلل الموشية ، ص ٥٨ .

(3) ابن خلكان ، وفيات ، جـ ٦ ، ص ١١٨ رقم ٨١٥ ، الاستقصا جـ ٢ ، ص ٥٣ .

(4) ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص ١١٦ ، الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٥٤ ، حسن محمود، نفسه ، ص ٤٠٩ - ٤١٠ ، عنان ، نفسه ، ص ٤٢٠ - ٤٢١ ، حسن علي حسن ، نفسه ، ص١٩٤ ، عز الدين موسى ، النشاط الاقتصادي في المغرب ، ص ١٦٥ .

يرى الدكتور حسن محمود - إلى أن الضرائب القليلة التى بالامكان تحصيلها بسهولة أفضل بكثير من الضرائب الباهظة التى يعجز الرعية عن الوفاء بها إذ أنه من غير الحكمة فى شيء أن تقوم الدولة بفرض ضرائب جائرة تثقل كاهل رعاياها فيعجزون عن سدادها ، ومن ناحية أخرى فإن انتشار روح الزهد والتقشف بين أمراء المرابطين - على الأقل - فى عهد يوسف بن تاشفين - قد قلل من نفقات الدولة إلى حد كبير [١] . كذلك يمكن إرجاع زيادة الدخل فى العصر المرابطين إلى عوامل أخرى من أهمها قلة النفقات ، ذلك أن الدولة لم تكن تنفق على الجيش نفقات طائلة ، فكان نصيب الفارس لا يزيد على خمسة دنانير فى الشهر بما فى ذلك نفقته وعلف فرسه ، وكان الجند يعتمدون على نصيبهم من الغنائم والاقطاعات الزراعية [٢] .

وعلى هذا يبدو أن المرابطين قد اهتموا اهتماما فائقاً بتحصل الضرائب الشرعية وهى الزكاة والعشر ، وحرصوا على الا يتهرب منها أحد . ويتضح تزمتهم ومغالاتهم أحيانا فى ضمان تحصيل الزكاة والعشر فيما كتبه ابن عبدون فى رسالته عن الحسبة الأندلسية فى العصر المرابطى ، فنلحظ أنه ندد بالوسائل التى اتخذها المرابطون فى تحصيل عشر المحاصيل والثمار فى بلده إشبيليه كما حمل بصفة على الخراص [٣] الذين يقومون بتقدير المحصول لمعرفة قيمة العشر ، وأوضح بضرورة أن يلتزم الخراص بتقدير المحصول بعد حصاده كما يحدث فى قرطبة . ويضيف بأن هؤلاء الخراص ظلمة وأشرار ولذا يجب على القاضى أن يحدد لهم ما يجب ، ويوصيهم بالرفق

---

(١) انظر . حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٤١٠ - ٤١٢ .

(٢) انظر . الحلل الموشية ، ص ٥٩ ؛ حسن محمود ، نفسه ، ص ٤١٢ .

(٣) أصل الخرص التظنى فيما لا تستيقنه ، ومنه خرص النخل والكرم اذا حرزت التمر لأن الحرز انما هو تقدير نظن لا احاطة ، وفاعل ذلك يسمى الخارص (الجمع خراص) وكان النبى (صلعم) يبعث الخراص على نخيل خيبر عند ادراك ثمرها فيحرزونه رطبا كذا وثمرا كذا ، ثم يأخذهم بكيلة ذلك من التمر الذى يجب له وللمساكين . ونلاحظ أن النبى أمر بالخرص فى النخيل والكرم دون الزرع ، لظهور الثمار فى الحالة الأولى واخفاء الحب فى الحالة الثانية . انظر (ابن منظور ، لسان العرب ، ص ١١٣٣) .

والتحرى وترك الشطط وحسن معاملة الزراع وعدم أخذ أكثر مما حدد لهم [1] .

والمرجح أن الأزمة المالية بدأت تواجه الدولة المرابطية منذ أوائل عهد أمير المسلمين على بن يوسف لمواجهة الأعباء العسكرية المتزايدة فى الأندلس ولذا فرض الكثير من الضرائب [2] ، ونستدل على ذلك مما ذكره ابن العطار فيشير إلى أن ابن حمدين [3] قاضى قرطبة (ت ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م) فى عهد على بن يوسف « قطع الضرائب والمعاون على أهل قرطبة وسن كل طريقة جميلة وسيرة حسنة لأن ابن تاشفين كان لا يخالفه فى شيء [4] » وعلى هذا يمكن القول بأن التزام المرابطين بالشرع فيما يتعلق بفرض الضرائب ينسحب على عهد أمير المسلمين يوسف فقط ، أما فى عهد ابنه على فقد فرضت العديد من القبالات والضرائب والمكوس التى لم تكن موجودة من قبل فى عهد أبيه يوسف ، ولعل ابن يوسف كان مضطرا لذلك بعد ازدياد خطر النصارى على الأندلس وقيام الثورة الموحدية بزعامة المهدى بن تومرت فى المغرب .

أما فى عصر الموحدين فقد التزموا — منذ قيام الدولة فى عهد عبد المؤمن بن على — بتطبيق احكام الشرع فى شئون حياتهم [5] ونددوا بسياسة المرابطين فى هذا المجال ، فيشير الخليفة عبد المؤمن فى احدى رسائله الى الطلبة والاشياخ الموحدين بالأندلس إلى أن هذه المغارم والمكوس والقبالات التى كان يفرضها المرابطون تعتبر مخالفة لاحكام الكتاب والسنة وأنها من أعظم الكبائر ، ولذا أمر بوجوب قطعها تماما

---

(١) ابن عبدون ، رسالة فى القضاء والحسبة ، ص ٦ ، ١٥ .

(٢) البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ١٢ ؛ الحلل الموشية ، ص ٨٩ .

(٣) هو أبو القاسم أحمد بن محمد بن حمدين التغلبى ولد سنة ٤٧٢ هـ / ١٠٧٩ م وولى قضاء الجماعة بقرطبة مرتين ، وتوفى سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م . أنظر (نظم الجمان ، تحقيق محمود مكى ، هـ ٤ ، ص ١٨) .

(٤) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ١٨ .

(٥) الادريسى ، ص ٧٠ ،

H. Miranda, Hist., politica del imprio Almohade, t. i, pp. 215 - 216.

من جميع أرجاء الدولة ، وحث ولاته على نشر العدل بين الرعية والرفق بهم [1]. ومما يؤكد ذلك ما ذكره الادريسي بأن المرابطين (في عهد علي بن يوسف) فرضوا القبالات على كل شيء يباع دق أو جل كل شيء على قدره فلما ولي المصامدة وصار الأمر اليهم قطعوا القبالات بكل وجه [2] ويضيف ابن أبي زرع بأن يوسف ابن عبد المؤمن أمتد سلطانه الى افريقية والمغرب والاندلس ، وأنه كان يجبى خراج ذلك كله دون مكس ولا جور ، في الوقت الذى كثرت في عهده أموال الدولة الموحدية [3] .

ويمكن تحديد أهم مصادر بيت المال في عصر دولتي المرابطين والموحدين فيما يلي :

١ - الزكـــاة :

وهي من أركان الاسلام الخمس - كما هو معروف - ولذا اهتم المرابطون والموحدون بجبايتها لأنها من أهم مصادر الدخل لبيت المال . فكما سبقت الاشارة لم يفرض المرابطون على أهل الأندلس خاصة في عهد يوسف بن تاشفين إلا الزكاة والعشر ، وكذلك فعل ولاة الأمر من الموحدين [4] وكان القاضي يشرف على بيت المال وتحصيل الزكاة وتوزيعها على مستحقيها من فقراء المسلمين وفق ما جاء بكتاب

---

(١) انظر . ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(٢) صفة المغرب وبلاد السودان ومصر والأندلس ، ص ٧٠ .

(٣) روض القرطاس ، ص ١٤٥ .

(٤) نستدل على اهتمام المرابطين والموحدين بتحصيل الزكاة مما ورد في كثير من الرسائل المرابطية والموحدية ومن ذلك الرسالة التي بعث بها تاشفين بن علي إلى أهل بلنسية يقول في بعض فصولها : « وكذلك نؤكد العهد فيما نوصي به دايبا مما أوجبه الله تعالى في حقوق المسلمين من الأعشار والزكوات » (مؤنس ، نصوص سياسة ، ص ١١٣ كما يؤكد نفس المعنى الخليفة الموحدي عبد المؤمن في رسالته إلى أهل بجاية في سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م وكذلك الخليفة المنصور في رسالته الى طلبة اشبيلية سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م . أنظر : مجموع رسائل موحدية ، نشر بروفنسال ، ص ١٣٣ ، ١٦٤ ، ١٦٧ - ١٦٧) .
Levi - Provençaal, Espana musul., t. v, p. 178.

الله بخصوص أوجه صرفها[1].

٢ - الجزيـــة :

وهي من مصادر بيت المال ، وكانت عبارة عن ضريبة تفرض على رؤوس أهل الذمة من اليهود والنصارى ، وهم الذين يتمتعون بالحماية والأمن في ظل الحكومة الاسلامية . وكانت الجزية تؤخذ من الرجال الأحرار العقلاء ، بينما يعفى منها النساء والشيوخ والصبيان والمجانين والعبيد والملاحظ أن يوسف بن تاشفين كان متشددا مع أهل الكتاب خاصة اليهود وفرض عليهم بالمغرب سنة ٤٦٤ هـ / ١٠٧١ م « فريضة ثقيلة اجتمع له منها أموال طائلة تقدر بالآلاف من الدنانير[2] » .

٣ - القبالات والمكوس والمعاون (الضرائب غير الشرعية) :

أوردت المصادر المغربية والأندلسية العديد من الألفاظ والمصطلحات المترادفة للدلالة على الضرائب غير الشرعية التي كانت تفرضها الدولة في معظم فترات تاريخها على رعاياها .

فمنذ بداية عهد علي بن يوسف المرابطي فرضت القبالات على كل شيء يباع في المغرب والأندلس ، كما خضعت الفنادق والحمامات لنظام القبالة وذلك حسب ما أورده الادريسي وابن عبدون[3] .

ويبدو أن المتقبلين في العصر المرابطي قد انحرفوا عن طريق الحق والصواب وأرهقوا الناس بمطالبهم ، فأخذوا أكثر مما حد لهم أو أن ولاة الأمر لم يكونوا يراقبونهم

---

(١) ابن عبدون ، رسالة في الحسبة ، ص ١٠ - ١١ ؛ مجموع رسائل موحدية ص ١٦٤ - ١٦٧ .

(٢) انظر : يوسف بن ابراهيم ، كتاب الخراج ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٤٦ هـ ، ص ١٤٥ - ١٤٦ ؛ متز ، الحضارة الاسلامية ، ص ١٤١ ؛ حسن علي حسن ، الحضارة الاسلامية في المغرب والأندلس ، ص ١٩٩ .

(٣) البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٣ .

على نحو دقيق ، ولذا نجد ابن عبدون يصيب جام غضبه عليهم ويتهمهم بالظلم ويصف المتقبل بأنه « شر خلق الله ، وهو بمنزلة الزنبور الذى خلق للضرر لا للنفع، فهو يجرى ويسعى لضرر المسلمين أبد [1] » .

كذلك فرضت المكوس وكان يقصد بها الضرائب المفروضة على التجارات والسلع التى تباع بالأسواق ورحاب المساجد ، وعلى الصادر والوارد وأماكن العبور ويشير ابن عبدون إلى ضرورة عدم التشطط « فى أخذ مكس الرحاب ، ولا يكون ذلك إلا معلوما ، مثل أن يأخذ على القفيز نصف مد بالكيل [2] » .

أما المعونة (الجمع معاون) فقد فرضت على أهل الأندلس فى عهد على بن يوسف المرابطى ، وأطلقت عليها بعض المصادر أيضا اسم المعتب (أى ضريبة الدار) ، والغالب أن أمير المسلمين على بن يوسف اضطر إلى فرضها عقب غزوة الفونسو المحارب المخربة على الأندلس فى سنة ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م ، ولذا أرسل إلى عماله بالأندلسه بضرورة النظر فى اصطلاح أسوار المدن وتحصينها ومن هنا فرضت المعونة أو المعتب على سائر الأندلسيين [3] .

ويذكر ابن عبدون أنه فى حالة قيام الأمير بأى وجه من الخير مثل غزوة أو اصلاح موضع من الثغور أو مدافعة عدو من المسلمين فإنه ينبغى على القاضى أن

---

(١) رسالة فى الحسبة ، ص ٣٠ . ونلاحظ أن هذه الضرائب المعروفة بالقبالات كانت تعطى التزاماً ، ولذا كان يشوبها دائما الجور والظلم . انظر (ليفى بروفنسال ، سلسلة محاضرات عامة ، ص ٧٨٢) .

(٢) رسالة فى الحسبة ، ص ٣٠ ، وعن المكوس أنظر أيضا ابن سعيد ، المغرب جـ ١ ، ص ٥١، ترجمة رقم ٢ ؛ ابن خلدون ، المقدمة ، الطبعة الأزهرية ص ١٦٧ ؛ متز الحضارة الاسلامية ، جـ ١ ، ص ١٦٩ - ١٧٠ ؛ حسن على حسن ، نفسه ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

L. Provençal, Esp., musul., t. v, p. 178.

(٣) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ١٩١ ؛ ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٧٣ - ٧٤ ؛ سالم ، المغرب الكبير ، ص ٧٤٠ - ٧٤١ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، القسم الأول ، ص ١٦٥ ؛ مختار العبادى ، من مظاهر الحياة الاقتصادية ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .

يدفع اليه من بيت المال بقدر ما يراه وذلك على سبيل المعونة وصلاح أمور المسلمين [1] .

وعندما استقل محمد بن سعد بن مردنيش بمنطقة شرق الأندلس فى بداية العصر الموحدى ، استعان فى جيشه بالمرتزقة النصارى ، وعلى هذا اضطر الى فرض الكثير من الضرائب الجائرة على رعاياه واستكثر من المكوس والقبالات والمغارم كما فرض على الأدم والبقول والحبوب معاون ثقيلة تقارب أصول أثمانها [2] ، ويضيف ابن سعيد أن محمد بن سعد بن مردنيش أخذ « يعذب على الأموال ويرتكب فى شأن تحصيلها القبائح ويسلخ الوجوه وينفخ فى الادبا [3] .

٤ - الخــراج :

ويقصد به الضريبة المفروضه على الأرض الزراعية ، وكانت فى الغالب تقدر بعشر المحصول أو الثمار ، ويقوم بجباياتها فى المدن والقرى عمال جباة يسموا بالقباض ، ويساعدهم فى ذلك الخراص الذين يقدرون المحصول المنتظر أثناء الزرع أو بعد الحصاد . وفى معظم الأحيان – خاصة فى العصر المرابطى – كانوا لا يحسنون تقدير المحصول مما يتسبب عنه الاجحاف والظلم الذى يقع على كاهل الزراع ولهذا يذكر ابن عبدون بأنه « يجب على الوزير أن يحدد للعمال والمتصرفين والخراص وغيرهم أن لا يتعدى أحد منهم على أكثر مما جعل اليه من الحد دون زيادة ولا جور ولا حيف [4] » .

وفى العصر الموحدى فرض أيضا الخراج على الأرض الصالحة للزراعة سواء فى

---

(١) رسالة فى الحسبة ، ص ١١ .
(٢) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، القسم الثانى ، ص ٢٠٠ .
(٣) المغرب فى حلى المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٥١ ترجمة رقم ٥١٧ .
(٤) رسالة فى الحسبة ، ص ١٥ ، ليفى بروفنسال ، سلسلة محاضرات عامة ص ٨٢ – ٨٣ وتجدر الاشارة إلى أن كتب الفقه قد أوضحت أن الخرص يكون فى العنب والتمر وليس فى الحبوب انظر (الونشريسى ، المعيار ، جـ ٥ ، ص ٢١٣) .

المغرب أو الأندلس وامتاز عصرهم بسعة الخراج ووفرة أموال بيت المال لتعدد الوجوه التي يتحصل منها الأموال ، ويشير المراكشي إلى ذلك بقوله : « وكثرت في أيامه (يقصد يوسف بن عبد المؤمن) الأموال واتسع الخراج [1] » ويؤكد ذلك ما ذكره ابى زرع بأنه كان يجبى في عهد يوسف بن عبد المؤمن خراج بلاد المغرب والاندلس دون مكس ولا جور [2] .

٥ - الغنائم :

كانت الغنائم من المصادر الهامة لبيت المال المرابطي والموحدي نظرا للغزوات والمعارك العديدة التي خاضها المرابطون والموحدون في الأندلس ضد الممالك النصرانية . فقد حفل تاريخ المرابطين والموحدين بالانتصارات الكبرى مثل الزلاقة وأقليش وإفراغة والأرك . ففي معركة الزلاقة غنم المسلمون كل من كان للنصارى من مال وسلاح ودواب [3] كما قام الأمير المرابطي مزدلي والي بلنسية بغزوة الى امارة برشلونة وتغلب على بعض حصونها ثم رجع ظافرا بعد أن امتلأت أيدي المسلمين من غنائم المشركين ، وجلب معه أيضا نواقيس وصلبانا وأواني مكللة بالفضة [4] وفي عهد

---

(١) المعجب ، ص ٣٢٦ ، ٣٢٨ ؛ المن بالامامة ، ص ٣٥٣ .

(٢) روض القرطاس ، ص ١٤٥ ؛

H. Miranda, Hist., Politica, t, I, p. 216,

ومن الملاحظ أن الموحدين بعد ضم الأندلس إلى ملكهم قد فرقوا بين المدن التي فتحت صلحا والأخرى التي فتحت عنوة ، فالمدن التي فتحت صلحا مثل شريش تم تحرير ممتلكات هلها وكذا فعل عبد المؤمن مع إشبيلية أما المدن التي دخلها الموحدون عنوة فقد فرض على الأرض ضريبة تقدر بربع المحصول . انظر (روض القرطاس ، ص ١٣٢ - ١٣٣) .

(٣) ابن الأثير الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٤٢ ؛ ابن عبود ، معركة الزلاقة ، ص ٥٢ .

(٤) ابن الكردوبس ، تاريخ الأندلس ، ص ١١٠ .

على بن يوسف تم فتح مدينة طلبيرة وامتلأت أيدى المسلمين بالأسلحة والماشية والثياب [1] .

وفى عهد عبد المؤمن بن على قام الموحدون سنة ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م بغزوة الى حصن اطرونكش (Tarancosa) قرب قنطرة السيف بغرب الأندلس فأغاروا على جهاته وامتلأت بالاسلاب من النساء والاطفال والمواشى والاطفال [2] . كما غنم الجيش الموحدى غنائم هائلة فى عهد يوسف بن عبد المؤمن وذلك أثناء المعارك التى نشبت بينه وبين جيوش اسبانيا المسيحية [3] . كذلك غنم المسلمون فى معركة الأرك التى خاضها الموحدون على عهد الخليفة المنصور ضد قوى المسيحية فى اسبانيا سنة ٥٩١ هـ / ١١٩٥ م غنائم عظيمة فمن الخيام مائة الف وثلاثة وأربعون ألفا ومن الخيل ستة وأربعون الفا ، ومن البغال مائة ألف ومن الحمير مائة ألف [4] . وكان النظام المتبع فى توزيع الغنائم هو أن يؤول الخمس الى بيت المال بينما تقسم الأخماس الأربعة الباقية على المجاهدين [5] .

٦ - المصـــادرات :

شكلت المصادرات مصدراً هاماً من مصادر الدخل المالى ، فكثيرا ما لجأ ولاة الأمر من المرابطين والموحدين الى سياسة مصادرة أموال عمالهم وجبايتهم نتيجة لعدة أسباب منها التقصير فى المعارك الحربية ضد النصارى أو الإخلال بواجبهم أو لتطاولهم على أموال المسلمين وجورهم بالرعية . ففى عهد على بن يوسف تم مصادرة أموال

---

(١) ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٥٢ .

(٢) ابن عذارى ، نفسه ، القسم الخاص بالموحدين ، ص ٣١ .

(٣) المن بالامامة ، ص ٣٥٦ .

(٤) ابن الاثير ، نفسه ، جـ ٩ ، ص ٢٣٣ ؛ البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ١٩٥ .

(٥) روض القرطاس ، ص ١٦٢ ؛ ابن عذارى ، نفسه ، القسم الموحدى ، ص ٣٢ .

الأمير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين وحاشيته وذلك لتقصيره في موقعة قتندة (كتندة) التي لقي فيها الجيش المرابطي الهزيمة أمام جيش الملك الفونسو المحارب سنة ٥١٤ هـ/ ١١٢٠م [١] . كما أنه في عهد علي أيضا صودرت احباس أهل الذمة بغرناطة ، وبيعت الاحباس الموقوفة على الكنائس سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م ، وذلك نتيجة لنقضهم عهد المسلمين وتقديمهم المساعدة لالفونسو الأول (المحارب) أثناء غارته التخريبية على جنوب شرقي الأندلس سنة ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م [٢] .

وفي عصر الموحدين كثرت المصادرات نتيجة للرقابة الشديدة التي فرضوها على عمالهم والمختصين بالشئون المالية ، ففي سنة ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م نكب محمد بن عيسى مشرف اشبيلية واستصفي ما كان عنده من المال والعقار ، كما صودرت أموال ابن المعلم مشرف اشبيلية وذلك سنة ٥٧٤ هـ / ١١٧٨ م [٣] وكذلك أموال داود بن داود المشرف باشبيلية سنة ٥٩٣ هـ / ١١٩٦ م [٤] .

---

(١) ابن الابار ، المعجم في اصحاب أبي علي الصدفي ، ص ٥٥ ، رقم ٤٠ .

(٢) ابن عذاري ، نفسه ، جـ ١ ، ص ٦٩ - ٧٣ ؛ الحلل الموشية ، ص ٦٥ - ٦٦ ؛ الونشريس المعيار ، جـ ٨ ، ص ٣٩ - ٤٠ ، وتجدر الاشارة إلى أن كنيسة الغراب قرب شلب بغرب الأندلس كانت لها ممتلكات وأموال ضخمة محبسة عليها وذلك للاتفاق على الكنيسة وخدامها وجميع من بلوذ بها . انظر (الادريسي ص ١٨٠ - ١٨١) أما الاحباس (الأوقاف في المشرق) فهي مؤسسة ينشئها شخص حر التصرف في ماله فيتزل عن حقه في الانتفاع بدخل المؤسسة ويخصص هذ الدخل لأغراض البر والخير تخصيصا ابديا . انظر (ليفي بروفنسال ، سلسلة محاضرات عامة ، ص ٨٣) وحرص المرابطون والموحدون على اسناد مهمة الاشراف على الاحباس للفقهاء الموثقون بأماناتهم ونزاهتهم . انظر (ابن لابار ، المعجم ، ص ١١٥ ، رقم ٩٦ ، التكملة ، جـ ١ ، ص ١٦١ ، رقم ٥٦٦ ، النباهي المرقبة العليا ، ص ١٠٤ - ١٠٥) وعن الأرض المحبسة للاتفاق على الشعراء بشلب أنظر (المعجب ، ص ٢٨٤) .

(٣) البيان المغرب ، القسم الموحدي ، ص ١٠٨ ، ١١٢ .

(٤) ابن عذارى ، نفسه ، القسم الموحدي ، ص ٢٠١ .

ثالثا - أوجه الانفاق :

١ - الرواتـــب :

كـانت الرواتب أو الارزاق من أهم أوجـه الانفـاق فى عـصـر دولتى المرابطين والموحدين . فكانوا يجرون المرتبات والارزاق على القائمين بالعمل الادارى فى جميع ارجاء الدولة ومنهم الوزراء والفقهاء والعلماء والقضاة والكتاب والمختصين بالشئون المالية وغيرهم ، فيشير التباهى إلى ان الشيخ عبد الله الوحيدى ولى قضاء رية سنة ٥٣١ هـ / ١١٣٦ م وقام بعمله على أفضل وجه ثم ما لبث ان اعتزل الخدمة وامتنع عن أخذ الجراية المعتادة [١] والملاحظ أن هذه الرواتب كانت تصرف مشاهرة ، ويؤكد هذا ما أورده ابن الزبير بأن علّى بن أحمـد بن العـال (ت ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م) ولى قضاء شريش ، وأمر له صاحب اشبيلية بمرتب يأخذه من المخزن مشاهرة [٢] .

ومن ناحيـة أخرى كـانت هناك الأرزاق (العطاء) التى تصرف للجند ففى العصر المرابطى يذكر صاحب الحلل الموشية - نقلا عن ابن اليسع - أن المرابطين فى الأندلس « لم يزيدوا فارساً على خمسة دنانير للشهر شيئا مع نفقته وعلف فرسه [٣] » . والمرجح أن عطاء الجند كان يخرج بانتظام كل شهر خلال عهد يوسف بن تاشفين لإستقرار الدولة وازدهارها فى عهده إلا أن هذا الحال لم يستمر طويلا ، ففى عهد ابنه على بن يوسف يذكر ابن عذارى أنه فى أواخر عهده « امتنع الاعطاء لأجناده حتى رجع اكثرهم يكرون دوابهم [٤] » ولعل هذا يرجع الى حالة الاضطراب والفوضى التى كانت تعانى منها الدولة فى أواخر العصر المرابطى نتيجة لكثرة الحروب التى خاضتها ضد النصارى الاسبان ثم ظهور الدعوة الموحدية بالمغرب فى نفس الوقت ، مما

---

(١) المرقبة العليا ، ص ١٠٤ .

(٢) صلة الصلة ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ، ترجمة رقم ٢٢٠ .

(٣) انظر : الحلل الموشية ، ص ٥٩ .

(٤) البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ١٠٢ .

أدى الى استنزاف موارد الدولة فى الجبهتين الأندلسية والمغربية .

ونستنتج من المصادر العربية لعصر الموحدين ثلاثة مصطلحات للرواتب التى كانت تصرف لاجنادهم أو لغيرهم من العناصر التى انضمت للجيش الموحدى . وهذه الرواتب هي البركة والمواساة والاحسان . فالبركة هى راتب الجند وعطاؤه ويذكر المراكشى أنها تخرج ثلاث مرات فى العام كل أربعة أشهر ، بينما كانت رواتب غير الموحدين من الغزو العرب شهرية [1] . أما المواساة فهى غلة تفرق عليهم حسب أقدارهم عند تحصيل الغلال التى فى المخازن وكان يخرجها خلفاء الموحدين . والاحسان أيضا عبارة عن مبلغ من المال وكان يفرق كل عام على الجند حسب أقدارهم ومكانتهم ، وخاصة عند القيام بالغزو وأثناء الاحتفالات والاعياد [2] . وقد أوضح لنا ابن صاحب الصلاة نصيب كل فرد من البركة فى عهد يوسف بن عبد المؤمن فيقول : « وأدرت عليهم (أى على الجند) البركة الحافلة من الذهب والدراهم لكل فارس عشرون دينارا ، ولاعيان الموحدين وأشياخهم لكل واحد مائة دينار ، ولاشياخ العرب لكل واحد مائة دينار ، ولسائر عسكر العرب عشرون دينارا لكل فارس ، فاجتمع لجميع الناس السرور [3] » .

٢ - النفقات العسكرية :

كانت النفقات العسكرية سواء على الجيش أو الأسطول تمثل الجزء الأكبر من أوجه الانفاق فى العصر المرابطى والموحدى ، بسبب غلبة روح الجهاد فى عصر هاتين

---

(١) المعجب ، ص ٣٦٦ ؛ وانظر أيضا : المن بالامامة ، ص ٣٥٣ ، ٣٥٦ ؛ البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ٩٢ ، ٩٧ ، ص ١٣٨ ، ١٩٣ ، ٢١٢ . والغز أو الاغزاز جنس من الترك ، بلادهم فى أقصى المشرق على تخوم الصين ، وقد دخلها الى البلاد الاسلامية اسارى أو عن طريق تجارة الرقيق . انظر (المراكشى ، المعجب هـ ١ ، ص ٣٦٥) .

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ١٣٨ ؛ حسن على حسن ، الحضارة الاسلامية ، ص ٢١٤ ؛ عز الدين موسى ، النشاط الاقتصادى فى المغرب الاسلامى ، ص ١٤٤ .

(٣) المن بالامامة ، ص ٢٩٢ .

الدولتين بالاضافة الى مجاورة الأندلس لممالك اسبانيا المسيحية التى انتجهت منذ عهود سابقة تخليص الأندلس من الحكم الاسلامى وتوحيد أرض شبه جزيرة ايبيريا فى دولة مسيحية واحدة وقد تطلب ذلك من المرابطين ضرورة التأهب العسكرى الدائم لمواجهة هذا الخطر الداهم [1] . وبطبيعة الحال أنفق المرابطون والموحدون الأموال الطائلة على شراء الأسلحة والمعدات اللازمة للجيش والاسطول هذا إلى جانب تزويد الحملات العسكرية بكل ما يلزمها من مؤن واقوات [2] كما استلزم تأمين السواحل الاندلسية والمغربية من خطر الفرنجة والنصارى الاسبان والقراصنة الكثير من النفقات لبناء السفن والاساطيل الحربية وتجهيزها بكل ما يلزمها من العدد والالات [3] .

٣ – نفقات البناء والتعمير :

اهتم المرابطون والموحدون بالبناء والتعمير فى جميع انحاء الدولة وانفقوا الكثير من الأموال على مبانيهم المتعددة ، لا سيما المنشآت العسكرية كالقلاع والقصاب والحصون والاسوار والمنشآت الدينية كالمساجد ، والاجتماعية كالحمامات والاقتصادية كالفنادق والأسواق والقيساريات والقناطر والجسور . ففى العصر المرابطى أنفق المرابطون أموالاً طائلة لترميم الأسوار حول مدن الأندلس عقب غارة الفونسو المحارب سنة ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م [4] كما أنفق المرابطون أموالا طائلة على بناء القصور والمنيات فى الأندلس [5] . كذلك انفق الموحدون الكثير من الأموال على بناء القصور والمساجد والحصون والجسور والأسواق وغيرها من المنشآت العامة [6] .

---

(١) حسن على حسن ، الحضارة الاسلامية ، ص ٢٠٩ .

(٢) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، ص ٣٥٦ .

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٥١ ؛ سالم تاريخ المدينة المرية ، ص ٤٩ – ٥٠ ، العبادى ، دراسات ، ص ٣٢١ .

(٤) ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٧٣ – ٧٤ ؛ سالم ، المغرب الكبير ، ص ٧٤٠ – ٧٤١ .

(٥) انظر . المقرى ، نفح ، جـ ٢ ، ص ١٨ ؛ سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة جـ ، ص ٢٢٨ .

(٦) انظر : المن بالامامة ، ص ١٣٩ – ١٤٠ ، ٢٠٦ ، ٤٧٤ – ٤٧٦ ، ٤٨٠ – ٤٨٤ ، =

٤ - نفقات أخرى :

شمل الانفاق أيضا أوجه أخرى مثل الانفاق على بعض ملوك الطوائف الذين خلعهم المرابطون واستولوا على ممالكهم في الأندلس [١] ، وفي العصر الموحدى كان الخلفاء يعطفون على الطلبة الفقراء فيقومون بأقراضهم من مال المخزن ، دون أن يعملوا من جانبهم على استرداد هذا القرض [٢] . كما أن الذين دخلوا فى طاعة الموحدين من الامراء الاندلسيين قد حظوا بمركز اقتصادى مرموق وأغدقت عليهم الأموال تطييبا لنفوسهم ، فيذكر صاحب المعجب أن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن أعطى هلالا بن محمد بن سعد بن مردنيش صاحب شرق الأندلس عند اعلانه الطاعة اثنى عشر الف دينار فى يوم واحد [٣] . هذا الى جانب النفقات على البريد والطرق وأعمال الرى والاعياد والاحتفالات العامة واستقبالات الوفود والسفراء .

= ٤٨٦ - ٤٨٧ ؛ روض القرطاس ، ص ١٥٣ ؛ المعجب ، ص ٣٧ ، جـ ١ ، ص ٢٢٨ .

(١) انظر . مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٦١ ، ١٧١ .

(٢) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ١٣٧ - ١٣٨ .

(٣) عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ٣٢٧

الخاتمة

لقد أمكننا التوصل من خلال تلك الدراسة المستفيضة لمصادر الثروة الاقتصادية في الأندلس في عصر دولتي المرابطين والموحدين إلى عدة نتائج منها أن العوامل الجغرافية كان لها تأثيرها على الثروة الزراعية ، ذلك أن تنوع المناخ أثر على الانتاج الزراعي البلاد المترامية الاطراف ، لأنه أدى إلى تنوع الحاصلات الزراعية بحيث يمكن القول بأن معظم هذه الحاصلات كان يزرع في الأندلس لأن تعدد المناطق المناخية بها ساعد على صلاحيتها لزراعة معظم أنواع المحاصيل .

ومن ناحية أخرى فإن شهرة الأندلس بخصوبة التربة الى جانب توفر مياه الرى ، وتقدم الأندلسيين في مجال نظم ووسائل الرى وبراعتهم في إعداد الأسمدة ساعد إلى حد كبير على ازدهار الزراعة بها في معظم فترات تاريخها الاسلامي .

والحقيقة أن السياسة التي اتبعها المرابطون والموحدون في الأندلس كان لها أيضا دورها في ازدهار الزراعة زيادة الإنتاج ، وذلك أنهم عمدوا الى انتهاج سياسة اقطاع الأرض للجند يفلحونها ويستثمرونها مما كان له أثره الفعل في الحياة الاقتصادية ، ذلك أنها شجعت الزراع على العودة للأرض وفلاحتها ، والعناية بها واستغلالها على خير وجه بعد أن كانوا قد هجروها زمن دويلات الطوائف .

والملاحظ أيضا أن استتباب الأمن والهدوء وشعور الزراع بالطمأنينة والعدل وتخفيف عبء الضرائب في معظم فترات عصر دولتي المرابطين والموحدين ، وتحسن الأوضاع عموما في الأندلس عما كان عليه عصر الطوائف ساعد إلى حد ما على ازدهار الزراعة الأندلسية ، حيث أمكن دولتي المرابطين والموحدين استصلاح مساحات واسعة من الأراضي البور المعروفة بالموات وذلك أن العادة قد جرت بأن يقوم أولوا الأمر من المرابطين والموحدين باقطاع مساحات من تلك الأراضي الموات لبعض الأعوان وكبار الجند لحسن بلائهم في جهاد النصارى تشجيعاً لهم على استصلاحها والانتفاع بما تغله من محاصيل .

ويتضح لنا من البحث أن الأندلس نعمت بالازدهار الاقتصادي طوال عهد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين والنصف الأول من عهد ابنه علي ، وأنه خلال هذا

العصر المرابطى إزداد أيضاً نفوذ الفقهاء المالكية ، واتسعت بالتالى ثرواتهم بحيث أصبحوا يمثلون طبقة كبار الملاك فى المجتمع الأندلس ، فامتلكوا الضياع والأراضى الواسعة وساعدهم على ذلك تلك الصفة الدينية التى اتسمت بها الدولة المرابطية التى اهتمت بإعلاء شأن الفقهاء ورجال الدين من المالكية فكان حكامها لا يبرمون أمراً إلا بمشورة هؤلاء الفقهاء الذين تمتعوا بوضع متميز سواء فى المجتمع المغربى أو الأندلسى.

غير أن هذا الازدهار الاقتصادى لم يلبث أن أخذ فى الأفول فى النصف الثانى من عهد أمير المسلمين على بن يوسف حيث بدأت الأوضاع الاقتصادية فى التدهور نتيجة لاضطراب الأمن وافتقاد الاستقرار بسبب ازدياد خطر النصارى على الأراضى الإسلامية المتاخمة لحدودهم . وظل هذا التدهور والاضطراب ضاربا أطنابه فى الأندلس خلال فترة الانتقال من المرابطين الى الموحدين وكذلك فى الفترة التى تلت وفاة الخليفة الناصر سنة ٦١٠ هـ ، مما كان له تأثيره السيء على الثروة الاقتصادية فى الأندلس بشكل عام .

كذلك نلاحظ أن الثروة الزراعية فى الأندلس تأثرت أيضا بعدة عوامل طبيعية وبشرية منها الجفاف والفيضانات والسيول والعواصف والزلازل والأوبئة والآفات الزراعية والفتن والثورات الداخلية والغارات النصرانية على الأراضى الاسلامية .

أما فيما يتعلق بالثروة الغابية والحيوانية فقد تبين مما عرضناه فى هذا الصدد أن الأندلس كانت غنية للغاية بغاباتها الكثيفة التى كانت مصدرا رئيسيا لاعداد أنواع جيدة من الخشب متعدد الأنواع ، وأن أهم مناطق تلك الغابات تركزت فى جبال شقورة بكورة جيان وقونكة وطرطوشة وشلب ، كما اختصت الأندلس بكثرة المراعى ووفرة ثروتها الحيوانية خاصة فى منطقة اشبيلية بجنوب غربى الأندلس عند استجة وشذونة وشلب وقادس وغيرها ، وبالمناطق الجبلية مثل جبل شقورة وجبال قرطبة . كذلك أمكن التعرف من خلال كتب الفلاحة الأندلسية على مدى اهتمام الأندلسيين بتربية الدواجن والحمام للاستفادة من لحومها فى الأكل ومن زبلها فى تسميد التربية وزيادة خصوبتها . كما أوضحت أن امتداد السواحل الأندلسية سواء

على البحر المتوسط أو المحيط الأطلسي ، ووجود العديد من الأنهار بها ، قد ساعد على توفر مصائد الأسماك ، حيث اشتغل بعض السكان بحرفة صيد الأسماك وتعيشوا من وراء ذلك وزودوا أسواق الأندلس في نفس الوقت بأنواع مختلفة من الأسماك البحرية والنهرية .

وفى الفصل الخاص بالثروة المعدنية رجحت أن المسلمين فى الأندلس طبقوا نفس الأسلوب الرومانى القديم فى استخراج المعادن دون أى تغيير كبير يذكر ، وهو ما أكدته البقايا الاثرية للمناجم الاسبانية القديمة . كما أوضحت أن العمل فى المناجم الأندلسية تميز بالعناية الفائقة بسطح وجدران المنجم وبناء الدهاليز لمساعدة العمال على النزول فى جوف المنجم ، واستخدام المصابيح الزيتية لانارته وهو ما أثبته الباحثون الاسبان معتمدين على الاكتشافات الاثرية الحديثة . ومن ناحية أخرى تمكنت من رسم صورة واضحة لنظام استغلال المناجم عند مسلمى الأندلس فى العصر المرابطى بناء على النص الهام الذى أورده الادريسى ، الذى ذكر فيه زيارته لمنجم زئبق عند حصن أبال شمال قرطبة ووصف لنا نظام العمل بهذا المنجم .

كما أوضحت بالنسبة للصناعات مدى ازدهار الصناعة فى الأندلس وعزوت هذا الازدهار إلى عوامل رئيسية أبرزها توفر المواد الخام الأولية سواء كانت زراعية أو حيوانية أو معدنية ، ووجود الأيدى العاملة الماهرة وكثرة الأسواق اللازمة لتصريف المنتجات واستتباب الأمن والنظام وقلة الضرائب فى معظم فترات العصرين المرابطى والموحدى .

والملاحظ أن أزهى العهود التى شهدتها الفنون الصناعية خلال عصرى المرابطين والموحدين هو عهد يوسف تاشفين والنصف الأول من عهد ابنه علىّ وعهد يوسف بن عبد المؤمن وابنه يعقوب المنصور حيث بلغ من اهتمام الأخير (المنصور) بالصناعة والتجارة أنه كان يجتمع بأمناء الصناعات والأسواق مرتين فى كل شهر ليعرف أحوال الأسواق والاسعار والعمال .

وفى الباب الاخير المتعلق بالموارد التجارية أبرزت تميز الأندلس بكثرة أسواقها

التى كانت تقام والقرى ، وأن هذه الأسواق كانت ثلاثة أنواع : أسواق مدنية تقام بصفة مستمرة ودائمة فى المدن ، وأسواق ريفية أسبوعية أى تقام فى القرى خلال يوم معين من الأسبوع وأسواق مشهودة أو جامعة كانت تقام فى وقت معين بصفة دورية ولكن على فترات متباعدة ..

وتوصلت من خلال عرضى للتجارة إلى التجارة الداخلية ازدهرت ازدهارا كبيرا خاصة فى عهد يوسف بن تاشفين ويوسف بن عبد المؤمن وابنه يعقوب المنصور نتيجة لأن الدولة المرابطية ثم الموحدية بعد أو وحدت بين العدوتين المغربية والاندلسية تمكنت من اقرار الأمن والنظام ونشر الطمأنينية فى ربوع البلاد وحماية الطرق وتأمين المسالك مما أدى إلى شعور التجار بالأمن ، علاوة على ما عرف عن المرابطين والموحدين من رفق بالرعية والتزام للعدل وأحكام الدين فيما يتعلق بالضرائب وحب للجهاد والذب عن ثغور المسلمين المتآخمة لأراضى النصارى . كما أن المساحة المكانية الواسعة التى شغلتها الدولة المرابطية ثم الموحدية أتاح للحركة التجارية بين مدن المغرب والأندلس مجالا فسيحا وشجع التجار الذين كانوا يخضعون فى هذه المناطق لحكومة واحدة على التنقل بحرية تامة مما ساعد على تنشيط حركة التجار من بيع وشراء وتبادل منتجات .

وقد أوضحت أن هناك عوامل يرجع اليها تدهور النشاط التجارى بوجه عام فى النصف الثانى من عهد على بن يوسف المرابطى وبالتحديد منذ ظهور الحركة الموحدية فى المغرب سنة ٥١٤ هـ وأهمها نشوب الصراع بين المرابطين والموحدين فى نفس الوقت الذى اشتدت الاخطار المسيحية على المدن الاندلسية المتآخمة للحدود وقيام النصارى بغارات تخريبية على تلك المدن الأمر الذى أدى الى ازدياد الضرائب وتنوع مسمياتها لمواجهة الاعباء العديدة التى وقعت على كاهل حكام المرابطين . وقد ظهر هذا التدهور الاقتصادى مرة أخرى فى النصف الثانى من العصر الموحدى وبالتحديد منذ هزيمة العقاب سنة ٦٠٩ هـ ثم وفاة الخليفة محمد الناصر سنة ٦١٠ هـ ، فبدأت الدولة الموحدية تسير بخطا حثيثة نحو الاضمحلال والانهيار ، حيث

انتشرت الفوضى وعمت الفتن والثورات الداخلية مما أضعف الدولة سياسيا وأثر ذلك بدوره على الحالة الاقتصادية فى كل من المغرب والاندلس .

وأوضحت من خلال عرضى للتجارة الخارجية أن العداء السياسى بين المسلمين والنصارى فى حوض البحر المتوسط لم يؤثر بدرجة كبيرة على العلاقات التجارية حيث كان للاندلس علاقات اقتصادية وثيقة مع المدن الايطالية التى حصلت على امتيازات تجارية عديدة فى ممتلكات الدولة الموحدية بالمغرب والاندلس .

وفيما يتصل بالموارد المالية وأوجه الانفاق فى عصر دولتى المرابطين والموحدين أشرت الى أن مصادر بين المال كانت متعددة وأهمها الزكاة والجزية والقبالات والمكوس والمعادن والخراج والغنائم والمصادرات . كما أوضحت أن أوجه الانفاق كانت تشمل الرواتب والنفقات العسكرية ونفقات البناء والتشييد والانفاق على الامراء الاندلسيين المخلوعيين أو الذين دخلوا فى الطاعة ، والانفاق على البريد وأعمال الرى واقامة الجسور والاحتفالات والاعياد وغيرها .

وأخيرا أمكننا أن نخرج بنتيجة هامة مؤداها أن الأندلس كانت تتمتع فى عصر دولتى المرابطين والموحدين باستثناء بعض فترات الانتكاس القصيرة التى تعرضت لها ثروة الاندلس الاقتصادية خلال عصر دولتى المرابطين والموحدين بنوع من الرخاء والحياة الرغدة الميسرة ، وأن الغالبية العظمى من سكان الأندلس كانوا بمنأى عن الجوع والفقر والحرمان خاصة فى عصر الأمراء والخلفاء الأقوياء أمثال يوسف بن تاشفين والفترة الأولى من عهد على بن يوسف وفترات حكم يوسف بن عبد المؤمن ويعقوب المنصور ومعظم عهد الخليفة محمد الناصر الموحدى، وهو أمر يتعذر تحقيقه ما لم يسود البلاد استقرار فى الادارة وأمان فى الطريق التجارية ونظام مالى سليم علاوة على الحزم والعدل الذى اتصف به معظم حكام المرابطين والموحدين والنزاهة فى الشؤون المالية التى تحلى بها إلى حد كبير معظم ولاة الدولتين خوفا من العقاب الصارم والشديد الذى كان ينتظرهم اذا فسدت ذمتهم وخرجوا عن الطريق القويم .

الملاحـــــق

ملحق رقم (١)

أنـواع التربيـة الأندلسيـــة

١ - التربـة الليـنـة :

يغلب على التربة اللينة البرودة والرطوبة ، كما تتميز باتساع مسامها ولذا فإن الماء يدخلها ، والهواء يتخللها ويصل لاصول الثمار والنباتات المغروسة فيها . وهى تصلح لزراعة كل أنواع المحاصيل ، كما أنها لا تحتال إلى سماد كثير [١] .

٢ - التربـة الجبليـة :

تتميز التربة الجبلية بالبرودة واليبوسة وبأنها غير مسامية ، وهى تحتاج الى سماد ومياه رى كثيرة ، ولا تصلح الا لزراعية أنواع معينة من المحاصيل والثمار مثل التين واللوز والفستق والصنوبر والبلوط [٢] . وتوجد هذه التربية فى منطقة جبل الشرق بإشبيلية وجبال قرطبة وجبل شقورة ومنطقة جبل شلير بغرناطة .

٣ - التربـة الرمليـة :

ويغلب عليها الحرارة ، وتحتاج الى التسميد ، وتتميز بندرة وجود آفات أو ديدان بها وبسهولة الحرث ، وعدم احتياجاتها الى مياه رى كثيرة . ويجود فيها التين والرمان والخوخ والصنوبر والتوت (الفرصاد) والكتان [٣] .

٤ - التربـة السـوداء :

وتتميز بالحرارة واليبوسة والملوحة ، وتحتاج إلى تسميد ومياه كثيرة ، ويذكر ابن

---

(١) أنظر : ابن بصال ، الفلاحة ، ص ٤١ .

(٢) ابن بصال ، نفسه ، ص ٤٢ ؛

Vallvé, La agricultura en Al - Andalus., p. 15.

(٣) ابن بصال ، نفسه ، ص ٤٣ - ٤٤ .

بصال أن شدة البرد تفيد هذه التربة لأنه يقلل من حرارتها وملوحتها ولذا تجود الزراعة فيها خاصة فى فصل الشتاء ويضيف ابن وافد أن التربة السوداء هى أفضل أنواع التربة . وأهم ما يصلح للزراعة فيها الزيتون والكمثرى والتين والرمان والذرة والشعير والفول والعدس (١) . وتجدر الإشارة إلى أن تربة بلنسية ومرسية كانت من هذا النوع فهى تربة رسوبية خصبة تكونت بفعل رواسب الأنهار (٢) .

٥ - التربـــة البيضــاء :

ويغلب عليها البرودة واليبوسة ، وتحتاج الى سماد كثير غير أن حاجتها للمياه قليلة ويشير ابن بصال وابن العوام إلى أه هذه التربة تحتاج الى كثرة الخدمة أى الى أعمال الحرث والتسميد وتنقية التربة من الحشائش الضارة وغير ذلك ، وتجود فيها زراعة التين والزيتون والكروم واللوز (٣) . ومن الملاحظ أن تربة كورة قبرة كانت من هذا النوع (٤) .

٦ - التربـــة الصفــراء :

تشبه التربة البيضاء فى طبيعتها إلا أنها أقل أنواع التربة خصوبة ، ولا تصلح للزراعة فيها إلا النباتات التى لها جذور تخرق تلك التربة وتنفذ فيها . وتحتاج الى تسميد كثير وخدمة مستمرة لأنها ارض ضعيفة ، ويذكر ابن العوام – نقلا عن ابن

---

(١) ابن بصال ، الفلاحة ، ص ٤٤ – ٤٥ ؛ ابن العوام ، كتاب الفلاحة ، جـ ١ ، نشر بانكيرى Banqui ص ٩٠ – ٩١ ؛ أبو الخير الإشبيلى ، الفلاحة ، طبعة فاس ، ص ٣ – ٤ ، وأنظر :
Jose M. Vallicrosa, La traducccion Castellanadel trataddo de agricultura de Ibn Wafidd, Al - Andolus, vol, VIII, p. 301.

(٢) Levi - Provençal, la descriptionde L'ES. p. 71 & H. Miranda, Hist, I, musul., Valenciaa, t. I, p; 20.

(٣) ابن بصال ، نفسه ، ص ٤٥ ؛ ابن العوام ، نفسه ، جـ ١ ، ص ٨٧ .

(٤) انظر : الرازى ، وصف الأندلس ، نشر بروفنسال بعنوان La descrip. de l'ESP., p. 56. وأيضا ابن غالب ، قطعة من فرحة الأنفس ، ص ٢٨٢ .

بصال – أنه « لا يصلح فيها من الأشجار إلا ماله فيها أصل قوى مثل الخروب واللوز والبلوط والجوز والنخل والاترج [1] » .

٧ – التربــة الحــمراء :

وتمتاز بالحرارة واليبوسة ، وأنها سميكة فى حاجة الى حرث كثير ، كما أنه ينبغى أن تحرك تربيتها باستمرار حتى تلين شدتها . غير أنها لا تحتاج الى تسميد كثير ، وهى أيضا معتدلة فى تشرب الماء . ويجود فيها التين والتفاح والاجاص واللوز والتوت والورد [2] .

٨ – التربة الحرشا المضرسة (التربة الخشنة) :

ويغلب عليها البرودة واليبوسة ، وتشبه التربة الجبلية ، ويجودها فيها من الثمار الفستق واللوز والجوز والتين كما تصلح لزراعة الكرم والقرع والباذنجان [3] .

وتشير كتب الفلاحة الاندلسية إلى أنواع أخرى من التربة مثل التربة الرقيقة والتربة السميكة أو الغليظة التى تصلح لزراعة كافة الخضروات [4] . ويذكر ابو الخير الاشبيلى أن أجود الأراضى الزراعية تلك التى لا يكثر تشققها عند اشتداد الحرارة ، وإذا سقطت الأمطار بكثرة لا يطول مكث الماء فيها بل يجف سريعا [5] .

---

(١) ابن العوام ، الفلاحة ، جـ ١ ، ص ٩٢ – ٩٣ .

(٢) ابن بصـال ، الفـلاحـة ، ص ٤٦ – ٤٧ ، العوام ، نفســه ، جـ ١ ، ص ٨٩ – ٩٠ ؛ أبو الخير الإشبيلى الفلاحة ، ص ٤ .

(٣) ابن بصال ، ص ٤٧ .

(٤) أنظر :

José M. Vallicrosaa, tratado de agricultura de Ibn Wafid, pp. 300 - 301 .

(٥) أبو الخير ، الفلاحة ، ص ٤ .

ملحـق رقم (٢)

أنواع السمـــاد (السرقـين)

١ - زبل أو روث الخيل والبغال والحمير :

وهو نوع واحد ، ويمتاز بأنه حار ورطب ، ومفيد للتربة والنبات ، وينبغي تنقيته من التبن . ويذكر ابن بصال أنه لا يستعمل « كما هو دون تعفن الا في فصل البرد خاصة ، وإذا مكث هذا الزبل عاماً كثرت حراراته وتمكنت رطوبته واعتدلت مع الحرارة ، فعند ذلك يصلح استعماله في كل شيء » ، ويضيف بأن هذا الروث أو الزبل اذا ترك ثلاثة أعوام فإنه يعتبر أفضل الزبول ، وأنه يلائم التربة الرملية لبرودتها (١) .

٢ - الزبـل الآدمـي :

ويغلب عليه الرطوبة واللزوجة ولا حرارة فيه ، وهو يلائم النبات ويفيده خاصة في وقت الحر لأنه رطب . ويشير ابن بصال الى أن بعض المزروعات مثل القرع والباذنجان والبصل والقنبيط قد تتعرض للاحتراق أوراقها في الصيف ، ولذا كانوا يستعملون هذا الزبل بعد أن يخلط بالماء ثم يسقى به النبات المحترق فيحيا ويصلح بعد فترة وجيزة (٢) . وقد ألمح ياقوت الى أن زراع بلنسية كانوا يستعملون هذا النوع من السماد في بساتينهم فيقول : « وكنفهم ظاهرة على وجه الأرض لا يحفرون له تحت التراب وهو عندهم عزيز لأجل البساتين (٣) » .

---

(١) أنظر : ابن بصال ، الفلاحة ، ص ٤٩ ؛ أبو الخير الإشبيلي ، الفلاحة ، ص ١١ ؛ ابن العوام الفلاحة ، جـ ١ ، ص ٩٩ .

(٢) ابن بصال ، الفلاحة ، ص ٥٠ .

(٣) معجم البلدان ، مجلد ١ ، ص ٤٩٠ .

٣ - الزبل المضاف :

وهو الذى يتكون من الكناسات وغيرها ، ويتماز بالحرارة والرطوبة واللزوجة والملوحة ، ولذا فإنه يعتبر من أجود أنواع الزبول وأكثرها ملائمة للتربة والماء ، غير أنهم كانوا لا يستعملونه إلا بعد عام على الأقل أى بعد تعفنه ، لأنه فى حالة استعماله قبل مضى عام تولد منه ديدان وحشرات ضارة بالنبات ، ولا يمتزج بالتربة (١) .

٤ - زبل (بعر) الضأن والماعز :

وهو حار ورطب ، وأقل جودة من الزبول السابقة لكثرة العشب فيه لأن الشأن تأكل الحشائش وتستكثر منها فلا ينضج فى بطونها وتبقى زريعتها لم تتغير فتلفيها فى بعرها كما أكلتها ، ولذا كانوا لا يستخدمونه إلا بعد أن يعفن حتى لا يضر بالنبات (٢) .

٥ - زبل (زرق) الحمام :

ويتميز بالحرارة المفرطة والرطوبة الشديدة وعدم اليبوسة ، ويعتبر أجود أنواع الزبل لحرارته وذلك أنه ينفع الأرض الضعيفة فيقويها كما أن له خاصيته فى افساد الحشائش الضارة بالنبات (٣) .

٦ - رماد الحمامات والتنانير :

وهو ذو يبوسة وملوحة ولا رطوبة فيه ، ولذا فإنه لا يلائم الخضروات ، ولا

---

(١) ابن بصال ، نفسه ، ص ٥٠ ، أبو الخير ، الفلاحة ، ص ١١ .

(٢) ابن بصال ، نفسه ، ص ٥٠ - ٥١ ، ابو الخير ، نفسه ، ص ١١ ؛ ابن العوام ، نفسه ، جـ١ ، ص ٩٩ ؛ ادم متز ، الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، جـ ٢ ، ص ٢٥٣ ، Vallicrosa, tratdo de agricultura de Ibn Wafid, p. 305.

(٣) انظر ابن بصال ، ص ٥١ ؛ أبو الخير ، ص ١٠ ، ابن العوام ، جـ ١ ، ص ٩٩ ؛ متز ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٢٥٦ ؛ وقد أشار ابن بصال إلى أنه عند الحاجة إلى زرق الحمام لا يستعمل إلا اليسير منه لحرارته المفرطة . انظر (كتاب الفلاحة ، ص ٥١) .

يستعمل وحده وعامة فإنه غير جيد لعدم رطوبته ، ولكن إذا خلط مع غيره من الأبال صلح وتكونت فيه رطوبة (١).

٧ - الزبل المولد :

وهذا النوع يستخدم في حالة عدم توفر الزبل في جهة من الجهات ، وهو ثلاثة أنواع :

أ - النوع الأول :

وطريقة عمله أن يؤخذ من أصناف العشب والتبن والرماد ، وتملأ منه حفرة ، ويصيب على الجميع ماء ، ثم يخدم الزبل خدمة بأن يقلب ويواظب عليه بالتحريك مراراً ، وإلى أن ينضج أي يعفن ، ويمتاز بأنه زبل يخصب التربة ويحيي النبات ، إلا أن الزبل المضاف أقوى منه .

ب - أما النوع الثاني :

فيؤخذ حمل من زبل مضاف ، ثم يضاف إليه ثلاثة أحمال من التراب ، ويقلب عدة مرات ويترك مدة عام ، ويتعاهد أثناء ذلك بالخدمة والتقليب ، وبعد مضي عام ينتج منه زبل جيد (٢) .

جـ - والنوع الثالث :

فطريقة عمله يؤخذ حمل من زبل الحمام ويضاف اليه عشرون حملا من تراب ويتعاهد بالتقليب ، ثم يترك لمدة عام . وينتج عنه زبل جيد قوى متمكن من الحرارة والرطوبة (٣) .

---

(١) ابن بصال ، ص ٥١ ؛ أبو الخير ، ص ١١ .

(٢) ابن بصال ، ص ٥١ - ٥٢ ؛ أبو الخير ، ص ١١ ؛ ابن العوام ، جـ ١ ، ص ١٠٧ ، J. Vallicrosa, tratado de agricultura, p. 305; J. Vallvé, La agricultura, pp. 15 - 16 & Imamuddin, The economic historry of Spain, pp. 67 - 70 .

(٣) أنظر : ابن بصال ، الفلاحة ، ص ٥٣ .

ومما لاشك فيه أن الأندلسيين عرفوا طريقة عمل الأسمدة المختلفة ، وأدركوا أن الأزبال النافعة للمحاصيل والثمار تلك التى تتألف من خليط متعدد من هذه الأزبال وتوصلوا الى طريقة عملها بأن يحفروا فى الأرض حفراً طوالا عميقة ثم يلقون فيها جميع الأزبال يضاف اليها الماء وبول الادميين ويخلط الجميع ويقلب كل يوم الى أن تفوح منه رائحة عفنة ، وهذا علامة نضجه وصلاحيته . كما أدركوا أن أجود أنواع السماء هو ما أتت عليه بعد تعفنه سنتين أو ثلاثة [1] .

ومن ناحية أخرى كان لدى زراع الأندلس فكرة واضحة عن نوعية السماد الذى لائم كل تربة فيذكر ابن العوام أن « الأرض الكثيرة الرطوبة يصلح لها الزبل الذى يغلب عليه اليبس كزرق الحمام وسرجين (أو سرقين) الحمير ، والأرض القليلة الرطوبة يصلح لها زبل البقر [2] » .

---

(١) أبو الخير ، الفلاحة ، ص ١١ ؛ ابن العوام ، الفلاحة ، جـ ١ ، ص ١٠٧ ، ١١٣ ؛ Vallicrosa, trataddo de agricultura, p. 305.

(٢) الفلاحة ، جـ ١ ، ص ١٠١ .

الملحق رقم (٣)

تقويم زراعى أندلسى مستخرج من كتب الفلاحة الأندلسية
وتقويم قرطبة

أهم الأعمال التى تتم فيه وما يتميز به من الناحية الاقتصادية	الشهر
تركيب الكروم فى سهول وجبال قرطبة – يغرس النوى وتغرس الملوخ وتضرب أوتاد الزيتون والرمان . يزرع بإشبيلية القرع والباذنجان والخس والقنبيط – أنسب الشهور لنتاج الابل وتواضع البقر ورى الخيل .	١ – يناير
غرس الزعفران – يركب الاجاص والتفاح – تغرس ملح الشجر– تنقل الغروسات ويزرع القنب – يزرع بإشبيلية الورد والرياحيين – يخرج الخيل عن الرعى وتطعم القصيل – تفقص الطير – تفرخ النحل يبدأ النساء فى تحضين بيض دود الحرير حتى يفقص .	٢ – فبراير
غرس قصب السكر والقطن – تقلح الأشجار وتركب تركيبا تسميه العامة الترقيع يغرس الورد المبكر والسوسن ويغرس القثاء– يزرع الباذنجان – يزرع بإشبيلية الريحان – يبدأ نتاج الخيل فى المرائن – يتولد دود الحرير – يخرج حوت الشولى والشابل من البحر إلى الأنهار – تتزاوج الطواويس والبلوج واليمام .	٣ – مارس
يقلم سعف النخيل – ويغرس الحناء والدلاع – تضرب أوتاد الأترج – تغرس قضبان الياسمين – زراعة الأرز – ينقل القرع اليكير والباذنجان من مصاطب الزبل – يجمع زوار البنفسج – زراعة الحبق – يظهر الورد والبنفسج – تطلق فحول الخيل على الرماك أى الاناث فى المرائن .	٤ – ابريل

الشهـــر	أهم الأعمال التى تتم فيه وما يتميز به من الناحية الاقتصادية
٥ - مـايــو	يبدأ نضج العنب والزيتون - يبدأ أهل السواحل فى الحصاد كمالقة وقرطبة وشذونة ومرسية - حصاد الشعير والكتان بقنباية قرطبة ومالقة وشذونة وغيرها من المناطق المجاورة - يعمل النحل العسل - يظهر باكور التفاح والكمثرى وعيون البقر والبرقوق والقثاء وحب الملوك - تخرج الكتب فى القرمز والحرير والغسول للطراز - تفرخ الطواويس والدجاج البحرية والبلوج واليمام .
٦ - يونيــو	يزرع الكرنب - يظهر باكور العنب والبطيخ - يبدأ حصاد القمح فى أكثر المناطق - حصاد القنب - صيد الأفاعى وعمل أقراطها للترياق - عمل المعجونات من الأعشاب الطبية - صيد فراخ اليمام والابل - تفرخ البرك البرية فى الجزائر والبحيرات - تخرج الكتب فى قرون الأيل للقسى - يعمل شراب التوت وعيون البقر .
٧ - يوليــو	حصاد القمح - درس الزرع - ينضج العنب والفستق والكمثرى والتفاح الموز - يعمل شراب الكمثرى والتفاح - يجمع من العقاقير بذور الخرول والشونيز والصعتر - يكثر طير الماء كالشقاق - تظهر فراخ الحجل وتصاد .
٨ - أغسطـــس	غرس الفول الخريفى - زراعة الخيرى السماوى بقرطبة - نضج العنب بغرناطة - يزرع اللفت والجزر والخيار المؤخر فى قرطبة وغرناطة واشبيلية - قطع الأخشاب - يخرج حوت البورى من البحر إلى الأنهار فيكثر صيده ويكثر فيه السردين .
٩ - سبتمبــر	ينضج الخوخ والعناب والرمان والسفرجل - حصاد الأرز - يبدأ الموز وقصب السكر فى التضج - ويجمع القطن - يسود بعض الزيتون ويظهر الزيت الجديد - جمع الحناء ويظهر البلوط والقسطل - ويبدأ بالحرث والزرع فى جبال قرطبة ، يجمع من

الشهـــر	أهم الأعمال التى تتم فيه وما يتميز به من الناحية الاقتصادية
	العقاقير حب الرند ويعمل دهنه – تخرج الشذانقات الليلية (أى المنسوبة إلى لبلة) من البحر الكبير (المحيط) فتصاد إلى أول الربيع .
١٠ – أكتوبـــر	يزرع البصل – يزرع القمح فيما بين اكتوبر وديسمبر – يظهر الورد الأبيض بغرناطة – يبدأ أهل قنبانية قرطبة وغيرها فى الزريعة العامة – تخرص الزيتون ويبدأ بجمعه – تتواضح الغنم ويوجد اللبن بكثرة – يظهر الزرزور الأبيض والأسود – تقبل الغرانق الشتوية من الجزائر – يعمل شراب السفرجل والتفاح والموز – يجمع بذر الرازياغ والأنسيون .
١١ – نوفمبر	فيه تقليب الزريعة – جمع البلوط والقسطل وحب الآس ويعمل شرابه – يزرع الشعير يكثر بقول الشتاء مثل الكرنب واللفت والسلق والجزر والكراث والفجل – يجمع القصب – يتضح الفول الخريفى – يغطى اللموز والأترج والياسمين حتى لا يضره الجليد – يجمع نوار الزعفران – يزرع الكتان .
١٢ – ديسمبر	يظهر النرجس فى بعض جبال قرطبة وبعض البساتين – ينور اللوز الكبير يطيب أول الأترج – يدخر ماء المطر فى أجباب (آبار) يغرس القرع البكير والباذنجان فى بساتين الزبل – يزرع الكراث – يزرع الثوم والخشخاش الأبيض .

الملحق رقم (٤)

وثيقة شراء أرض زراعية بمدينة وشقة [١]

(ذى الحجة ٥٤٨ هـ / فبراير ١١٥٤ م)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله

ابتاع اسماعيل بن عبد الله بن مسعود بن ثرثال الأنصارى من أخيه لأبويه مسعود بن عبد الله المذكور جميع الفدانين [٢] الأرض المزروعة السقى [٣] اللذين عند المنية المنسوبة إلى الصباغ وإلى الايبتر بقبلى مدينة وشقة تحت مرج غليانق وهما الفدانان اللذان خرجا إليه حين قسمته مع أخيه اسماعيل المذكور ، حد أحدهما وهو دمغة فى القبلة من المنية المذكورة بينهما أندر [٤] وحد الثانى وهو فاشة فى القبلة أرض مرتين النصرانى بين المنيان وشرقيه [٥] كذلك وغربيه ساقية بجمع منافعهما وحرمهما وحقوقها كلها ابتياعا صحيحا لم يتصل به شرط مفسد ولاثنيا ولا خيار بثمن عدته أربعون دينارا (قتاشير) فضة من السكة الجارية الآن بوشقة نقده المبتاع المذكور جميع الثمن المذكور طيبا مقلبا وقبضه البائع المذكور على الصفة المذكورة وأبزأه منه ابراء صحيحا فبرىء وقبض المبتاع المذكور المبيع المحدود وحل فيه وفى جميع حقوقه محل البائع المذكور فنزل منزلته ومحل ذى الملك فى ملكه محل سنة المسلمين فى طيب بيوعهم ومرجع ادراكهم بعد معرفتها بقدر ما تبايعاه ومبلغه ومنتهى خطره ، لم يجهلا

---

(١) أنظر نص الوثيقة فى : وثائق عربية بأرشيف كاتدرائية وشقة ، نشر بوسة بيلا ، مجلة المعهد المصرى بمدريد ، سنة ١٩٥٧ ، ص ١٩ - ٢١ .

(٢) كانت كلمة الفدان فى المصطلح الأندلسى تعنى الحقل أو البستان .

(٣) وردت هكذا والأصح المزروعة بالسقى حتى يتضح المعنى ويستقيم النص .

(٤) الأندر هو المكان الذى يتم فيه درس المحصول .

(٥) يقع موضع المنيان على مسافة ٢٥ ك . م جنوب وشقة . أنظر (بوسك بيلا ، وثائق عربية ، مجلة المعهد المصرى بمدريد ، ص ٢٠ هـ ٥) .

شيئا منه وأقر المبتاع المذكور أنه إنما ابتاع الابتياع المذكور لختنته أملى بنت صالح بن محمد زوج مسعود المذكور ومن مالها نقد فيه الثمن المذكور وأنه إنما أوقع اسم نفسه فى رسم الابتياع على وجه العارية والصيانة والكفاية لها ، شهد على البائع مسعود المبتاع المقرا اسماعيل المذكورين بذلك من عرفهما فى صحتهما وجواز أمورها فى شهر ذى الحجة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة .

الملحـق رقـم (٥)

وثيقة مزارعة على الربع

زارع فلان بن فلان الفلاني في أرضه البيضاء التي له بقرية كذا من إقليم كذا من عمل قرطبة أو من كورة كذا على أن يخرج فلان رب هذه الأرض ثلاثة أرباع ما يبذره فيها من الحبوب كلها ، ويخرج فلان المزارع الربع الرابع ويخلطاها ويزرعها فلان المزارع بنفسه وأواجه وآلته وأجرائه مزارعة صحيحة بعد أن قوما كراء الأرض وعمل المزارع فيها فكان ثلاثة أرباع عمله مساويا لربع كراء الأرض . وشهد على اشهاد فلان وفلان على أنفسهما . (أنظر ابن العطار ، الوثائق ، ص ٦٧) .

الملحـق رقـم (٦)

وثيقة مغارسة إلى سنين معلومة

دفع فلان الفلاني إلى فلان بن فلان الفلاني حقل أرض بيضاء التي له بقرية كذا من اقليم كذا من عسل كذا ، فإن فيها لمع يسيره خفيفة للقلع قلت حقل أرض بيضاء فيها لمع يسيره خفيفة المؤونة على أن يقلع فلان ما فيها لخفته ويسارته ويغرسها شجرات أعناب جنسها أو شجرتين جنسها ؛ذا أو ثمرة كذا ويخدمها ويحفرها وينظر فيها خمسـة أعوام أو أربعة أعوام أو ثلاثة أعوام أو عامين أو لها تاريخ هـذا الكتاب وهذه دونه الأطعام أو على قد الاطعام . شهد على إشهاد فلان وفلان على أنفسهما . (أنظر ابن العطار ، الوثائق ، ص ٧٦) .

الملحـق رقـم (٧)

عقد اقطاع

أقطع أمير المؤمنين أيده الله بنصره وأمده بمعونته فلان بن فلان جميع الموات التى بموضع كذا حدودها كذا بحقوقه ومنافعه ومرافقه اقطاعا صحيحا لا شرك ، يمتلكه بذلك المقطع فلان لما رآه أمير المؤمنين لحسن نظره وجميل رأيه واجتهاده فى المصلحة فى ذلك للمسلمين فى اقطاع فلان ما ذكر فى هذا الكتاب لعناية فى الاسلام وجهاده ومثل المقطع ذلك . شهد على اشهاد أمير المؤمنين أيده الله بما ذكر عنه فى هذا الكتاب وذلك فى شهر كذا . (انظر : ابن القاسم ، المقصد المحمود ، مخطوط ، ورقة ٣٧ ب) .

ملحق رقم (٨)

عقد استئجار راعى غنم

استأجر فلان فلانا لرعاية ضأنه التى مبلغها كذا وكذا رأسا لمده عام كاملة أوله شهر كذا بكذا وكذا دينار يدفعها إليه عند انقضاء العام المذكور وبنفقته وكسوته فى الشتاء والصيف على أن على المستأجر ما نقص من غنمه المذكورة مدة استئجاره ، وقبض الراعى المذكور الغنم المذكورة بعد أن نظر إليها وعدها والتزم رعايتها وحفظها والقيام بمؤنتها ليلا ونهارا وطلب المراعى الخصبة فى جميع فصول السنة . (أنظر : ابن القاسم ، نفسه ، مخطوط ، ورقة ، ٥٦ أ) .

ملحــق رقــم (٩)

استأجر فلان فلانا النساج لنسج الكتان أو الحرير أو القطن فى طرازه وعلى آلته بحاضرة مدينة كذا بسوق كذا لمدة كذا أولها شهر كذا دفع المستأجر منها كذا وقبضها الأجير فلان ويدفع إليه باقيها عند انقضاء كذا. (أنظر : ابن القاسم ، نفسه ، ورقة ٥٦ أ) .

ملحــق رقــم (١٠)

عقد قراض

دفع فلان إلى فلان كذا وكذا دينارا قبضها من فلان وصارت فى يده ليتجر بها فيما شاء من أنواع المتاجر ويضرب فيها فى البلدان إن شاء ويبتغى فيها من فضل الله تعالى وله فيها نفقته فى شخوصه وإقامته فى سفره ورجوعه إلى بلده . فما أفاد الله عليهما من ربح فهو بينهما بالسوية بعد أن يتفى رأس المال وتحصل بيد ربه . (أنظر : ابن القاسم ، نفسه ، ورقة ٦٦ أ - ٦٦ ب) .

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصـادر العربيـة

أ - المصادر العربية الخطية :

١ - **أبو حامد الغرناطي (محمد بن عبد الرحيم بن سليمان القيسي) ت ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م .**

المغرب عن بعض عجائب المغرب ، مخطوط بمكتبة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد تحت رقم ٥٢ .

٢ - **ابن أبى فراس (أبو القاسم خلف) عاش فى أواخر القرن السابع وأوائل الثامن الهجرى .**

كتاب أكريات السفن ، مخطوط بالاسكوريال تحت رقم ١١٥٥ .

٣ - **ابن الجياب (أبو الطاهر محمد بن عبد العزيز بن يوسف المرادى) عاش فى القرن السابع الهجرى .**

التقريب والتيسير لافادة المبتدئين بصناعة مساحة السطوح ، مخطوط بالاسكوريال تحت رقم ٩٢٩ ديرنبورج .

٤ - **ابن سهل الأندلسى (أبو الاصبع عيسى) ت ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م .**

الأحكام الكبرى (أو نوازل ابن سهل) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ٣٣٩٨ د .

٥ - **الفهرى (أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد) ت ٤٦٢ هـ / ١٠٦٩ م .**

السفر الثانى من الوثائق والمسائل المجموعة من كتب الفقهاء ، مخطوط تحت رقم ١١ بمدرسة الدراسات العربية بمدريد (حاليا تسمى معهد ميجيل آسين) .

٦ - ابن القاسم (أبو الحسن على) ت ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م .

المقصد المحمود فى تلخيص العقود ، مخطوط تحت رقم ٥ بمدرسة الدراسات العربية بمدريد .

٧ - مؤلف مجهول (عاش فى عصر بنى الأحمر أى فى القرنين ٨ ، ٩ هـ)

ذكر بلاد الأندلس وفضلها وصفتها (ويعرف أيضا بجغرافية الأندلس) مخطوط بمكتبة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد تحت رقم ٢٦ ب (عن نسخة الخزانة العامة بالرباط برقم ٥٤٢ . وقد قام بتحقيق هذا المخطوط أخيرا بمدريد الأستاذ لويس مولينا فى سنة ١٩٨٣) .

٨ - مؤلف مجهول :

منافع الحيوان ، مخطوط بمكتبة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد تحت رقم ٧٠ .

ب - المصادر العربية المحققة :

١ - ابن الأبار : (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى البلنسى) ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م.

الحلة السيراء ، تحقيق د . حسين مؤنس الطبعة الأولى ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

٢ - ابن الأبار :

التكملة لكتاب الصلة ، نشر فرنشيسكو كوديرا F.Codera ، مدريد ١٨٨٦ م .

٣ - ابن الأبار :

المعجم فى أصحاب القاضى أبى على الصدفى ، دار الكاتب العربى ، القاهرة ١٩٦٧ .

٤ - أبو الخير الإشبيلي (عاش القرن ٥ هـ / ١١ م) :

كتاب الفلاحة ، الطبعة الأولى ، فاس ، ١٣٥٧ هـ .

٥ - أبو الفدا (عماد الدين اسماعيل بن محمد) ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م

تقويم البلدان ، مكتبة المثنى ببغداد ، بدون تاريخ .

٦ - ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم) ت ٦٦٨ هـ / ١٢٧٠ م .

عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق د . نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٥ .

٧ - ابن أبي زرع (أبو الحسن على بن عبد الفاسي) ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م .

الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، المطبعة الفاسية ، ١٣٠٥ هـ .

٨ - الادريسي (أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز) ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٤ م .

صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس (مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق) نشر دي غرية ودوزى ، ليدن ، ١٨٩٤ م .

٩ - الاصطخرى (أبو اسحاق ابراهيم بن محمد) :

المسالك والممالك ، تحقيق د . محمد جابر عبد العال الحينى ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦١ م .

١٠ - ابن بسام (أبو الحسن على) ت ٥٤٣ هـ / ١١٤٧ م .

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق د . احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٩ .

١١ - ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) ت ٥٧٨ هـ / ١١٨٣ م .

الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس ، نشر الدار المصرية للتأليف ، القاهرة ١٩٦٦ .

١٢ - ابن بصال الطليطلى (عبد الله محمد بن ابراهيم) عاش فى القرن ٥ هـ / ١١ م .

كتاب الفلاحة (أو كتاب المقصد والبيان) نشر خوسى ماريه مياس بييكروسا ومحمد عزيمان ، تطوان ، ١٩٥٥ م .

١٣ - ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن احمد) ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م .

رحلة ابن بطوطة (المسماة تحفة النظار فى غرائب الأمصار) نشر سانكيتى Sancuinetti ، ودفرميرى Defremery ، باريس ١٩٧٩ م .

١٤ - البكرى (أبو عبيد الله بن عبد العزيز) ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م .

جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق د . عبد الرحمن الحجى ، بيروت ، ١٩٦٨ م .

١٥ - البكرى :

المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ببغداد (مصورة عن طبعة دى سلان ، الجزائر ، ١٨٥٧ م) .

١٦ - البيذق : (أبو بكر بن على الصنهاجى) توفى القرن ٦ هـ / ١٢ م .

أخبار المهدى بن تومرت ، تحقيق عبد الحميد حاجيات ، الجزائر ، ١٩٧٥ م .

١٧ - ابن البيطار (ضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسى المالقى) ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م .

الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، مكتبة المثنى بغداد ، بدون تاريخ .

١٨ - التيفاشي (أحمد بن يوسف) ت ٦٥١ هـ / ١٢٥٣ م .

أزهار الأفكار في جواهر الأحجار ، تحقيق د . محمد يوسف محسن ، د . محمود بسيوني خفاجي ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .

١٩ - ابن الأثير (محمد بن محمد عبد الكريم) ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م .

الكامل في التاريخ ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٢٠ - ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد) ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م .

رحلة ابن جبير ، تحقيق د . حسين نصار ، القاهرة ، ١٩٥٥ .

٢١ - الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم) ت أواخر القرن ٩ هـ / ١٥ م .

صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، نشر ليفي بروفنسال ، القاهرة ، ١٩٣٧ م .

٢٢ - ابن حوقل (أبو القاسم) ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠م .

صورة الأرض ، الطبعة الثانية ، ليدن ، ١٩٣٨ م .

٢٣ - ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف) ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م

المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، قطعة نشرها د . عبد الرحمن الحجى ، بيروت ، ١٩٦٥ .

٢٤ - ابن حيان :

المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، قطعة نشرها د . محمود مكي ، بيروت ، ١٩٧٣ م .

٢٥ - ابن حيان :

المقتبس ، جـ ٥ ، نشر شالميتا وكورنيطي وصبح ، المعهد الأسباني العربي للثقافة ، مدريد ، ١٩٧٩ م .

٢٦ - ابن خاقان (أبو النصر الفتح بن محمد) ت ٥٣٥ هـ / ١١٤٠ م .

قلائد العقيان ، تصحيح محمد الصباغ ، بولاق ، القاهرة ، ١٢٨٣ هـ .

٢٧ - ابن الخطيب (لسان الدين) ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م .

أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، القسم الثاني الخاص بأسبانيا الإسلامية ، تحقيق ليفي بروفنسال ، الرباط ١٩٣٤ م . والقسم الثالث الخاص بالمغرب ، تحقيق د . مختار العبادي وابراهيم الكتاني ، الرباط ، ١٩٦٤ م .

٢٨- ابن الخطيب :

الاحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، المجلد الأول ، القاهرة ، ١٩٧٣ .

٢٩ - ابن الخطيب :

مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس (مجموعة رسائله) . نشر وتحقيق د . أحمد مختار العبادي ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، ١٩٥٨ م .

٣٠ - ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ .

مقدمة ابن خلدون ، الطبعة الأزهرية ، القاهرة ، ١٣١١ هـ .

٣١ - ابن خلدون :

العبر وديوان المبتدأ والخبر ، طبعة بولاق ، القاهرة ، ١٢٨٣ هـ .

٣٢ - ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد) ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م .

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد نشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٨ م .

٣٣ - الدميرى (كمال الدين) عاش في القرن ٨ هـ / ١٤ م .

حياة الحيوان الكبرى ، مطبعة الحلبى ، القاهرة ، ٢ ١٢٩ هـ .

٣٤ - ابن الزبير (أبو جعفر أحمد) ت ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م .

صلة الصلة ، تصحيح وتعليق ليفي بروفنسال ، الرباط ، ١٩٣٨ م .

٣٥ - الزركشي (أبو عبد الله محمد بن ابراهيم) عاش في القرن ٩ هـ / ١٥ م .

تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق محمد ماضور ، الطبعة الثانية ، تونس ، ١٩٦٦ م .

٣٦ - الزهرى (ابو عبد الله محمد بن أبى بكر) عاش في القرن ٦ هـ / ١٢ م .

كتاب الجغرافية ، تحقيق محمد حاج صادق . منشورات مجلة الدراسات الشرقية ، دمشق ، ١٩٦٨ م .

٣٧ - الزيرى (الأمير عبد الله بن بلقين) عاش في القرن ٥ هـ / ١١ م .

مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان ، نشر وتحقيق ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .

٣٨ - ابن سعيد المغربى (على بن موسى) ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م .

المغرب في حلة المغرب ، تحقيق د . شوقى ضيف ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٣ م .

٣٩ – ابن سعيد المغربى :

بسط الأرض فى الطول والعرض ، تحقيق خوان بيرنيت J . Vernet، تطوان ، ١٩٥٨ م .

٤٠ – السقطي المالقي (أبو عبد الله محمد بن أبي محمد) عاش فى أواخر السادس وأوائل السابع هـ .

كتاب آداب الحسبة ، نشر كولان وليفى بروفنسال ، باريس ، ١٩٣١ م .

٤١ – السلاوى الناصرى (أبو العباس احمد بن خالد) ت ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م .

الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، جـ ٢ ، تحقيق جعفر الناصر ومحمد الناصرى ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ م .

٤٢ – السلفي (أحمد بن محمد) ت ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م .

أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفى ، تحقيق د . احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٣ م .

٤٣ – ابن سماك العاملى (أبو القاسم محمد بن أبي العلاء) عاش فى القرن ٨ هـ / ١٤ م .

الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، طبعة تونس ، ١٣٢٩ هـ .

٤٤ – ابن سهل الأندلسي (أبو الاصبع عيسى) ت ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م .

وثيقة فى رد المكائد فى البيع بالاكراه مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى ، نشر وتعليق د . محمد خلاف ، مجلة المناهل ، عدد ٢٦ الرباط ، ١٩٨٣ م .

٤٥ – ابن الشباط (محمد بن على) ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م .

وصف الأندلس ، قطعة من كتاب صلة السمط وسمة المرط نشر وتحقيق د . أحمد مختار العبادى ، فصلة من مجلة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ، مجلد ١٤ سنة ٦٧ – ١٩٦٨ .

٤٦ – شيخ الربوة (شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى طالب الانصارى الدمشقى) ت ٧٢٧ هـ .

نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، مكتبة المثنى ببغداد (مصورة عن طبعة ليبزج ١٩٢٣ م) .

٤٧ – ابن صاحب الصلاة (عبد الملك) ت ٥٩٤ هـ / ١١٩٨ م .

تاريخ المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، نشر وتحقيق عبد الهادى التازى ، دار الأندلس للطباعة ، بيروت ، ١٩٦٤ م .

٤٨ – صاعد الأندلسى (أبو القاسم) ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م .

طبقات الأمم ، المكتبة المحمودية التجارية ، القاهرة ، بدون تاريخ

٤٩ – الضبى (أحمد بن يحيى) ت ٥٩٩ هـ . ١٢٠٢ م .

بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس ، نشر ادارة إحياء التراث ، دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .

٥٠ – طافور (بيرو) عاش فى القرن ٩هـ / ١٥ م

رحلة طافور فى عالم القرن الخامس عشر ، تشرد . حسن حبشى ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨م .

٥١ – ابن عبد الله القرطبى (أبو عمران موسى) عاش فى القرن الخامس والسادس الهجرى .

شرح أسماء العقار ، نشر ماكس ما يرهوف ، القاهرة ، ١٩٤٠ م .

٥٢ – ابن عبدون (وابن عبد الرؤوف والجرسيفي) :

ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة ، نشر ليفي بروفنسال . مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .

٥٣ – ابن عذارى المراكشي (ابو عبد الله محمد) كان حيا سنة ٧١٢ هـ .

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (القسم الخاص بتاريخ الموحدين) نشر إويثى ميراندا ، ومحمد بن تاويت وابراهيم الكتانى ، تطوان ، ١٩٦٠ م .

٥٤ – ابن عذارى المراكشي :

البيان المغرب ، جـ ٤ (قطعة تتعلق بتاريخ المرابطين) تحقيق د . احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٧ م .

٥٥ – العذرى (أحمد بن عمر بن أنس) ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م .

نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ، تحقيق د . عبد العزيز الأهوانى ، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، ١٩٦٥ م

٥٦ – عريب بن سعد (ت ٣٧٠ هـ) :

كتاب الأنواء أو تقويم قرطبة ، نشر دوزى ، ليدن ، ١٨٧٣ م .

٥٧ – ابن عمر (أبو زكريا يحيى) ت ٢٨٩ هـ / ٩٠١ م .

أحكام السوق ، تحقيق د . محمود مكى ، وحسن حسنى عبد الوهاب ، أعده للنشر ، فرحات الدشراوى ، الشركة التونسية للتوزيع ، ١٩٨٥ م .

٥٨ – العمرى (ابن فضل الله) ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م .

مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، جـ ١ ، تحقيق أحمد زكي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٤ م .

٥٩ - ابن العوام الإشبيلي (أبو زكريا يحيى بن محمد) عاش في أواخر السادس وأوائل السابع الهجري .

كتاب الفلاحة ، نشر بانكيرى Banqueri ، مدريد ، ١٨٠٢ م .

٦٠ - عياض (أبو الفضل عياض بن موسى) ت ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ .

ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك ، تحقيق احمد بكير محمود ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٥ .

٦١ - ابن غالب (الحافظ محمد بن ايوب) عاش في القرن ٦ هـ / ١٢ م .

قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ ، نشر ،تحقيق د . لطفي عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الأول ، جـ ٢ ، نوفمبر ١٩٥٥ .

٦٢ - الغبريني (أبو العباس احمد بن احمد) ت ٧١٤ هـ / ١٣١٤ م .

عنوان الدراية فيمن عرف من علماء المائة السابعة في بجاية ، الطبعة الأولى ، الجزائر ، ١٩١٠ م .

٦٣ - القزويني (زكريا بن محمد) ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م .

آثار البلاد وأخبار العباد ، طبعة بيروت ، ١٩٦٠ م .

٦٤ - ابن القطان (أبو علي الحسن بن علي) عاش في القرن ٧ هـ / ١٣ م .

نظم الجمان ، تحقيق د . محمود مكي ، منشورات كلية الآداب ، الرباط ، بدون تاريخ .

٦٥ - القلقشندي (أبو العباس أحمد) ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ هـ .

صبح الأعشى في صناعة الانشا ، جـ ٥ ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩١٥ م .

٦٦ - ابن الكردبوس (أبو مروان عبد الملك) عاش فى القرن ٦ هـ / ١٢ م .

تاريخ الأندلس (قطعة من كتاب الاكتفاء فى أخبار الخلفاء) تحقيق د . أحمد مختار العبادى ، نشر معهد الدرسات الإسلامية بمدريد ١٩٧١ .

٦٧ - ابن المجاهد الإشبيلى (بكر بن ابراهيم) ت ٦٢٨ أو ٦٢٩ هـ .

كتاب التيسير فى صناعة التفسير ، نشر عبد الله كنون ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، مجلد ٧ - ٨ سنة ٥٩ - ١٩٦٠ .

٦٨ - المراكشى (عبد الواحد) ت ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ م .

المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، طبعة لجنة إحياء التراث الإسلامى ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

٦٩ - المراكشى (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك) ت ٧٠٣ هـ / ١٣٠٤ م .

الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة ، تحقيق د . احسان عباس ومحمد بن شريفة ، دار الثقافة ، بيروت ، ٦٤ - ١٩٦٥ م .

٧٠ - المقدسى (أبو عبد الله محمد) عاش فى القرن ٤ هـ / ١٠ م (ت ٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م) .

أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، مكتبة المثنى ببغداد (عن طبعة ليدن ١٩٠٦ م) .

٧١ - المقرى (أحمد بن محمد) ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م .

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٤٩ .

٧٢ - ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم) ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م .

لسان العرب ، تحقيق عبد الله علي ، ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي ، طبعة دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .

٧٣ - مؤلف مجهول (من كتاب القرن ٦ هـ / ١٢ م) :

الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق د . سعد زغلول عبد الحميد ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، ١٩٥٨ م .

٧٤ - مؤلف مجهول :

تقويم غرناطي من القرن الخامس عشر الميلادى ، نشر خوسية باسكث José vazquez مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، م ٩ - ١٠ سنة ٦١ - ١٩٦٢ .

٧٥ - مؤلف مجهول : (عاش في أواخر القرن ٥ هـ وأوائل ٦ هـ) .

عمدة الطبيب في معرفة النبات لكل لبيب ، نشره أسين بلاسيون بعنوان :

" Glosario de voces romances registrados por unbotanico anonima Hispano - musulman (Siglos XI - XII) " Madrid , 1943 .

٧٦ - مؤلف مجهول (عاش في القرن ٧ هـ / ١٣ م) .

كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين ، نشر إويثي ميراندا Huici Miranda مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، م ٩ - ١٠ سنة ٦١ - ١٩٦٢ .

٧٧ - النباهي المالقي (أبو الحسن بن عبد بن الحسن) عاش في القرن ٨ هـ / ١٤ م .

تاريخ قضاة الأندلس أو ما يسمى بكتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ،

نشر ليفى بروفنسال ، دار الكاتب المصرى ، القاهرة ، ١٩٤٨ م .

٧٨ – النويرى (أحمد بن عبد الوهاب بن محمد) ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م .

نهاية الارب فى فنون الأدب ، جـ ٢٢ (الخاص بتاريخ المغرب والأندلس)نشره جاسبار راميرو Gaspar Remiro فى : Revivsta del centro de estudios histioicos de Granada, 1916 - 1971 .

٧٩ – الونشريسى (أبو العباس احمد بن يحيى) ت ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م .

المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب ١٢ جـ ، طبعة فاس ، بدون تاريخ .

٨٠ – ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبد الله الحموى) ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م .

معجم البلدان ، طبعة دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٧ م .

٨١ – ابن يوسف الحكيم (أبو الحسن على) عاش فى القرن ٨ هـ / ١٤ م .

الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة ، تحقيق د . حسين مؤنس ، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، ١٩٦٠ م .

ثانيا : المراجــع الحديثــة

أ - المراجع العربية :

١ - ابراهيم حركات :

النظام السياسى والحربى فى عهد المرابطين ، منشورات مكتبة الوحدة العربية ، الدار البيضاء ، بدون تاريخ .

٢ - أحمد سوسة (الدكتور) :

الشريف الادريسى فى الجرافية العربية ، جـ ٢ ، بغداد ، ١٩٧٤ م .

٣ - أحمد الطوخى (الدكتور) :

القيسارات الاسلامية فى مصر والمغرب والأندلس ، فصلة من مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، العدد ٢٨ سنة ١٩٨١ م .

٤ - أحمد عيسى (الدكتور) :

تاريخ النبات عند العرب ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٤٤ م .

٥ - أحمد مختار العبادى (الدكتور) :

دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، الطبعة الأولى ، الاسكندرية ، ١٩٦٨ م .

٦ - أحمد مختار العبادى (الدكتور) :

الصقالبة فى اسبانيا ، منشورات المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد ، ١٩٥٣ م .

٧ - أحمد مختار العبادى (الدكتور) :

فى تاريخ المغرب والأندلس ، نشر مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، بدون تاريخ .

٨ - أحمد مختار العبادى (الدكتور) :

من مظاهر الحياة الاقتصادية فى المدينة الإسلامية ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الحادى عشر ، العدد الأول ، الكويت ، ١٩٨٠ .

٩ - أحمد هيكل (الدكتور) :

الأدب الأندلسى ، نشر دار المعارف بمصر ، ١٩٧٩ م .

١٠ - أمين المعلوف :

معجم الحيوان ، مطبعة المقتطف ، القاهرة ، ١٩٣٢ م .

١١ - بروفنسال (ليفى) :

مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية نشر ليفى بروفنسال ، الرباط ، ١٩٤١ م .

١٢ - جوزيف نسيم يوسف (الدكتور) :

العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الأولى ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٧ م .

١٣ - الحبيب الجنحانى (الدكتور) :

الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى سجلماسة عاصمة بنى مدرار ، ضمن مجموعة بحوث فى تاريخ الحضارة الإسلامية فى ذكرى د . أحمد فكرى ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٨٣ م .

١٤ - حسن أحمد محمود (الدكتور) :

قيام دولة المرابطين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٧ م .

١٥ - حسن على حسن (الدكتور) :

الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس ، الطبعة الأولى ، نشر مكتبة الخانجى بمصر ، ١٩٨٠ م .

١٦ - حسين مؤنس (الدكتور) :

معالم تاريخ المغرب والأندلس ، الطبعة الاولى ، نشر دار المستقبل ، القاهرة ، ١٩٨٠ م .

١٧ - حسين مؤنس (الدكتور) :

فجر الاندلس ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٩٥٩م .

١٨ - حسين مؤنس (الدكتور) :

سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد ، ١٩٥٤ م .

١٩ - حسين مؤنس (الدكتور) :

الثغر الأعلى الأندلسى فى عصر المرابطين ، مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول ، مجلد ١١ جـ ٢ ، ديسمبر ١٩٤٩ م .

٢٠ - حسين مؤنس (الدكتور) :

تاريخ الجغرافية والجغرافين فى الاندلس ، منشورات المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد ، ١٩٦٧ م .

٢١ - حسين مؤنس (الدكتور) :

نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين الى الموحدين ، مجلة المعهد المصرى بمدريد ، ١٩٥٥ م .

٢٢- حسين مؤنس (الدكتور) :

وصف جديد لقرطبة الإسلامية ، مجلة المعهد المصرى بمدريد ، مجلد ١٣ سنة ٦٥ - ١٩٦٦ م .

٢٣ -حلمي محمد سالم (الدكتور) :

اقتصاد مصر الداخلى وأنظمتة في العهد المماليكى الطبعة الاولى ، الاسكندرية ، ١٩٧٧م .

٢٤ - درويش النخيلي (الدكتور) :

السفن الإسلامية على حروف المعجم ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، ١٩٧٩م .

٢٥ - سعد زغلول عبد الحميد (الدكتور) :

العلاقة بين صلاح الدين وأبى يوسف يعقوب المنصور مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، مجلد ٦ -٧ سنة ٥٢ - ١٩٥٣ م .

٢٦ - سعد زغلول عبد الحميد (الدكتور) :

علوم العرب القديمة ، مجلة عالم الفكر ، مجلد ٨ ، العدد الأول ، الكويت ١٩٧٧ م .

٢٧ - سعد زغلول عبد الحميد (الدكتور) :

محمد ين تومرت وحركة التجديد فى المغرب والاندلس ، منشورات جامعة بيروت العربية ، ١٩٧٣ م .

٢٨ - سعيد عبد الفتاح عاشور (الدكتور) :

المدينة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، نشر دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

٢٩- السيد عبد العزيز سالم (الدكتور) :

قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧١م .

٣٠ -السيد عبد العزيز سالم (الدكتور) :

المغرب الكبير ، جـ٢ ، نشر الدار القومية للطباعة العربية ، بيروت ، ١٩٦٦م .

٣١ -السيد عبد العزيز سالم (الدكتور) :

التاريخ والمؤرخون العرب ، نشر دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ١٩٦٧ م .

٣٢ - السيد عبد العزيز سالم (الدكتور) :

مدينة مرسية موطن الشيخ الزاهد العارف بالله القطب الاكبر أبو العباس المرسى، مطبوعات جمعية الآثار بالاسكندرية ، ١٩٦٩ م .

٣٣ -السيد عبد العزيز سالم (الدكتور) :

الفنون والصناعات بالأندلس ، دائرة معارف الشعب ، العدد ٦٤ ، ١٩٥٩م.

٣٤ -السيد عبد العزيز سالم (الدكتور) :

العمارة المدنية بالأندلس ، دائرة معارف الشعب ، العدد ٦٤ ، ١٩٥٩م .

٣٥ - السيد عبد العزيز سالم (الدكتور) ومختار العبادى (الدكتور) :

تاريخ البحرية الإسلامية فى حوض البحر الأبيض المتوسط ، جـ٢ ، مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية ١٩٨١ م .

٣٦ -شكيب ارسلان :

الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الاندلسية ، مطبعة عيسى الحلبى بمصر ، ١٩٣٩م .

٣٧ - عبد الله علام (الدكتور):

الدولة الموحدية فى عهد عبد المؤمن بن على ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨ م.

٣٨ - عبد الرحمن زكى (الدكتور) :

الأحجار الكريمة فى الفن والتاريخ ، سلسلة المكتبة الثقافية ، رقم ١٠٨ ، القاهرة ، مايو ١٩٦٤ م.

٣٩ -عبد الرحمن على الحجى (الدكتور) :

التاريخ الأندلسى من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة ، الطبعة الأولى ، نشر جامعة بغداد ، ١٩٧٦ م.

٤٠ -عبد العزيز الأهوانى (الدكتور) :

الفاظ مغربية من كتاب ابن هاشم اللخمى فى لحن العامة ، مجلة معهد المخطوطات العربية جـ ١ - ٢ مايو - نوفمبر ١٩٥٧ م .

٤١ -عبد المنعم ماجد (الدكتور) :

تاريخ الحضارة الأسلامية ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .

٤٢ - عز الدين أحمد موسى (الدكتور) :

النشاط الاقتصادى فى المغرب الإسلامى، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٨٣م .

٤٣ - عز الدين فراج (الدكتور) :

فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية ، نشر دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٧٨ م .

٤٤ - محمد أحمد أبو الفضل (الدكتور) :

تاريخ مدينة المرية الأندلسية فى العصر الإسلامى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب الاسكندرية ، ١٩٨١ م .

٤٥ - محمد أحمد أبو الفضل (الدكتور) :

شرق الأندلس فى عصر الموحدين ، رسالة دكتوراه غير منشورة نوقشت بكلية الآداب جامعة الاسكندرية ، ١٩٨٠ م .

٤٦ - محمد عبد العزيز مرزوق (الدكتور) :

الفنون الزخرفية الإسلامية فى المغرب والأندلس ، نشر دار الثقافة ، بيروت ، بدون تاريخ .

٤٧ - محمد عبد الله عنان :

دول الطوائف ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .

٤٨ محمد عبد الله عنان :

عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس ، القسم الأول والثانى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .

٤٩ - محمد عبد الله عنان :

تراجم إسلامية شرقية وأندلسية ، نشر مؤسسة الخانجى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .

٥٠ - محمد الفاسى :

تحقيق الأعلام الجغرافية الأندلسية ، مجلة البيئة ، السنة الأولى ، العدد الثالث ، الرباط ، يوليو ١٩٦٢ .

٥١ - محمد كما شبانة (الدكتور) :

الحالة الاقتصادية بالأندلس خلال القرن الثامن الهجرى ، مجلة البحث العلمى ، الرباط ، العدد الثامن ، مايو - اغسطس ١٩٦٦ م .

٥٢ - محمد المنونى :

العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ، نشر معهد مولاى الحسن ، تطوان ، ١٩٥٠ م .

٥٣ - محمود على مكى (الدكتور) :

مدريد العربية ، نشر دار الكاتب العربى ، القاهرة ، بدون تاريخ .

ب - المراجع المعربة :

١ - بالباس (ليوبولدو توريس) :

الفن المرابطى والموحدى ، ترجمة د . سيد غازى ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧١ م .

٢ - بالنثيا (آنخل جنثالث) :

تاريخ الفكر الأندلسى ، ترجمة د . حسين مؤنس ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .

٣ - بروفنسال (ليفى) :

الإسلام فى المغرب والأندلس ، ترجمة د . عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمى ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .

٤ - بروفنسال (ليفى) :

الحضارة العربية فى أسبانيا ، ترجمة د . الطاهر مكى ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .

٥ - بروفنسال (ليفى) :

سلسلة محاضرات عامة فى أدب الأندلس وتاريخها ، ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة ، مطبوعات كلية الآداب بجامعة فاروق الأول ، الاسكندرية ، ١٩٥١ م .

٦ - بيرنيت (خوان) :

هل هناك أصل عربي أسباني لفن الخرائط الملاحية ، ترجمة د . مختار العبادى، مجلة المعهد المصرى بمدريد ، العدد الأول ، ١٩٥٣ م .

٧ - بييكروسا (خوس ماريه مياس) :

علم الفلاحة عند المؤلفين العرب بالأندلس ، ترجمة عبد اللطيف الخطيب ، تطوان ، ١٩٥٧ م .

٨ - دوزى (رينهارت) :

تكملة المعاجم العربية ، جـ ١ ، ترجمة وتعليق د . محمد سليم النعيمى ، بغداد ، ١٩٧٨ م .

٩ - كراتشوفسكى (اغناطيوس يوليا نوفتش) :

تاريخ الأدب الجغرافى العربى ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، ق ١ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

١٠ - لويس (ارشيبالد) :

القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد عيسى ، نشر مكتبة النهضة القاهرة ، ١٩٦٠ م .

١١ - متز (آدم) :

الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٤٧ م .

١٢ - مورينو (مانويل جومث) :

الفن الإسلامى فى أسبانيا ، ترجمة د . عبد العزيز سالم ، د . لطفى عبد البديع ، الدار المصرية للتأليف ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

ثالثـا : المراجـع الأجنبيـة

1 - Alarcón (Maximiliano) : Los documentos arabes diplomaticos del archivo de la Corona de Aragon, Madrid, 1940.

2 - Albornoz (Claudi, Sanchez) : En torno a los origenes del Feudalismo; t, III, Mendoza, 1942 .

3 - Amari (Michele) : I Diplomi arabi del archivio Fiorentio, Firenze, 1863 .

4 - Asin Palacios (Miguel) : Un botanico arabigo - andaluz desconocido, Madrid, 1942 .

5 - Asin (Jaime Oliver) : Las dos Almuzaras, al - Andalus, Vol. XXVII, Fasc; I, Madrid, 1962.

6 - Asin (J. Oliver) : Maysa = Cortijo, Origenes y nomenclatura arabe del Cortijo Sevillano, al - Andalus, Vol. X. Madrid, 1945.

7 - Asin (J. Oliver) : Quercus en la España musulmana, l - And alus, vol . XXIV . Madrid, 1959 .

8 - Attié (Bachir) : L'ordre Chronologique probable des Sources directes d'Ibn al - Awwam, al - Qantara, Vol. II. Madrid, 1982 .

9 - Basset (René) : Extrait de la description de l'Espagne, en " Homenaje a F. Codera, Zaragoza, 1904 .

10 - Bel (Alfred) : Controbution à létude des dirhems de l'epoque Almohade, Hespéris; t. XVI, 1933 .

11 - Bel (Alfred) : Les Benou Ghanya, Paris, 1903 .

12 - Boigues (Francisco Pons) : Ensayo bio - bibliografico Sobre los historiadores y geografos arabigo españoles, Madrid, 1898.

13 - Bosch Vila (Jacinto) : Los documentos arabes del archivo de Huesca, Revista del instituto de estudios islemicos, Madrid, 1957 .

14 - Bosch Vila : Los Almoravides, Tetuan, 1956 .

15 - Cagigas (Isidro de las) : Sevilla Almohade, Madrid, 1951 .

16 - Calvo (Francisco) : Caracteristicas geograficos de la huerta de murcia, en " libro de le huerta, " Murcia, 1973 .

17 - Campaner Y Fuertes (Alvaro) : Bosquejo historico de la doinacion islamita en las. islas Baleares, Palma, 1888 .

18 - Chalmeta (Pedro) : De Economia musulmana, Mise au point critico - bibliografica. Seminario de historia Social Y economica, Madrid, 1975 .

19 - Chalmeta : El Señor del Zoco en España, Madrid, 1953 .

20 - Codera (Francisco) : Decadencia Y desaparición de los Almoravides en Espana, Zaragoza, 1899 .

21 - Colin (G.S.) : La noria Marocaina et les machines hydrauliques dans le monde arabe, Hespéris, XIV, Paris, 1932 .

22 - Dalché (J. GAUTIER) : Monnaie et economie dans l'Espagne du nord et au Center (VIII A XIII Siecles) Hespéris, Vol, III, 1962 .

23 - Dozy (R) : Dictionnaire detaille des noms des vetements Chez les arabes, Amsterdam, 1843 .

24 - Enany (Aleya) : Tres telas granadinas, Revista del institute egipcio de estudios islamicos de Madrid, Vol. II. Fasc, 1 - 2, 1954 .

25 - Ferrandis (José) : Marfiles arabes de occidente, Madrid, 1940 .

26 - Gaspar Castellano : Cronica de la Corona de Aragón, Aragón, 1919 .

27 - Gaspar Remiro (M) : Historia de Murcia musulmana, Zaragoza, 1905 .

28 - Gonzalez Marti (M) : Ceramica del levante español, Barcelona, 1944 .

29 - Heyd (W) : Histoire du commerce du Levante du moyen age, Amsterdam, 1967 .

30 - Huicu Miranda (A) : Historia musulmana de Valencia, 3 Tomos, Valencia, 1969 .

31 - - - - - - - - - - - - - - : Historia politica del imprerio Almohade, 2, Vol., Tetuam, 1956 .

32 - - - - - - - - - - - - - - : Las grandas batallas de la reconquista, Madrid, 1956 .

33 - Imamuddin (S.M.) : The economic history of Spain under the Umayyads, Dacca, 1963 .

34 - ---------------- : Some aspects of the socio - economic and Culture history in al - Andalus, Dacca, 1965 .

35 - Kassis (H.E.) : Some unpublished Almoravid dinars in Madrid and BadaJoz, al - Qantara, Vol. III, Madrid, 1982 .

36 - Krueger (Hilmar) : Genoese trade with northwest africa in the twelft century, in, Speculum, A Journal of medieval studies, Vol. VIII, N.#, July, 1933 .

37 - Lacalle (José) : Los Judios españoles, Barcelona, 1961 .

38 - Levi - Provencal (E) : Histoire de l'Espagne musulmane, 3 Tomes, paris, 1967 .

39 - Levi - Provençal : España musulmana, traduccion por Garcia Gomez, en " Historia de Espana " T.V, Madrid, 1957 .

40 - Levi - Provençal : Inscriptions arabes d'Espagne, 2, Vols., Paris, 1921 .

41 - Levi - Provençal : La description de l'Espagne ad'Ahmed al - Razi, al - Andalus, Vol. XVII, Madrid, 1953 .

42 - Lopez (Robert) : Medieval trade in the mediterranean world, New York, 1955 .

43 - Makki (Mahmud Ali) : Ensayo sobre las aportaciones orientales en la España musulmana . Revista del instituto de estudios islamicos en Madrid, Vol. IXXX, 1961 - 1962 .

44 - Marin (José Ibanez) : Geog ra Fia de Espana, Madrid, 1931 .

45 - Martinez (Pedro) : La economia de la España Omeya, Hispania, t. XXV, 1965 .

46 - Martinez (Pedro) : Islam YCristiandad en la economia mediterranea de la baja edad media, Moscu, 1970 .

47 - Mateu Y llopis (Felipe) : Hallazgos numismaticos musulmanes, al - Andalus, Vol. XII, Madrid, 1947 .

48 - Mateu Y llopis (Felipe) : Hallazgos ceramicos en Valencia, al - Andalus, Vol. XVI, Madrid, 1951 .

49 - Menéndez pidal (Ramon) : La España del Cid; Cuarta edicion, dos volumen, Madrid, 1947 .

50 - Meyerhof (Max) : Esquisse d'historie de le pharmacologie et botanique chez le musulmans d'Espagne, al - Andalus, Fasc, I, Vol. III, Madrid, 1935 .

51 - Morales (Camilo Alvarez de) : Pesos y medidas en un manuscrito arabe sobre materia medical del siglo XI, Cuadernos, Granada, 1975 - 1976 .

52 - Ocana Jimenez (Manuel) : Las puertas de la medina de Cordoba, al - Andalus, Vol. III, Madrid, 1953 .

53 - Palencia (Angel Gonzalez) : Notaas Sobre el régimen de riegos en la región de Veruela en lon los siglos XII y XIII, al - Andalus, Vol. X, Fasc, I, Madrid, 1945 .

54 - Pavón (Basilio) : Ceramica islamica en Talavera de la reina, al - Qantara, vol, I, Madrid, 1980 .

55 - Peres (Henri) : La Poesie andalouse en arabe Classique au XI[e] siecle, Paris, 1937 .

56 - Ribera (Julian) : El Sistema de riegos en la huerta Valenciana no es obra de los arabes, en disertaciones y opusculos, t. II, Madrid, 1928 .

57 - Rivero (Casto M[a] del) : La moneda arabigo - española, Madrid, 1933 .

58 - Robles (Guillen) : Malaga musulmana, Malaga, 1957 .

59 - Rodriguez Lozano (José Antonio) : Sobre el Cultivo del maiz en el reino Nazari de Granada, Cuadernos, Granada, 1975 - 1976 .

60 - Rossello (Guillero) : Bronces arabes de Mallorca, al - Andalus, Vol. XXVII, Fasc, I, Madrid, 1962 .

61 - Salem (El Sayed Abdel Aziz) : Algunos aspectos del Florecimiento de Almeria islamica durante el periodo de los taifas y de los Almoravides, Madrid, 1979 .

62 - Teres (Elias) : Nota Sobre el Toponimo Almadén, al - Andalus, Fasc, I, Vol. XLI, Madrid, 1976 .

63 - Terrasse (Henri) : Histoire du Maroc, Casablanca, 1947 .

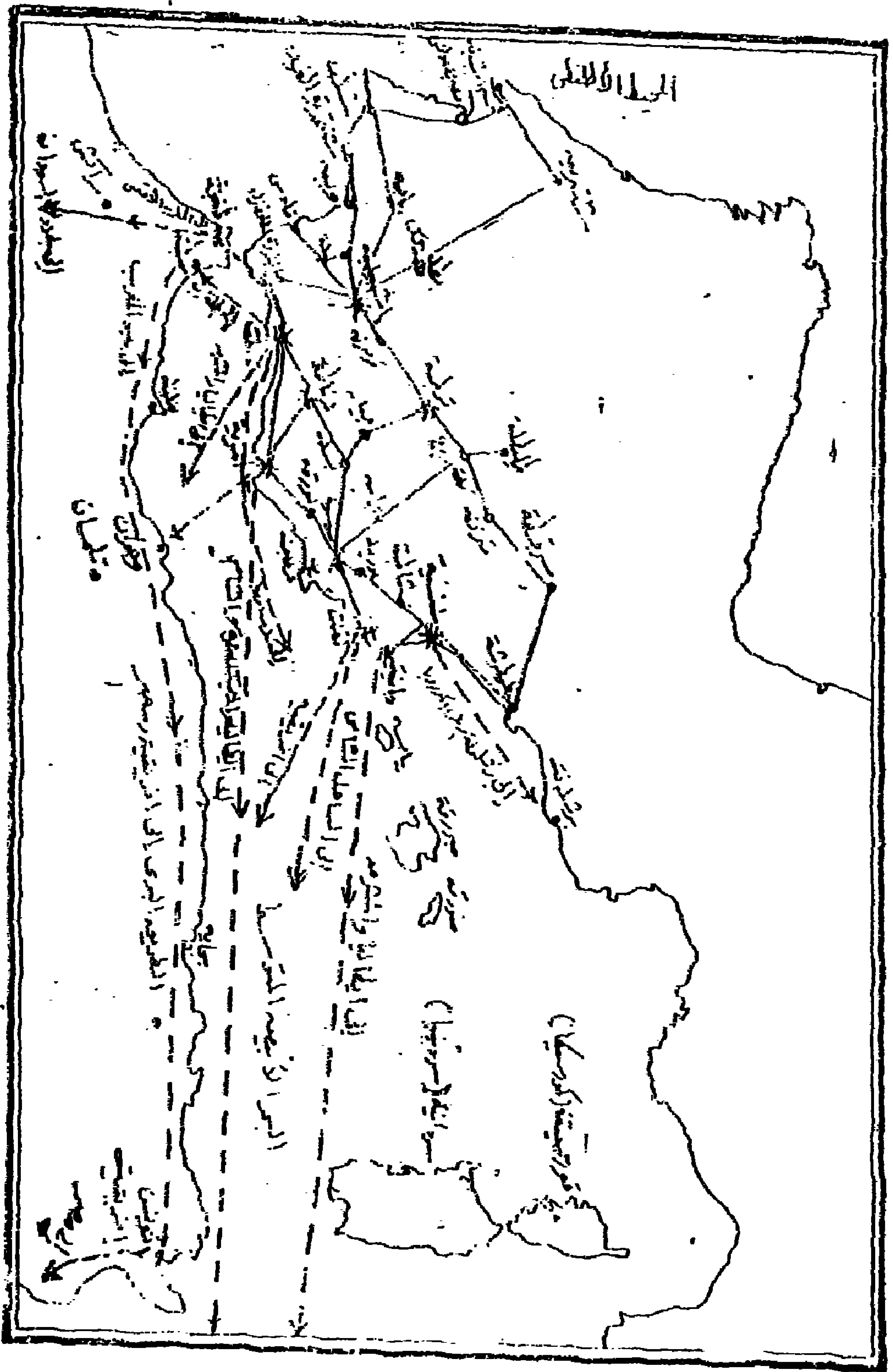
64 - Torres Balbas (Leopoldo) : Ciudades hispano musulmanas, Pub-

licadapor : instituto hispano arabe de Cultura, Madrid .

65 - Torres Balbas : Arquitectos andaluces de las épocas Almoravide y Almohade, al - Andalus, Vol., XI, Madrid, 1946 .

66 - Torres Balbas : Atarazanas hispano - musulmanas, al - Andalus, Fasc I. Vol, XI, Madrid, 1946 .

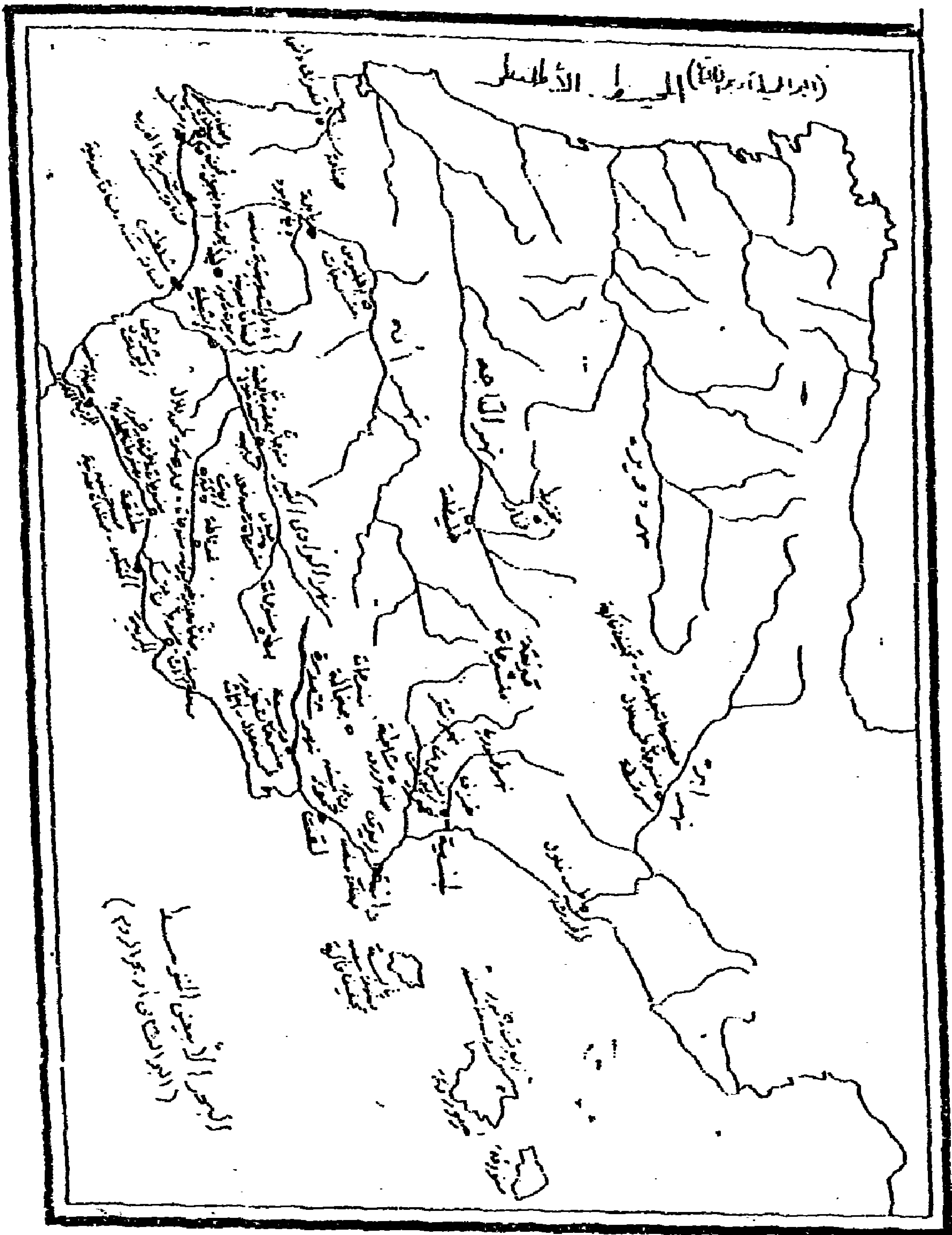
67 - Vallicrosa (JoSé Millas) : La traduccion Castellana del tratado de agricultura de Ibn Wafid, al - Andalus, Fasc, 2, Vol, VIII, Madrid, 1943 .



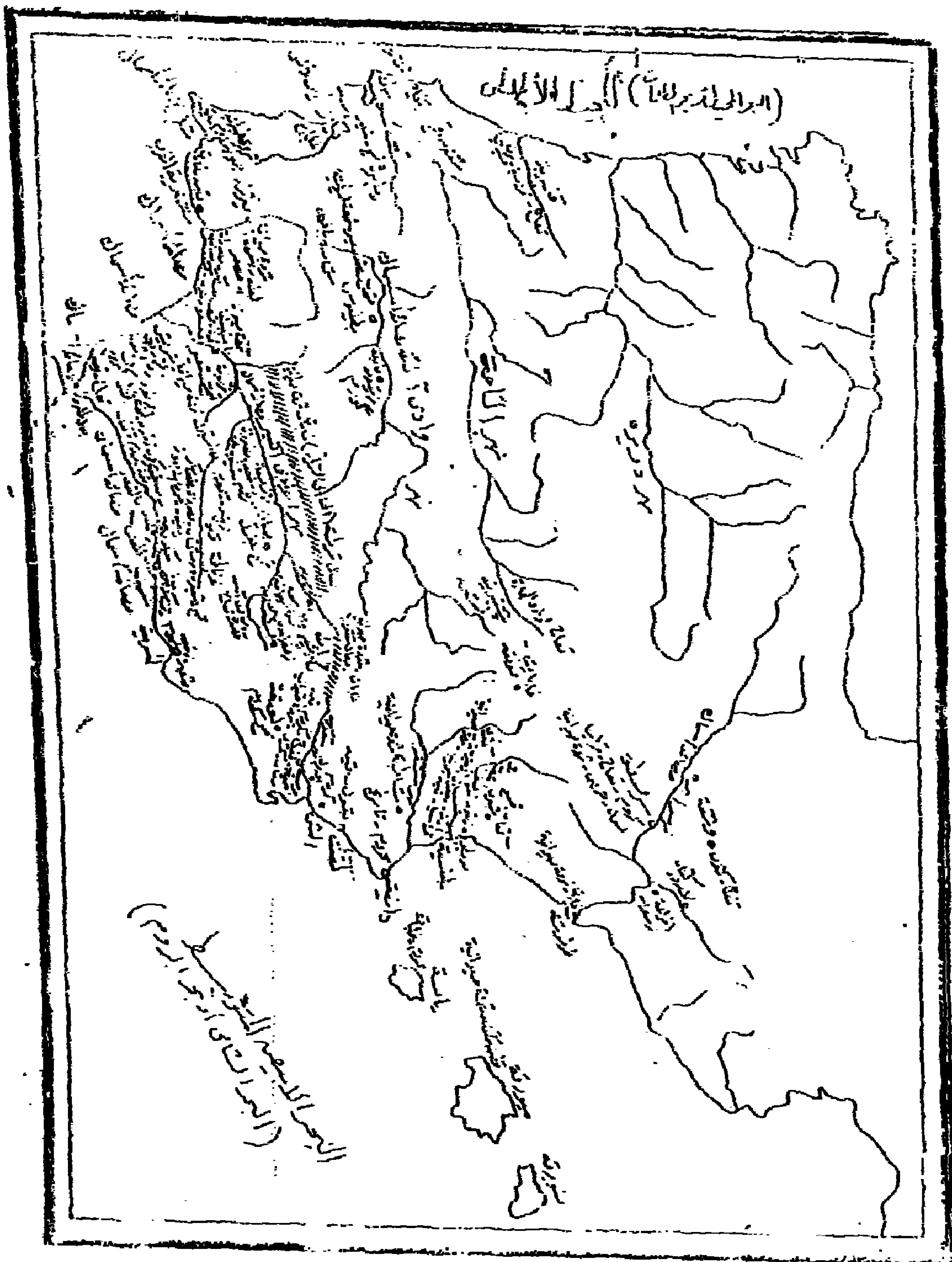
* مراكز وموانى تجارية

—— طرق تجارية داخلية

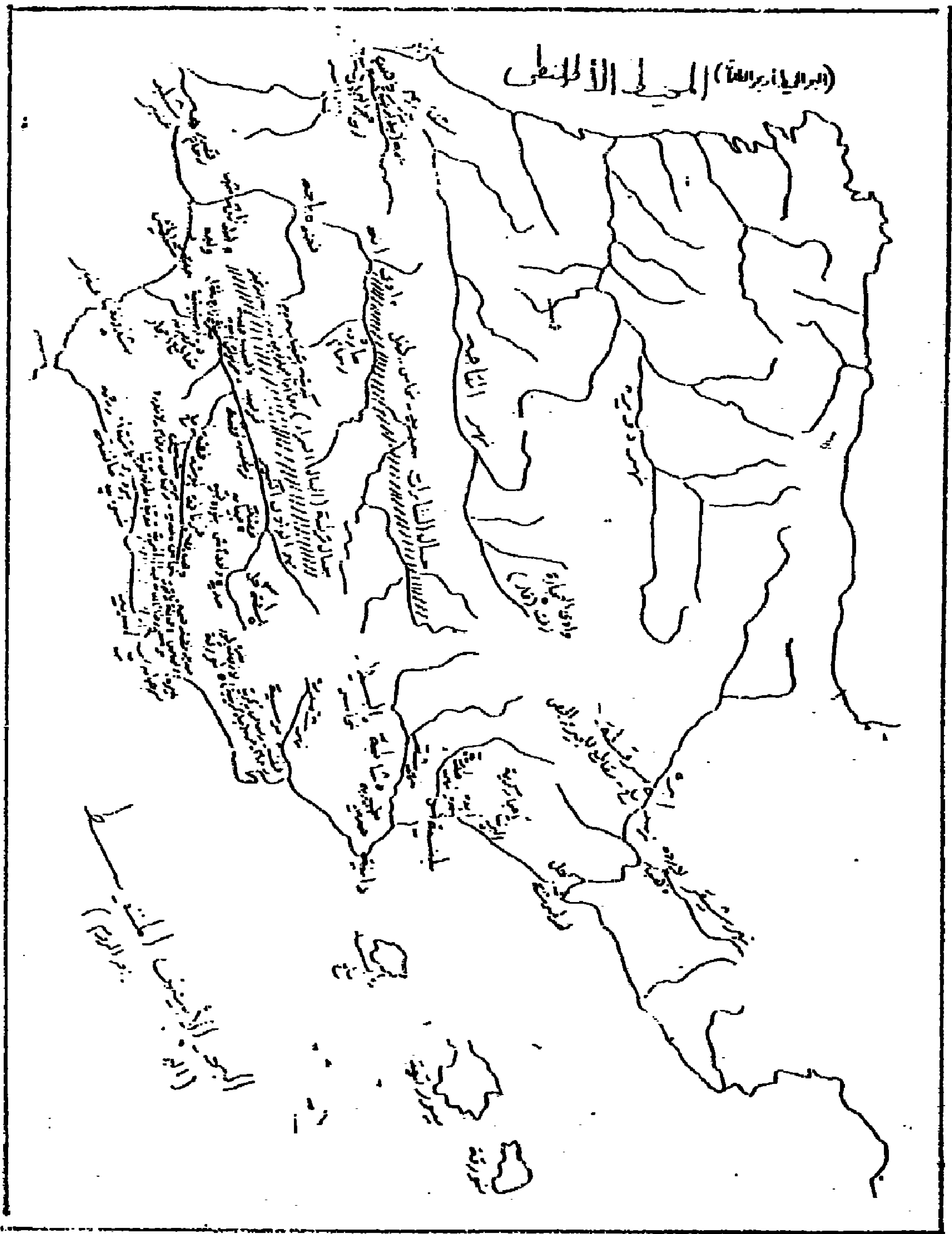
——— طرق تجارية خارجية



خريطة توزيع المنتجات الصناعية في الأندلس



خريطة توزيع الثروة المعدنية في الأندلس



خريطة توزيع الثروة الزراعية والغابية والحيوانية والسمكية فى الأندلس

صفحة

الفهـــرس

الموضـــوع

الموضــوع	صفحة

الفصـل الثـانى

البـاب الثـانى

الفصل الأول

الفصـل الثـانى

البـاب الثـالث

الفصل الأول

الموضـــوع صفحة

الموضـــوع	صفحة